

"السياسة هي ثاني أقدم مهنة في التاريخ، وتشبه الأولى إلى حد كبير"
رونالد ريغان



يوسف بناتن

أغبياء في السياسة

مذكرات سياسي ساخر

ترجمة: د. خالد البلتاجي

يوسف بناش

أغبياء في السياسة

(مذكرات سياسي ساخر)

ترجمة

خالد البلتاجي


SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

خالد البلتاجي مترجم مصري وأستاذ اللغويات والترجمة بكلية الألسن جامعة عين شمس بالقاهرة، حاصل على دكتوراه في علوم اللغة التشيكية من جامعة تشالنز ببراغ، ترجم العديد من الأعمال الأدبية والدراسات المتخصصة في علم المصريين والسياسة والاجتماع من اللغتين التشيكية والسلوفاكية، منها رواية الخلود للأديب التشيكي العالمي ميلان كونديرا، والبتاجي عضو اتحاد الكتاب المصري ونادي القلم الدولي.

أغبياء في السياسة

الطبعة الأولى مايو 2015

رقم الإيداع: 2015/10432

الترقيم الدولي: 978-977-5154-46-0

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتدعيم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any form or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر
محمد البعلي

إخراج فني
علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار صنفصافة.



دار صنفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج م ع

أغبياء في السياسة

(مذكرات سياسي ساخر)

المحتويات

لماذا هذا الكتاب؟	17
أغبياء في السياسة	21
الفصل الأول: السياسة	25
السياسة والجنس	31
الأغراض النبيلة	33
الصراع على السلطة	35
الحفاظ على السلطة	37
السياسة والمال	39
السياسة ومستوى معيشة المواطنين	41
السياسة ومستوى معيشة رجل السياسة	43
السياسة الكبيرة والصغيرة	45
سياسة دون المستوى	47
السياسة العالمية	49
الطريق إلى السياسة	53
ممثلات في السياسة	59
من البروتوكول إلى الأيديولوجية	61
الكنيسة في السياسة	63
الحلول الوسط في السياسة	69
الحراس الشخصيون في السياسة	71
حتى ينحيه الموت	73
الفصل الثاني: الأحزاب السياسية	75
حزب العاهرات الشعبي	77
نشأة الحزب السياسي الكبير	81
نشأة الحزب الصغير	83
الحزب غير الشرعي	87
رئيس الحزب	89
الطريق إلى مقعد الرئاسة	93

حزب تحت قيادة قصيرة الأجل	97
حزب تحت قيادة طويلة الأجل	99
تمويل الحزب	101
أعضاء الأحزاب، كيف يكونون؟	103
برنامج الحزب	107
المؤتمر العام للحزب	109
التنقل بين الأحزاب	113
الفصل الثالث: الانتخابات	117
الانتخابات في النظم الشمولية والنظم الديمقراطية	119
النظام الانتخابي	121
المشاركة الانتخابية	123
العزوف عن الانتخابات	127
قوائم مرشحي الأحزاب السياسية	129
الحملة الانتخابية	131
المؤتمرات الانتخابية	133
الوعود الانتخابية	135
كباب الحلة في موسم الانتخابات	137
الفوز في الانتخابات	139
خسارة الانتخابات	141
الفصل الرابع: الحكومة	143
الحكومة	145
فرص الائتلاف	147
الائتلاف	149
مجلس الائتلاف الحاكم	151
رئيس الحكومة	153
البلكون أم البلقان	155
تشكيل الحكومة	159
مواصفات أعضاء الحكومة	161

برنامج الحكومة	163
الوزارات غير السيادية	165
الوزارات السيادية	167
إقالة أعضاء الحكومة	169
<u>الفصل الخامس: البرلمان</u>	171
قاعة المداولة	173
النواب	177
نابليون، وتشيرشل، والمهندس كوروتس	179
النواب المجهولون	181
مساعدو النواب	183
مكاتب النواب	185
نواب المعارضة	187
اللصوص والنواب المستقلون	189
النقائق ومشروع القوانين	191
مشروع قانون مقدم من المعارضة	193
تعديل القانون	195
فوضى الجلوس	197
نادي النواب	199
المناقشات والنواب الأموات	201
القراءة حَسَبَ...	203
التصويت العلني	205
الاقتراع السريّ	209
التصويت "فائق السرية"	211
نقطة نظام	213
ساعة للأسئلة، ودقيقة للإجابة	215
الحصانة البرلمانية	217
رحلات النواب الخارجية	219
بوفيه البرلمان	221
استراحات الحكومة وتدبير المؤتمرات	223

الفصل السادس: الإعلام والرأي العام	225
السياسي والإعلام	227
المواطنون والإعلام	231
الصحفيون والدُّمَى المطاطية	233
المصورون في صحافة المشاهير	237
الإعلام وإنفلونزا الخنازير	239
التليفزيون وظهور رجال السياسة	241
المؤتمرات الصحفية	243
المتحدثون الرسميون و"المبرراتية"	247
استطلاعات الرأي العام	249
إعلام الفضائح	251
الفصل السابع: السياسي	253
نشأة رجل السياسة	255
السياسي في الائتلاف والمعارضة	257
هل أعمل في السياسة أم لا؟	259
السياسي والعمل	261
السياسي والمواطن	263
مسئولية رجل السياسة	265
السياسي صاحب المبادئ	267
العداوة في السياسة	269
مستشار رجل السياسة	273
السياسي والبيروقراطية	275
السياسي والأموال	277
معدة رجل السياسة ومؤخرته	279
سعادة السياسي	281
السياسي والأسرة	283
السياسة والجنس	285
السياسي والخمر	287

السياسي والشخصية	289
لغة رجل السياسة	291
الفصل الثامن: اطلب النصيحة	295
شروط العمل السياسي	297
دور الرئيس في حياتك المهنية	299
الحقيقة دائماً لها رئيس	301
كيف تحظى بتأييد الرئيس	303
كيف تغني مع الرئيس؟	307
كيف ترقص مع زوجة الرئيس	309
كن أول من يصفق	311
كيف تشتهي السلطة	313
الثناء على النفس لا يضرّ	315
متى تنفجر في الضحك	317
كيف تُحوّل الجحيم إلى جنة؟	319
كيف تتحلل من الرهان على أمر ما؟	321
كفّ عن انتقاد الآخرين	323
كيف تُجمّل ماضيك؟	325
كيف تبدو في منتهى الجدية؟	327
كيف تعطي انطباعاً بالأهمية؟	329
كيف تكون سريع النسيان؟	331
كيف تزيّف الحقائق؟	333
كيف تنجح في إخفاء ما يدور في رأسك؟	335
كيف تسترزي الآخرين؟	337
كيف تطعن بسكين في الظهر؟	339
كيف تفتري على الأصدقاء والأعداء؟	341
كيف لا تتدخل فيما لا يعينك؟	343
متى يكون لديك وجهة نظر؟	345
كيف تُبرر الأشياء؟	347
الخيانة أحياناً تفيد	349

الجلد الثخين	351
انس الانفعالات!	353
لا تثق في أحد، وخاصة الأصدقاء	355
لا تفصح عن نواياك	357
كيف تدرب نفسك على الخطابة؟	359
كيف تؤثر في المستمعين إلى درجة البكاء	361
كيف تقتنص اللحظة المناسبة	363
أهمية التنس والجولف والصيد في العمل السياسي	365
متى وكيف تكون فاسدًا	367
كيف تحافظ على مظهرك الجيد	369
لا تعترف بإخطائك مهما كان الثمن	371
كيف تحفر مقابر سياسية	373
مخاطر العادة	375
كيف تحصن نفسك ضد النقد	377
كيف تلفت الأنظار بعيدًا عن الأمور الهامة	379
كيف تتظاهر بالتفاؤل	381
كيف تتضرع إلى الله عندما تسوء الأحوال	383
الصبر مفتاح الفرج	385
كيف تُبالغ بطريقتة مقنعة	387
كيف تُحوّل الهزيمة إلى نصر	389
كيف تدبر المؤامرات على نحو صحيح	391
هل تسحق خصمك المهزوم، أم تتجاهله؟	393
كيف تخدع الآخرين	395
كيف تتأهب للمنصب	397
الشعور بالذنب	399
لا تدع أحد يخرج عن هدوئك، وانتبه لما يحدث من حولك	401
ماذا تفعل لو لم تُحقق هدفك؟	403
متى يفر السياسي هاربًا	405
نهاية العمل السياسي	407
نهاية الكتاب والمؤلف	411

تنبيه:

كل الأحداث، والشخصيات، والمواقف الواردة في الكتاب هي من باب الدُّعابة والمزاح، أو من وحي الخيال كما يقولون، ولا علاقة لها بالواقع، لا في داخل البلاد ولا في خارجها. لذلك لا أساس لأي دعوى قضائية تقام بعد قراءة هذا الكتاب ضدي، أو ضد أي شخص آخر

المؤلف

إهداء
إلى كل ناخب راض عن انتخابه

رونالد ريجان:

"السِّيَاسَةُ هِيَ ثَانِي أَقْدَمِ مِهْنَةٍ فِي التَّارِيخِ.. وَتُشْبِهُ الْأُولَى إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ."

لماذا هذا الكتاب؟

عَمِلْتُ في مجال السياسة أربعة أعوام تقريبًا، بالتحديد أربعة أعوام إلا ثلاثة أشهر. كان حزب الحركة المسيحية الديموقراطية السبب وراء اختصار مدة عملي، حيث انسحب الحزب من الائتلاف الحاكم. ولم ينجح الائتلاف بدونه في الفترة الانتخابية الثالثة، وكانت فترة الخمسة وأربعين شهرًا من أكتوبر 2002 حتى يونيو 2006، كافية كي أرى في السياسة ما لا يراه المواطن العادي، أو يراه ويتظاهر بأنه لا يراه، أو ربما لا يتظاهر؛ لأنه غير معني بالأمر.

الأسوأ من ذلك، وهو ما سأحدثكم عنه، هو ما لا يراه مواطنون قرروا الدخول إلى عالم السياسة، أو يرونه لكن بعد فوات الأوان، وفجأة يجدون أنفسهم في مأزق: البقاء، أم الانسحاب؟ وغالبًا ينتهي بهم الأمر بأن يصبحوا سياسيين متجولين ذوي خبرة، وأغلبهم ينجح في هذا الأمر. ومَن لا يُوقِّق منهم يخرج سريعًا من عالم السياسة، مثلي أنا. وعندما تأكدت من هذا الأمر، قررت أن أتابع ما يحدث في عالم السياسة والسياسيين بكل دقة، فقد تابعت طوال الفترة الانتخابية ما يحدث في البرلمان، وسجلت ملحوظاتي، حتى إنني كنت أضع تصورًا لبعض المواقف، ثم أنتظر ردود أفعال السياسيين، وفي الغالب كانت كما توقعت. وحتى لا تضيع جهودي عبثًا قررت أن أكتب ما شاهدته.

هناك العديد من الأعمال الرائعة في مجال السياسة في الأدب العالمي، لكن كي يفهم المواطنون، والطلبة، وحتى السياسيون أنفسهم، كيفية إدارة الشأن العام فهمًا جيدًا، أراهم قد اختاروا عملاً من شأنه دفع الأدب السياسي إلى مستوى متقدم. ومن المؤكد، بناء على ردود الأفعال حتى الآن من المتخصصين والعامّة، أن الكتاب الذي بين أيديكم يُعدّ نقلة كبيرة في النظرية والممارسة السياسية في سلوفاكيا والعالم. ويؤكد المحللون السياسيون، بدءًا من "هارفارد"، و"كمبريدج"، و"أكسفورد"، حتى جامعة "سلادكوفيتش" أن كتاب "أغبياء في السياسة" يُعدّ من روائع الأدب العالمي في مجال السياسة. وقد أوردت الدورية الأمريكية Politics forever المتخصصة في العلوم السياسية، في عددها الثالث عشر لعام

2006 القائمة التالية لأفضل عشرين عملاً في الفكر السياسي على مر التاريخ، وهي:

أفلاطون: الدستور

أرسطو: السياسة

ميكيافيلي: الأمير

مونتيسكيو: روح القانون

روسو: العقد الاجتماعي

توك فيل: الديمقراطية في أمريكا

ماركس: رأس المال

ميتشيار: سلوفاكيا، كن واثقاً

فيتسو: الدفاع الواجب عن النفس

دزونيدا: الطريق الصحيح حيث توجد الإرادة

بوجار: نعيش في بلد كهذا

بناش: أغبياء في السياسة.

أفضل وصف لعلاقة الكاتب بالسياسة كما تقول مجلة Politics forever هو أن: "السياسة تعد أمر على درجة كبيرة من الأهمية، بحيث لا تسمح لنا بأن نأخذها بالجدية المطلوبة".

التقيت بالعديد من السياسيين الناجحين على الصعيد المحلي والدولي. كانوا ينظرون إلى العالم والسياسة، وحتى إلى أنفسهم، بنوع من الترفُّع؛ لذلك كانوا ناجحين. وهذا الكتاب يتوقع قارئاً يسمو فوق الأحداث. ويُخطئ من يعتقد أن الهدف من الكتاب هو إفساد علاقة القارئ بالسياسة. قد يجدها من لا يثق بالسياسة فرصة للتشفي، أما من يؤمن بها فسوف

يفهم ما أكتبه على أنه سعي إلى المعرفة، سعي لمعرفة أهمية السياسة، وسعي للعثور على السياسي المثالي، ذلك الرجل متعدد الثقافات، القادم من عصر النهضة، الرجل الذي لا تُبنى شخصيته على الكلمات والوعود، بل على الأعمال والفضائل. أنا لست ضد السياسة، بل أدعو إلى الاهتمام بها، أدعو هؤلاء الذين لديهم شعور بأن في إمكانهم المساهمة في قيادة البشرية، إلى أقصى درجات الإنسانية والحب.

الهدف الأول لعمل السياسيين يجب أن يكمن في محاولتهم القيام بكل ما يلزم حتى يتحول العالم المادي للإنسان إلى احترام الجانب الروحي، واحترام آدمية الإنسان، حتى يكون الإنسان سعيداً. مثل هذه السياسة لا يفعلها سوى سياسي تكون أفعاله أكبر دليل على أهليته الأخلاقية. كان "جوته" وزيراً وعالمًا فذاً في الأخلاق أيضاً. كان "ليوناردو دافينشي" يقف خلف قرارات الأسر الحاكمة من "الماديتيين"، و"الاسفرزيين". قام "فولتير" بنشر الروح الإنسانية في بلاط الملك "فريدريك الأكبر". أيضاً عثر البافاري "لودفيج الثاني" على قيمة الحياة في فخامة موسيقى "فاجنر". كما أن "جوته"، و"شيرلر"، و"ليوناردو دافينشي"، و"بوتيشيللي"، و"مايكل انجلو"، و"فولتير"، و"فاجنر"، وأيضاً "كارل تشابك"، و"يوسف تشابك"، و"هاشيك"، و"كافكا"، و"فاريخ"، كلهم يدينون فيما وصلوا إليه من مكانة بالفضل، ليس فقط لموهبتهم، لكن أيضاً لـ"آل مديتشي"، وآل "سفورز"، أو لشخصيات مثل "كارل أوجست فيمار السكسوني"، و"لودفيج الثاني"، و"فريدريك الأكبر" أو لـ"مساريك". هؤلاء كانوا سياسيين أدركوا أن قيمتهم وإنجازهم التاريخي لن يحصى بعدد المعارك التي انتصروا فيها، ولا بعدد القتلى من الأعداء، بل بعدد من سمو بأرواحهم إبان حكمهم.

شيء جيد أن يكون مؤلف هذا الكتاب واحداً من هؤلاء العمالقة طبقاً لتصنيف مجلة Politics forever، وأنا سعيد للغاية لهذا التصنيف، ويؤكد هذا التقرير الذي أصدره خبراء أمريكيون أن سلوفاكيا بها سياسيون يفهمون رسالتهم.

أغبياء في السياسة

غالبًا ما يدخل إلى عالم السياسة أناس فشلوا في كل ما دونها. هذه هي الحقيقة، رغم الاستثناءات، وأنا واحد من هذه الاستثناءات. فقد استطعت في حياتي حتى الآن القيام بأعمال هامة، منها أنني تمكنت من اللعب في الهواء بثلاث برتقالات مرة واحدة، واشتركت كهوا في فرقة رقص "الكونتري"، وشاركت في أول دَوْرِي سلوفاكي في الكرة الطائرة، وأطفأت شمعة من على بعد ثلاثة أمتار بلبانة بصقتها من فمي، كما أنني استطعت الخروج من أحد bazارات اسطنبول. ورغم ذلك ظننت أنه ما زال بإمكانني عمل المزيد، فقررت تجربة شيء جديد في مجال السياسة، ولم أعرف بأني سوف أصنف ضمن أغبياء السياسة. نعم، كنت في مجال السياسة غبيًا.

أقول هذا كان في الزمن الماضي؛ لأن علاقتي بالسياسة انتهت بلا رجعة، وأنا سعيد بأن هذه العلاقة كانت شكلية، حيث إنني في الواقع لم أبدأ العمل بها كسياسي حقيقي، وهذا رغم أنني كنت في الفترة الانتخابية الثالثة (2002-2006) عضوًا في البرلمان السلوفاكي. ولأنني اعتزلت السياسة؛ فأدعوكم إلى الاستمتاع بقراءة هذا الكتاب. وكنت سأكتب مثل هذا الكتاب حتى لو لم أترك السياسة، لكنه كان سيصدر لاحقًا وليس الآن.

المعتوه طبقًا لتصورات غالبية البشر هو الشخص الذي يعاني من تخلف عقلي في أعلى درجاته، وهو يقترب من البلاهة. غير أن لفظ idio في اللغة اليونانية القديمة يأتي في الجزء الأول من مُركَّب لغوي بمعنى المختلف أو الغريب. وكلمة idiom تعني تركيبة قواعدية خاصة ومُمَيَّزة، ولفظ idiot يعني: شخص مختلف أو غريب. وكان الغبي في اللغة اليونانية القديمة إنسانًا غريبًا، اختلف عن أغلبية البشر بمناعته ضد الأخلاق والفضائل؛ لهذا ذهب إلى العمل السياسي. كان الإنسان عديم الأخلاق في عصر "بريكليس" غير مؤهل للعمل بالسياسة. ورغم أنه تهمته الوحيدة هي افتقاره إلى الأخلاق، فقد اتضح أنه كان يُعاقب بالنفي، وفي حالات كثيرة بالقتل.

اتهمني أحد الصحفيين السلوفاك المعروفين يومًا بأنني معتوه عندما أقسمت له بأنني لم أستولِ على أي شيء، ولم أسرق، ولم أتلقَ رشاًوى من أي نوع، وأنني لم أدخل إلى عالم السياسة من أجل الدفاع عن مصالح مجموعة بعينها، ولا حتى مصلحة أسرتي شخصياً. وكان هذا شرفاً لي. لقد صدقني صديقي الصحفي بأنني لم أسرق، ولم أتقاضَ رشاًوى، لكنه لم يصدق أنني لم أكن أعرف ما هي السياسة. "لا تقل لي إنك كنت معتوهاً وساذجاً إلى درجة حالت دون أن تفهم ما يدور!".

في الواقع أنني كنت على علم ببعض الأمور، وأمور أخرى لم أعرفها، ولم أرغب في ممارسة الأشياء السيئة التي عرفتها. وعندما ضاقت الحلقة من حولي، وكنت على وشك أن ارتكبها، قررت أن أغيرها. لم أفهم أنه عندما يقرر شخص مبتدئ في عالم السياسة أن يُحسِّن منها ينتهي به الحال كـ"بُهْلُول"، ممثل هزلي، لأنه لا يمكن تغيير السياسة ولا آلياتها التي تعمل بها. الوحيد الذي يتغير هو رجل السياسة نفسه. ولو أردت أن أحقق نجاحاً في عالم السياسة لكان عليّ أن أغير صفاتي الوراثية. وهذا مستحيل. فالتربية والبيئة التي ترعرعت فيها، وهذا الشيء الغامض الذي حصلنا عليه عند مولدنا، كلها تُشكّل قناعاتنا التي نطلق منها في مواقفنا الحياتية. وقد فعلت في حياتي أموراً لا يمكن أن أفعلها لو عُرضت عليّ اليوم من جديد. أنا أيضاً تعرضت في حياتي للفشل. لكنها كانت أمور يصعب عليّ أن أتنازل من أجلها تحت أي ظرف، ففضلت التخلي عن الفوائد التي قد أجنبيها من ذلك التنازل. وبما أنه قد قُدر لي أن أكون معتوهاً، فأفضل أن أكون معتوهاً حَالِماً، بدلاً من أكون معتوهاً انتهازيّاً. أُذكركم، لو شِعرتُم بالاكْتئاب أثناء قراءه هذا الكتاب، بأن أمثال هؤلاء الأغبياء، ومثل هذه المواقف، والتوجهات، والأفعال، والشخصيات، والعلاقات - تعد جزءاً من العمل السياسي في كل بلاد العالم. وقد تجولت بالفعل في بلاد العالم كثيراً كي أتتحقق من هذا الأمر لأصل إلى هذه القناعة. لذلك أقول: يا أغبياء السياسة السلوفاكية، ارفعوا رءوسكم، فنحن لسنا وحدنا!

يقول الخبير السياسي "ماكس فيبر": "يمكنني أن أُسمّي أشخاصاً بأعينهم في كل حزب سياسي، يُعتبرون تجسيداً لمأساة العمل السياسي، أو كان أداؤهم على المستوى السياسي والإنساني رائِعاً، وحتى على المستوى القيادي، لذلك لم تتحمل الشخصيات الحزبية البارزة وجودهم بينهم". وسجّل الخبير السياسي أيضاً أن هناك سياسيين يتمسكون بالمبادئ. وهؤلاء، حسب المصطلح اليوناني القديم، أغبياء. وأن من يهتم منهم بالمصالح، فهو سياسي

عادي. يقول "فيكتور هوجو" إن الأجسام الرشيقة تبدو غريبة في مكان كل من فيه أحذب. الوضع المثالي بالطبع هو عندما لا تظهر في عالم السياسة سوى الأجسام الجميلة، لكن هذا أمر غير واقعي؛ لذا علينا أن نقف خلف كل من يقاوم تأثير رجل أحذب واحد على الأقل.

لقد ظلم التاريخ الفيلسوف والسياسي وشاعر عصر النهضة "نيكول مكيافيللي" واعتبره شيطاناً عندما أطلق قاعدة "الغاية تبرر الوسيلة". رغم أن "مكيافيللي" لم يقل غير الحقيقة، وهو أمر عديم الجدوى ومضحك في عالم السياسة. الواقع أنني لا أطمح في محاكاة الوزير الحكيم في جمهورية فلورنسا، لكنني أسعى إلى أسْمِي الأشياء بأسمائها الحقيقية.

قبل أن تقرروا أنتم أيضاً الدخول إلى عالم السياسة، أنصحكم بأن تراجعوا معي المواصفات التالية التي رُتبت حسب استطلاع للرأي العام. السياسي المثالي هو: شريف، وعفيف، وغير متهور، ومنتقف، ويجيد لغات أجنبية، ولديه حياة عائلية ناجحة، خبير في إدارة المؤسسات، وصادق، ويتمتع بالصحة، وخفيف الظل، ويجيد الاستماع إلى الآخرين، وتقديم العون لهم. لو وجدت في نفسك المواصفات السابقة فأنت رجل حالم، ولا تصلح للعمل السياسي على الإطلاق. وهذا أمر لا يجعلك تخجل من نفسك، فالحالمون أكثر، منهم "كانت"، و"فيشت"، و"هيجل"، و"غاندي"، و"كاركولكا"، و"دوبتشك"، والأميرة النائمة.

من يظل في السياسة وفيّاً للمبادئ هو كمن يُعلم كلبه المشي على قدميه الخلفيتين، يتقدم خطوتين أو ثلاث خطوات، ثم يسقط. ورغم أنه أمر لا طائل منه، لكن يكفيك شرف المحاولة. فالطبيعة الوراثية للكلب تدفعه إلى أن يمشي على أربع. ولو أنك اتخذت قراراً لا رجعة فيها بالعمل في مجال السياسة، فدعنا نعرف كيف انتهى بك المقام. أتمنى لك حظاً سعيداً. فبرغم كل شيء، أنا واثق من أنه سيأتي يوم تمشي فيه الكلاب على قدميها الخلفيتين. لن يحدث هذا سريعاً، لكن التاريخ يقول إن الأفعال التي دفعت البشرية إلى قمة الإنسانية والرقى لم يأت بها إلا أصحاب الأجسام الجميلة. أتمنى لك التوفيق!

الفصل الأول السياسة

السياسة والتهريج

"مَنْ أَكْثَرَ أَوْهَامِ السِّيَاسِيِّينَ أَنْ يَعْتَقِدُوا أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَهْتَمُّ بِهِمْ"

هيل

عندما يتعرف الإنسان على السياسة عن قرب يجد أمامه خيارين متباينين: البكاء، أو الضحك. لم أجد في نفسي رغبة في البكاء؛ لذلك رحلت أنظر إلى السياسة وإلى أهلها من ذلك الجانب المضحك. في حياة كل منا العديد من الأحداث الدرامية التي تُكدر عليه معيشته. لذلك ما الفائدة في أن أزيد الطين بلة وأنت تقرأ هذا الكتاب، بينما أنا شخصياً استمتعت وأنا أكتبه؟

وقد قررت أن أعالج ثنائية السياسة والمأساة، والسياسة والتهريج، بالانحياز إلى النهج الساخر. أرى الآن اللغويين المتشددين وهم يتأفون من استعمال كلمة تهريج. في الواقع أن تاريخ التهريج يتشابه كثيراً مع تاريخ السياسة. فكلنا نحب المزاح، رغم أن الغالبية لا تعرف معنى التهريج الحقيقي. كذلك أيضاً نحب الحديث في السياسة، رغم أن معظمنا لا يعرف ما هي السياسة في الواقع. التهريج يقوم به أناس لم ينهوا تعليمهم الأساسي بسبب رسوبهم في مادة النحو، التهريج يمارسه أيضاً جهاذة علماء اللغة. ورغم ذلك لم يظهر حتى الآن رجل شجاع ليقوم بتصنيف كلمة تهريج على أنها جزء أساسي من اللغة السلوفاكية. يراودني شعور بأن السبب في هذا يعود إلى رغبتهم في أن نشعر طوال الوقت بتأنيب الضمير، فما زالت تتردد في أذني كلمات من أيام الطفولة يقولها الكبار، بأن كلمة تهريج ليست فُصحى. "وما هي الكلمة الفصحى؟"، كنت أتساءل وأنا طفل، وما زلت أتساءل إلى اليوم. "مزحة، لهو، ضحكة، نكتة، مزاح، هزل...؟". ربما نستخدم هذه المرادفات في إطار نشاط إنساني آخر، وليس في إطار السياسة. فالإنسان الذي يأخذ السياسة مأخذ الجد ليس إنساناً مرحاً، لا يلقي طُرْفَةً أو نكتة، لكنه مُثير السخرية، مثله مثل السياسة نفسها. وعليك أن تتعد عنها قدر المستطاع، فلو أنك انخرطت فيها لرأيتهما جادة. الأمر شبيه بأن تنام على فراش الموت، فلن تملك نفسك من الضحك عندما تتمكن

من مغادرته.

عندما يقول رجل السياسة إن الاتحاد الأوروبي يضم خمس دول أو خمسين دولة أعضاء، وأن الأجور سوف تتضاعف، أو أنهم سيرسلون جنودهم للحرب ما دام لن يحدث لهم مكروه، وعندما يوبخ السياسي في مارس عام 1990 على الملأ كل من أراد استقلال سلوفاكيا، ثم بعدها بعامين يمجدهم، لا يمكن أن نسمي هذا مزحة أو نكتة أو هزلاً. إنه تهريج، وربما مهزلة أو مسخرة.

السياسة رسمياً تعني إدارة الشأن العام على مختلف المستويات من أجل صالح المواطن. هكذا عرفها خبير الشؤون السياسية "ماكس فيبر". ويؤكد البعض أن "ويبر" كان يعني بعبارة "على مختلف المستويات": على مستوى الدولة، والإقليم والمدينة. وبعد دراسة متأنية لمقولة "فيبر" أظن أنه كان يعني: على مختلف مستويات السياسيين. أنا مقتنع بهذا التفسير؛ لأن المستوى الأخلاقي والتعليمي لرجل السياسة في أمور إدارة الشأن العام، أهم بكثير من المستوى الذي يدار به الشأن العام نفسه. ولكي تكون ناجحاً في عالم السياسة يجب أن تكون حاضر الذهن على نحو يسمح لك بفهمها، وأن تكون غيبياً على نحو يجعلك لا تعتقد بأنها ذات أهمية. وقد ظهر على مر التاريخ أناس واهمون، حاولوا أن يضعوا قواعد للسياسة، لكن القاعدة الوحيدة في السياسة هي أنها بلا قواعد. ولو اعتقد أحدهم بأن هناك قواعد في السياسة فهي من أجل أن يكون هناك ما نخالفه. إنه أمر شبيه بكره الماء. الفارق بينهما هو أن كرة الماء بها رفسات، ولدغات، وخربشة، ومحاولات إغراق ربما لا تراها لأنها تحدث تحت سطح الماء. وفي السياسة تحدث محاولات الإغراق حتى فوق السطح، ويتلهى فيها المشاهدون من خروقات اللاعبين للقانون، وأحياناً يسعد بها اللاعبون أنفسهم.

يرى رئيس الوزراء التشيكي "ميلوش زيمان"⁽¹⁾، وهو أحد أكثر الوزراء الأوروبيين ثقافة و"ظرافة"، أن السياسة هي صراع مع التفاهة، بما فيها التفاهات الشخصية. كلمات كهذه لا يقولها سياسي يتمتع بحس فكاهي مصقول فقط، بل وشخص مُهرج بالمعنى الحقيقي للكلمة. المهرج هو الشخص الذي يستطيع أن يسخر من نفسه أيضاً، أما الساخر فهو من يسخر فقط من الآخرين. المهرجون في السياسة غير موجودين عملياً، أما الساخرون فأعدادهم كبيرة نسبياً، والآخرين يشكلون الأغلبية التي لا تعرف معنى السخرية أو التهريج،

(1) هو الرئيس الحالي للجمهورية التشيكية (المترجم).

وفي نفس الوقت هم على قناعة بالعكس.

يقسم "زيمان" التفاهة إلى ثلاث درجات:

1- الدرجة الأولى: وهي أقل درجة من درجات التفاهة، ألا وهي الجهل. ونحن ننتمي جميعاً إلى هذه الدرجة؛ لأنه لا يوجد من يعرف كل شيء (باستثناء مكتب عمدة المدينة. ملحوظة المؤلف).

2- الدرجة الثانية، وهي درجة أعلى من درجات التفاهة، ويسميتها زيمان "الغباء". الغباء هو حالة نفسية للإنسان الذي لا يعرف أنه لا يعرف. وهذه المجموعة لديها فرصة أكبر في أن تتطور.

3- أعلى درجات للتفاهة هي التفاهة نفسها، فالشخص التافه ليس فقط لا يعرف أنه جاهل، لكنه يعتقد أن عليه أن يعلن ذلك على الملأ بكافة الطرق. وحسب نظرية "زيمان" المتطورة يمكننا أن نطبق هذه الدرجات الثلاث على المواد الصلبة شبه الموصلة. الشخص الجاهل يعترف صراحة أنه لا يعرف ما هي أشباه الموصلات، أما الشخص الغبي فيسأل: ما الذي حدث حتى صارت أشباه موصلات؟ أما التافه فيقول باستياء إنه لا يهتم بأشياء الأشياء، وسينتظر حتى تصبح كاملة التوصيل. من المستحيل التخلص من الأغبياء، لكن يجب أن نجعل المجتمع أكثر ثقة بنفسه قدر الإمكان. وهنا تنطبق قاعدة "مارك توين" بأنه كلما صار المجتمع أكثر ثقة بنفسه، تزايدت قدرته على تقبل المزيد من الأغبياء.

السياسة والجنس

"السِّيَاسِيُّ الشَّرِيفُ مِثْلُ اللُّصِّ الشَّرِيفِ، لَا وُجُودَ لَهُ"

هنري لويس مينكن

تشبه السياسة الجنس إلى حد بعيد، خاصة أننا نفكر في كل منهما كثيرًا. يمكننا أن نفعل أشياء كثيرة مفيدة أثناء التفكير في الجنس أو في السياسة. فأنا أحب التفكير في السياسة وأنا أنزع البالوعة بطلمية نزع الرواسب ماركة ALKO IPV 1100 INOX. توصلت إلى أن الثفل الثقيل في عصير العنب يترسب في القاع، على عكس رواسب البالوعات. تصطمم بالقطع الكبيرة كلما صعدت إلى أعلى حيث تتجمع وتنصر مع بعضها فوق السطح، ولا يضرها أنها قادمة من مؤخرات متخلفة. وعندما يتزايد عددها في البالوعة وتوشك على أن تتسرب إلى الخارج، تُسْقَطِ طلمبة نزع الرواسب في قاع البالوعة كي تنظفها. غير أن قانون البالوعات يقول إنك مهما نظفتها فلن تسحب منها سوى الرواسب المتناثرة. أما القطع الكبيرة فتشكل طبقة متجانسة وقوية فوق السطح، وكلما انخفض مستوى السطح تنخفض معه. ويزيد سقوطها نحو القاع من التحامها وتضامنها مع بعضها، وتشعر بحاجة كل منها إلى الأخرى كلما استقرت في القاع. يمكنك أن تطلق عليها وابلًا من ضغط الماء العالي كيفما شئت، لكنك لن تفتت الطبقة السميكة التي تكونت.

يقول قانون البالوعات الأول: "أكبر القطع تطفو فوق السطح"، ويقول قانون البالوعات الثاني: "كلما بقيت القذارة في البالوعة فترة أطول، ازدادت صلابة وانسجامًا". وكون القاذورات الكبيرة تطفو فوق السطح لا يمنع من أن هناك قاذورات صغيرة غيرها في المستويات الأدنى. وقد لاحظ خبراء المجاري أن وجود مياه نظيفة في البالوعات لا ينفي أنها ستظل بالوعة مجاري. والعكس صحيح، فلو أنك صببت قذارة في المياه النظيفة فسوف تتحول إلى بالوعة قاذورات.

القانون البالوعات الثالث يقول: "بالوعة المجاري ستظل بالوعة مجاري". ونضيف إليها

الآن القانون الرابع: "بالوعة المجاري لا تصدر إلا رائحة نتنة". ويمكن التعايش معها لو تظاهرت الأغلبية بأنها غير متضررة من الأمر. وفي نهاية حديث المجاري أقول إن للعطور رائحة طيبة، لكن هذا لا يعني أنها جيدة للتسميد.

أتمنى ألا تتني الكلمات السابقة كل من يشق طريقه في عالم السياسة عن مواصلة سعيه. فعامل المنجم مهدد بالإصابة بالربو، وصائد الأسماك يتوعده الروماتيزم، والطبيب النفسي عُرضة للإصابة بخلل عقلي، والطبيب أو الممرضة قد يصاب بالسرطان جراء تعرضه للأشعة، وكذلك يتعرض الدبلوماسي الذي يعمل في إفريقيا الاستوائية للإصابة بالملايا، والعامل في مصنع للإسمنت عُرضة للإصابة بالسُّل، وللاعب كرة التنس بالإصابة في وتر المرفق، وعضو فريق الموسيقى الصاخبة بالصمم. كذلك رجل السياسي يخاطر بانحناءة دائمة في ظهره، لكن هذا المرض قابل للعلاج.

إن دورة السياسة، مثلها مثل طلبية تنظيف المجاري، قائمة على تنظيف إسطنبول الملك "أوجياس" للخيل⁽²⁾. فلم يتمكن أحدهم من تنظيف إسطنبول "أوجياس" القذر. ولو لم يترك السياسيون السابقون لخلفائهم إسطنبولاً ما، فمن المؤكد أن خلفاءهم سيصنعونه. وإن لم يفعلوا فسيصنعونه هم على عَجَل ثم يدعون الصحفيين كي يصوروه ويسجلوه ويعرضوه على الشعب. تنقسم إسطبلات "أوجياس" إلى إسطبلات محافظة، وأخرى اشتراكية. الإسطبلات الليبرالية عددها أقل بكثير من غيرها؛ لأن المحافظين والاشتراكيين حريصون كل الحرص على أن يصنعوا هم بأنفسهم إسطبلات "أوجياس" عند فوزهم في الانتخابات. وقد ظهرت إسطبلات "أوجياس" مع ظهور الديمقراطية الجَمْعِيَّة. ففي النظم الشمولية لا يَنْتقد الخليفة من سبقه؛ لأن كليهما صورة للآخر، لأن الحكومة التي يشكلها حزب واحد تُستبدل بحكومة من نفس الحزب. عيب هذه الحكومات أن المواطنين لا يستطيعون أن يتهموا رؤساء الحكومات السابقين بأي نوع من التقصير. فرؤساء الحكومات، ورؤساء الدول، أو حتى السكرتير العام في النظم الشمولية، غالباً ما يغادرون مناصبهم مرفوعي الهامة. وليس من اللياقة في مثل هذه الظروف أن يَحْمَرَّ وجه أحدهم خجلاً. لكن بعد الثورة المخملية يمكننا أن نطالب السياسيين السابقين بأن يخلجوا مما فعلوه.

(2) تقول الأساطير اليونانية القديمة إنه كان لأوجياس ملك إيليس إسطبلات هائلة ظلت لسنوات طويلة دون تنظيف، حتى جاء البطل هرقل ونظفها في يوم واحد. وتعبير "إسطبلات أوجياس" يعني: تراكم الأوساخ والأقذار، أو الحد الأقصى من الإهمال والفوضى (المترجم).

الأغراض النبيلة

"كُنْ مُخْتَلِفًا، وَقُلِ الْحَقِيقَةَ!"

شارل بودليير

الأغراض النبيلة هي بمثابة المحرك الذي يدفع الأحزاب إلى المشاركة في الحكومة. و ينتظر المواطنون بكل شغف مَنْ سيحيد منهم عن القضبان ومتى. وكلما ابتعد موعد الانتخابات صار التُّبَلُّ أقل والنوايا أكثر. وحتى النوايا تختفي بالتدريج، ولا تبقى سوى المصالح المشتركة التي اعتادت الأحزاب التأكيد عليها بكلمات مثل: "يجب أن يساعد بعضنا البعض، فنحن في سفينة واحدة". وهو يعني هنا أنه يرغب في أن يكون قائد السفينة. ويدرك المواطنون بمرور الأيام أن الغرض الأساسي النبيل قد تحول إلى مصلحة الرئيس والمقربين منه. وعندما تُصاب إحدى المجموعات الصغيرة، مع الوقت، بالضجر من رئيس الحزب لما يفعله، يأتي قائد المجموعة بغرض نبيل جديد. يقول، على سبيل المثال، إنه يجب ضخ دماء جديدة في الحزب. يعني بهذه الدماء الجديدة نفسه كرئيس جديد للحزب. وعندما يأتي أحدهم ويقول إنه من المفيد ضخ دماء جديدة، لكن من خلال رئيس ثالث، يصاب الآخرون منه بالانزعاج. ليس من واجب السياسيِّ تحقيق الغرض النبيل، بل تفسير السبب الذي حال دون تحقيقه على نحو مقنع، وبطريقة مفهومة. وسوف يرضى المواطن بالتفسير الذي لن يشعر معه بأن صاحب الغرض النبيل يهزأ به.

يجد المواطنون مادة جيدة للسخرية في السياسيين الذين يؤكدون أن الذي دعاهم للانخراط في السياسة هي الأهداف النبيلة. ولو أراد أحد المبتدئين في مجال السياسة أن يصير مادة خصبة للسخرية، فعليه أن يتوجه مباشرة إلى مقر الحكومة ويحمل لافتة عليها عبارة: "تعيش الحكومة!"، أو يظهر على الملأ تعاطفه مع رئيس المخابرات السابق.

ورغم ذلك كله فإن السياسي الصالح هو من يعمل دائماً بمبدأ النوايا الحسنة. فرئيس

الحكومة النبيل لا يُقبل وزيرًا ما لأنه يريد أن يعين أحد أصدقائه مكانه، بل لأن ذلك الوزير يتعاطف مع غضب مُسْتَحَقَّ للعاملين في الصحة، وعمال السكك الحديدية، والنقل، وأصحاب المعاشات، أو مع أي شخص آخر يظهر سخطاً مُبرراً. الأنظمة الديكتاتورية هي أكثر الأنظمة استدعاءً للغضب المُبرر. فقد كان "ستالين" و"ماو" يرسلون الناس إلى مقاصل الإعدام بسبب إثارتهم المُبررة والنبيلة للجماهير.

دافع بعض كبار ممثلي حركة "شعب ضد العنف" عن بقاء تشيكوسلوفاكيا انطلاقاً من أهدافهم النبيلة. أقام أعضاء هذه الحركة في 14 مارس عام 1991 - بمناسبة ذكرى تأسيس الجمهورية السلوفاكية الأولى - منصّة في ميدان الثورة SNP في مدينة براتسلاف. اجتمع في الميدان حوالي ثلاثة آلاف من مؤيدي الجمهورية الأولى. تجمهر فجأة أمام المنصة كثير من المصورين وأطقم المحطات التليفزيونية الأجنبية. لم يدر أحد كيف عرفوا بأمر هذه الفعالية. وبالفعل، بعد قليل ظهر رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا "فاتسلاف هافل" وهو يتجول في الميدان، وطبيعي أن يستفز ظهوره المتجمهرين، فراح المتشددون منهم يتوعدون الرئيس ويصقون عليه. وبعدها بساعات قليلة جابت أنحاء العالم صور السلوفاك الحقودين الذين يكرهون مواطني جمهورية التشيك ورئيسهم "هافل" الذي نجح بجدارة في إظهار ذلك بفضل موهبته الدرامية، رغم أن مسرحياته كانت نادراً ما تظهر على المسارح الحرة، وعلى حد علمي لا توجد مسرحية واحدة له تُعرض في أي مسرح بشكل منتظم.

الصراع على السلطة

"الأقوياء لديهم ما يجمعهم حتى وإن كانوا أعداء"

جورج بنيامين كليمنسو

"ماريا تريزا"، و"فلاديمير لينين"، و"جون كينيدي"، و"فلاديمير ميتشيار"، و"ميكولاش دزوريندا"، و"روبرت فيتسو"، و"إيفان جشباروفيتش"، و"يوحنا بولس الثاني"، كلهم استمدوا سلطتهم من الله، وما زالوا. إنهم وغيرهم من الحكام والملوك مسيحيون (أو كانوا كذلك)، وبصفتهم مسيحيين فإنهم أصدقاء الرب. هذا ما يؤكد مؤسس المسيحية، القديس بولس في رسالته الإنجيلية للرومان:

"عَلَى كُلِّ نَفْسٍ أَنْ تَخْضَعَ لِلسُّلْطَاتِ الْحَاكِمَةِ. فَلَا سُلْطَةَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالسُّلْطَاتُ الْقَائِمَةُ مُرْتَبَةً مِنْ قِبَلِ اللَّهِ. حَتَّىٰ إِنْ مَنْ يِقَاوِمُ السُّلْطَةَ، يِقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللَّهِ، وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَجْلِبُونَ الْعِقَابَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ. فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَا يَخَافُهُمْ مَنْ يَفْعَلُ الصَّلَاحَ بَلْ مَنْ يَفْعَلُ الشَّرَّ. أَفْتَرَعِبُ إِذْنًا فِي أَنْ تَكُونَ غَيْرَ خَائِفٍ مِنَ السُّلْطَةِ؟ اعْمَلْ مَا هُوَ صَالِحٌ، فَتَكُونَ مَمْدُوحًا عِنْدَهَا، لِأَنَّهَا خَادِمَةٌ لِلَّهِ لِكَ لِأَجْلِ الْخَيْرِ. أَمَّا إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ الشَّرَّ فَخَفْ، لِأَنَّ السُّلْطَةَ لَا تَحْمِلُ السَّيْفَ عَيْنًا، إِذْ إِنَّهَا خَادِمَةٌ لِلَّهِ، وَهِيَ الَّتِي تَنْتَقِمُ لِعُضْبِهِ مِمَّنْ يَفْعَلُ الشَّرَّ. وَلِذَلِكَ، فَمِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ تَخْضَعُوا، لَا اتِّقَاءً لِلْعُضْبِ فَقَطْ، بَلْ مَرَاعَاةً لِلضَّمِيرِ أَيْضًا. فَلِهَذَا السَّبَبِ تَدْفَعُونَ الضَّرَائِبَ أَيْضًا، لِأَنَّ رِجَالَ السُّلْطَةِ هُمْ خُدَّامٌ لِلَّهِ يُوَاطَبُونَ عَلَىٰ هَذَا الْعَمَلِ بَعِيْنِهِ."

فلو أراد أحد أن يشكك ولو للحظة في شرعية الأقوياء، فلن ينال من ذلك شيئاً. وكما قال "بولس": إن سلطته مستمدة من الله، وانتهى الأمر. لا يعرف أحد إن كان الله على علم بهذا، لكن من المهم أن يؤمن كل مسيحي كاثوليكي أن القديس "بولس" يعرف. وواضح من رسالته الإنجيلية أيضاً أننا سننال البركة طالما خضعنا لسلطة الأقوياء وأطعناهم وتوقفنا عن معارضتهم. وبما أن القديس "بولس" قد حدد علاقة الأقوياء والمستضعفين على هذا النحو، فليس أمام المواطن سوى إمكانيتين: إما أن يستسلم للأقوياء، أو يصير قوياً، أو ينضم إليهم على الأقل. إن السلطة هي قدرة مجموعة من الأفراد الأعضاء في جماعة للجريمة المنظمة، أو في

اتحاد متخصص، أو في حزب سياسي، على فرض إرادتها على إرادة من يهتمهم الأمر. فالسلطة في حد ذاتها ليست ضارة ولا حتى خطيرة طالما لم تتجمع بقوة في يد شخص واحد، أو مجموعة من الأفراد. فأسوأ ما في الأمر هو أن تتجمع سلطة خارج السيطرة في يد شخص واحد. فتركيز السلطة في يد رجل واحد يشكل خطراً كبيراً حتى عليه هو شخصياً، فستأتي عاجلاً أم آجلاً لحظة يظهر فيها من سيسعى إلى الحد من هذه السلطة.

إن السياسة صراع على السلطة. وكلمة "صراع" تعطي انطباعاً غير صحيح بأنه صراع أهلنا مع طرف أجنبي. لكن أصعب الصراعات في مجال السياسة هي الصراعات الداخلية، حيث تتزايد فيها المطالب، ويعتقد كل فرد بأنه قدم لحزبه أكثر من غيره من زملائه. ورغم أن الصراع على السلطة أمر مقيت، لا يجب أن نتخلى عنه طالما رضي به الجميع، بما فيهم الخاسرون.

يدور الصراع على السلطة بطريقة شريفة وأخرى غير شريفة. حاول بعض الحالمين أن يتبعوا الطريقة الأولى، ومنهم المسيح، والقديس "بولس"، و"مارك أوريليو"، و"جان الأركي"، و"روبيسير"، و"شتافن بيرج"، و"غاندي"، و"مارتن لوثر كينج"، وأيضاً "شتيفانيك". وماتوا جميعاً إماماً بالصلب، أو فوق حبل المشنقة، أو المقصلة، أو رمياً بالرصاص، أو بسبب عطل في محرك السيارة، أو لقوا حتفهم بطريقة غير طبيعية. وبما أن الوسائل الشريفة للصراع على السلطة نادرة نُدرة دب الهيمالايا في جبال كرباتيا العليا، فلا داعي للحديث عن هذه النظرية المجردة. تتعدد الطرق التي تؤدي إلى اعتلاء السلطة. الزواج بها هو أفضل وأكثر جمالاً من الصراع عليها. ليس بالطبع الزواج برئيسة ورشة لإصلاح السيارات، أو بطباخ الملك، بل بالملك نفسه، أو الأمير، أو الأميرة، أو أرملة الملك، أو في أسوأ الأحوال بابنة الرئيس أو رئيس الوزراء. أنا أضمن لك أنك لو لم تحصل بهذه الطريقة على السلطة فعلى الأقل سترثها بكل سهولة.

أفضل طرق الوصول إلى السلطة تتم في بعض البلدان الإفريقية التي تحكمها نظم ديكتاتورية، وأيضاً في كوريا الشمالية. فيها يكون قدر الإنسان أن يصبح أقوى رجل في البلاد بفضل والده الذي اعتلى سدة الحكم. فدائماً ما يكون فيها من هو متأهب لملاء الفراغ بعد موت أبيه. يهتز وضع الأسرة فقط عندما يشيب أعضاؤها، وتقوى شوكة جنرالات الجيش والشرطة، فيطمع شباب الضباط في تقلد مناصب رؤسائهم العجائز الذين طالما كانوا على صلة بالديكتاتور المتوفى. ومن أنجح حالات تأمين السلطة المادية هي أن تصبح ديكتاتوراً خالداً.

الحفاظ على السلطة

"مِنَ الصَّرُورِيِّ حِمَايَةَ الأَقْوِيَاءِ وَلَيْسَ الضُّعَفَاءَ"

فريدريش دورينمات

المواطنون الشرفاء لا يُقْبَلُونَ على السياسة؛ لأنهم يستطيعون التكسب من شيء غيرها، لذلك آلت السياسة إلى ما آلت إليه. الاستثناء الوحيد هو عندما يكون الوطن مُهددًا. عندها يتراجع السياسيون، ويظهر قادة حقيقيون يدافعون عن الوطن. فعندما تعرضت روما للخطر في القرن الخامس الميلادي، لم يرغب أحد في تحمل مسؤولية الدولة، فخطب أعضاء مجلس الشيوخ النبيل "سينسيناتوس" وطلبوا منه أن يقود البلاد. كان ذلك النبيل يرمى في أرضه عندما جاءه نصف مجلس الشيوخ بطلبهم. اغتسل وانصرف لتولي قيادة الجيش. هزم الأعداء، فسبّحوا جميعًا بحمده، وألحوا عليه أن يستمر في حكم روما. لكن "سينسيناتوس" رفض طلبهم بأن يبقى في العمل السياسي، وأخبرهم بأنه لم ينته بعد من فلاحه أرضه.

لم يصبح "سينسيناتوس" مثالاً لأي من السياسيين. بل كان إمبراطور اليابان "هيروहितو" الذي حكم لمدة سبعين عامًا هو مثلهم الأعلى، أو القيصر الإثيوبي الكاثوليكي "هايلا سيلاسي الأول" الذي ظل في سدة الحكم لمدة خمسين عامًا. والمثل الأعلى في ذلك هو الفرنسي "لويس الرابع عشر"، الذي ينتمي إلى العائلة البوربونوية وحكم لمدة اثنين وسبعين عامًا "فقط"، وكان قد اعتلى العرش الملكي وهو في الرابعة من عمره، وهو رقم قياسي عالمي مقارنة بـ "هيروहितو" الذي صار قيصرًا وهو في الخامسة والعشرين. وفي حالة "لويس الرابع عشر" فصلته أربعة أعوام عن أن يكون الملك الذي لم يولد بعد. ولم يَاقُ "لويس" الصغير، كما كان المقربون منه يطلقون عليه، على نطق حرف "راء"، فساعده في ذلك أثناء حكمه الكاردينال "مازارين" الذي كان الملك الصغير يناديه باسم "مازالين".

إن الحفاظ على السلطة يشبه ركوب الدراجة التي تسقط من عليها بمجرد أن تتوقف عن دفع العجلتين. لذلك كان راكبو الدراجات من أكثر الحكام بقاءً في السلطة. يتوقف رجال

السياسة عن "التبديل" عندما تطيب لهم الأمور. ويعتقدون، تحت تأثير تملق المحيطين بهم لهم، بأنه لا يوجد من يباريهم، وأن أهليتهم في قيادة الدولة، أو أوروبا أو العالم، صارت مطلقة؛ فتضعف عزائمهم وينغمسون في مباحج السلطة، وفي صراع عليها لا يتوقف. لا يدركون بأن هناك مقاتلين جدًّا، فتية أكثر صلًا وثقة، يتربصون باللحظة التي يكون فيها الحاكم الحالي فريسة لقناعته بأنه لا يُقهر.

يعرف كل من عمل بالسياسة قبل نوفمبر 1989 أنه إبان النظام الشمولي لم يكن في مقدوره أن يصوت بحرية، أو يقرر في شيء من تلقاء نفسه. ويعرف كل من عمل بالسياسة بعد نوفمبر 1989 أنه لو أراد أن يبقى في العمل السياسي فعليه ألا يعلن عن رأيه صراحة في المسائل الهامة. كل من عمل في السياسة بعد نوفمبر 1989 يعرف هذا جيّدًا. لذلك فالسياسي المحنّك هو من لا يجهد نفسه في التعبير عن رأيه، ولا حتى في تكوين رأي ما. أفضل طريقة للبقاء في السلطة تكون على طريقة *Divide et impera*: فرّق تَسُدّ. هذه الطريقة يجيدها كل حاكم بقي في السلطة لمدة طويلة. وحسب رأي خبراء العلوم السياسية فإن "فلاديمير ميتشيار" هو من أشهر من فرّق بين السلوفاك. وعلى النقيض، نجد أن "يان سلوتا" هو من أنجح من وحد بين المجريين.

السياسة والمال

"لَوْ قَالَ لِي أَحَدٌ إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ رِشْوَةً سِيَاسِيًّا بَعَيْنِهِ، سَأَسْأَلُهُ إِنْ كَانَ قَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ الْمَبْلَغَ الْمُنَاسِبَ"

يوسف فوشيه

لا تغادر عارضة الأزياء العالمية "ليندا إيفانجليستا" سريرها ما لم تحصل يومياً على عشرة آلاف دولار على الأقل. فلو أردت أن تنهض من سريرك فلا تتخذ "ليندا إيفانجليستا" مثلاً. أفادت إحصائيات الدورية الأمريكية "فوربس" بأن ليندا تُعدّ واحدة من أغنى أغنياء العالم. تظهر في قوائم هذه الدورية بصورة منتظمة مثلها مثل لاعب الجولف "تايجر وودز" الذي يجني سنوياً سبعين مليون دولار. ولو أخذت في الاعتبار أن متوسط دخل خمس سكان العالم هو دولار واحد فإن "تايجر وودز" بإمكانه أن يعول بدخله هذا 220 ألف شخص. ورغم أنني لم أظهر في مجلة "فوربس" فهذا لا يعني أنني لم أذهب إلى عملي طيلة حياتي. فرغم أن أحداً لم ينتبه إلى أنشطتي التي أقوم بها إلا بعد دخولي البرلمان، إلا أنني كنت أمارس عملاً قبلها. ويمكنني أن أؤكد بناء على خبرة شخصية أن أفضل طرق الحصول على المال هو العمل، رغم أنه طريق طويل نسبياً، هذا لو أردت أن تتكسب عيشك من عمل شريف. خلاف ذلك يمكنك أن تجني الأموال بأربع طرق أخرى وهي: الحظ، والاستدانة، والسرقة، والسياسة. الاعتماد على الحظ في كازينوهات القمار، أو في مكاتب المراهنات قد يكون مجازفة كبيرة. الاستدانة قد تكون أسرع الطرق للحصول على الأموال، لكن السعادة منها تدوم إلى أن يحين وقت تسديدها. وعندما تحين هذه اللحظة عليك أن تحصل على أموال لسداد الديون، وهنا تجد نفسك في النقطة الأولى التي بدأت منها. لكني رغم ذلك أؤكد أنه أفضل لك أن تستدين من أن تعطي الآخرين قروضاً. من أكثر الطرق انتشاراً، ويصعب التحقق منها، هو الحصول على الأموال عن طريق السرقة. الغبي اليوم هو من يسرق وعلى وجهه ندبة، ويحمل حقيبة على ظهره. لص كهذا لا يمكن أن يكون لئماً،

بل شخصية خرافية. لكن اللص الطبيعي الراقى هو من يسرق بحيث لا يعرف أحد أنه قد سرق. ولو حدث وانكشف أمره لن يعتبروه لئلاً، بل شخصاً فاشلاً.

في السياسة تكون الأموال هي غاية الأمر ومنتهاه، والنشاط المفضل لدى السياسيين هو تقسيم الأموال التي تأخذها الدولة من مواطنيها في صورة ضرائب. والدافع الرئيسي للسعي من أجل العمل في السياسة هو إمكانية المشاركة في إعادة توزيع هذه الأموال.

السياسة ومستوى معيشة المواطنين

"السِّيَاسِيُّ رَجُلٌ مُسْتَهْتَرٌ، غَيْرُ مَأْمُونِ الْجَانِبِ، وَنَاكِثٌ بَعْهَدِهِ، وَخَانِعٌ، وَجَبَانٌ، يَشْتَهِي السُّلْطَةَ،
وَمَعْرُورٌ. إِنَّهُ يُمَثِّلُ الْأَغْلَبِيَّةَ"

جابريل لاوب

غالبًا ما يتهم المواطنون رجال السياسة بأنهم يقبلون على السياسة من أجل الثراء. لا يهتمون إلا بأنفسهم، ولا يتركون للمواطنين فرصة "ليُثروا" هم أيضًا. وهذا ليس حقيقيًا. تعيين الملياردير "بافل روسكو" في وظيفة وزير الاقتصاد في عام 2004 هو خير دليل على أن الجميع لديهم فرص متساوية للثراء. ونادرًا ما ينتبه أحد إلى أن كل سياسي قبل أن ينخرط في السياسة كان مواطنًا ساخطًا. وبمجرد أن تتاح له الفرصة ويصبح مسئولًا عن سعادة المواطنين يتوقف عن السخط. والسبب الذي يجعل السياسي يتوقف عن توجيه الانتقادات هو أنه لم يعد لديه وقت لهذا؛ لأن عليه أن يسعى بلا توقف من أجل رفع مستوى حياة مواطنين آخرين. هذا الاهتمام الكبير بالمواطن يمكن ملاحظته لو نظرنا إلى السياسيين بنظرة محايدة. وستعرف السياسي على الفور بأنه الرجل الذي دائمًا ما يفعل شيئًا من أجل الشعب.

توصلت الدراسة التي قامت بها كلية العلوم السياسية التابعة لجامعة "جوسيب تارانتيل" في مدينة ميلانو، والتي نُشرت عام 2005، إلى نتيجة مدهشة، وهي أنه لولا السياسيين لَمَا ارتفع مستوى المعيشة في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والإيماء بصورة أسرع. لكن يجب أخذ هذه النتيجة ببعض التحفظ؛ لأن هذه الدراسة تتعلق بإيطاليا.

تتصارع الأحزاب اليمينية واليسارية في الدول الديمقراطية على خدمة المواطنين، وذلك منذ القرن الثامن عشر، عندما جلس ممثلو النبلاء في البرلمان الفرنسي على يسار رئيسه، وممثلو القوى الديمقراطية على يمينه. من غير المعقول هذا العدد الكبير من السياسيين

الذين يتهافتون فقط كي يتمكنوا من خدمة المواطن. يسعى كل إنسان طبيعي أن يحكم، إلا السياسيين، يريدون أن يخدموا! الالفت للنظر أن كل حزب يؤكد أن طريقته في خدمة المواطنين هي الأكثر نفعًا من طريقة الحزب الآخر. وقد اخترت من دراسة الخبراء في مدينة ميلانو بعض الأمور الجديرة بالملاحظة:

اليساريون	اليمينيون	
دعم الموظفين	دعم أصحاب الأعمال	الألويات
قوية	ضعيفة	الدولة
في النتائج	في الفرص	المساواة
الجماعة	الفرد	الإنسان
توزيعها	توفيرها	الأموال
ثوري	تطوري	التقدم
سيطرة الدولة	تحرير السوق	السوق
عامة	خاصة	الملكية
خفض البطالة	خفض العجز	الاقتصاد

تبدو التوجهات من الوهلة الأولى مختلفة، وأساليهم في تحقيقها مختلفة أيضًا. يعمل السياسيون اليساريون المهتمون بالجانب الاقتصادي بنظرية "كينيس" التي تقول: إن على الحكومة أن تحارب ارتفاع البطالة برفع مديونية الدولة. في حين يعمل الساسة الاقتصاديون اليمينيون بنظرية "فريدمان" الذي يوصي الحكومات بخفض مديونية الدولة من خلال رفع مستوى البطالة. بعض الساسة الاقتصاديين يؤمن جزئيًا بنظرية "فريدمان"، والبعض الآخر يتبنى نظرية "كينيس". فكانت محصلة أنشطة رجال السياسة الاقتصاديين هي زيادة مديونية الدولة، ورفع معدل البطالة. العجيب في الأمر أنه على الرغم من ذلك فقد ارتفع مستوى المعيشة في الدول الديموقراطية، أي الدول التي يتبادل فيها اليمينيون واليساريون الحكم. لكن هناك دول مثل ألمانيا أو النمسا ما زال السياسيون فيها عاجزين عن الاتفاق على أفضل الطرق لرفع مستوى المعيشة؛ لذلك تشارك كل من اليمينيين واليساريين في الحكم.

السياسة ومستوى معيشة رجل السياسة

"لَنْ تَعْرِفَ كُلَّ مَا يَخْتَبِي فِي نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى السُّلْطَةِ"

أو. فلاك

لا يختلف مستوى معيشة السياسيين كونهم من اليسار الاشتراكي أو من اليمين المحافظ، لكن يختلف بناءً على كونه كان ثرياً قبل دخوله عالم السياسة أم بعد ذلك. فالاشتراكي الذي أثرى من وجوده بالسياسة يصبح من المحافظين، أما لو كان ذلك السياسي الاشتراكي غنيًا عند دخوله السياسة فهو من المحافظين حتى وإن كان عضوًا في حزب اشتراكي. لكن السياسي الذي كان فقيرًا قبل عمله بالسياسة وبعد خروجه منها، فهو ليس من الاشتراكيين ولا من المحافظين، بل من الأغبياء.

أيضًا في السياسة، يتوقف مستوى معيشة الإنسان- السياسي على قدر عمله، تمامًا كما يحدث في الحياة العادية. لكن السياسي يعمل بلا توقف؛ لذلك فإن مستوى معيشته مرتفع. فهو يناقش، ويتردد على محطات التلفزيون، ويقص الأشرطة عند افتتاح قطاعات جديدة على الطرق السريعة، أو في المسارح الحكومية، ويزور ضحايا الحرائق في المستشفيات، ويسلم جوائز الدولة، ويسافر إلى دول العالم. إنه ببساطة يعمل كـ"الرّهوان". ويمكن للمواطنين أن يتأكدوا من ذلك، لأن السياسي يجتهد في عمله في حضور كاميرات التلفزيون وكاميرات المصورين. ويحدث أحيانًا أن يقول الإعلام إن السياسي كان يعمل بعيدًا عن أعين الصحافة. لكن من سيصدقهم؟!

يستحق الأمر أن تصبح سياسيًا. فكل نائب بالبرلمان في سلوفاكيا (على جميع المستويات) لديه 5,2 ناخب، وهو دليل على ما يتمتع به اقتصادنا من قوة غير عادية، حيث إن كل خمسة مواطنين يعولون نائبًا واحدًا بالبرلمان.

إن مستوى معيشة رجل السياسة يتوقف على مصادر دخله. يحصل النائب العادي على 12 ألفًا و116 يورو شهريًا، ويصل مرتب رئيس البرلمان إلى حوالي 15 ألفًا و460 يورو.

هذا فضلاً عن خدمة البريد المجانية، والانتقال من محل إقامته إلى العاصمة، ومرتبات مساعديه. مرتب رئيس الجمهورية يصل إلى 77 ألفاً و330 يورو شهرياً، إضافة إلى بدلات سفر، وبدل تمثيل في حدود 8 آلاف و290 يورو، ومصاريف شخصية في حدود ثلاثة آلاف و982 يورو، كي لا يعاني من نقص في الأموال. إنها مرتبات رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وأعضاء الكونجرس. أما مرتباتهم في ألمانيا، وإيطاليا، وإسبانيا، وهولندا فهي أكثر من ذلك.

حدد "روبرت فيتسو" رئيس أقوى حزب معارض قبل انتخابات عام 2006، سعر كل نائب بالبرلمان بخمسة عشر مليوناً. أنا على قناعة قوية بأن البرلمان السلوفاكي لو دفع للنواب هذه المبالغ لتركوا جميعاً البرلمان، وتركوا أماكنهم لبدلائهم، فلو أنه دفع لكل منهم خمسة عشر مليوناً لجنّب الدولة بذلك كثيراً من الخسائر التي قد يسببونها لو بقوا في أماكنهم.

السياسة الكبيرة والصغيرة

"إِنَّ السِّيَاسَةَ الصَّغِيرَةَ مِثْلُ التَّبُولِ عِنْدَ الرُّجَالِ. لَا تَحْتَاجُ لَهُ سِوَى يَدَيْكَ وَعُضُوكَ"

مؤلف مجهول

السياسة الكبيرة لا يصنعها سوى سياسيين كبار. وحتى هذا لا يحدث إلا في اللحظات الفارقة. أثناء الحرب العالمية الثانية صنع "شارل ديغول" سياسة كبيرة. ليس فقط لأنه كان سياسياً كبيراً، نفسياً وبدنياً، بل لأنه كان أيضاً يعيش في لحظات درامية عظيمة. عندما انتهت الحرب العالمية الثانية واصل "ديغول" سياسته العظيمة بعض الوقت، لكن اللحظات صغرت وتضاءلت، وتراجعت معها سياسته.

لكن صغار السياسيين لا يصنعون سوى سياسة صغيرة حتى في أوقات تحتاج إلى سياسة أكبر. الدليل على ذلك هو القائد العسكري لـ "ديغول" الذي ظل لوقت طويل يُضرب به المثل في السياسة والعسكرية، إنه المارشال "بيتان". لقد عاش نفس الزمن الذي منح كلا الرجلين نفس فرصة السير، إما في طريق سياسة عظيمة، أو سياسة متواضعة. اتخذ ديغول الطريق الأول، و"بيتان" الطريق الثاني فانهى به الأمر خائناً وعميلاً، ولم يحميه من الإعدام إلا عفو "ديغول" عنه. لكن "ديغول"، رغم شخصيته العظيمة، لم يقوَ على القضية الجزائرية، ولا على الاضطرابات الطلابية، واضطر إلى ترك منصبه.

إن السياسيين الكبار في تاريخ الإنسانية نادرون نادرة السلام العالمي. وإن تخيّل البعض أحياناً أن هذا أو ذاك يمكنه أن يصبح سياسياً عظيماً، أي إنساناً محباً للحقيقة، ف عاجلاً أو آجلاً سوف يتأقلم مع البيئة المحيطة به، وسيتحول إلى سياسي عادي، أو يغادر مجال العمل السياسي بعد أن يتأكد من أنه لا يحب الحقيقة.

من الشروط الهامة لكي يصبح الإنسان سياسياً ذا شأن، أن يكون من أصحاب الأملاك، ليس بالضرورة أن تكون أملاكاً كبيرة، يكفي أن تكون أملاكاً قابلة للتنمية، فرغبة السياسي في تنمية أملاكه تعد حقيقة هامة للغاية، بها فقط يمكن أن ينتبه إليه أحد الرعاة، ويساعده في الدخول إلى عالم السياسة. وعندما يستقر به المقام تصير لديه إمكانية العمل على

تنميه نفسه أو أملاكه. وبما أن الإنسان لا يمكنه أن يخدم سيدين في وقت واحد، فسوف يقرر أن يجتهد في تعظيم أملاكه، وبعد أن يطردوه من العمل السياسي سيكون لديه وقت لتنميه نفسه.

أتساءل إن كان الأمر يستحق أن أكتب عن السياسة الصغرى، وكأن المشاكل التي تسببها السياسة الكبرى لا تكفيها. يفهم الناس، لحسن الحظ، من كلمة "السياسة الصغرى" أنها السياسة التي تتعلق بالمحليات، وليست سياسة صغار المشتغلين بها. يبدو الأمر أحياناً أن السياسة المحلية هي تلك السياسة التي تهتم المواطنين أكثر من غيرها. فعندما تشارك في أي حفل سلوفاكي ستعرف أن رئيس الوزراء والحكومة والنواب يتعرضون لتوبيخ أكثر من عمدة مدينتهم. هذه الظاهرة اللافتة للنظر لها تفسير بسيط، سأطلق عليه "ظاهرة سلوفاكية". لقد اعتدنا أن ننتقد كل من غاب، ونحن على ثقة من أنه لن يظهر فجأة. أما العمدة فيمكن أن يظهر في الحانة في أي وقت، وهذا أمر وارد في كل قرية. لو حدث وجلس فيها طوال الوقت فالأمر واضح بالطبع. ولن يغامر المواطنون باحتمالية أن يعلم العمدة بمن يجاهره بالعداء. غير أن المواطنين ينتقدون رئيس الوزراء أو السيد الوزير وهم على ثقة من أن رئيس الوزراء أو الوزير لن يعرف بما يقوله.

إن سياسة المحليات تسير في ظل السياسة الكبرى على نحو غير عادل. لكن الحقيقة هي أن الناس يحبون الفضايح والنوادر المتعلقة بكبار السياسيين، كما أن الإعلام لا يتحدث عن فضايح ونوادر السياسيين الذين يعملون في المحليات. بالطبع، يشعر رجال السياسة في المحليات بالغبين لأنهم هم أيضاً يحبون أن يظهروا في الصحافة كالمشاهير، وهم يرافقون عشيقاتهم، أو الرعاية الذين يدعمونهم. يشعرون بالجور أيضاً لأن الموارد التي تحصل عليها المحليات وتذهب إلى خزانة الأحزاب لها نفس أهمية الموارد التي يتم الحصول عليها على المستوى المركزي. أراضي البناء، وتراخيص مواقف السيارات، أو تصاريح البناء، كلها لا تمنحها الحكومة، بل الإدارات المحلية التابعة للمدينة أو القرية. لا أعرف ماهية التراخيص التي تُمنح للوحدات الإدارية الأعلى، لكنها موجودة بالتأكيد، وإلا لكان هناك خلل ما.

سياسة دون المستوى

"بَعْضُ السِّيَاسِيِّينَ صِغَارٌ إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُمْ آخِرُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْطَارَ بَدَأَتْ فِي السَّقُوطِ"

مؤلف مجهول

إن أدنى مستويات السياسة هي السياسة دون المستوى. وهذا التقييم يُطلق على السياسة التي تصنع في "بئر السلم". وكل سياسة هي في الواقع، من منظور ما، دون المستوى. فلو نظرتَ إلى سياسة النظم الشمولية من وجهة نظر عضو في الحزب الديمقراطي، تجد أنها وضیعة، ودون المستوى. ولو كان لديك ساعة واحدة، وقام أحد قيادات الحزب بضبط الوقت فلن تعرف عندها التوقيت الحقيقي، وعليك أن تعالج الأمر، إما بأن تتأقلم معه، أو تحاول أن تهرب إلى مكان تجد فيه المزيد من الساعات. لديك في النظم الديمقراطية الكثير من الساعات. لكنك لن تسعى إليها إلا عندما تتأكد أن كل واحدة منها تشير إلى توقيت مختلف. ستشعر بالسعادة بأن لديك ساعات كثيرة، لكنها بلا جدوى، حيث إنك لا تعرف ما هو التوقيت الحقيقي.

دعنا نعود مرة أخرى إلى السياسة دون المستوى. تختلف تقاطعات الطرق التي تسمى بتقاطعات دون المستوى، عن السياسة في أنها تقاطعات ضرورية. فهي تُسرّع حركة المرور. أما السياسة دون المستوى فهي تبعث البهجة في حركة المرور السياسية. قام "بافل. ر" رئيس أحد الأحزاب بتصوير زميلة له على شريط فيديو يومًا ما. كان الرأي العام سيغفر له فعلته لو أنه صورها وهي تستحم، أو تمارس الجنس، لكنه صورها وهي تتحدث معه، وهذا ما لم يقبله الرأي العام. وصار من الطبيعي تقريبًا أن تصور اليوم امرأة أثناء ممارستها الجنس، أما تصويرها أثناء حديث معه فهو دون المستوى. لكن ما زاد الطين بلة هو عندما اتضح أن "بافل. ر" صور فضلًا عن زميلته زميلًا له أيضًا. أعتقد أنه بذلك لم يدخل السرور بفعلته على نسبة الأربعة في المائة، وهي نسبة الأقلية الشاذة جنسيًا، ولو كان فعل لحصل حزبه في الانتخابات التالية على أصوات الأربعة في المائة، وهو ما لم يحدث.

السياسة العالمية

"الوَلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ مُنْخَرِطَةٌ بِشِدَّةٍ فِي أُمُورِ الْعَالَمِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرِيكِيِّينَ لَا يُحِبُّونَ رُؤْيَةَ
السِّيَاسِيِّينَ عِنْدَهُمْ وَهُمْ يَحْكُمُونَهُمْ فِي الدَّخْلِ"

مؤلف مجهول

السياسة العالمية يمارسها سياسيون عالميون. إنهم كل سياسيي العالم باستثناء رجال السياسة عندنا. لكن لا يجب أن يحزن سياسيوننا لذلك؛ لأنهم بالنسبة للآخرين سياسيون عالميون. لذلك لا يوجد سياسيون محليون وسياسيون عالميون، فهم جميعًا عالميون. ومن أكثر رجال السياسة عالمية هم من دخلوا التاريخ، ولا يدخل السياسيُّ التاريخَ إلا بعد موته بقليل.

إن السياسة العالمية تُصنَع في العالم، والسياسة المحلية تُصنَع في الداخل. ودائمًا ما يكون الكحول المحلي أفضل من المستورد أياً كان مصدره. لم يدرس خبراء العلوم السياسية بعد شكل السياسة العالمية لو صنعها السلوفاك. كذلك لم يبحثوا في حال السلوفاك عندما يقومون بصناعة السياسة الدولية. لا أتخيل ما سنفعله لو قُدِّر لنا أن نصبح قوة عالمية عظمى. إن القوى العظمى هي التي تصنع السياسة الدولية، والآخرين سعداء بأنهم ليسوا مضطرين إلى ذلك. أعتقد جازمًا أنه لا توجد قوة من شأنها إجبار حكومة سلوفاكية واحدة على أن تصنع السياسة الدولية، فهذا يتطلب السير على خطى القوى العظمى الأخرى، فعلينا مثلًا أن نُكوِّن جيشًا قوامه أربعة ملايين جندي، وأن نرسل السفن الطائرة إلى العراق وأفغانستان، وأن يكون الناتج المحلي عشرة آلاف مليار دولار، وأن يكون لدينا في السجون 1012851 سجينًا، و17,7 مليون مدمن على الكحول، و9,5 مليون مدمن على المخدرات، وأن ننفق على التسليح 400 مليار دولار سنويًا، وأن نحتمي مصالح سلوفاكيا خارج حدودنا.

ورغم أن مساحتنا لا تقارن بمساحة روسيا، ولا يمكن مقارنة عدد السكان عندنا بعدد سكان الصين، وليس لدينا هذا العدد من الجنود، والسجناء، ومدمني الخمر والمخدرات،

ولا ناتج محلي مثل الولايات المتحدة، لكننا نُحَسِّب على القوى العظمى في مجالات أخرى. ولا يمكن أن يشكك أحد في أننا نحتل المرتبة الأولى بنصيب الفرد في إنتاج جبن الأغنام. كذلك لا يمكن أن يشكك أحد في تصدرنا أكبر نصيب للمواطن في المياه المعدنية.

قليل من يعرف أننا نحتل المرتبة الحادية عشر على مستوى العالم في عدد السيارات التي تسير على مساحة كيلومتر واحد فوق شبكة الطرق، وهو 74 سيارة. لقد تفوقنا على ألمانيا التي لديها 66 سيارة، واليابان 60 سيارة، والولايات المتحدة الأمريكية 32، وجاءت التشيك في المركز الـ 43 بعدد 30 سيارة. لكن هذه الإحصائيات غامضة، لأنها لم تذكر إن كان ذلك بسبب زيادة عدد السيارات، أم لقلة الطرق. فالتشيك احتلوا المرتبة الثالثة والثلاثين من حيث طول شبكة الطرق، الذي يبلغ 130 ألف كيلومتر، وجاء الألمان في المركز التاسع بـ 656074 كيلومترًا، والولايات المتحدة في المركز الأول بطرق طولها 6307584 كيلومترًا. غير أن سلوفاكيا جاءت في المركز العاشر عالميًا من حيث عدد من يلقي حتفه في كل 100 متر من إجمالي عدد الكيلومترات التي يقطعها. وقد بلغ عدد ضحايا الطرق في ذلك التصنيف ستة قتلى، وقد سبقنا التشيك بقتيل واحد. أذكر هنا أيضًا المجر التي يسقط فيها ثلاثة ضحايا، وذلك كي أضر بعلاقات حسن الجوار. ومن أجل أن تكتمل الصورة أضيف أن الهند جاءت في المركز الثاني في هذه الإحصائية على مستوى العالم، حيث بلغ عدد الضحايا 65، ومالاي في المركز الأول بعدد بلغ 1117 قتيلًا. ربما يعود السبب في ذلك إلى أن كل السيارات في مالاي تتحرك في حيز مئة متر مع كل مواطني هذه الدولة.

لكن التشيك، على عكس نتيجة عدد الوفيات على الطرق عندنا، تغلبوا علينا في إحصائية شرب البيرة والكحول. فقد جئنا في المرتبة التاسعة من حيث استهلاك الفرد الواحد للبيرة، وتصدرت التشيك القائمة (لكن ما يسعدنا على الأقل هو أن المجرين احتلوا المرتبة السادسة عشرة). وانتهى بنا الحال في المرتبة الخامسة عشرة من حيث شرب الخمر، أما التشيك فاحتلوا المرتبة السادسة. ولم يكن احتلال المجر المرتبة الرابعة من دواعي سرورنا.

كانت نتيجة نسبة استهلاك الفرد الواحد للبيذ فاجعة؛ فقد احتلت المجر المركز الثاني عشر، والتشيك المركز العشرين، ولم نظهر نحن السلوفاك ضمن العشرين الأوائل! التفسير الوحيد لهذه النتيجة هو أنهم أضافوا المجرين الذي يشربون البيذ في سلوفاكيا إلى عدد

الشاربين له في المجر.

وبلغنا نتائج ضعيفة في عدد السرقات للفرد الواحد، فلم يظهر ضمن العشرة الأوائل على مستوى العالم، في حين جاءت المجر في المركز السابع عشر، وكذلك احتل التشيك المركز الثالث في نسبة المساجين مقارنة بعدد السكان (!) بعد رومانيا والولايات المتحدة. وجاءت المجر في المركز السابع، ومن جديد لم يحالفنا الحظ في الظهور بين العشرين الأوائل.

وكان المركز الثالث عشر من نصيبنا في نسبة عدد المدخنين من إجمالي عدد السكان، لكن التشيك أفسدوا علينا فرحتنا من جديد واحتلوا المركز السادس، والمجريون المركز السابع.

لم يظهر ضمن الأوائل على مستوى العالم حتى في نسبة الأمهات تحت سن العشرين، ففي الولايات المتحدة يوجد اثنان وعشرون في المئة من الأطفال يولدون لأمهات في سن بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة.

ورسبنا تمامًا في نسبة حالات الإعدام، لأن واحدًا وثمانين في المئة من حالات الإعدام تجرى في الصين وإيران والولايات المتحدة الأمريكية. والمسئول عن هذا المركز المتواضع هم المشرعون، لأنهم ألغوا عقوبة الإعدام. يمكن أن نصلح الأمر بفضل مشاركة الحزب الوطني السلوفاكي في الحكومة، على الأقل فيما يتعلق برأينا في المثلية الجنسية، ونحقق من خلال هذا مركزًا متقدمًا على مستوى العالم وننضم إلى موريتانيا، والسودان، وأفغانستان، وإيران، والمملكة العربية السعودية، حيث يتم معاقبة المثليين هناك بإعدامهم.

لو أخذنا في الاعتبار أن سلوفاكيا صارت دولة مستقلة منذ عام 1993 فقط، نجد أننا حققنا في مجال الموسيقى على مستوى العالم نجاحًا مذهلاً. فعلى الرغم من بعض النقص البسيط فإننا دولة يمكن أن يحسدها غالبية العالم، فنحن نُعدُّ ضمن الدول المحظوظة التي لا تمتلك احتياطيًا نفطيًا؛ لذلك لا داعي للخوف من أن الاحتياطي قد ينفذ عام 2040، كما أننا لا نتعرض للبقع النفطية، ولا تهددنا حرب على النفط كتلك المستعرة في ثلاث دول العالم. لسنا ضمن نسبة الواحد والسبعين من سكان العالم التي لم تستخدم الهاتف مرة واحدة في حياتها، كما أن اللغة السلوفاكية ما زالت تُستخدم، رغم أن عشر لغات تختفي من العالم سنويًا. خمسة ملايين سلوفاكي لا يُحسبون ضمن سبعة وعشرين مليونًا يعملون

كعبيد، ولا ضمن السبعين مليون أمريكيًا الذين يؤمنون بأن الكائنات الفضائية تعيش بيننا. نحن إذن دولة مثالية لصناعة السياسة الدولية، وحن الوقت كي نبدأ.

كان الاتحاد السوفيتي السابق يمتلك 600 ألف جندي موزعين في قواعده العسكرية في العالم. الولايات المتحدة لديها أكثر من نصف مليون. وهناك سبع وعشرون دولة تمتلك خارج أراضيها أكثر من 400 ألف جندي موزعة فيها بشكل دائم. ما الذي يمنعنا من أن نرسل جنودنا إلى أي بلد نريده؟ إن بضع مئات من الجنود الذين يشكلون جيشنا يعد رقمًا مضحكًا في جميع الأحوال. استطاع الألمان حماية "مجالهم الحيوي"، لدى الأمريكيان عقيدة "مونرو" التي تُملي عليهم حماية مناطق نفوذهم، والاتحاد السوفيتي كان لديه عقيدة "بريجنيف" التي تحدد مجال الاتحاد السوفيتي الاستراتيجي. احتل نابليون الفرنسي نصف أوروبا. كان لدى كل من بريطانيا، وفرنسا، وإسبانيا، والبرتغال، وحتى بلجيكا مستعمرات. جمهورية جنوب إفريقيا سمحت لنفسها بالتدخل في ناميبيا، إسرائيل وسوريا فعلاً نفس الشيء في لبنان، والأترك في قبرص، والمغرب في الصحراء الغربية، وأمريكا في فيتنام، وفيتنام في كمبوديا، وكوبا في أنجولا، وإثيوبيا، وبريطانيا في جبل طارق، الولايات المتحدة في جواتانامو. لماذا لا يمكن أن تظهر سلوفاكيا إلى العالم هي الأخرى؟ لقد تنبت حكومة "روبرت فيتسو" هذه الأفكار، وأعلنت أمام العالم أنها سترسل فرقة من مهندسيها إلى أفغانستان. لكنها للأسف أفسدت هذه الخطوة التي تدفعها إلى قيادة العالم بقرارها أن تسحب نفس الفرقة من العراق.

لو لم نستطع أن نصبح قوة عالمية عظمى من خلال إرسال جنودنا خارج حدود الجمهورية، أقترح أن نشرع في التجارب النووية، ومع اقتراب موعد الانتخابات التالية نكون قد صنعنا قبلة نووية. وطالما استطاعت كوريا الشمالية أن تفعل ذلك وعدد سكانها لا يتجاوز اثنين وعشرين مليونًا، فلماذا لا نفعل نحن أيضًا؟ أتعجب من أن الحزب الوطني السلوفاكي لم يضع هدفًا كهذا ضمن برنامجه الانتخابي.

الطريق إلى السياسة

"السِّيَاسِيُّ الْحَقِيقِيُّ يُفَكِّرُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَصِمَتَ"

ونستون تشرشل

هناك العديد من الوسائل التي تقودك إلى عالم السياسة، والوسائل التالية هي أكثرها شيوعاً واستخداماً:

1. أن تمتلك أموالاً، فتؤسس حزباً سياسياً خاصاً بك.
2. ألا تمتلك أموالاً فتفكك حزباً قائماً.
3. ألا تمتلك أموالاً فتدخل في حزب قائم وتدفع بنفسك إلى منصب الرئيس.
4. أن تدخل إلى حزب قائم وتتصرف مثل الأطفال، وبعد أن تتأكد من قدرتك على الكلام، أبني على مهل سيرتك المهنية إلى أن تصير رئيساً، أو إلى أن يطردوك من الحزب.
5. لو كان اسمك ملوثاً لدرجة أنهم يرفضون قبولك في أي حزب سياسي (بأن تكون قاتلاً محترفاً، أو ترضي رغباتك الجنسية في زنا المحارم، أو أنك قد أضمرت النيران في مبنى البرلمان، أو شوهت سمعة "شاتان" أمام الملأ أثناء الاحتفال بلقب بطل العالم في الهوكي) طالب باحتجاجات في الشوارع قد تؤدي إلى ثورة، ثم تصدر الموقف. ولو تغلبت على عدوك فستصبح تلقائياً رئيساً للوزراء، أو رئيساً للجمهورية، أو ملكاً، أو حتى قيصرًا. ويمكن أن تكون كل هؤلاء في آنٍ واحد؛ لأنك قائد الثورة المنتصرة. ومثل هؤلاء القادة يمكنهم أن يفعلوا كل شيء.
6. بالعكس، لو أن سمعتك لا تشوبها شائبة، ويرحبون بك في كل الأحزاب السياسية، فهذا وضع مفيد. وفي هذه الحالة يجب عليك أن تفاوض بكل ثقة. العنصر الأساسي الذي يرفع من أسهمك هو أنك بعد دخولك إلى عالم السياسة سوف تُفسد كل ما حققته من نجاحات، وما بنيته من سمعة طيبة. إضافة إلى ذلك، يجب أن تعرف أنهم لا يأخذونك

على محمل الجد، وليسوا في حاجة إليك شخصياً، بل يطمعون في اسمك الذي يُعلي من أسهم قائمتهم الانتخابية. أنت تعرف هذا أيضاً. لكنهم، وأنت معهم، سيتظاهرون أن هدفكم هو سعادة المواطن.

7. أنت في عالم السياسة، لكن حزبك لا يحقق لك ما كنت تصبو إليه؛ فعليك أن تقرر الالتحاق بحزب آخر تراه ناجحاً. من الغباء أن تنتقل من ائتلاف حزبي إلى حزب معارض، لكن لو اضطرت إلى ذلك فعليك الانتقال من حزب معارض إلى ائتلاف حزبي.

8. تعرف شخصية ذات نفوذ في الحزب السياسي الحاكم، وستعيّنك في وظيفة مرموقة فيما يسمى بالجهاز التنفيذي. الجهاز التنفيذي قريب جداً من سلطة اتخاذ القرار التي تسمى Execution (وهي تعني الإعدام أيضاً) والسلطة السياسية التنفيذية معرضة لذلك. يمكنك أن تنجح في العمل بالجهاز التنفيذي، وأن تفشل أيضاً. ستبقى ناجحاً ما دمت ماهراً إلى هذه الدرجة، طالما مررت كل العقود الحكومية المربحة لصالح شركته. وإن لم تفعل فستصبح فاشلاً، ولا تتوقع بقاءك في السياسة طويلاً.

أحذر الأغبياء أن يترثوا قليلاً، لأنه لا فائدة من أن يكون لديك صديق صاحب نفوذ في حزب معارض، فهو لن يستطيع أن يضعك في الجهاز التنفيذي. إن السلطة التنفيذية مثلها مثل القاطرة: إنها عربية يجرها الحزب الحاكم.

الطريق إلى عالم السياسة غير مناسب لمن له طبيعة احتجاجية، طبائع كهذه غالباً ما تتلملل، ويعتبرها رؤساء الهيئات مصدر خطورة، ورؤساء الهيئات لا يأمنون لشخصية كهذه قد توجه لهم سهام نقدها، فرؤساء الهيئات الحزبية شديداً حساسية تجاه النقد، سواء كانوا قياديين حزبيين في نظام شمولي أو ديموقراطي. فعندما تنتقد شخصيات حزبية قيادية في نظام شمولي فسيتهمونك بأنك تتمنى عودة الديمقراطية، وعندما تنتقد قياديين حزبيين في نظام ديموقراطي فسيعتبرونك تدعو إلى عودة النظام الشمولي.

تؤكد "ماري ولستونكرات" في كتابها "Vindication of the rights of Woman" (الدفاع عن حقوق المرأة) الذي صدر في بريطانيا عام 1792، أن النساء تتمتع بنفس القدرة العقلية التي يتمتع بها الرجل. وقد مر أكثر من مئتي عام على صدور هذا الكتاب، ورغم ذلك فإن ظهور النساء في عالم السياسة ما زال نادرًا، رغم أن قدرتهن على فهم الحقائق لم تتغير. ويمكن تفسير هذا على نحوين: فليس صحيحًا أن النساء يتمتعن بقدرة على فهم الحقائق من منطلق موضوعي، فالسياسة في حد ذاتها ليست أمرًا منطقيًا. فقد حققت المرأة في كل أنحاء العالم نجاحًا في التخصصات الفكرية، مثل العلوم، والتربية، والطب، والأدب، والفنون، والتغذية. كما أنها قوّت من مكانتها ليس فقط في مراكز التحسيس، بل في الجندية والفضاء أيضًا. ورغم ذلك يجب أن نطرح بكل جدية السؤال التالي: أليست المشكلة هي في السياسة نفسها لا في النساء؟ يفسر المحللون السياسيون غياب المرأة عن المشاركة في نشاط فكري كالسياسة، بأن السياسة تعد نشاطًا تجريديًا يفوق قدرة النساء على القيام به. يُقال إن المرأة لا يمكنها أن تتخيل معاني المصطلحات، معالجة قضايا السياسة الدولية، وقيادة الحروب، والقتل، والمكائد، والصراع على السلطة، الائتلاف والمعارضة. لقد تطورت المرأة تاريخيًا بصفاتها مخلوقًا وظيفته تأمين حياة جديدة، والحفاظ على الجنس، وتربية أجيال جديدة، وتوزيع الحب على من حولها. وظيفتها أن تسهر على الأطفال عندما يمرضون، أن تهتم بأمور المنزل، وتصنع لزوجها أجواءً تساعده في عمله الفكري. كل هذه أنشطة ملموسة تمامًا. أما الرجل الذي يعالج قضايا السياسة الدولية، أو على الأقل المحلية يوميًا، فليس لديه وقت للاهتمام بالأمور التافهة، فيتركها للمرأة، فبينما هي تنام بجوار طفل مصاب بحمى، يغط هو في سبات عميق، مرهقًا من حل مشكلة الاحتباس الحراري، والحروب في العراق، وانخفاض المخزون العالمي من الغاز، وانتشار مرض جنون البقر، وغيرها من الأمور الهامة. تظل هذه الصورة النمطية تعمل إلى أن تصاب المرأة بمرض ما، أو تذهب إلى أمها، أو تتشاجر مع زوجها وترفض القيام بالأمور التي يراها "تافهة". وقتها يدرك الرجل أن الانتخابات في الولايات المتحدة الأمريكية، أو القبض على "خودوركوفسكي"، ملك البترول هي أمور هامة، لكن ليس إلى درجة أن يذهب إلى العمل وهو يرتدي ملابس داخلية لم يُغيرها منذ أسبوع، وقميصًا مُجعدًا، وجوارب رائحتها كريهة، جوعان، ينقصه الحب.

لا يحب الرجال أن يعترفوا بذلك، لكن السبب الحقيقي لغياب المرأة عن العمل في السياسة هو أن الرجال ببساطة لا يريدونهم فيها. فلو أن المرأة برزت في مجال السياسة بكل قوتها، فسيكون على الرجال أن يغسلوا ملابسهم الداخلية بأنفسهم، وستقوم نساؤهم بحل قضايا السلام العالمي. إن وجود المرأة في السياسة يُعدّ نعمة كبيرة على الوطن، خاصة على ذلك الجزء منه الذي يتكون من الأقارب المقربين في عائلة السيدات اللواتي يعملن في السياسة. لا يعرف سوى أزواج السيدات اللواتي يعملن في السياسة معنى أن تكون زوجتك في المجلس الأوربي، ومدى السعادة بالحرية التامة على مدى أسبوع. المتضرر الكبير من الأمر هو ذلك الجزء من المواطنين الذي لا تعمل زوجاتهم في السياسة.

الرجل في الأساس شخص لا يعتمد عليه؛ لأنك لن تعرف يوماً إن كان ما يقوله حقيقياً أم لا. أما المرأة، فعلى العكس، تضمن لك دائماً أنها تقول الحقيقة. لقد اعتدنا على أن السياسيين يتحدثون في كل مكان يذهبون إليه، أما النساء فمعروف عنهن الصمت الذي هو من سمات العمل السياسي. كما أن النساء أكثر مهارة من الرجال. فعلى عكس الرجال، يمكنهن أن يتبولن دون الحاجة إلى استخدام أيديهن، وهو ما يمكنهن من التحدث بالهاتف في نفس الوقت، كما أنهنَّ يُجِدْنَ التعلم على نحو أفضل من الرجال؛ لذلك حان الوقت أن تتغير سيطرة الرجال على عالم السياسة.

مشاركة النساء في السياسة ليس أمراً جديداً، ففي دول إسكندنافيا تشكل نائبات البرلمان أكثر من ثلثي أعضائه. ورغم أنه لم يشارك في الحكومة السلوفاكية بين عامي 2002-2006 سوى امرأة واحدة، لكن لا داعي لليأس. لقد استطاع المصريون القيام بذلك قبلنا بـ 5500 عام، فقد وصلت أول امرأة إلى السلطة في مصر القديمة في عام 3500 قبل الميلاد عندما حكمت الملكة حتشبسوت. وكما حدث بعد ذلك في سلوفاكيا بعد 5500 عام لم يكن ذلك مقبولاً؛ لأن التقاليد كانت تقول إن كل حاكم مصري يجب أن يكون رجلاً. لكن والد الملكة حتشبسوت لم يكن لديه ولدٌ، فأقبل على تلك المغامرة، وحتى لا تثير حفيظة الشعب قامت حتشبسوت بارتداء زي الرجال، ووضعت لحية مستعارة. (أحياناً أتشكك في لحي رجال السياسة عندنا، وأظن أنهم سيدات في زي الرجال. لكنني أتأكد أثناء وجودي في مبولة الرجال من أن ظني كان في غير محله). ارتدت حتشبسوت قناعاً بارعاً، لم يسمح لرعيها طوال فترة حكمها التي امتدت إلى اثنين وعشرين عاماً بأن يعرفوا أن من يحكمهم امرأة. لكن العديد من الناس كان يتندر على ما حدث؛ لأن فترة الاثنين وعشرين عاماً كانت

من أطول فترات السلم في مصر القديمة.

لا أعتبر حتشبسوت مثلاً يُحتذى كي لا يشعر السياسيون السلوفاك بتأنيب ضمير، لا قدر الله. إن عدد النساء في الوظائف العامة والخاصة قليل حتى في دول أخرى. ففي عام 1984 كان يعمل في خطوط السكك الحديدية 591 رئيساً، بيتهن امرأتان يتيمتان، وفي عام 1987 شكلت النساء في بريطانيا نسبة 76 من العاملين في القطاع العام، نسبة أربعة في المئة صحيحة منهن عملن في المناصب القيادية.

دعا القيصر "جوستينيان الثاني" إلى اجتماع للأساقفة في اسطنبول في خريف عام 691، وهدد أثناء الاجتماع كل القساوسة والرهبان بالعزل الكنسي إذا ترددوا على الحمامات أثناء وجود النساء بها. وأجهدت الكنيسة نفسها طوال العصور الوسطى عبثاً بالحرب من أجل تدمير الحمامات العامة. في إيطاليا مع بداية القرن العشرين حظرت الكنيسة على الكاثوليك العمل في الوظائف العامة بسبب احتكاك الرجال المباشر والمتكرر بالنساء، وفي بداية القرن العشرين أيضاً قام بعض الأساقفة الألمان بمنع مسابقات السباحة للفتيات.

يمكن أن يكون انخراط النساء في السياسة خطيراً أيضاً. من المعروف أن النساء أسقطن الديكتاتور التشيلي "بينوتشيت"، وعارض الرئيس الأمريكي بوش 72 في المئة من نساء أمريكا احتلاله للعراق، كما أن النساء أثبتن جدارة في النظم الديكتاتورية، فأثناء الحكم الشيوعي شكل 20 في المئة من النساء البرلمان البولندي. وقد حدّ الديموقراطيون البولنديون من أنشطتهن وقلصوا من تواجدهن في البرلمان بعد سقوط الشيوعية حتى بلغت نسبتهن 12 في المئة. كذلك "أقحم" الشيوعيون النساء في البرلمان المجري، ووصلت نسبة مشاركتهن به حتى عام 1989 إلى 21 في المئة. لكن في النظام الديموقراطي المجري تضاءل عددهن حتى وصل إلى نسبة سبعة في المئة. كذلك سمح الشيوعيون البلغاريون بنسبة مشاركة للنساء في البرلمان بلغت 21 في المئة، غير الديموقراطيين البلغاريين لم يرضوا بالوضع، وسمحوا لهن فقط بنسبة 5,3 في المئة، فقد انتبه البلغاريون إلى خطورة تواجد النساء في السياسة. أما السلوفاك فقد سقطوا في العار مقارنة بالمجر وبلغاريا، حيث كانت نسبة أعضاء البرلمان الفيدرالي من النساء في عصر الشيوعية 5,29، ولم نَقوَ على تحمل ضغوطهن، فحصلن خلال الفترة الانتخابية الثالثة على 14,6 في المئة من نسبة المقاعد في المجلس الوطني، وهذا دليل واضح على أن الديموقراطية البرلمانية في سلوفاكيا لديها تحدٍّ كبير.

في الوقت الذي تصدرت النساء قوائم جميع الأحزاب السياسية في انتخابات 2006، كان حزب الديموقراطيين المسيحيين الوحيد الذي أدرك خطورة تواجد النساء في السياسة، فتصدر الرجال المراتب الخمس عشرة الأولى في قائمتهم الحزبية في انتخابات عام 2006. من غير المستبعد أن بعضهم كانوا نساء متنكرات، حلقوا لحاهم وأزالوا شعر الإبط كي لا يخسروا القواعد الانتخابية التقليدية لهذا الحزب، سيدات ريفيات بلحى وبدون. إن الحركة الديموقراطية المسيحية تعد مثلاً لباقي الأحزاب في سلوفاكيا.

ممثلات في السياسة

"لَيْسَتْ كُلُّ مُمَثِّلَةٍ لَامِعَةٍ سِيَاسِيَّةً لَامِعَةً"

المؤلف

لم يكن في روما القديمة ممثلات سيدات، وكان الناس يُكِنُّون احترامًا كبيرًا للمحاربين وليس للممثلين، حتى إن مجلس الشيوخ في روما منع المواطنين الشرفاء من ممارسة مهنة التمثيل. لم يكن يعمل بالتمثيل سوى العبيد، والأجانب، أو كل من كان يقضي عقوبة في السجن. ربما يعود السبب إلى أن الرومان لم يعرفوا وظيفة "الدوبلير". فعندما كان دور أحد الأبطال الكبار ينتهي بالموت في عرض مسرحي فوق حلبة المدرج المسرحي، كان الجمهور يطالب بموته بالفعل، أي بموت الممثل، بطل العرض المسرحي. كان ذلك يحدث غالبًا عندما لا يؤدي البطل دوره بإتقان. وكانت مهارة الممثل تُعرَف حسب درجة تصفيق الجمهور؛ لذلك كان الممثلون يتدبرون الأمر ويرسلون من يصفق لهم وسط الجماهير.

كذلك اختفت الممثلة في اليونان القديمة، وكان الرجال يلعبون أدوار السيدات. كانوا يتقنون القيام بها إلى درجة أن كبار المسؤولين كانوا يكافئوهم، ويسقطون عنهم الخدمة العسكرية الإجبارية، ويعفونهم من دفع الضرائب. لعب بعض الرجال أدوار النساء بنجاح إلى درجة أنهم صاروا عشيقات لكبار رجال الدولة. كان الممثلون منذ العصور القديمة يعملون في خدمة رجال الدولة بشكل مطلق تقريبًا. ولعبوا الأدوار الكوميديّة بمقابل مجز، والبعض منهم كان له وقتها سلطة نافذة، منهم على سبيل المثال الممثل، والمطرب، وعازف الموسيقى، والشاعر، والمنشد "كلاوديوس دروسوس جيرمانيسوس" الذي عرف باسم فني وهو "نيرو".

وعندما أدرك الممثلون أن العمل السياسي أمر طيب، بدءوا يحاولون الانخراط فيه، فهم مهئون للعمل السياسي. إنهم مدربون على تضخيم المواقف، ماهرون في الركوع وفي التظاهر بغير ما هم عليه بصورة احترافية، ويستخدمون مختلف المساحيق كي يكون الادعاء متقنًا. الممثلون يدهنون ويدهنون، أما الممثلة فيتزيّن.

من أشهر من دخل إلى عالم السياسة من السيدات في منطقة أوروبا ممثلة الدراما الرائعة التي حاولت لأسباب غامضة أن تقنع الرأي العام بأن أصولها إيطالية، وكأن أصلها المجري سبباً في جبينها. لكن اسم تلك السيدة التي بلغت الخمسين من عمرها يكشف عن أصلها بوضوح. كانت معروفة في الأوساط الفنية على أنها مجنونة بعملها، تعرف كل شيء، وتفهم في كل شيء. لم تخجل من حبها الشديد للعلاقات الجنسية. يُقال إنها فقدت عذريتها وهي في السادسة عشرة من عمرها. كانت تظهر في بعض الأفلام شديدة التبرج، وشبه عارية. كان الشباب يحبون ذلك الأمر، ويستمتعون بمشاهدتها وهي على تلك الهيئة. يقال إن العلاقات الجنسية ساعدتها حتى في بناء سيرة فنية ناجحة. فعندما ظهرت بثدييها العاريين لأول مرة على شاشة السينما، نفذت كل التذاكر على الفور. دفعتها رغبتها المحمومة في النجاح في عملها إلى الطلاق من أول أزواجها، وكان هو الآخر شخصية شهيرة من الوسط الفني. وعندما أدركت أنها، كممثلة، لم تعد قادرة على أن تلف الرجال حول أصابعها كما كانت تفعل دائماً، قررت أن تشتغل بالسياسة، فتمكنت من الحصول على مقعد في البرلمان. ورغم أن حزبها لم يتمكن من المشاركة في الائتلاف الحكومي إلا أن طموحها السياسي شق طريقه. كل من يعرفها يتوقع لها شأنًا كبيراً في العمل السياسي، يكاد كل من في بلدنا يعرفها، اسمها "إيلونا ستالير"، المعروفة باسم "سيسيلينا".

من البروتوكول إلى الأيديولوجية

"السِّيَاسَةُ لَيْسَتْ لِلأَشْخَاصِ الْمُحْتَرَمِينَ حَسَنِي التَّرِيَّةِ"

أريستوفانيس

كان "فرانسوا ماريا فولتير" من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل وسط الفلاسفة. يقول: "من يأكل على طريقة الملوك هو حده من ينال الأوسمة الرفيعة. الآخرون يمكنهم أن يتناولوا عشاءهم على طريقتهم، لكنهم لن يجدوا وظيفة". لَسْتُ مضطراً أن تكون مهذباً بطريقة مبالغ فيها، وأن تعتذر مثلاً لشاحنة لوري عندما تصطدم بها، لكن يجب أن تتذكر أن الطرق السيئة تسببت في الكثير من المواقف الخجلة، والأزمات، وأحياناً الحروب.

يقال إن الدبلوماسيين لديهم أفضل الطرق، لكن الأمر ليس كذلك. أعرف هذا جيداً بناءً على خبرتي الشخصية. فقد كنت يوماً دبلوماسياً. ويُقال أيضاً إن المديرين المرموقين يأتون بعد الدبلوماسيين بأساليبهم الرائعة، وهذا أيضاً ليس صحيحاً. أعرف هذا عن تجربة شخصية، فقد كنت مديراً مرموقاً. يُقال إن مديري البنوك يجيدون قواعد السلوك الحسن، وهذا منافٍ للحقيقة. أعرفه من خبرتي الشخصية، فقد عملت على مدى عامين تقريباً في فرع سلفواكي لأحد البنوك النمساوية الشهيرة.

لو قال لك أحد إن السلوك الجيد يعرفه حتى السياسيون فلا تصدقه. فأنا أعرف هذا من تجربتي الشخصية، فقد كنت سياسياً. لقد رأيت السيدة الوزيرة وهي تجلس في منتصف أحد الصفوف الممتلئة في إحدى القاعات الموسيقية تراقبها نظرات زوجها، جلس كلاهما وأعطيا ظهريهما لجمهور الحاضرين، رأيت السيد نائب رئيس البرلمان (برلمان آخر غير برلماننا) وهو يطحن الطعام في فمه بصوت عال، إلى درجة أن الجالسين معه بدءوا في الانصراف من عند الطاولة واحداً تلو الآخر. رأيت رئيس البرلمان المعروف عنه أنه رجل فرنسي الطابع وأنيق، شاهدته وهو يشعل سيجارة تلو الأخرى على مائدة الطعام مع رئيس دولة أجنبية، وينفضها في طبق الحلوى. صحيح أن الطاولة كانت خالية من طفاية سجائر، لكن من ذا الذي يفكر أن يشعل سيجارة أثناء تناول غيره للطعام، وفي أروقة مبنى مجلس

الشيوخ التاريخية التي تضم مفارش من القرن السادس عشر.

كلمة دبلوماسية تعود إلى الكلمة اليونانية *diploun*، ومعناها "مستند مطوي" - شهادة تفيد بدفع الضرائب وغيرها- "*Res diplomatica*" - شئون دبلوماسية كانت تعني في الأساس إدارة أرشيف المستندات المطوية. تقول المصادر التاريخية إنه في تلك الفترة ظهر ورق التواليت المطوي لأول مرة. وقد يفسر لنا هذا العلاقة الحميمة لبعض الدبلوماسيين بفن الإتيكيت. ليس من السهل أن تجعل أحدهم يجفف مؤخرته بالمناديل الورقية بينما كان يجففها بأوراق النباتات، وبخرقة من الخيش، أو لا ينظفها أساساً.

كتب "فرانسوا دي جاليرير" في عام 1716 كتاباً بعنوان *On the Manner of Negotiation with Princess*: قواعد التعامل مع عليّة القوم. وعالج فيه قضية آداب السلوك وقواعد حسن المعاملة. لم يتأثر السلوك بهذا لسبب بسيط: لم يكن لدينا عليّة القوم. فأسافل القوم لم يستمعوا إلى نصائح تخص عليّة القوم، وواصلوا زحفهم فوق الأرض.

من الواضح أن طبقة النبلاء لم تكن موجودة حتى في الولايات المتحدة الأمريكية، ولا حتى طبقة النبلاء المتوسطة. فكل إنسان مهذب يعرف أنه عند مد يده للمصافحة عليه أن يخلع القفاز. أتذكر بحسرة زيارة الرئيس جورج بوش وحرمه لورا لسلوفاكيا عندما تصافح سياسيون مع نظرائهم وهم يرتدون القفاز.

يحدث أحياناً أن يسب السياسي الناس. طبيعي، فالسياسي في النهاية إنسان، لكن يجب أن يسب بطريقة رشيقة. فقد كان القيصر الفرنسي نابليون يخاطب وزير خارجيته الأمير "موريس دي تاليران"، وكان وقتها أقوى دبلوماسي في أوروبا مراراً وتكراراً بجملة: "أنت حثالة مغلقة بجورب من الحرير". لم يكن نابليون يحب الأيديولوجية التي أتى بها إلى العالم الفيلسوف "دي تيراسي". وطبعي أنه لم يكن يحب أصحاب الأيديولوجيات أيضاً؛ لذلك كان يمطرهم بالشتائم أينما ذهب. لم يكن يقول: "أنت أيها الحثالة"، بل "أنت أيها الأيديولوجي". ولم يتغير معنى كلمة "أيديولوجي" كثيراً منذ عصر نابليون.

الكنيسة في السياسة

"أَنْ تُمَارِسَ الْحُكْمَ مَعَ أَعْدَاءِ شِيُوعِيِّينَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُمَارِسَهُ مَعَ رِجَالِ دِينٍ أَصْدِقَاءَ"

مؤلف مجهول

"لقد أوكل الله السلطة العلمانية والدينية للكنيسة وممثلها الأعلى- البابا". كلمه جاءت في خطبة كَنَسِيَّة من عام 1302، ألقاها بالطبع البابا، وبالتحديد البابا "بونيفاتس الثامن". انطلق من قرار اتخذه، وأقنع به الله عندما قرر أن كل حاكم يمارس سلطاته فقط بمباركة من البابا. بالطبع لم يعجب هذا الكلام لا الملك ولا أي حاكم آخر، لكن هذا التفضيل الإلهي للبابا أعجب فرانسوا فيليب الطيب، فقرر أن سلطة الملك مستمدة هي الأخرى من الله. انتهى الصراع بين "بونيفاتس" وفيليب بأن أرسل فيليب لوصوًا ليوسعوا البابا ضربًا. لكنهم بالغوا في الأمر حتى لفظ البابا أنفاسه الأخيرة، فانتشر الرعب في أروقة الكنيسة، وعينوا بابا جديدًا اسمه فيليب صديق "كليمنت". وأمر فيليب بنقل مقر البابا من روما إلى "أفينيون" في محاولة منه أن يبرهن على أن الله يحب الحكام الفرنسيين أكثر من الإيطاليين. استمر الصراع بين الملك والبابا إلى أن تصدّعت الكنيسة الغربية. لم يفهم البابا ولا الملك المقولة الإنجيلية: لا يمكنك أن تخدم ملكين معًا. لقد فسروا المقولة على أنه لا يمكن أن يُدار الحكم برئيسين، ومنذ ذلك الوقت والصراع محتدم حول السلطة بين القوى العلمانية والدينية. وحتى اليوم لم يجب أحد على التساؤل: هل السلطة الدينية تختلف في شيء عن السلطة العلمانية؟ وربما توصلنا إلى أمور لا يعرفها سوى بعض السياسيين المسيحيين، وهي أن الكنيسة الكاثوليكية تمارس الحكم حتى في السماء.

يُعرّف القديس "أوجوستين" في كتابه De civitate Dei (دولة الله) السياسة على أنها تتابع ست فترات من أجل الخلاص، يتصاعد خلالها الصراع بين الخير والشر إلى يوم الحساب. لو لم أكن يومًا مشاركًا فعالًا في العمل السياسي لما آمنت بصحة ما قاله القديس "أوجوستين". إن الصراع بين الخير والشر قد تصاعد إلى أن وصل إلى يوم الحساب الحزبي

الأخير، والذي دائماً ما كان عادلاً، بعزل المتمرد أو الناقد من الحزب. (وقت كتابة هذا العمل عزل نادي أعضاء حزب الحركة المسيحية الديمقراطية النائب جابور من صفوف الحزب بصورة مؤقتة). ولو لم يتم طرد المتمردين فلن يستطيع رجال السياسة تحقيق نبوءة القديس "أوجوستين": "يخلصوننا جميعاً إلى الأبد. إن خلاص المواطنين كما يراه "أوجوستين" ليس فقط في يد الكنيسة وحدها، بل في يد السياسيين أيضاً. كم جميل أن نرى أن السياسيين والأساقفة، المطارنة والكاردينالات يعملون جميعاً من أجل خلاصنا.

لو انطلقنا من فكرة أن ركيزة المسيحية الأساسية هي ما عاناه المسيح، فأنا أخشى على المسيحية من مؤسساتها. تعتقد غالبية السياسيين المسيحيين وغير السياسيين لسبب غامض أن المسيحي لا يكون مسيحياً إلا بالتعميد. وكفى بهذا الاعتقاد إهانة للمسيحية. لقد عمد المسيح الناس الذين أرادوا أن يكونوا مثله طواعية وهم في أعمار متقدمة. كان المسيح يطمح إلى أمور كثيرة، لكن ليس من بينها بالتأكيد السلطة السياسية.

في روما قبل المسيحية كان الناس يعتبرون الحاكم إلهًا، أو على الأقل ممثلاً للبشر أمام الله. اتخذ الملك "قسطنطين" عام 323 المسيحية ديانة رسمية، تغير وضع الحاكم إلى خليفة الله بين البشر! وصارت سلطة الكنيسة على رقاب الجميع، وصار الحاكم لا يُسأل أمام البشر، بل أمام الله، فكان الحاكم هو بالطبع من يضع القواعد إلهية. في ذلك الوقت صنعت الكنيسة من المسيح إلهًا هو الآخر. حدث هذا بعد مرور ثلاثة قرون على وفاته، وغالبًا لم يعلم بالأمر. منذ أن تولت الكنيسة مقاليد حكم الدولة بدأت تلاحق المسيحيين الذي رفضوا تقديس الإله الحكومي، وظلوا على عقيدتهم وإيمانهم بالله العظيم، الرحمن الرحيم، وما زالوا يلاحقونهم إلى اليوم. التقيت أثناء تواجدي في العمل السياسي ببعض من أراد أحد الأوغاد أن يقصدهم من مجلس الكنيسة الكاثوليكي.

السياسة هي صراع السلطة. كانت سياسة المسيح هي مساعدة الضعفاء؛ لذلك من المدهش أن تجد بعض الأحزاب السياسية تطلق على نفسها بأنها أحزاب مسيحية. الحركة الديمقراطية المسيحية (سلوفاكيا)، الاتحاد السلوفاكي الديمقراطي المسيحي (سلوفاكيا)، الاتحاد الاجتماعي المسيحي (ألمانيا)، الحزب الديمقراطي المسيحي (ألمانيا)، الديمقراطية المسيحية (السويد)، حزب الشعب المسيحي (بلجيكا)، حزب الشعب المسيحي (الدنمارك)، حزب الشعب المسيحي، الحزب المسيحي (فنلندا)، المركز المسيحي الديمقراطي (إيطاليا)، الحزب الديمقراطي المسيحي (هولندا)، حزب الجيل

الجيد (إيرلندا)، الحزب الليتواني المسيحي الديمقراطي (لاتفيا)، وغيرها. يبدو من أسماء الأحزاب أنهم وضعوا كلمة "المسيحي" في اسم الحزب رغم أنهم مسيحيون بالضرورة، ربما لأنهم يخشون من أن يعتقد أحدهم بعد أن يرى تصرفاتهم بأنها أحزاب "غير مسيحية". ومن باب الاحتياط وضعوا كلمة ديموقراطي كي لا يظن أحد أن المسيحيين ليسوا ديموقراطيين.

انفصلت الكنيسة عن الدولة في بلدان رفض حكامها تطفل رجال الكنيسة على الحكم، وامتنعوا عن تقسيم الممتلكات مع الكنيسة. لكن هناك أسباب أخرى لانفصال الكنيسة عن الدولة. كان الجنس السبب الرئيسي لانفصال الكنيسة عن الدولة إبان حكم الملك الإنجليزي "هنري الثامن"، أراد هنري بصفته مسيحيًا كاثوليكيًا حق أن يربط بين نزواته الجنسية وإخلاصه لزوجته، وهذا لا يتحقق إلا بالزواج من كل عشيقة له، لكن زواجًا كهذا مشروط بطلاقه من زوجته السابقة. كان البابا "كليمنت السابع" منشغلًا بعمل آخر غير تطبيق هنري الثامن، فحرم الطلاق. في البداية أذعن هنري لقرار البابا بأن أمر بإعدام زوجته. وسرعان ما نفذ صبره وضرب بقرار البابا عرض الحائط، ثم أعلن انفصال الكنيسة الإنجليزية عن الفاتيكان، ونصب نفسه رئيسًا لتلك الكنيسة، وبذلك استطاع أن يطلق كيفما شاء. وهو ما أسعد زوجته المحتملات؛ فلم يعد الانفصال عن الملك مشروطًا بإعدامهن.

ومنذ ذلك الانفصال ترسخت في إنجلترا قاعدة تمنع من يكون الملك كاثوليكيًا، وأيضًا منعوا الزواج من كل كاثوليكي وكاثوليكية؛ لذلك صارت الأمور أسهل على رجال الكنيسة الراغبين في العلاقات الجنسية، وحتى لا يضطروا إلى الطلاق قرروا منع الزواج، بل حرموه وانتهى الأمر.

لم يكن مارتن لوثر في حاجة إلى ميول جنسية كي ينفصل عن الفاتيكان. اكتفى بتلك البوابة التي عثر عليها في مدينة ويتنبرج عام 1517، ثم ثبت فوقها نظرياته الاثنتي عشرة. وبمرور الزمن اعتنقت غالبية الألمان ديانة جديدة أطلقوا عليها اسم اللوثرية تيمناً بمارتن لوثر.

منذ سنوات طويلة ونحن ندرس انفصال الكنيسة عن الدولة في سلوفاكيا. كان هذا هو المطلب الأساسي للكنيسة السرية إبان الحكم الشيوعي. وفي عهد جورباتشوف، عندما صارت الشجاعة مبتذلة، وقّع أكثر من أربعمائة ألف مسيحي على طلب بفصل الكنيسة عن الدولة، واعتبرت حركة (الشعب ضد العنف) أن انفصال الكنيسة عن الدولة أحد أهم

مطالبها، ثم بعد سقوط النظام الشيوعيّ سحبت كل من حركتي (الشعب ضد العنف)، و(الحركة المسيحية الديمقراطية) طلب انفصال الكنيسة عن الدولة بكل هدوء. وأحياناً يعلنون على الملأ أنهم لا يحبون سماع كلمة انفصال. وفجأة صارت الكنائس - الكاثوليكية منها- في سلوفاكيا لا تعارض أن تتدخل الدولة في أمورها. كون الكنائس لا ترى ضرراً في ارتباطها بالدولة فهذا يعود إلى عدة أسباب، أتمنى ألا تكون فقط بسبب الأموال التي تتلقاها الكنيسة من الدولة. السبب الثاني هو أن الكنيسة أعجبتها مشاركتها في السلطة. الطريف هو أن الاشتراكيين من حزب "سمار" الذي كان يطالب بانفصال الكنيسة عن الدولة بكل قوة قبل انتخابات 2006، صمت تماماً عن الحديث في هذا الأمر بعد الانتخابات.

أنا لست مع فصل الكنيسة عن الدولة، فالمواطنون ومنهم غير المتدينين لديهم تسعة أيام من الإجازات سنوياً بفضل الكنيسة؛ لذلك أطالب كل من يؤيدون انفصال الكنيسة عن الدولة بالألا يخاطروا. على العكس، لو كنت مكانهم لسعيت إلى إفساح المجال أكثر أمام الكنيسة في علاقتها بالدولة. بالتأكيد أمامنا فرصة لنيل المزيد من أيام الإجازات من إجمالي اثنين وثلاثين عيداً مسيحياً عندنا في سلوفاكيا. حتى أكون دقيقاً، في سلوفاكيا يحتفل فقط الكاثوليك والبروتستانت باثنين وثلاثين عيداً. ولدى المسيحيين الأرثوذكس ثلاثة وعشرون احتفالاً، واليهود عندهم عشرون، والمسلمون عشرون. فلو كنت يهودياً وزوجتك أرثوذكسية والأطفال مسلمين، فلديك خلال العام الواحد تسعون يوماً للاحتفال!

لقد نُوقشت القضايا الكنسية منذ عام 2002 حتى عام 2006 في البرلمان ست مرات. في المرة الأولى كان المناقشات تتعلق بأملاك الكنيسة. وتخيل، تم مناقشة أملاك الكنيسة أربع مرات. وفي المرة الخامسة لم يناقشوا الأملاك، بل مرتبات الكهنة. السياسي- الغبي هو من يعتقد بسذاجة أن أكبر هيئة تشريعية سوف تناقش أيضاً الأخلاق والقيم العليا في إطار قضية الكنيسة.

رغم أن الله مرتبط بالدين وليس بالكنيسة، فإن الكنيسة تذكر اسمه بلا توقف، وتحيل إليه سلطته وعظمته في أنشطتها السياسية. الكاردينالات والأساقفة يباركون الجيش قبل خروجه للحرب. أرسل الكاردينال الأمريكي في 1966 الجنود الأمريكيين إلى فيتنام بكلمات تقول إنهم ذاهبون للحرب ضد أعداء الله. وأطلق على الجنود اسم جنود المسيح، وانقضوا يقتلون الفيتناميين باسم الله. وفي عام 1209 قتل الصليبيون في مدينة "لانجودوك" بجنوب فرنسا ما يزيد على مائة ألف شخص، وهم عملياً كل سكان المدينة، فقط لأن هؤلاء

الناس أحبوا المسيح، وليس البابا. عندما سأل أحد كبار الضباط البابا "إينوسنت الثالث عشر" (ومعناه البريء)، كيف يفرق بين الكافر والمؤمن الحقيقي؟ أجابه البابا قائلاً: "اقتلهم جميعاً، وسيجد الله من آمن به".

أيضاً كان أدولف هتلر صارماً في علاقته بالله، رغم أنه في حالة هتلر يمكننا أن نتحدث عن علاقة الله بهتلر. أصدر مكتب الدعاية النازي منشوراً قال فيه: "لسنا في حاجة إلى كهنة، ويمكننا أن نتواصل مع الله من خلال أدولف هتلر. إن كلمته قانون إلهي، وكل القرارات والقوانين التي يصدرها لها سلطة إلهية". اعترف هتلر بنفسه بأنه تعلم الكثير من اليسوعيين، وأضاف: "على حد علمي اتخذ لينين أيضاً "اليسوعيين" مثلاً له". لقد نسي هتلر أن ستالين درس في معهد تعليم كنسي في تلبيسي، وقال إن قدوته كانوا - تخيلوا، من؟ اليسوعيين!

الحلول الوسط في السياسة

"يُحَافِظُ السِّيَاسِيُّ عَلَى تَوَازُنِهِ الدَّاخِلِيِّ بِأَنْ يَفْعَلَ عَكْسَ كُلِّ مَا يَقُولُ"

ماوريس باريس

إن أصحاب الحلول الوسطى هم زبدة السياسة. يفعلون ذلك كي يمنعوا عن أنفسهم حلولاً وسطى أسوأ. وعادة ما تنتهي التسويات باتفاق يرضي الجميع، والمواطنين قدر الإمكان، وعادة ما يخرج المواطنون منه خاسرين. ما حدث في الجولة الثانية من انتخابات رئيس المجلس الأعلى لإقليم "نيترا" في ديسمبر 2005، هو مثال على رفض المواطنين للتسويات السياسية. لم يكن الهدف من ذلك فقط إقصاء الأغلبية المجرية عن رئاسة الإقليم، بل أيضاً الإطاحة بـ"ميلان باليتسا" الذي ترشَّح عن حزب حركة سلوفاكيا الديمقراطية. رشح حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي السلوفاكي "يان جريش"، وعن حزب المجتمع المجري "لاصلو زيجت". كانت نتائج الجولة الأولى كالتالي: حصل "ميلان باليتسا" على 42,18 في المئة، و"لاصلو زيجت" على 25,93 في المئة، و"يان جروش" على 13,17 في المئة من مجموع الأصوات. كان واضحاً أن فرصة المرشح المجري في الجولة الثانية منعدمة، لكن السياسيين في حزبي حركة سلوفاكيا الديمقراطية، والاتحاد الديمقراطي المسيحي السلوفاكي اتفقوا بكل حكمة بأن يتنازل "سيجيت" عن ترشيحه لصالح "جريشو" الذي سيصبح في الجولة الثانية مرشحاً مشتركاً للحزبين. وقد حسبوا أن نسبة 25,93 في المئة مع 13,17 تساوي 39,10 في المئة، وهو ما يعني الانتصار على "باليتسا" عند تحريك الناخبين في كلا الحزبين. وكانت نتيجة الجولة الثانية كالتالي: ميلان "باليتسا" 74,08، "يان جريشو" 25,91.

يُقال إن النبي موسى هو مؤسس نظام الحلول الوسط في السياسية، فقد ذكرت مصادر غير رسمية بأنه هو من سلم اليهود عشرين وصية إلهية جاءتهم من الله مباشرة، فرأى اليهود أن تلك الوصايا كثيرة، وطلبوا منه أن تكون خمسة فقط. كان موسى تاجرًا موهوبًا، فاستطاع أن يفاوض الله ويصل إلى حل وسط: عشر وصايا. فقد استفاد من صداقته

الشخصية بالله، وبدل الوصايا إلى أوامر إلهية. وبهذا بدأ عصر الصلف المسيحي واليهودي الذي انتهى إلى حربين عالميتين، لم يبدأ المسلمون ولا البوذيون ولا الهندوس أيًا منهما.

الحراس الشخصيون في السياسة

"لَوْ لَمْ يَكُنْ لِرَجُلٍ السِّيَاسَةِ حِرَاسَةٌ خَاصَّةٌ لَصَفَعْتُهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَلَصَفَعْتُكُمْ جَمِيعًا"

مواطن عجري من منطقة وديان الجبال

تسمّى المؤسسة التي تحمي الرموز السياسية إدارة حماية الشخصيات الرسمية الدستورية. الشخصيات الرسمية الدستورية التي تحظى بالحماية هم أعضاء الحكومة والرئيس، أما النواب فلا يتمتعون بالحماية إلا عندما يطلبونها، فتخصص لهم حماية إذا تبين أن الأخطار التي يتعرضون لها كبيرة، فيحدث كثيرًا أن يكتب النواب خطابات تهديد بأنفسهم ولأنفسهم، لاستيائهم من أنهم لا يحظون بحراسة شخصية، ولا يأتي ذكرهم في وسائل الإعلام.

تتميز إدارة الشخصيات الرسمية الدستورية بأنها تحمي ليلاً ونهاراً سياسيين غير ذي قيمة، ولا يفكر أحد في تهديدهم. لكن المشكلة هي: ماذا لو.... ف"ماذا لو" تُعد المحرك الأساسي لعمل رجال الحراسة الشخصية. كان أفراد الحراسة الشخصية لـ"فلاديمير ميتشيار" لا يجدون ما يفعلونه، إلى درجة أنهم اختلقوا أشخاصاً يهددون باغتيال رئيس الوزراء المحبوب، ثم بعدها يُفشلون محاولات الاغتيال بطريقة بطولية، فيسعد رئيس الوزراء بذلك، وأيضاً رجال الحراسة؛ فدائمًا يحصلون على مكافآت سخية بعد إفشال محاولة اغتيال رئيس الوزراء.

لم يحصل رجال الحراسة على مكافآت نظير القبض على قتلة أو إرهابيين أو مغتالين وهميين إبان حكم "ميتشيار" فقط. فإثناء اجتماع الناتو في مايو 2004 في براتسلافا تجمع حول "ريدوتا" وحول فندق كارلتون الذي عقد فيه الاجتماع كثير من الحراس إلى درجة عرقلت دخول المشاركين في الاجتماع. قلت وقتها في وسائل الإعلام، بصفتي رئيس الوفد السلوفاكي، بأني أشعر وكأن اجتماع برلمان دول الناتو كان بمثابة مشاركة صغيرة في مناورة كبيرة تجريها الشرطة السلوفاكية، أو عثر رجال الشرطة الأبطال على قنبلة

بجوار إحدى حاويات القمامة على كورنيش نهر الدانوب، أنا أعرف هذا المكان جيداً. تم تطويق المكان وحراسته على مدى أربع وعشرين ساعة يومياً، ولم يكن مسموحاً بالدخول إليه سوى لرجال الشرطة. وسيكون من العيب أن تحدث معجزة ما، ويتسلل المجرم إلى أن يصل إلى الحاويات، فقد كان كورنيش النهر مطوقاً ويحرسه رجال الشرطة بكل صرامة، فلا تظهر فيه حتى قطة هائمة. فما بالك بالوفود الأجنبية؟! لكن المشكلة الكبرى هي أنه لا توجد حاويات للقمامة على شاطئ النهر. لم يرَ أي من الصحفيين الماهرين شيئاً كهذا حتى اليوم.. لكن التأثير النهائي هو ظهور ما يشبه الهستيريا الأمنية، التي حصلت بموجبها وزارة الداخلية على خمسين مليون يورو، اشترت بها الوزارة تقنيات لتأمين المشاركين في الاجتماع الذي لم يكن عرضة لأي تهديد. ولم يعرف أحد اسم من قام بتوريد هذه التقنية المُلحّة، وما هي قيمة العمولة التي تلقاها. كما حصل كبار رجال الشرطة على مكافآت سخية نظير السيطرة على الحالة الأمنية "الخطيرة". كانت مكافآت سخية إلى درجة أن وسائل الإعلام تناولتها، أما أفراد الشرط العاديون فلم يحصلوا حتى على ما يسد رمقهم طوال اليوم.

الوظيفة الرئيسية لرجال الحماية هي اختلاق عدو. ليس هذا فقط، ولكن جعله أداة للترهيب، وخاصة في وسائل الإعلام، فالناس تحب رجل السياسة المعرض للتهديد عن ذلك الأمن. المشكلة هي أن المواطنين لا يعبئون برجال السياسة، ولا يعتبرون تهديد أحدهم عملاً بطولياً، ولا يخطر لأحدهم أن يستهدف حياته. يحزن الكثير من السياسيين من أن حياتهم غير مهددة. يشعرون بالدونية، وهذا الأمر يُشعرهم بالإهانة. يحسدون كل سياسي مهدد، حتى لو قذفه أحدهم بحبة طماطم. ألقى أحد الطلبة إبان الحكم الشيوعي بيضة على "ويليام شالجوفيتش"، رئيس المجلس السلوفاكي الوطني وقتها أثناء مظاهرة حدثت في الأول من مايو، عوقب الطالب بالسجن لمدة بضعة أشهر. الشيء الوحيد الذي قذف به أحدهم رجال السياسة بعد الثورة كان معطف الطبيب الذي ألقاه بعض الأطباء على رئيس الوزراء "ميكولاش دزوريندا" عندما ظهر وسطهم وهو ممسك بعكاز في يده. يبدو أنهم اعتقدوا أنه يشعر بالبرد.

حتى ينحيه الموت

"أَصْعَبُ فِرَاقٍ فِي الْعَالَمِ هُوَ فِرَاقُ السُّلْطَةِ"

تشارلز موريس دي تاليران

يمكنك أن تحصل على السلطة بطريقتين: طريقة ديموقراطية، وأخرى غير ديموقراطية. أما إمكانيات فقدان السلطة فهي كثيرة. في الأنظمة الشمولية يغادر الحاكم السلطة إما بالموت أو بالكهولة، فقد سقطت حكومات وأنظمة كاملة نتيجة للموت أو للعجز الكامل، وتنتهي كل الحكومات التي وصل ممثلوها إلى السلطة من خلال انتخابات برلمانية حرة نتيجة لترهلها في السلطة. نذكر على سبيل المثال الأعمار التي توفي فيها كبار ممثلي الأنظمة غير الديموقراطية: أعضاء المكتب التنفيذي للجنة المركزية بالحزب الشيوعي في اتحاد الجمهوريات السوفيتية، أعضاء الحزب الألماني الموحد (في جمهورية ألمانيا الديموقراطية)، وباباوات الفاتيكان.

أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي: بريجينيف (76)، تشيرنينكو (74)، سوسلوف (80)، أندروبوف (70)، كوسيجين (76)، جروميكو (80)، سولومنتسييف (75)، تشربيتسكي (80)، بودجورني (80) متوسط الأعمار 77,6 عامًا.

ألمانيا الديموقراطية: أولبريخت (79)، هونكر (82)، ميلكا (93)، هاجر (86)، أكسن (76)، هوفمان (75)، نيومان (92)، ستوب (85)، متوسط الأعمار 87,83 عامًا.

الفاتيكان: بيوس العاشر (79)، بنديكت الخامس عشر (68)، بيوس الحادي عشر (82)، بيوس الثاني عشر (82)، يان الثالث والعشرون (82)، بولس السادس (81)، يان بولس الثاني (82)، بنديكت السادس عشر (80) - في منصب الأسقف - متوسط الأعمار 80,40.

يتضح من مؤشر متوسط الأعمار أن الله يفضل كبار رجال الحزب الشيوعي على الفاتيكان. لكن المثير للدهشة هو أنه يفضل الشيوعيين الألمان على السوفيت. وسوازيلاند هي خير دليل على التأثير الكبير للكاثوليكية والشيوعية، فلا يوجد لديهم هذا ولا ذاك؛

لذلك فمتوسط أعمار المواطنين 32 عامًا، وليست الأمم المتحدة في حاجة إلى إرسال المساعدات الغذائية إلى سوازيلاند، بل تحتاج إلى إرسال البعثات التبشيرية الكاثوليكية، ودعاة الشيعية من جمهورية ألمانيا الديمقراطية السابقة. وبما أن الاتحاد السوفيتي قد اختفى، واختفت معه جمهورية ألمانيا الديمقراطية، فليس أمامها إلا حكماء المبشرين. يُقال إن المبشرين الحكماء انطلقوا إلى هناك على أمل أن يبعثوا الدافع الديني في السكان. إن التشابه في متوسط الأعمار بين كبار قادة الأحزاب الشيوعية وقادة الكنيسة الكاثوليكية يثير التساؤل، ولا أحد يعرف إن كانوا قد دخلوا الجنة بعد انتهاء مهامهم أم لا.

الفصل الثاني الأحزاب السياسية

حزب العاهرات الشعبي

"مَا هُوَ حَزْبُكَ فِي الْوَقْتِ الْحَالِي؟"

مؤلف مجهول

الحال في الحزب السياسي يشبه ميلاد عناقيد الخلايا الأسبوعية التي تتوالد، ولا يعرف أحد ما سيحدث لها. إنها حشود من البشر تتألف في موقف محدد، ومكان وزمان معينين. كل ما يعرفونه في البداية هو أنهم راغبون في الوصول إلى السلطة، ولكي يبلغوها عليهم أن يؤسسوا حزبًا. على الحزب أن يمتلك برنامجًا، فيبحث أعضاؤه عن البرنامج الذي سيكون له نصيب أكبر في النجاح، ثم يقررون من بعده إن كانوا حزبًا يمينيًا أم يساريًا، أم حزبًا ليبراليًا. لا يكثرث غالبية السياسيين بنوع الحزب الذي سينضمون إليه، فلو كانوا أعضاءً في حزب أو حزبين، يمكنهم بكل بساطة أن ينخرطوا في حزب ثالث أو رابع. الدليل على أن مبادئ وبرامج الأحزاب السياسية عديمة الجدوى هو أن كل حزب سياسي يعلن قبل الانتخابات أنه مستعد بعد الانتخابات للدخول في ائتلافات مع أي حزب بغض النظر عن برنامجه، ويعلن مقدمًا أنه مستعد للتنازل عن مبادئه مقابل المشاركة في السلطة.

يقول أندرو وار، الخبير السياسي، في كتابه Political parties and Party systems (الأحزاب السياسية والأنظمة الحزبية، جامعة أكسفورد، مطابع الجامعة، 1996): "إن الحزب السياسي عبارة عن مجموعة من الأشخاص المتألفة من أجل تحقيق مصالحها، ومحاربة مصالح الأحزاب الأخرى". يعرف "رونالد هوف" العصابة في كتابه Gangs in America (العصابات في أمريكا، "نيوسبري بارك"، 1990) كالتالي: "العصابة هي مجموعة من الأفراد المتألفة لتحقيق مصالحها حتى بممارسة أنشطة مضادة للمجتمع". وحسب تعريف هذين الخبيرين السياسيين فإن الفرق بين الحزب السياسي والعصابة هو فقط في الجهة المستهدفة التي يحاربها الحزب السياسي أو العصابة لتحقيق مصالحه. الحزب السياسي يسعى إلى تكريس مصالحه مقابل مصالح الأحزاب الأخرى، والعصابات تتصارع مع مصالح العصابات الأخرى. يحدد هوف الطبقة الاجتماعية التي ينحدر منها أعضاء العصابات: الأمر يتعلق بجماعة متألفة قادمة من طبقات ذات دخول متدنية، لكن

الدخول المتدنية لا تكون إلا في بداية أنشطة العصابات. ويقول وار: إن أعضاء الأحزاب السياسية عبارة عن ليف ينحدر من طبقات اجتماعية متوسطة، ولا يكونون أعضاء طبقات متوسطة إلا في بداية أنشطتهم السياسية. هدف كلا المجموعتين هو الانتقال من المجموعة الأضعف، أي المجموعة الوسطى، إلى مجموعة أعلى، أو الأعلى من حيث الدخل. طريقة العصابات لبلوغ هذا الهدف تكون أسرع، لكنها أكيدة نوعاً ما. أما طريقة السياسيين فتكون أكثر بطئاً، لكنها أكثر أماناً؛ لذلك غالباً ما يصبح أعضاء الأحزاب السياسية أفراداً لا يجدون طريقاً سريعاً للوصول إلى مستوى المجموعة الأولى.

إن الأحزاب تنشأ بنفس طريقة العصابات، على أساس الآراء المتعددة لحل قضايا مثل البطالة، والصحة، والتعليم، والمعاشات، وغيره. الفرق الوحيد هو أن العصابات توكل مسؤولية حل مثل هذه القضايا إلى أفرادها، أما الأحزاب فتشرك فيها كل المجتمع. ظهر في الولايات المتحدة على سبيل المثال حزبان من أكبر الأحزاب بناء على آرائهم المختلفة في حل قضية العبودية. الجدير بالملاحظة هو أن الديمقراطيين الأمريكيين وقتها كانوا ضد إلغاء العبودية، بل وأرادوا أن يعمموها في باقي ولايات الاتحاد الأمريكي، أما الجمهوريون فيتفاخرون بأنهم أرادوا أن يلغوا العبودية.

يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية فضلاً عن الجمهوريين والديموقراطيين، العديد من الأحزاب السياسية الأخرى التي تختلف عن بعضها بتعدد آرائها في قضية العبودية، ومنها حزب الخضر، وحزب الحرية، وحزب التحريم، وحزب دنج النحل، وحزبان شيوعيان آخران - وهما الحزب الشيوعي، والحزب الشيوعي الأمريكي - وكما يليق ببلد ديموقراطي، يوجد أيضاً الحزب الألماني العمالي الاشتراكي القومي. لا يعترض أحد على تلك الأحزاب، لكنهم لا يصوتون لها، طالما أرادوا ذلك.

كذلك الحال في الدول الأوروبية، فقد انتخب المواطنون الأحزاب الشيوعية، ولم يحتجوا عليها، صحيح أن البعض أحجم عن التصويت، لكنهم ندموا بعدها. كان مواطنو الاتحاد السوفيتي من أوائل من أيد الأحزاب الشيوعية، وكان الاتحاد السوفيتي أول دولة في العالم ينتخب فيها المواطنون الحزب الشيوعي طواعية. الدول الأخرى التي فعلت نفس الشيء كانت منغوليا، لكن لم يُدَلِّ بصوته هناك إلا من وصلته أنباء عن انتخاب الحزب الشيوعي. الدولة الثالثة التي طبقت الانتخاب الديموقراطي للنظام الشيوعي هي "تانو توفان". لم يكن أمام مواطني دولة "تانو توفان" الكثير من الاختيارات؛ لأن جمهوريتهم تقع بين الاتحاد

السوفيتي ومنغوليا. تولى الشيوعيون الحكم في "تانو توبا" بكل بساطة، فلم يعارضهم سوى أكثر الديانات هناك انتشاراً، وهي الشامانية. نَحَى رئيس الحزب الشيوعي زعيم الطائفة الشامانية عن منصبه، وارتدى زيه، ونصّب نفسه خليفة له. اكتشف الناس بعد عدة سنوات أن من يحكمهم ليست الطائفة الشامانية، لكن الشيوعيون.

يلعب اسم الحزب دوراً كبيراً في تصويت المواطن له؛ لذلك من المناسب أن يكون اسم الحزب واضحاً، ومباشراً، لكن الواقع ليس كذلك دائماً. ما معنى الحزب الوطني السلوفاكي؟ الوطن السلوفاكي؟ إن الوطن يتكون من أشرار وأخيار، من محبين له ومن كارهين له، من قديسين ومجرمين، من مرضى ومن أصحاء، من كبار ومن صغار... ما هو الوطن؟ من هو المواطن السلوفاكي؟ هل هو كل من لديه أجداد بولنديون، ويهود، وغجر، وتشيك؟ لا تكاد تعرف ما يعنون على وجه التحديد من اسم الحزب الوطني السلوفاكي (ولا من اسم أي حزب آخر تقريباً). ربما يعنون به كل شيء.

إن الائتلاف عبارة عن اتحاد مؤقت للأحزاب السياسية من أجل تحقيق سياسة مشتركة، لكن ما هي هذه السياسة؟ هل عرف أحد سياسة حزب الائتلاف المجري بعد مرور أعوام على تأسيسه؟ هل عرف أحد شيئاً عن رؤيته في الاقتصاد والتعليم والثقافة والنقل والدفاع والسياسة الخارجية والاجتماعية وغيرها؟ يشبه الاتحاد هذا النوع من الائتلاف أو التجمع. حزب الاتحاد السلوفاكي الديمقراطي، والمسيحي على سبيل المكافأة. ما هو الحزب الذي ليس مسيحياً في سلوفاكيا المسيحية؟

من أكثر التجمعات غموضاً هي الحركات. كانت الحركات في النظام القديم بمثابة قوة رسمية مُحفزة لنمو المجتمع الاشتراكي. ما زلت أتذكر حركة متطوعي العمل الاشتراكي، وحركات التجديد، والفلاحين وعمال المناجم، حتى البائعون كان لديهم حركة تُسمى "الزبون دائماً على حق". صارت الحركات اليوم قوة رسمية مُحفزة لنمو المجتمع الرأسمالي. أعرف شخصياً الحركة النسوية، حركة "الهيبيز"، أو حركة المثليين والمثليات. غير أن الحركات في كل المجتمعات ليست سوى تراحم يتدافع فيه الجميع بلا طائل، ثم بعدها يبدأ كل شيء في الحركة فجأة. الحركة تشبه شيئاً ضخماً، وهائلاً. من هذا المنطلق نندهش عندما نجد أن المسيحيين الديمقراطيين يطلقون على أنفسهم اسم حركة. الحركة المسيحية الديمقراطية، ويُفضّل أن تسمى حسب معناها باسم بديل، وهو غرفة الهليليين الرجال. من المؤكد أن هذا الاسم سيعجب السلوفاك أكثر، وسيعبر بطريقة أفضل عما يقصدونه بعبارة

الحركة المسيحية الديمقراطية.

في حالة حزب (اتحاد المواطن الجديد) نجد أن الاسم يتفق تمامًا مع المعنى⁽³⁾. لم يبقَ أثر للحزب بعد اختفائه واختفاء نادي نوابه إلا آخر مواطن جديد، لم أكن أنا ذلك المواطن. أيضًا يتناسب اسم حزب "الاتجاه" مع مضمونه إلى حد بعيد. هذا الحزب فقد اتجاهه لفترة طويلة، وذات يوم نظر رئيسه من النافذة، وتابع الاتجاه الذي يسير فيه المواطنون، فتقدمهم بكاء ذكاء، ومن وقتها وجد حزب "الاتجاه" اتجاهًا يسير فيه.

أعتقد أن المواطنين سيسعدهم أن يجدوا الصراحة والصدق في أسماء الأحزاب السياسية أيضًا. سيعجبهم أسماء مثل: حزب الأنانيين الكابر، ومنتدى "تبًا لكم"، وحركة "لا نهتم بكم"، وحزب العشرين بالمئة، سنعرف من اسم حزب كهذا نسبة العمولات التي سيحصلون عليها من المناقصات الحكومية. إنه لأمر جيد بالنسبة للناخبين الذي لا يملكون الكثير من الوقت، وفي حاجة إلى أن يحددوا اختياراتهم بسرعة.

يرغب كل من الأطباء، والمدرسين، والمحامين، والمهندسين، وحتى المومسات في العمل بالسياسة. لم تتجرأ المومسات في سلوفاكيا بعد على أن ينخرطن في العمل السياسي، بينما باقي العالم قد سبقنا في هذا. ففي عام 2000 قررت مجموعة من مواطنات ناشطات في مدينة مونتريال الكندية أن تحقق طموحات أعضائها، فأسست حزبًا باسم Parti populaire des Putes (PPP) - حزب المومسات الشعبي. انضم إلى الحزب خلال الأيام الأولى من تأسيسه أربع مائة عاهرة في مدينة "كوبيك". كان الحزب قائمًا على مبدأ قبول عضوية المومسات اليساريات واليمينيات. هؤلاء كان لهن في لائحة الحزب تسمية خاصة بهن وهي "cadres de sex" كادر جنسي. توقعت رئيسة الكوادر الجنسية ماريا كلاودي شارليبيوس أن يحصل الحزب يومًا على مقاعد في البرلمان الكندي. لو حدث هذا لأصبحت العاهرات لأول مرة في التاريخ نائبات في البرلمان بصورة رسمية. كانت السيدة رئيسة الحزب تبني توقعاتها المتفائلة على عدد زبائن عضوات حزبها اللاتي سيؤمّن بضعة آلاف الأصوات.

ثمّن خبراء العلوم السياسية إنشاء حزب المومسات الشعبي كحزب فريد من نوعه في العالم، يعلن صراحة عن الدعارة السياسية. توجد المومسات السياسيات في الأحزاب الأخرى أيضًا، لكن الخبراء يطلقون عليهن اسم النساء البرجماتيات أو البرجماتيون.

(3) اختصار اسم الحزب هو ANO وتعني بالسلوفاكية: نعم (المترجم).

نشأة الحزب السياسي الكبير

"الحزب السياسي هو ما كَيْنَتْ، تَدْخُلُ إِلَيْهَا كَخَنْزِيرٍ، وَتَخْرُجُ مِنْهَا عَلَى شَكْلِ نَقَانِقٍ"

أمبروسا بيرسي

حزب واحد لا يكفي، ووجود حزبين أمر مبالغ فيه. هذا ما أكدته مُنْظَرُو الماركسية مرات ومرات. إن وجود ثلاثة أحزاب في الحياة السياسية رفاهية لا طائل منها. أما ما وصل إليه الحال عندنا، وهو وجود 121 حزباً سياسياً، فهو أمر يدعو إلى الجنون. ففي الصين يوجد حزب واحد، ورغم أنها أكبر دولة في العالم فحزب واحد يكفيها. على الأقل هذا ما يبدو لنا على السطح. أما آراء خبراء العلوم السياسية بأن التعددية الحزبية هي أساس الديمقراطية البرلمانية فهو أمر لا ينطبق بشكل مطلق. ففي جزيرة (ناورو) توجد ديموقراطية برلمانية تختار كل أربعة أعوام ثمانية عشر نائباً في البرلمان، وكلهم مستقلون لأنهم ليس لديهم أحزاب سياسية. الخدمة الصحية في الجزيرة مجانية، وعلى مستوى رفيع، وصلت إلى مستوى عالٍ إلى درجة أن جميع سكان الجزيرة تقريباً مصابون بالسُّمْنَة. لديهم أكبر مخزون من الفوسفات في العالم، ودرجة الحرارة عندهم في شهر يناير تصل إلى 27,2 درجة مئوية. ورغم ذلك لا توجد لديهم أحزاب سياسية.

ينشأ الحزب السياسي من رغبة الذكور الأبدية في الائتلاف. إن الذكور بصفتهم عائلين للأسرة، سواء كانت أسرة من الذئاب أو من إنسان النياندرتال، كانوا ينطلقون للصيد من أجل تأمين الطعام، وعندما كانوا يذهبون في جماعات، كانوا يشعرون بمزيد من القوة. يمكن القول إن الائتلاف هو تجمع أفراد يتصفون بالجبن بشكل أساسي، أو على الأقل هؤلاء الأفراد الذين لا ينجحون في شيء بمفردهم. كذلك الحال بالنسبة للمؤتلفين في حزب ما، يساعد بعضهم البعض، يتبادلون المعلومات حول أعدائهم، وأين سيجدون فريستهم، وأفضل وسيلة للقضاء عليها. إن الحزب السياسي يلبي في نفس رجال اليوم حاجتهم الأبدية إلى العيش في حياة القطيع، شأنهم في ذلك شأن أتباع الذكور البدائية.

انطلاقاً من هذا التعريف، نجد أنه من الصعب تفسير وجود المرأة في السياسة. لقد

توصّلتُ بناءً على دراسات في العلوم السياسية، وملاحظتي الخاصة، إلى نتيجة مفادها أن سبب وجود المرأة في السياسة هو الرجل، أو بتعبير أدق بسبب رجالهن الفاشلين. الرجال الذين لا يعبرون عن آرائهم إلا من وراء حجاب لديهم في العادة زوجات متحدرات وطموحات، يفضلن عادة أزواجاً أحراراً وطموحين، وعندما يفتقدن مثل هؤلاء الأزواج، لا يبقى أمامهن إلا أن يتولوا أدوار الرجال. وتتول الواجبات النسائية إلى الأزواج شيئاً فشيئاً، مثل حلاقة شعر العانة، أو ري النباتات، وتبدأ النساء في محاكاة دور السياسيين من الرجال. لم يكن نجاح النساء في عالم السياسة أمراً هيناً.

ظهر أول الأحزاب السياسية في القرن التاسع عشر نتيجة لنزاع بين طبقات المجتمع المهمشة والمُميّزة. اختفى هذا السبب تماماً في المجتمع الشيوعي، حيث مُنحت الامتيازات لكل طبقات المجتمع العاملة، وأصبح وجود الأحزاب غير ضروري، حيث لم يكن هناك سوى طبقة واحدة في المجتمع، فاكتفت بحزب واحد بالطبع. أما في النظم الديمقراطية فتربط كل طبقة اجتماعية في تأسيس حزب سياسي، لكن الأشخاص الذين ترفضهم كل طبقات المجتمع يؤسسون أحزاباً ليبرالية. يؤكد الليبراليون المتفائلون أنهم مرغوبون من الجميع، ويؤكدون أن هدفهم هو الحرية؛ ربما لهذا السبب يعود ضعف إقبال الناس عليهم.

من الصعب التفرقة بين الأحزاب الكبيرة والأحزاب الصغيرة في الممارسة السياسية؛ لأن المهارة أهم من حجم الحزب. فقد أثبتت أحزاب مثل الحزب الوطني المحافظ، وحزب الخضر، أو حتى الحزب الديمقراطي، أن الأحزاب المهمشة يمكن أن تحقق مكانة كبيرة في الحياة السياسية السلوفاكية طالما استطاعت أن تحصل على مقاعد في البرلمان، أو على الأقل أن يمثلها فيه قادتها البارزون، وعدد هؤلاء في الأحزاب المهمشة كبير للغاية.

نشأة الحزب الصغير

"يُضْمَنُ الدُّسْتُورُ الحَقَّ فِي الغَبَاءِ"

مارك توين

حصلت ستة أحزاب سياسية في الجولة الرابعة من انتخابات مجلس الشعب السلوفاكي على مقاعد في البرلمان. وهذا يعني أن الأحزاب الأخرى التي لم تصل إلى البرلمان، وعددها 115 حزبًا سياسيًا سلوفاكيا، هي أحزاب غير هامة. فحسب بيان وزارة الداخلية السلوفاكية يوجد حتى يوم 2004/12/31 مئة وواحد وعشرون حزبًا سياسيًا مسجلًا. عدد أحزاب الغجر فقط 28 حزبًا (أعلى نسبة تصويت حصل عليها حزب الحركة الديمقراطية الوطنية الغجرية، وهي (0,69% من الأصوات). عدد الأحزاب الهامشية في سلوفاكيا تزيد بعشرين مرة تقريبًا عن عدد الأحزاب الكبيرة. لذلك يجب الاهتمام بها.

إن مصطلح حزب يعود أصله للكلمة اللاتينية pars. ومعناها: قسّم؛ لذلك فالأحزاب السياسية تنشأ نتيجة الانقسام، بغض النظر عن كونها كبيرة أو صغيرة. فمرض السرطان قائم على انشطار الخلايا، وينتشر المرض عندما تنقسم الخلية الجديدة عن القديمة وتضع لنفسها عالمًا من الخلايا. إن الخلايا لا تتعلم من أخطاءها، فهي تواصل الانشطار ولا تتوقف، رغم أن كل الأحزاب التي تنشأ في العالم بهذه الطريقة تتحول إلى أحزاب صغيرة لا أهمية لها. باستثناء سلوفاكيا، فالأحزاب الكبيرة تظهر عندنا نتيجة الانشطار.

فقد ظهر حزب (حركة سلوفاكيا الديمقراطية) من حركة (شعب ضد العنف) في عام 1991. ونشأ في عام 1993 (حزب اتحاد الديمقراطيين السلوفاك) من حزب (حركة سلوفاكيا الديمقراطية)، وفي عام 1994 انقسم عنه أيضًا حزب (اتحاد الواقعية السياسية السلوفاكي) الذي اتحد في وقت لاحق حزب مع (الحزب الوطني الديمقراطي) الذي انقسم بدوره في عام 1993 عن (حزب سلوفاكيا الوطني)، وكون حزب (الاتحاد الديمقراطي)، واتحد هذا الأخير في عام 2000 مع حزب (ائتلاف الديمقراطيين السلوفاك)، انضم إلى هذا الائتلاف بعدها أربعة أحزاب أخرى، وشكلوا حزب (اتحاد سلوفاكيا الديمقراطي

المسيحي).

انقسم في عام 2002 عن حزب (حركة سلوفاكيا الديمقراطية) حزب (حركة من أجل الديمقراطية)، وحزب (الاتحاد الشعبي) في عام 2003. وفي عام 2001 انفصل عن (الحزب الوطني السلوفاكي) كل من (الحزب الوطني الديمقراطي)، و(الحزب الوطني السلوفاكي الأصلي)، وبعد خسارته الانتخابات عام 2002 عاد من جديد وانضم إلى الحزب الوطني السلوفاكي، رغم أن ذلك لم يساعده على النجاح.

انفصل في عام 2000 عن حزب (الحركة الديمقراطية المسيحية) حزب (الائتلاف الديمقراطي السلوفاكي)، ومن بعده بعام ظهر (اتحاد سلوفاكيا الديمقراطي المسيحي). انفصل عن (الحركة الديمقراطية المسيحية) حزب (حركة سلوفاكيا المسيحية الديمقراطية) عام 1991 وتغير اسمه إلى (الاتحاد الاجتماعي المسيحي). بعد أن خسر الانتخابات البرلمانية في جولتيها (1992، و1994) توقف عن المحاولة، واتحد مع (الحزب الوطني السلوفاكي).

انشق العمال عن (حزب اليسار الديمقراطي) في عام 1994، وأسسوا (اتحاد العمال السلوفاكي)، وأسس رئيس الاتحاد، "روبرت فيتسو"، حزبًا خاصًا به، وسماه حزب (سمار). وحتى طباعة هذا الكتاب لم ينشق أي حزب جديد عن حزب سمار. بل على العكس، في عام 2005 اتهم حزب سمار حزبه الأصلي (حزب اتحاد العمال السلوفاكي) وابتلعه في جوفه. أتوقع أنه بنهاية انتخابات 2010 سينشق عن حزب سمار ثلاثة أحزاب على الأقل. ففي هذه اللحظة تكاد تنشق عن حزب سمار "مونيكا بينوفا فلاشيكوفا"، نائبة رئيس الحزب. نسيت أن أذكر أن حزب (البديل الديمقراطي الاجتماعي) خرج من رحم (حزب اليسار الديمقراطي) في عام 2002.

ظهر فقط حزبان عن طريق الاندماج وليس الانفصال: أحدهما هو (حزب الائتلاف المجري)، والآخر هو (حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي السلوفاكي). وقد جاء حزب الائتلاف المجري (الذي لا يصرح أعضاؤه صراحة إن كان حزبًا أم ائتلافًا) من رحم حزب (الحركة الديمقراطية المسيحية المجرية). إنه ليس إلا حزب الحركة المسيحية الديمقراطية لكن بنكهة مجرية، حيث إن المجرين المسيحيين قد شرعوا بالمطالبة بمكان لهم في جنة المجر. حزب الحركة هذا كان قد انفصل عن حزب (التعايش). ضم حزب (الاتحاد المسيحي الديمقراطي السلوفاكي) كلًا من الحزب الديمقراطي، وحزب

الاتحاد الديمقراطي، وحزب الخضر، والحزب الديمقراطي الاجتماعي السلوفاكي، وحزب الحركة المسيحية الديمقراطية الذي خرج من الائتلاف في وقت لاحق. كذلك خرج من حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي السلوفاكي في عام 2005 حزب (المتدى الحر).

يقوم كثير من المؤسسين الجدد بالانفصال عن أحزاب، وتأسيس أحزاب أخرى، على أمل أن يحالفهم الحظ ويصبح أحد أعضائهم نائبًا في البرلمان. يؤسسها انفصاليون عن أحزاب كبيرة، وأشخاص بائسون من أحزاب صغيرة أيضًا. هؤلاء البائسون الياثسون لا يعرفون أنهم كذلك عند تأسيسهم للحزب، فهؤلاء غالبًا ما يكونون على قناعة أنهم يؤسسون حزبًا سيقدر مصير البلاد لعدة قرون قادمة.

ليست مصائر كل من ينفصل عن حزب تعييسة في كل الأحوال. فاليابان تعد مثالًا للديموقراطية البرلمانية، حيث تشكلت عندهم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية 47 حكومة ائتلافية من مجموعة أحزاب سياسية انشقت عن بعضها وتكاثرت بصورة صارخة، وحققت بعض تلك الأحزاب المنشقة نجاحًا باهرًا. ويُعدّ الليبراليون من أكثر المنشقين الذين يشكلون أحزابًا سياسية وأنجحهم بلا منافس. ظهر حزب (نيبون شينتو) الليبرالي الجديد عندما انفصل في عام 1992 الليبراليون الغاضبون عن الحزب الديمقراطي الليبرالي، وبعدها بعام أصبح هوشوكاوا، زعيمهم رئيسًا للحكومة. لكن هوشوكاوا لم يبقَ في منصبه لأكثر من ثمانية أشهر، وتولى الحكومة من بعده أعضاء من حزبه الذين انفصلوا عنه.

الأمر المزعج للأحزاب الصغيرة هو أن أحدًا لا يجاهرهم بحقيقة أنها أحزاب عديمة الجدوى. لذلك يتصرف بعضها على أنها أحزاب كبيرة. أوردت جريدة (SME) اليومية في سبتمبر عام 2006 أنباء المؤتمر العام لحزب المحافظين الوطني (وكان اختصار الاسم إبان الشيوعية يعني المركز الثقافي المحلي). قرر حزب المحافظين أثناء المؤتمر بأنه سيشكل معارضة قوية وعنيدة ضد الائتلاف الحكومي. وكان الائتلاف الحكومي حينئذ قد حصل على 49,66 في المئة من الأصوات (منها 29,14 لصالح حزب سمار، و11,73 في المئة للحزب الوطني الديمقراطي، و8,79 في المئة من نصيب حزب الحركة الديمقراطية السلوفاكية) بينما حصل حزب المحافظين الوطني على (0,26 في المئة). تؤكد هذه الحقيقة على اعتقادي سيئ النية من أن أحد لم يخبر أعضاء حزب المحافظين الوطني بضآلة مكانتهم بين الأحزاب.

الإمكانية الثانية لنشأة الأحزاب السياسية الصغيرة هي الاندماج. فالأحزاب التي تحصل

دائمًا على نسبة 0,5 في المئة في استطلاعات الرأي تقوم بالاندماج مع بعضها. مثل هذه الائتلافات الحزبية تظل تحصل على نسبة الـ 0,5 في المئة حتى بعد اندماجها مع بعضها. لكنها على الأقل تشعر بالدفء والسعادة. من مميزات الأحزاب الصغيرة هي قلة عدد أعضائها، وهذا يؤمن لها قدر كبير من المرونة. فيمكن تنظيم المؤتمر العام للحزب في أتوبيس رحلات، ويمكن أن يلتئم اجتماع الهيئة العليا في أحد المصاعد، أو في كابينة الهاتف. لذلك فالأحزاب الصغيرة بسيطة في نفقاتها.

الشيء الوحيد الذي يلفت أنظار الناخبين إلى الأحزاب الصغيرة هي أسماءها. فالأصوات التي حصلت عليها تلك الأحزاب في الانتخابات تشير إلى هذه الأحزاب: حزب المهمة 21، وحزب بدائل الواقعية السياسية، وحزب التفاهم الشعبي، وحزب اتحاد المواطنين الجديد، والحزب الشيوعي 91، وحزب الأمل، وحزب الشروق. أما باقي الأحزاب لم يكن لها اسم يلفت انتباه الناخبين بدرجة كافية. ربما سيساعدها في ذلك لو أن زعمائها تواصلوا مع زملائهم اليابانيين. فقد وصلت أحزاب إلى البرلمان الياباني بفضل اسمها. منها أحزاب، "أيكوكو كوتو"، و"چيوتو"، و"ريكين كيشينتو"، و"منسايو"، و"چيومشيو"، و"مينشو شاكايتو"، و"كومايو". كما أصبح أعضاء من أحزاب مثل "شينسايو"، وحزب "شاكاي"، و"تاي شوتو" مبعوثين حكوميين. وهذا أمر جدير بالانتباه. لكن هناك أحزاب لم يحالفها الحظ في الدخول إلى البرلمان، وهي أحزاب: "شينتو ساكيجاكاي"، و"كايشين"، و"كاكايكو"، وحزب "نوڪاي"، وأيضًا حزب "كاكوشينتو". للأسف، أحيانًا لا يكون الاسم موقفًا. لو أردت أن تتعد عن المخاطرة فمن الأفضل لك أن تؤسس حزبًا صغيرًا. فالناس سينسونك بسرعة، ويعودون إلى احترامك مرة أخرى.

الحزب غير الشرعي

"لَوْ أَنَّ الْحِزْبَ الشُّيُوعِيَّ كَانَ حِزْبًا شَرْعِيًّا فِي نُوفَمْبَرِ 1989، لَمَا خَسِرَ الثُّورَةَ"

المؤلف

يؤكد التاريخ أن الأحزاب غير الشرعية هي دائماً أحزاب قوية و متماسكة، على عكس الأحزاب الشرعية. كانت سيطرة الأحزاب الشرعية تتم بكل سهولة، وكانت تدلل أعضاءها. من الطبيعي في السياسة أنه لو بقي أحدهم في السلطة طويلاً، فإنه يعتاد عليها ويعتبر بقاءه فيها أمراً مفروغاً منه، وعندما يخبره أحد يوماً أنه لم يعد في مقعد السلطة، لا يصدق. قمت في إبريل عام 1990 بتطهير سفارتنا في النمسا، بصفتي سفيراً لتشييكوسلوفاكيا، من الكوادر القديمة، ودخلت إلى مكتب رئيس (المنظمة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي) في فيينا وأنا أحمل خطاب التنحية. وجدته يضع صورة ضخمة للينين على الحائط، وعلى الطاولة زجاجة فودكا، ورحب بي قائلاً: "مرحباً أيها الرفيق، ماذا تشرب؟". لم أندعش عندما تحدث باللغة التشيكية، فقد كان هناك واحد وعشرون تشيكياً من بين اثنين وعشرين دبلوماسياً في السفارة، لكن ما أدهشني هو أنه لم يفهم ما حدث. أوضحت له الأمر، وأنه قد تم إقصاؤه من عمله، لكنه صب لي كأساً، وطمأنني بابتسامته بأن كل شيء على ما يرام، وأنه في طريقه إلى مدينة براغ، وأنه "سوف يتحدث في الأمر مع الرفقاء عند نهر فلتافا". عبارة "عند نهر فلتافا" كانت تعني مقر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي. أخبرته بأن الأمر سيكون صعباً؛ لأن مقر اللجنة المركزية لم يعد موجوداً عند نهر فلتافا، وأن أنه الآن أصبح مقراً لوزارة النقل. لم يصدقني. ولدي شعور بأنه ما زال لا يصدقني حتى اليوم.

الحزب غير الشرعي هو من الناحية القانونية حزب يحظر القانون نشاطه. ويمكنني أن أؤكد، بخصوص منع أنشطة الأحزاب السياسية، أن غالبية الأحزاب في التاريخ كانت أحزاباً ممنوعة.

من المظاهر الأكيدة على عدم شرعية الحزب هو الجهل بوجوده، ومن هذا المنطلق سنجد

عندنا ما يقرب من مئة حزب غير شرعيّ. لكنّ هناك أحزابًا تتصرف بصورة غير شرعية إلى أن تصل إلى السلطة، وعندما تصل إليها تقرر هي ما هو الشرعي وغير الشرعي.

رئيس الحزب

"لا أعرف على وجه التحديد مَنْ هُوَ أَفْضَلُ أَعْضَاءِ حَزْبِكُمْ، لَكِنِّي أَعْرِفُ يَقِينًا مَنْ هُوَ رَئِيسُ حَزْبِكُمْ"

المؤلف

الحزب السياسي هو عبارة عن رأي رئيسه بصورة مؤسسية، فوجهة نظر رئيس الحزب تسري دائمًا، وتحت أية ظروف، فالرئيس يختار من بين أقرب زملائه في الحزب أناسًا يتوقع منهم أنهم لن ينسوا هذه الحقيقة يومًا وتحت أي ظروف. إنَّ تبنِّي رأي رئيس الحزب يقلل من مخاطر أن يكون لدي الإنسان رأي خاص به.

على رئيس الحزب أن يتصرف بصورة برجماتية صرفة، ويتحدث بطريقة مثالية بحتة. من أكبر عيوب رئاسة الحزب هي الوحدة، رغم إعلانه لكل من حوله بأنه من أعز أصدقائه. رئيس الحزب له في ذلك النهج مآرب خاصة به. لكن هناك فوائد أيضًا في أن تكون رئيس الحزب، فالرئيس على سبيل المثال يكون مسئولًا عن جميع نجاحات الحزب أو الحكومة التي يرأسها، أمَّا الإخفاقات فتتول مسئوليتها إلى نوابه ووزرائه، أو بيئة العمل المحيطة. للرئيس حق الكلمة الأخيرة. ليس بمعنى أن "هذه هي الكلمة الفاصلة من الرئيس"، لكن بمعنى "هذه هي الكلمة الفصل بعد انتهاء المداوات الديمقراطية". هذا الأمر يسري في رئاسة الحزب، والجمعية، والمجلس المركزي، أو مجلس الجمهورية.

الفرق بين رئيس في نظام شمولي وآخر في نظام ديمقراطي، هو أن الرئيس في الحزب الحاكم الوحيد يفتح الجلسة، ويقودها، ويقول فيها الكلمة الفاصلة، ويلخص المناقشات، ويقترح القرارات. أما في الحزب الديمقراطي فالرئيس يفتح الجلسة، ويقودها، ويقول فيها الكلمة الفصل، ويلخص المناقشات، ويقترح القرارات. يتم إقرار القرارات بنسبة تسعة وتسعين في المئة، وأحيانًا مئة في المئة من عدد الأصوات الحاضرة. ويأتمر كل أعضاء الحزب بعد ذلك بالقرار الذي اتُّخِذَ بطريقة ديمقراطية. ولو كان الحزب هو القوة المحركة للائتلاف الحكومي فإن القرار ينفذ على كل أفراد المجتمع، على أساس أن الحكومة سوق

تُقرُّ هذه القرارات، والتي يرأسها عادةً نفسُ الرئيس، الذي يرأس الحزب، الذي أقر القرار الحكيم. غالبًا ما يتم إقرار قرارات الحكومة بنسبة تسعة وتسعين إلى مئة في المئة من مجموع الأصوات.

المثير في الأمر أن رئيس الحزب يترفع عن كرسي الرئاسة، ويعلن عن رغبته في تركه، وأنه لا يفكر إلا في العثور على رئيس شاب نشط ليتولى الرئاسة. لكن المشكلة هي ألا يجد مثل هذا النائب. لذلك فهو يهز كتفه في كل جمعية عمومية بخفة ويقول: "ليس في يدي سوى أن أضحى بنفسي من أجل الحزب، وأواصل القيادة لبعض الوقت"، ثم يرشح نفسه للانتخابات مرة أخرى، ويصبح راضيًا؛ لأنه يعرف جيدًا أنه لا يبحث عن أي نائب له. بالطبع يتفق الحزب مع أحد المتطوعين - طالما أراد الحزب أن يستعرض توجهاته الديمقراطية- على أنه سوف يرشح نفسه ضد الرئيس. ولا يبدو الشخص المُتبرع بمظهر الغبي. يؤكد له الرئيس بأنه سوف يحصل على أربعمئة صوت، وهو ما يحقق مستوى مرتفعًا من ثقة أعضاء المؤتمر في شخصه، لكنه لن يكون نداءً للرئيس. ثم تكتب الصحف أن الحزب يتبنى النهج الديمقراطي بالفعل، ثم يخرج المرشح المنهزم بعد حوالي ساعة أثبت خلالها أنه ينافس الرئيس.

الرئيس الحق - وكلهم جميعًا كذلك، وإلا لما أصبحوا رؤساء- يعرف عن كل كبيرة وصغيرة في الحزب. لديه "حرس جمهوري" في كل مكان، مجموعة من المقربين الذين يخبرونه باستمرار بكل هفوة تصدر وتتعارض مع رغباته. ليس علينا أن نتهم الرئيس بالرجسية، فكل منا يتمتع بقدر منها، لكننا لا نمتلك القدرة على تطوير هذه الطبيعة البشرية إلى ذلك القدر الكبير الذي يبلغه الرئيس. تتعرض نرجسية الرؤساء للانتقاد في غيابهم، وغياب هؤلاء المعروف عنهم بأنهم سيهرولون نحو الرئيس ليُبلِّغوه بأية تلميحات ناقدة. وبما أن هؤلاء هم الأغلبية فلن تجد عمليًا من ينتقده، وهو ما يسهم في زيادة شعوره بالنرجسية، ويبدأ في الاعتقاد بأنه شخص رائع، وأن العناية الإلهية قد حَبَّتْه قدرات خارقة وأرسلته لحماية الوطن، فقد حمى رئيس (حزب العمال الألماني الوطني الاجتماعي) ألمانيا والعالم. بالمثل، فقد حمى رئيس الحزب الشيوعي السوفيتي ليس فقط الاتحاد السوفيتي، بل والعالم أجمع. وبالمثل يحمي العالم اليوم تارة رئيس الديمقراطيين، وتارة رئيس الجمهوريين في الولايات المتحدة الأمريكية.

إن غرور الرؤساء له أعراض المرض العُضال. أحد الأعراض الرئيسية لهذا المرض هو

أنه يظهر تدريجيًا. ففي البداية يكون الرئيس متواضعًا، ويتقبل النقد الموجه لشخصه، بل ويُحرض عليه. بعض الأغبياء الميئوس منهم يستجيبون لمثل هذه الدعوات ويتجرءون على معارضة الرئيس أو التعديل عليه، لكنهم سرعان ما يتوقفون عن ذلك. يتوقفون لأنه يتم استبدالهم بأخرين لم يستجيبوا - عن ذكاء- لدعوة الرئيس بتوجيه انتقادات بناءً لسياسته.

يمكن معرفة الدرجة التي تصل فيها نرجسية الرئيس إلى ذروتها من خلال مجموعة من الشواهد. الشاهد الأبرز هو خطابات الرئيس نفسها. الرئيس غالبًا ما يكون متحدثًا مُفوهًا، ومثله مثل أي متحدث بليغ يُحب الإنصات إلى الآخرين، خاصة عندما يصفقون له، أو يصفقون وهم يهتفون له. وهذا يحدث كثيرًا أثناء إلقاء الرئيس خطابه، حيث لا يجلس في المقصورات سوى أتباعه غالبًا (فالرئيس ليس تابعًا لأحد)، وهذا التصفيق يتخلل خطابه بلا توقف. يحدث أثناء تلك الخطب أن يهتم الضيوف الأجانب (أصحاب الحظ العاثر) بعد أول ساعة من الخطاب بالانصراف إلى البوفيه وتناول كأس من البيرة، ثم يعودون بعد ساعتين دون أن يلاحظ ذلك الرئيس البليغ. لا يمكنه أن يلاحظ بالطبع؛ لأن طاولة المتحدثين غالبًا ما تكون موجهة نحو الصالة، فلا يعرف الرئيس ما يدور خلف ظهره. الاستثناء الوحيد هي اللحظة التي يسقط فيها أحد أعضاء الفريق الرئاسي من فوق مقعده، ربما لأنه توفي أو غشيه النوم في أفضل الأحوال. لقد رأيت بنفسي أثناء عملي في الدبلوماسية قمة الرغبة في النوم عندما استسلم أحد السياسيين النمساويين للنوم أثناء خطبة يليقها هو بنفسه، وراح رئيس بعثة الضيوف يحاول إنقاذ الموقف، فبدأ يشكر المتحدث عن كلمات الصداقة المخلصة بكل امتنان. انتبه المتحدث بعد غفوة استمرت ربما لدقيقتين (وهي فترة طويلة للغاية في مثل هذه المواقف)، ثم واصل خطبته دون أن يلاحظ أنه استسلم للنوم. وعندما انتهى راح رئيس بعثة الشرف يكرر نفس كلمات الشكر والامتنان. كل من كان بالقاعة لاحظ ما حدث إلا السياسي نفسه. رجل كهذا لن يعرف يومًا أي شيء عن أدائه الفريد من نوعه. نجد كثيرًا من الرؤساء يقعون في مواقف مشابهة، لكن لا يجرؤ أحد على أن ينبههم إلى أن الضيوف الأجانب قد انصرفوا إلى البوفيه أكثر من مرة، والبعض منهم ذهب إلى غرفة الساونا، وإحدى أعضاء الوفد ولدت طفلها وعادت إلى الصالة دون أن يلاحظها أحد.

التصفيق الحاد يجعل الرئيس يعتقد أن الناس سعداء بخطابه، فيسترسل في الحديث، ويتحدث، ويتحدث. لكن هناك في هذا العالم، لحسن الحظ، عاملات وعمال نظافة يتمتعون

بجرأة عالية. يأتون في الساعة السادسة صباحًا، ويدخلون إلى القاعة أو الميدان بلا تردد، ويشرعون في تشغيل المكنسة أو جمع الفضلات، بينما المتحدث مسترسل في خطابه. في هذه اللحظة ينظر الرئيس إلى مساعده، ويتساءل بإشارات منه إن كان عليه أن يتوقف عن الحديث، ولأن المستشار يرغب في أن يظل مستشارًا، يومئ له بابتسامة خفيفة بأن الناس سعداء بخطابه. وعندما يستمع الرئيس إلى أصوات عربات الإسعاف في وقت مبكر من الصباح وهي تحمل من لم يَقَوَ من الحاضرين على مواصلة الاستماع إلى الخطبة، عندها يدرك أنه قد حان بالفعل الوقت كي ينتهي من خطابه، فيُعالي أنصاره الأوفياء في إعجابهم بخطابه الرائع، ويعربون عن حزنهم العميق من انتهاء الخطبة.

الطريق إلى مقعد الرئاسة

"الطَّرِيقُ إِلَى الْخُلُودِ يَمُرُّ عَبْرَ التَّابُوتِ"

مؤلف مشهور

الطريق موجود طالما كانت هناك إرادة، والحُفَر لا توجد إلا فوق الطرق. الطريق إلى مقعد الرئاسة ليس سهلاً؛ لأن مقعد رئيس الحزب هو حلم كل عضو من أعضائه. كثير من السياسيين الأغبياء يعتقدون أن قدراتهم الحقيقية لن تظهر إلا عندما يصيرون رؤساء لأحزابهم، فتدفعهم محاولاتهم الجادة للوصول إلى مقعد الرئاسة إلى ارتكاب الحماقات المستمرة. حسن حظ هؤلاء السعاة يكمن في أنهم لن يعرفوا يوماً السبب الذي حال دون أن يصلوا إلى مقعد الرئاسة. لو أنك كنت عضواً في حزب سياسي منذ تأسيسه ولم تصبح رئيساً، فلا تعاود المحاولة. إن الوصول إلى منصب رئيس الحزب ممكن لكنه ليس سهلاً. الشرط الأساسي لتحقيق ذلك هو أن تُنحَى الرئيس الموجود، وهذا قد يحدث بالطرق التالية:

أن تغتال رئيس الحزب، وشرط نجاح عملية الاغتيال هو أن تضع قنبلة في أقرب مكان يجلس فيه الرئيس، وأفضل وقت لانفجارها هو عندما تعانق الرئيس كدليل على الصداقة الأبدية. هذه النصيحة لم يأخذ بها العقيد "شتاوفنبرج"، فأفشل محاولة اغتيال "أدولف هتلر"، رئيس حزب حزب العمال الاشتراكي الوطني. السبب في ذلك هو أنه بدلاً من يطير مع رئيس الحزب في الهواء، وضع الحقيبة التي أخفى بها القنبلة بجوار قدم طاولة مصنوع من خشب البلوط، فامتصت قوة الانفجار، ونجا القائد بحياته. كلف هذا العميد شتاوفنبرج حياته، على الرغم من أنه لم يكن موجوداً في الغرفة وقت الانفجار. خطط هتلر جيداً، فلم تفشل عملية الإعدام، ولم يحم العميد قدم طاولة من خشب البلوط.

يمكن أن تكون إزاحة الرئيس بمادة متفجرة طريقة غير عملية بالنسبة للمرشحين لمنصب رئيس الحزب من كبار السن، فحمل مواد متفجرة تزن عشرة كيلوجرامات تحت القميص ليس بالأمر الهين؛ لذلك من المناسب للمرشحين لمنصب رئيس الحزب أن يحملوا

شيئاً أكثر خفة. يُعدّ الخنجر من الوسائل المُجرّبة تاريخياً، ليس فقط لإزاحة الرؤساء، بل وللتخلص من الملوك والقيصرة، وحتى رؤساء الدول. إن التخلص من رئيس الحزب بواسطة خنجر تعد طريقة مأمونة تُدخلك التاريخ. ورغم أن "بروتس" كان قائداً رومانياً عظيماً، وحقق لمملكته العديد من الانتصارات الرائعة، إلا أنه ما كان ليدخل التاريخ لو لم يطعن "الرئيس"، إمبراطور روما. لكن من الضروري الانتباه كي لا تحمل خنجراً طويلاً بدرجة مبالغ فيها؛ لأنك لو كنت تعانق الرئيس في لحظة طعنه من الخلف، يمكن أن يتم طعنك أنت أيضاً. يمكنك تفادي هذا الأمر لو أنك اطلعت خلسة على حجم صدر الرئيس. من معلومة كهذه يمكنك بسهولة، بواسطة قياس النسبة بين محيط الدائرة وقطرها، أن تحسب الطول المناسب للخنجر. المشكلة يمكن أن تحدث عند مرور الخنجر الذي قد يصطدم بوجود مواد معدنية، ولو عثروا على الخنجر في حقيبتك قبل أن تذهب إلى زيارة الرئيس، فلن يكون سهلاً أن تقتنعهم بأنك نسيتته فيها وأنت تقطع النقانق. الأفضل من ذلك هو استخدام سلاح ناري، مع كاتم صوت، ومنظار. لقد نجح هذا الأمر في حالة لينكولن، وكينيدي. لماذا لا تنجح أنت أيضاً؟

لكن هناك وسائل أقل عنفاً في إزاحة رؤساء الأحزاب. وعلى وجه التحديد وسائل متعددة لتشويه سمعته، قد تصل إلى درجة أن يضطر إلى الاستقالة تحت ضغط الرأي العام. لا يكون تشويه سمعة رئيس الحزب بوضع عشيقة له، أو ضبطه وهو يتبول من شرفة مطعم عام، أو وهو يسرق زجاجة خمر في محل للخدمة الذاتية، فهذه أساليب غير فعالة. إن تأثيرها، على العكس، يكون إيجابياً، فالمواطنون يأخذون مثل هذه الأمور بقدر كبير من التسامح، فهي تؤكد لهم أن السياسي يتصرف كواحد منهم. الطريقة الأكيدة للوصول إلى مقعد الرئاسة هي جعله يتصرف بغباء، وعلى فترات طويلة، إلى درجة أنه بدلاً من أن يضع نواب مجلس الشعب تحت جناحه، يكتب حُطباً عصماء. ويجيء التصويت في مجلس النواب صادمًا للمحللين والرأي العام، وصادمًا له هو شخصياً. بيلا بوجار⁽⁴⁾ هو خير من يتحدث في هذا الأمر.

الأمر مختلف بالنسبة للرؤساء في المناصب الأقل درجة. وكلما كانت درجة المنصب أدنى، قلّ إقبال الناس عليه. نجد في الحياة الحزبية هذه القاعدة: إن كنت تشغل منصباً أدنى فلا تخرج من غرفتك أثناء الانتخابات؛ لأن الناس سوف تنتخبك، وإن كنت تشغل

(4) سياسي سلوفاكي من أصل مجري، وعضو في البرلمان السلوفاكي (المترجم).

مركزاً مرموقاً فلا تخرج من غرفتك أثناء الانتخابات لأن الناس لن تنتخبك.

الجمهور بالإيمان والنظرة العالمية للأمور هي مسألة يجب أن تبرزها وأنت في طريقك المأمول لمنصب الرئيس. ففي إنجلترا لم يكن جائزاً أن يكون الكاثوليكيّ رئيساً للحكومة. وفكرة أن يكون الرئيس بروتستانتياً في بولندا لا تخطر ببال أحد. وفي روسيا لا يمكن أن يكون الرئيس لم يسبق له أن شارك في الحزب الشيوعيّ. وعلى العكس، لا يمكن أن يكون الشيوعيّ الممثل الأعلى للفاثيكان. أصبح بنيامين "دزرائيلي" رئيس لوزراء بريطانيا العظمى بسبب (أو ربما بفضل) أصله اليهوديّ. وعندما تأكد البريطانيون أن "دزرائيلي" له أصول إيطالية أيضاً، لم يختره الناخبون في الانتخابات التالية.

كان يمكن للشخص أن يصبح قيصرًا بالتبني في روما القديمة، وقت حكم القيصر "ترايان"، و"مارك أوريليو". فقد تبني القيصر نائبه، ومكّنه بذلك من اعتلاء العرش. وحدث هذا أيضاً مع القياصرة "هادريانوس"، و"أنطونيو بيوس". وحتى مع "لوسيوس فيروس" الذي حكم مع "مارك أوريليو". قرارك في تبني أحد يحدده في سلوفاكيا رئيس قسم الشؤون الاجتماعية في المحافظات، أو القضاء؛ لذلك ففرصتك منعدمة في أن تصبح قيصرًا.

حزب تحت قيادة قصيرة الأجل

"يَلُومُونِي عَلَى أَنِّي أُوجِّهُ الشَّرَاعَ حَسَبَ اتِّجَاهِ الرِّيحِ، لَكِنَّ لَا تُوجَدُ وَسِيلَةٌ أُخْرَى كَيْ تَتَقَدَّمَ السَّفِينَةُ
إِلَى الأَمَامِ"

أوتو فون بسمارك

الحزب الذي لديه قيادة قصيرة العمر هو الحزب الذي يتولاه أفراد لديهم آراؤهم الخاصة. أن تكون لديك رؤيتك الخاصة هو سبب كافٍ كي لا تستمر في القيادة أو يستمر الحزب نفسه في التواجد لفترة طويلة. إن القيادة التي يشارك فيها شخصيات قوية، محكوم عليها بالفناء التدريجي. وبالضرورة سيظهر شخص لا يسمح للحزب بالتفكك نتيجة تعدد الآراء؛ لذلك فهو يبطل مفعول هذه الآراء، وغالبًا ما ينحى معها أصحابها. مثل هؤلاء الأشخاص يأتون كفئران تقف متوارية في الخلفية، وتظهر وقت الضرورة. كان أدولف هتلر مثالاً للسياسي الذي ظهر في الوقت المناسب. فهو كاثوليكي، وابن موظف في الجمارك من زوجته الثالثة. رجل لم يكن لديه حتى بداية حياته السياسية في عام 1933 أية خبرات عملية، ولم يكن لديه شيء ينبغ فيه. كان تعليمه بسيطاً، ورسب مرتين في امتحان القبول بأكاديمية الفنون في فيينا. نشأ وسط الطبقة الدنيا في مجتمع فيينا، وكان عاجزاً عن إقامة علاقة دائمة مع أحد. كان مجرد فأر لا يلتفت إليه أحد، وكان كل من في قيادة الحزب يتندر منه. ما لفت الأنظار إليه هو أنه لم يكن يمتلك أفكاراً محددة. وعندما بدأت قيادة الحزب العمالي، الذي تحول فيما بعد إلى الحزب العمالي الألماني القومي الاشتراكي، في الانخراط في المناقشات، راح أدولف يستمع بعض الوقت، ثم تحدث من بعدها. بدأ يقلص من الموجودين في القيادة. قلَّص عددها إلى درجة أنه اختصر جسد أحد أعضائها الساخطين، وجعله بلا رأس. وقد نفذ هتلر ذلك الأمر على صديقه القديم (روم)، وعلى غيره أيضاً. لحسن الحظ، لا تمارس قيادة الأحزاب اليوم تقليص الأعداد بهذه الطريقة. إن مخاطر تقليص عدد من هم في القيادة تواجه كل عضو، كما يقولون على سبيل التنذر "قصير النظر". يتعرض لها ببساطة كل من لا يفهم أن رئيسه عندما يسأله عن رأيه فهو في الواقع

يريد أن يسمع رأياً يدعم رأيه. وإن قال تعيس الحظ رأياً مغايراً فلا يلومنَّ بعدها إلا نفسه. لا يفضل القادة تكرار الأسباب التي جعلتهم يقلصون عددًا من المراكز القيادية أمام نفس الأشخاص؛ لذلك فهم يغيرون الجميع. إن الأحزاب التي بها قادة لا يستمرون طويلاً لا تبقى هي نفسها طويلاً، شأنها شأن الأحزاب التي تتمتع بقيادة ممتدة.

حزب تحت قيادة طويلة الأجل

"الدِّيمُوقْرَاطِيَّةُ تَعْنِي الْإِتِّزَامَ بِالْقَوَاعِدِ حَتَّى وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْحَكْمُ مُنْتَبِهًا إِلَى مَنْ يُخَالِفُهَا"

مانفريد هاوسمان

على عكس الحزب الذي لديه قيادة قصيرة الأجل، فقيادة الأحزاب طويلة الأجل تقوم على أناس لا يمتلكون رؤية خاصة. في هذه الأحزاب يصبح أعضاء الهيئة العليا للحزب من أقرب المقربين للرئيس. يوجد بينهم من هم أقرب من غيرهم للرئيس، هؤلاء في الغالب ما يكونان اثنين أو ثلاثة أصدقاء قدامى له، ممن أسسوا الحزب معًا، إنهم يشكلون قيادته غير المنصوص عليها، والتي تقرر عمليًا في كل شيء وكل شخص. فلو أراد الحزب مثلاً أن يقدم طلبًا للحكومة حول وجهة نظره بخصوص خصخصة محطات الكهرباء، يلتزم اجتماع غير رسمي لمناقشة الأمر. إن القيادة غير الرسمية يستدعيها رئيس الحزب غالبًا بعد محادثة تليفونية مع رئيس مجموعة الرعاة. تتفق رئاسة الحزب غير الرسمية على الموقف الذي أبلغتها به مجموعة الجهات الداعمة للحزب، فيقدمه رئيس الحزب لإقراره من الهيئة العليا في الحزب. وعندما يعلم أعضاء الهيئة العليا في الحزب أن رئيسهم يقترح أشياء بناء على محادثة تليفونية مع مجموعات الرعاة، ينصاعون للأمر ويُقَرُّون الاقتراح. يسمى الموقف النهائي الذي اتخذه بالقرار، ويسبقه مناقشة موسعة، وأحيانًا مفتوحة، ينهيها الرئيس عندما يعلن عن رأيه بخصوص التصويت على القرار، ثم يبدأ بعدها التصويت. وقبول القرار لا يعني أن الرئيس وحزبه قد كسبا المعركة. فعلى الرئيس أن يذهب برأي الحزب إلى مجلس الائتلاف الذي يشارك فيه ممثلو الأحزاب، وتجرى فيه عمليات مماثلة كتلك التي حدثت في حزبه. فرؤساء أحزاب الائتلاف الأخرى تتلقى مكالمات هاتفية مشابهة، ويشكلون مواقفهم بناء عليها؛ لذلك تعقد الصفقات التجارية في مجلس الائتلاف. البعض يتراجع عن خصخصة محطات الكهرباء، والآخر يدعم محطات الغاز الطبيعي، وثالث يقول بأنه لا يرغب لا في محطات الكهرباء ولا الغاز، فيحصل على السكك الحديدية. هكذا يتم

تدبر الأمور، ثم يُعقد مؤتمر صحفي موجز يعلنون فيه عن موافقة جماعية في المسائل التي تهتم الوطن والدولة.

أعضاء الهيئة العليا للحزب عادة ما يكونون قرييين من الرئيس. قد يظهر بينهم من لا يروق للرئيس، لكنه يجب أن يتحملة؛ لأن مجموعات الضغط من داخل الحزب ومن خارجه تفرض وجوده هناك.

الشرط الرئيسي كي يصبح الإنسان عضواً في الهيئة العليا للحزب هو أن يكون أكثر غباءً من رئيسه، أو على الأقل لا يُظهر ما يفيد بأنه أكثر منه حكمة. لقد انتهى الوقت الذي كان فيه الرؤساء محاطين بأناس حكيمة وقوية؛ لذلك لا تفكر في الأمر كثيراً. لم يعد عندنا ولا في العالم رجال مثل رجال "مارك أوريلي"، و"الإسكندر الأكبر"، و"باريكل"، و"نابليون"، و"لينكولن"، و"واشنطن"، و"بسمارك"، و"أيزنهاور"، و"تشرشل"، و"ديجول". إن ما هو معروض من القادة اليوم سيئ للغاية.

لو أنك بالفعل غبيّ وتعبر عن ذلك علانية، فأنت محظوظ. أسوأ ما في الأمر عندما لا تكون غبيّاً ولا تعرف كيف تخفي هذا الأمر. حالة كهذه لا تنبئ بخير؛ لأن عضويتك ستكون تحت المحكّ من قِبَل رئاسة الحزب. فالرئيس يختار أعضاء المجلس الرئاسي، ومن الطبيعي أن يحقق القاعدة التي تقول إنهم لا بد أن يكونوا أكثر منه غباءً. من المستحيل أن يختاروا في الهيئة العليا المركزية رئيساً من قيادة الحزب الإقليمية يكون أكثر ذكاءً من رئيس الهيئة المركزية. فأعضاء الرئاسة المحلية يختارهم الرئيس الاقليمي أيضاً، تماماً كما يختار الرئيس المركزي أعضاء الهيئة الرئاسية المركزية. من هذا يتضح أن أعضاء الهيئة المحلية على نفس القدر من الغباء الذي يتمتع به الرئيس المحلي للحزب. وبما أن الحزب له نفس الهياكل المحلية والمركزية التي تجري فيها عملية اختيار أعضاء الهيئة العليا والرئيس بنفس الطريقة، فمن المؤكد أن الرئيس المركزي سيبقى في منصبه. ومن باب الاحتياط يتم التشاور مع رئيس الحزب بخصوص تعيين المديرين في المحافظات والأقاليم. فإن كنت غبيّاً، فلا تبالغ في تواضعك، فأنت صالح للاستخدام العام، وإن كنت لا تفهم أي شيء، فأنت صالح للاستخدام في كل مكان. من الجائز أن هذه الصفة قد تفتح أمامك الطريق إلى مقعد الرئاسة.

تمويل الحزب

"السِّيَاسَةُ هِيَ مُحَاوَلَةٌ يَأْتِسُّ لِإِتْبَاتِ أَنَّ الْمَالَ لَا يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ سَعِيدًا"

سبايك ميليجان

لا يمكن أن يستمر الحزب بدون ممولين، كما أن هؤلاء الممولين لا يمكنهم أن يعيشوا حياة رغدة بدون حزب سياسي، شريطة أن يكون في سُدَّة السلطة؛ لذلك يجب التفكير عند تأسيسك حزبًا سياسيًا أن تصل إلى السلطة في أقرب وقت ممكن. الرعاية غالبًا متعجلون، لكنهم ليسوا أغبياء، ويقللون مغامرة التمويل إلى أقصى درجة، وكل راع عاقل يمول أكثر من حزب، رغم أن العائد ليس مضمونًا مئة في المئة. لكن الخسارة أيضًا لن تكون مئة في المئة. إن استدعاء طبقة اجتماعية بعينها ليس هدفًا أساسيًا لنشأة الحزب السياسي، بل وجود أحد الرعاية ليدعمه، لذلك الشرط الأساسي لنشأة الحزب هي الأموال؛ لذلك فدور الراعي محوري، فأنت لن تأكل من الأفكار.

لا يقدم الرعاية أموالًا للحزب لأن اسمه يعجبهم، أو رئيسه تروقههم، رغم ظهور حالات نادرة في سلوفاكيا، دفع فيها الرعاية أموالًا لحزب سياسي بدون مقابل، وبلا سبب. لكنها حالة فريدة بالفعل، في مثل هذه الحالات يعتبر ذلك المتبرع مخبولًا. تؤكد الألسنة الشريرة أن بعض الرعاية يدفعون الأموال لكي تعود إليهم مرة أخرى عندما يصل الحزب الذي يدعمونه إلى السلطة. إنه حكم ظالم وغير منطقي خاصة فيما يتعلق بالأحزاب المحورية، فعند تمويل الأحزاب السياسية من قِبَل رعاية لها، يجب أن ننطلق من حقيقة أن الراعي شخص ثري، وعندما يدعم الحزب في حدود اثنين مليون يورو، فمن المؤكد والمنطقي أن دخله يتجاوز الأربعين ألفًا. فلو أن الراعي مليونير، فلن يدعم حزبًا شعاره الانتخابي هو تحصيل ضرائب من أصحاب الملايين. ورغم ذلك فإن الراعي يدعم الحزب. من هذا يتضح أن الضرائب على المليونيرات لا تسري إلا على الرعاية "المليونيرات" الذين يتكسبون خمسمائة يورو شهريًا.

يتم تمويل الأحزاب أيضاً، فضلاً عن الرعاية، من أموال الدولة. أي من الأموال التي يحصلون عليها بناء على نتيجة الانتخابات. لكن هناك طريق ثالث للحصول على تمويل من أموال الدولة. فرغم أن الأموال بهذه الطريقة تأتي من مصادر عديدة، إلا أنها تصب في النهاية في خزينة الحزب الذي يجلس أحد أعضائه فوق مقعد إحدى الوزارات. الشرط الأساسي لتعيين مرشحين في منصب وزاري ليس تولي الاختصاصات التي كُلف بها، لكن قدرته على أن يضخ منها إلى حزبه أكبر قدر من الأموال القادمة من مختلف العملات التي يحصل عليها من التعاقدات الحكومية. إحدى الوسائل البراقة لتقنين هذه الأموال هي وضعها في الحزب على هيئة مشاركات من الأعضاء. بعض أعضاء الحزب يدفعون سنوياً ثلاثة أو أربعة يورو كرسوم عضوية، لكن هناك من يدفع سنوياً ثلاثة أو أربعة أو خمسة آلاف يورو أو أكثر من ذلك. الأمر هنا يتعلق بأعضاء لا تمثل لهم هذه الآلاف شيئاً. أكثر من مرة ثَمَّن الصحفيون والرأي العام مدى التضحية التي قدمتها حماة السيد الوزير التي كانت على المعاش، وتبرعت وقتها بمئة ألف يورو لصالح حزبه. مثل هذه الانطباعات الجيدة يتركها النواب، والوزراء، والأمناء العموميون، الذين يدفعون ما يقرب من سبعة آلاف يورو كرسوم عضوية بالحزب.

يمكن للحزب أن يقترض من البنك، لكن البنك لا يمكنه أن يصبر على هذه الأموال ما لم ينجح الحزب في الانتخابات. الداعم الخاص يمكنه ذلك؛ لذلك فهو يقدم مثل هذه الأموال في صورة هبات. يتم دعم الحزب السياسي بالأموال على شكل هبات لسبب وحيد: حباً في ذلك الحزب السياسي. فالحب هو أئمن هدية يمكن أن يقدمها الإنسان للإنسان. لكن لماذا لا يقدمها الراعي للعديد من الأفراد الذين انخرطوا في حزب سياسي ما؟

أعضاء الأحزاب، كيف يكونون؟

"السياسة لا تهتم بالأصدقاء قدر اهتمامها بالأعداء؛ لذلك تختارهم بكل دقة"

أوسكار وايلد

المطلب الأساسي لكي تصبح عضواً في حزب سياسي هو أن يكون الحزب قائماً بالفعل، أو بمعنى آخر، أن يكون حزباً على ذوقك. ومن المفيد أن يكون الحزب على ذوقك، وموافقاً لأفكارك. كثير من الأحزاب لا تملك أفكاراً، فاحترس من أن تُصرَّ على فكرة في حزب لا يمتلكها. عندها قد تبدو غيبياً، فضلاً عن أنك ستؤذي مشاعر جميع أعضاء الحزب الذين يبدو لهم موضوع الأفكار غريباً وغير مألوف. من الخطورة أن تكون لديك أفكار. ليست خطيرة على الحزب، لكن عليك أنت. إن الحزب لا يتقبل الناس بناء على أفكارهم المشتركة، بل على المصالح المشتركة، والمصلحة تختلف كلياً عن الأفكار. المصالح هي المنفعة، لكن الفكرة بالطبع من الناحية الشكلية تعتبر شيئاً هاماً؛ لأن المصالح عليك أن تبررها بشيء ما.

تختلف الأحزاب حسب المصالح التي تدافع عنها، رغم أنها كلها تؤكد أنها تهدف إلى خدمة المواطن بأفضل طريقة ممكنة. ولو صنفنا الأحزاب حسب رغبتها في خدمة المواطن، فلن نجد سوى حزب واحد، وهو حزب "عاملون حتى الرمق الأخير". لكن حزباً كهذا لن يكون حزباً عملياً على الإطلاق. وغير جذاب. لأن أعضاءه لو أخذوا الموضوع على محمل الجد فسوف يختفي عاجلاً أم آجلاً نتيجة لتمزق أجساد أعضائه الأساسيين. عند التفكير في الدخول إلى أحد الأحزاب عليك أن تفكر في إمكانيات بقائه. تعد هذه المسألة محورية في البيئة السلوفاكية، فلا جدوى من الانخراط في حزب يسجلونه في وزارة الداخلية يوم الاثنين، فينقسم يوم الأربعاء إلى حزبين آخرين.

من الأفضل لك أن تؤسس حزباً خاصاً بك. لا تحتاج إلا لبعض أصدقائك الذين يجمعون عشرة آلاف توقيع، وهذه ليست مشكلة كبيرة، فمواطنونا وقَّعوا على أمور أكثر غباوة. يجب أن تراجع نفسك جيداً في الأمر قبل أن تسجل حزبك. لو وجدت نفسك جاداً في الأمر فستبدأ

المرحلة الثانية: تدبير الأموال. إن لم تتدبر الأموال فاصنع لنفسك بطاقة عضوية تحمل رقم 1 للذكرى.

تتحدث اللائحة التنفيذية لبعض الأحزاب عن أعضاء نظاميين، رغم أنه لا وجود لمثل هؤلاء الأعضاء في الواقع، فهو أمر مُنافٍ للمنطق. فالإنسان كائن مُفكّر؛ لذلك هو لا يفعل سوى ما يراه منطقيًا. أن تكون عضوًا نظاميًا يعني أن تسدد رسم العضوية، وتعلق الملتصقات الانتخابية أثناء الحملة التي تحمل صور أشخاص غيرك، فضلًا عن أنك ستتصل بالأقارب والأصدقاء على نفقتك الخاصة لحضور اللقاءات التي تسبق الانتخابات، وتتصل بالرئيس هاتفيًا وهو يتحدث إلى الإذاعة، وتوجه له أسئلة مقبولة، أو تساعد بطريقة أو بأخرى. ومن العيب أن تنتظر مقابلًا جرّاء هذه الأنشطة. لا يشترك أحد في حزب ما كي يصير عضوًا نظاميًا. في الواقع لا توجد قاعدة من الأعضاء في الأحزاب السياسية، كثير من الأحزاب يعاني من مشكلة العثور على أربعمائة شخص لملء إحدى القاعات التي يعقد فيها المؤتمر السنوي العام للحزب. ورغم ذلك يطالبون الألف عضو بالحزب ألا تبدو الأمور وكأن مئات الملايين التي تأتي من ميزانية الدولة تذهب إلى جيوب قادة الحزب فقط.

السبب الآخر لاعتبار توسيع قاعدة العضوية أمرًا عديم الجدوى، هو أنك ستضطر إلى أن تتشارك مع الكثيرين. الدليل على ذلك هو تقسيم الدولة إلى مقاطعات، أو وحدات إدارة كبيرة، وإلى محافظات ومراكز. لم ينشأ هذا التقسيم لحاجة الدولة إليه، بل لأن هناك الكثيرين الذين يجب إرضائهم بعد الفوز في الانتخابات. ولن يلغوا يومًا تلك المحافظات والمراكز. سوف يعيدون تنظيمها فقط بحيث لا تقل أعداد الأماكن التي يريدونها لأصدقائهم. كذلك تلعب الشركات المملوكة للدولة دورًا كبيرًا في عملية إرضاء الأصدقاء، مثل شركات المياه، والصرف الصحي، ومحطات التدفئة، وإدارة الطرق، وغير الطرق، وإدارة الأرصفة، وإدارة المروج والغابات والسحب وغيرها. الكل يجمعهم هدف واحد: مجلس للمراقبة وتقديم الاستشارات. مجلس المراقبة والاستشارات هام من أجل توجيه الشركات المملوكة للدولة، والتي لا طائل منها. لكنها رغم ذلك ضرورية من أجل الأحزاب السياسية التي لديها كثير من الأعضاء على مختلف المستويات. وكما ذكرت من قبل، فإن هذا الغبي لن يلصق المواد الدعائية، أو ينفج بالونات الدعاية الانتخابية مجانًا.

لا يوجد حزب يتواجد به أعضاء حُبًا في القيم التي يتبناها. بعض الأحزاب تؤكد هذه الحقيقة عندما لا تصدر بطاقات عضوية. إنها طريقة مفيدة للغاية؛ لأن عليهم تنظيم مؤتمر

حزبي عامّ أو إقليمي مرّة كل عام. وأصغر صالة في المركز الثقافي بالقرية تستوعب على الأقل عشرين شخصًا. وسيكون من المخزي ألا يأتي مثل هذا العدد. والأكثر خزيًا عندما يحضر المؤتمر المحلي مصادفة بعض أعضاء الهيئة العليا بالحزب أو أحد الصحفيين المحليين. وقد يعرف الرئيس بأمر كهذا، لذلك فكل أمين محلي للحزب يحرص على أن تكون الصالة ممتلئة بالحاضرين. قاعدة العضوية في الأقاليم أو المراكز ترتفع حسب عدد المقاعد في الغرفة. فأمين الحزب في المدينة غالبًا ما يكون رجل أعمال، ولن يكون لديه مشكلة كبيرة في قبول عضوية من يعملون لديه عندما يحل موعد مؤتمر الحزب. إن الأحزاب السياسية تقرر رسوم عضوية منخفضة كي لا تكون هناك مشكلة في زيادة عدد الأعضاء قد يواجهها الأمناء المحليون.

يجب أن يكون عدد أعضاء الحزب كبيرًا بالقدر الذي يسمح بوضعهم تحت السيطرة، ويجب أن تكون قيادة الحزب حريصة عند زيادة قاعدة العضوية. لقد أثبت تاريخ الحزب الشيوعي السوفيتي وجود عدم اتساق غير مباشر بين أعداد أعضاء الحزب وقدرته على الحركة، فكلما زاد عدد أعضاء الحزب، زادت احتمالية أن يتعرض لانتكاسة. وقد تطور عدد أعضاء الحزب الشيوعي السوفيتي كالتالي:

24 ألفاً	1917
3 ملايين	1932
6 ملايين	1945
11 مليوناً	1964
16 مليوناً	1977
19 مليوناً	1990

في الوقت الذي استطاع 24 ألف شيوعي (كانوا بلاشفة في ذلك الوقت) من القضاء على نظام القيصر في عام 1917، أدى وجود 19 مليون شيوعي سوفيتي إلى تدمير حزبهم. تفرق معظم الشيوعيين، فلول الحزب الشيوعي، في الأحزاب السياسية التي نشأت حديثًا؛ لذلك من المتوقع أن تتدمر، عاجلاً أم آجلاً، تلك الأحزاب الجديدة.

الحل الأمريكي هو حل نموذجي، فالأحزاب هنا بدون أعضاء، لكن لديها أجهزة. المهم هم الناخبون؛ لذلك فإن العروض الانتخابية في الولايات المتحدة تعد وسيلة تقليدية للأحزاب السياسية.

تنظم اللقاءات التي يعتبر المشاركون فيها أعضاءً في الحزب، وربما اعتبروا أيضاً كل من لم يستطع مغادرة السرير بسبب الإسهال، أو تأخر في عمله ولم يستطع المشاركة في اللقاء، أعضاء شرفيين. يتزايد عدد أعضاء الحزب بعد الفوز في الانتخابات بصورة مُذهلة.

برنامج الحزب

"لَا يَعْرِفُ النَّاسُ بِوُجُودِ بَرْنَامَجٍ لِلْحَزْبِ إِلَّا عِنْدَمَا يُوضَّحُ الْحَزْبُ أَسْبَابَ فَشَلِّهِ فِي تَحْقِيقِهِ"

المؤلف

لا يوجد خطر حقيقي على المواطنين من الإصابة بمرض عقلي جراء برنامج الحزب، فلم ألتق حتى اليوم بمواطن قرأ أي برنامج لأي حزب. الالفت للنظر أنه كلما كان الحزب أقل شهرة، امتلك برنامجاً موسّعاً، فبرنامج حزب (الاتحاد الديموقراطي المسيحي السلوفاكي) كان يتكون من أربعين صفحة، و103 بنود. برنامج حزب الحركة الديموقراطية 197 كيلوبايت، وبرنامج حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي 40 صفحة، وبرنامج حزب سمار 29 صفحة، وبرنامج الحزب الشيوعي الصيني الذي تم اعتماده في المؤتمر السادس عشر في نوفمبر 2002 زاد عليه بصفحة واحدة. رغم أنه كان يكفي كل حزب في العالم المسيحي أن يتبنى برنامج الوصايا العشر، لكن الأحزاب السياسية لا تتبنى برنامج الوصايا العشر؛ ربما لأنها لم تتمكن من تنفيذ بعض الوصايا، مثل: "لا تقتل"، و"لا تسرق"، أو "لا تشهد بالزور على أحد من أحبائك". لكننا لا نلوم الأحزاب السياسية على ذلك، فطريقة تنفيذ الوصايا العشر تكفلت بها الكنيسة الكاثوليكية، فأصدرتها على شكل كتاب يُسمى "كتاكيزم"⁽⁵⁾ الكنيسة الكاثوليكية، ويتكون من ثمانمئة صفحة. أما الوصايا العشر فتتكون من عشرة أسطر.

تقدم الأحزاب السياسية للمواطن برنامجها لأسباب غير معروفة. لكن البرنامج يعد ضرورة لا مفر منها عندما يذهب الإنسان إلى السينما أو المسرح، كي يعرف ما الذي ينتظره. إن وضع برنامج مُسبق يعد عملاً لا يخلو من مجازفة، فقد تقرر ألا تذهب إلى السينما أو المسرح بعد أن تقرأه. الأحزاب السياسية تعرف هذا؛ لذلك هي لا تخبر الرأي العام ببرنامجها إلا بصورة مختصرة، وآخر ما تُقرُّه المؤتمرات العامة للحزب هي البرامج

(5) مصطلح يطلق على أسلوب مختصر لتعليم العقائد المسيحية. غالباً ما تظهر تعاليم الكنيسة في شكل أسئلة وأجوبة مختصرة، وخاصة في المسيحية الغربية (المترجم).

التي تكون آخر بند من بنود اللقاء. تُعَوَّل الجهات القيادية في الحزب على أن أعضاء الوفود سيصيبهم الإرهاق، فضلاً على وقوعهم تحت ضغط ضيق الوقت، فيتسرب بعضهم خارج اللقاء للحاق بالحافلة أو القطار. وهكذا يتم في النهاية إقرار ما لم يتفقوا عليه في بداية اللقاء.

لقد حلت الأحزاب قضية البرامج الحزبية في الولايات المتحدة الأمريكية بدلاً من برنامجاً. وليسوا مضطرين إلى ذلك؛ لأن المواطنين في هذه الدولة لا ينتخبون الأحزاب، لكن الرئيس، ورجال الكونجرس لديهم برامجهم. ويأتي أعضاء الأحزاب المتنافسة من نفس الحزب ببرامج خاص بكل منهم. إن الحرية الشخصية وتعظيم الفرد هناك وصل إلى درجة كبيرة، فلا يختبئ خلف برنامج حزبه، بل يقدم برنامجه الخاص؛ ربما لهذا السبب وصلت أمريكا إلى ما وصلت إليه.

المؤتمر العام للحزب

"المؤتمر العام للحزب يُشبه دُوري كُرّة القدم السُّلوفَاكي. النّتيجَةُ معرُوفَةٌ سَلَفًا"

المؤلف

شرط المشاركة في المؤتمر العام للحزب هو أن يتم اختيارك كممثل لمجموعة ما. إن اختيارك ممثلًا في مؤتمر عام في إحدى المقاطعات، وعلى مستوى المقاطعة أمر مُعقد؛ لأنه لا يوجد أعضاء في الأمانة المحلية للحزب كي يختاروك، وعليك أن تجدهم. وما دامت لائحة الحزب تقول إن أقل عدد لأعضاء الأمانة الرئيسيين هو عشرة، فأنت مضطر إلى أن تصنع أمانة من أعضاء أسرتك، وسوف تقبل فقط الأعضاء الذين سيصوتون لصالحك. وعادة ما يتم اختيار الشخص الذي يرأس الأمانة ليكون ممثلًا لها في المؤتمر المحلي. كما أن اختيارك لتكون ممثلًا في المؤتمر الحزبي على مستوى المحافظة ليس أمرًا طبيعيًا، فالتسوق في مدينة المحافظة لا يدعو إلى الحماس. يصير الأمر أقل تعقيدًا عندما يتم اختيار ممثل ليشارك في المؤتمر الجمعية العمومية، فالتسوق في العاصمة أكثر إغراءً، وخاصة أن لديك فرصة أن ينتبه إليك أحد أثناء اللقاء.

الإعداد للمؤتمر العام للحزب من أكثر الأمور أهمية، وخاصة عندما تعلن مجموعة ما صراحة أنها تريد أن تقدم مرشحًا لها في منصب رئيس الحزب. هذه المرحلة صعبة، خاصة للرئيس الحالي؛ لأن عليه أن يدعو إلى جلسة طارئة في المحافظة ليؤمّن دعمها له. يفعل ذلك بأن يضع في المجالس المحلية أشخاصًا يمكنه الاعتماد عليهم، ويمكن اختيارهم كمندوبين في المؤتمر العام. مثل هؤلاء بمثابة ضمان بأنه سيُعاد انتخابه من جديد، مثل هؤلاء النواب يطلقون عليهم "أمناء الاستمرار". لكن الموقف الذي لا يُسعد رئيس الحزب يكون عندما يصبح رئيس الأمانة الفرعية عاجزًا عن تشكيل رئاسة الأمانة. يعتقد عندها رئيس الحزب أن رئيس الأمانة شريك في الانقلاب عليه، فقد كانت الأمانة الفرعية حتى الآن قادرة على أن تلتئم بناء على رغبة الرئيس خلال ساعة واحدة؛ لذلك يبدو الأمر له غريبًا، فيبدأ في توقع أن المجموعة الصغيرة التي تفكر في ترشيح منافس له ليكون

رئيسًا للحزب قد سبقته إلى ما ترمي إليه. لم تسبقه فقط، بل إن أعضاءها قد اتفقوا على اعتلاء أعلى المناصب في الحزب طالما استطاعوا تنحية الرئيس القديم ورجاله من أرفع المناصب الحزبية. الأسوأ عندما ينتبه الرئيس إلى أن رئيس الأمانة الفرعية قد فقد حماسه وهو يخاطبه هاتفيًا. وعندما يقوم رئيس الأمانة بمخاطبته بعد رفع سماعة الهاتف بكل ترحاب قائلاً: "مرحبًا يا يان"، فهذا يعني أنه ما زال وفيًا له، لكن عندما يقول له: "مرحبًا يا ريس!"، فهذا يعني أن الفريق المنافس له قد زاره، وعندما يقول له: "طاب يومك يا سيدي الرئيس!"، فلا شك في أنه يقف في صف الانقلابيين.

يفكر رئيس الحزب الذي يشعر بالتهديد في زيارة الأمانات الفرعية شخصيًا بعد عدة محادثات هاتفية مع رؤساء الأمانات، لكن لو خاطبه خمسة من رؤساء الأمانات على الأقل بصيغة متكلفة، فستصبح زيارته بلا جدوى (باستثناء حزب المجتمع المجري الذي لم تظهر أي أخبار عنه على الرأي العام حتى الآن من أمانات "جيلينا"، و"ترنتشين"، و"براشوف"). عندها يدعو رئيس الحزب إلى مؤتمر صحفي، ويعلن فيه أن صحته تأثرت بالعمل الصعب أثناء رئاسته للحزب لسنوات، ويقرر طواعية مغادرة منصبه. يلقي خطبة وداع مؤثرة، اطلع عليها سلفاً الرئيس المرتقب. لو أعجبت الخطبة الرئيس المرتقب فسيكون للرئيس القديم فرصة كي يعينه سفيرًا له في إحدى الدول.

لو حصل الرئيس الحالي على دعم أغلبية أعضاء الوفود، فإنه يطلب من أحد المهرجين في قيادة الحزب الترشح ضده في الانتخابات؛ لأن الصحفيين عادة يحبون الحديث عن مظاهر الديمقراطية. لكن عليه أن يكون واثقًا من نجاحه كي لا ينتهي به الحال مثل "إيفان شيمكو" الذي بادر وسمح للسيدة "سوزانا مارتيناكوف" بالترشح أمامه، فأنتهت حياته السياسية بفارق صوت واحد لصالحها.

يحب أعضاء الحزب المشاركة في المؤتمرات العامة للحزب، رغم أن كل شيء واضح للجميع. يسعى إليها القادة لأنهم يحبون التلويح للأعضاء القدامى، والأعضاء القدامى يفضلونها لأنها فرصة كي ينتبه إليهم أحد. من أفضل السبل التي يلفت بها الأعضاء القدامى الأنظار إليهم:

- خطبة عصماء لتمجيد للرئيس.

- خطبة مقتضبة لتمجيد للرئيس.

- نقد لاذع لنائب رئيس الحزب الذي يعرف كلُّ مَنْ في دوائر الحزب العليا أنه يحب إقالته.

- قصيدة عصماء في حق رئيس الحزب.

- زجاجة خمر مصنع في بيت أحد المؤيدين له من القرية مسقط رأس الرئيس.

في نهاية المؤتمر العام للحزب يتم اتخاذ قرار يُعبّر عما يجول في خاطر كل عضو. إن لم تكن من هؤلاء فأمامك فرصة أن تترك الحزب، وإن لم تفعل فسوف يطردونك منه في جميع الأحوال.

التنقل بين الأحزاب

"إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَكُونَ وَفِيًّا لِحِزْبٍ مَا فَعَلَيْ أَنْ أُغَيِّرَ مِنْ آرَائِي"

مؤلف مجهول

ليس هناك من يضارع السياسيين البريطانيين، بصفتهم مؤسسين لنظرية التنقل بين الأحزاب. على رأسهم "بنجامين دزرائيلي" و"وينستون تشرشل". بدءوا حياتهم السياسية كليبراليين، وانتهى بهم الحال بين صفوف المحافظين. كانوا يؤكدون أن آراءهم السياسية مرت بمراحل تطور. بنفس الطريقة فسر العداء الألماني "يوشكا فيشر" تحوله المذهل من معارض راديكالي للسياسة إلى وزير جاد للخارجية ونائب للمستشار الألماني.

إن التنقل بين الأحزاب يُدكرني بالتواجد في السوبر ماركت، حيث تقف في طابور طويل أمام الخزينة، وفجأة يتجمد ذلك الطابور ولا يتحرك من مكانه، فتفقد أعصابك وتنضم إلى الطابور المجاور. مَنْ مَنَّا لا يرغب في أن يكون في صدارة الطابور؟ لكن عندما يتعثر الطابور الجديد الذي تقف فيه، تجد الطوابير الأخرى المجاورة تتحرك أسرع، فتفقد أعصابك، وتسرع للانضمام إلى الطابور الأسرع. وتظل تهزول لأنه عندما يتعرض الطابور الذي تقف فيه لظروف سيئة فمن العبث أن تظل واقفاً هناك. مثل هذه الظروف العائرة يتعرض لها لاعبو كرة القدم الذين يُمضون الشوط الأول يلعبون وسط الوحل. وهذا الأمر يتكرر باستمرار عندنا وقت سقوط المطر نظراً لحالة أرض الملعب السيئة.

وعندما يضطر لاعبو كرة القدم إلى اللعب في الوحل، فمن الطبيعي أن يغيروا ملابسهم أثناء الاستراحة (لا يتبادلونها مع بعضهم- ملحوظة المؤلف)؛ لأنك عندما تلعب وسط الطين ينتهي بك الحال مثل الخنزير، لذلك فأنت مضطر إلى تغيير ملابسك. كذلك في السياسة، تغير من ردائك عندما تدنسه. غالباً ما تدنسه إلى درجة أن تتلقى عرضاً أفضل من حزب آخر. وَمَنْ مِّن لاعبي كرة القدم يتردد في قبول عرض أفضل مما لديه؟ ويحدث أيضاً أن يبدأ اللاعبون الأساسيون في الفريق في تخريب المباراة بتأثير من كابتن الفريق،

الذي تلقى بدوره تعليمات من مدير الفريق، الذي تلقى تعليمات من الرعاة. يلعبون بطريقة تخالف كل القواعد التي اتفقوا عليها قبل بداية المباراة. وعندما لا تكون جزءًا من الاتفاق بين الرعاة وكابتن الفريق واللاعبين الأساسيين، ولا تعرف شيئًا عنه، تبدو غيبًا أثناء المباراة (هذه الكلمة السحرية تعود من جديد). لكن عندما يبدأ غالبية اللاعبين في إفساد المباراة، كرهًا أو طواعية، تفتقر همّتك في اللعب وتطلب من كابتن الفريق موعدًا للقاء، لكن الكابتن يماطلك. عندها لا تتردد وتنضم إلى فريق آخر. وعلى الفور يصوغ كابتن الفريق مع الرعاة تصريحًا، لن يكون بهذه الصيغة: "إن إدارة النادي تدرك تمامًا أنها خالفت عن عمد قواعد كرة القدم، وأننا اقتنصنا نصرًا مبنياً على رشوة الحكام واللاعبين الرئيسيين في الفريق المنافس. لذلك نحن نتفهم تمامًا حق أحد لاعبيننا، وهو السيد (ب)، في الغضب منّا، ونحن نعرب له عن خالص أسفنا، ونتمنى له في ناديهِ الجديد كل التوفيق". لكن التصريح سيكون كالتالي: "لقد انزعجت إدارة النادي من الرحيل المخزي للاعب (ب) عن نادينا. لقد خالف السيد (ب) التقاليد التي بنيناها على مدى سنوات بقيادة رئيس النادي. إن رحيله يُعد أحد الأمثلة العديدة على الانتهازية الموجودة داخل فريق كرة القدم في نادينا، حيث يضرب بمبادئ الحزب عرض الحائط لاعبون مستهترون، يتطلعون إلى الكسب السريع. إنه أمر يدعو للخجل". ويرصد النادي مكافأة قدرها ألف يورو لمن يستطيع أن يثبت أن النادي المنافس قد اشترى اللاعب بدماء ناديه.

إن النواب الذين لا يرحلون عن ناديهم يعتبرون كل من ترك الحزب خائناً، ويظنون يؤكدون ذلك إلى أن يرحلوا هم أنفسهم عنه. يتكونه لنفس الأسباب التي دفعت من سبقوهم إلى الرحيل عن الحزب. حدثت في الحياة السياسية السلوفاكية حالتان من حالات الهجرة الجماعية من أحزابهم. الالفت في الأمر أن الصحفيين يتبنون في مقالاتهم، وأيضًا غالبية المواطنين، نظرية أن من ينصرف خائن. هذه النظرية ربما تكون صحيحة لو أن من ترك الحزب مجموعة أفراد انصاعوا للضغوط. لقد غادر غالبية أعضاء حزب (حركة سلوفاكيا الديمقراطية) وحزب (نعم) حزبيهم. الجميع يعرف ذلك باستثناء رئيسي هذين الحزبين -"فلاديمير ميتشيار" و"باقل روسكو". لقد أكد "جوستاف هوزاك" بعد عمليات تطهير في صفوف الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، بعد الغزو السوفيتي، أنه يجب التخلص من الأعشاب الضارة. لكن كيف تم التخلص من الأعشاب الضارة في حزب حركة سلوفاكيا الديمقراطية؟ كان للحركة في عام 1994 في مجلس النواب السلوفاكي 61 نائبًا، ظهر منهم في مجلس النواب بعد انتخابات عام 2002 فقط عشرة نواب، وبعد انتخابات 2006

لم يبق في البرلمان من هؤلاء الواحد والستين سوى اثنين فقط! تأثر هذا الرقم بالطبع بإجمالي عدد المقاعد التي حصلت عليها حركة سلوفاكيا الديمقراطية، رغم ذلك فالحقيقة الثابتة هي أنه لم يبقَ من الأسماء الأساسية التي لعبت دوراً محورياً في الحركة في عام 1994 سوى خمسة في المئة بعد مرور اثني عشر عاماً، وهذه الحقيقة تؤكد نظرية تطهير البذور الطيبة من الأعشاب الضارة. أحد الثلاثة الذين بقوا في الحركة هو رئيسها "فلاديمير ميتشيار". ومثل حزب (نعم) في الفترة الانتخابية الثالثة في مجلس النواب السلوفاكي 23 نائباً (بناش، وإيمريخ باراش، وفكتور باراش، وبيروش، وبريستنسكا، وتشيرنا، ودانكو، ودرجونيتس، وهامارتشاك، وهيريبان، وهنزاليوفا، وخميل، وياندزيكوف، وكروبيلاك، وكولايتشك، ولينتنر، وملخاريك، ونيمتسيس، وأوندريكا، وأوباترني، ورسكا، وتوت، وزاياتس). انصرف منهم واحد وعشرون نائباً، أي بنسبة 95%.

لكن رئيس الحزب بافل روسكو أكد أن كل من غادر الحزب خانته. هناك حالة رحل فيها عن الحزب 95 في المئة من أعضائه. وفي حالة أخرى، بالمناسبة، تركت الحزب أعداد غفيرة، لكن الخمسة في المئة التي تبقت، حسب تصريحات رؤسائها، كانت على صواب، والغالبية العظمى من الانتهازيين!

الأفضل هو عندما يهجر الحزب جميع أعضائه، فلن يكون هناك من يتهم الراحلين بأنهم خائنون. الفلاح البسيط يسير على الطريق السريع في الاتجاه المعاكس لحركة السير، ويلعن كل من يقابله.

الفصل الثالث الانتخابات

الانتخابات في النظم الشمولية والنظم الديمقراطية

"نَتَائِجُ الْإِنْتِخَابَاتِ لَا يُحَدِّدُهَا النَّاخِبُونَ، بَلْ يَحْسِمُهَا مَنْ يُحْصِي الْأَصْوَاتَ"

يوسف فيساريونوفيتش ستالين

كانت حضارة أثينا القديمة من أرقى الحضارات في تاريخ البشرية، ربما لأنهم لم وقتها لم يعرفوا الانتخابات. عَجَّتْ آلاف المكاتب الإدارية بسحوبات القرعة. كانت عملية القرعة تتكرر كل عامين، الأمر الذي حدَّ من صنع تكتلات سياسية تسعى إلى التربح، وأَمَّنَ في الوقت نفسه لكل مواطن من أهل أثينا أن يصبح جزءاً من النظام الحاكم ولو مرة واحدة في حياته. لم تدخل مواطنات أثينا ضمن الناخبين؛ لأن اليونانيين منعوا المرأة من التصويت، وكذلك فعلوا مع الأجانب والعبيد. لكن ذلك لم يمنع المرأة من الوصول إلى السلطة، فقد كانت النساء تلعب دوراً حاسماً في إدارة البلاد في أثينا القديمة والحديثة من خلال نواب الشعب- الرجال.

من المثير للدهشة في عملية الانتخابات، أن الناخبين ينددون بها باستمرار، ورغم ذلك يشاركون فيها. إن الناخبين مثل مشجعي المنتخب القومي السلوفاكي لكرة القدم، يذهبون لتشجيع منتخبنا في كل مباراة تأهيلية، رغم أن الفريق يخسر في كل مرة. إن الانتخابات يشبه الذهاب لحضور مباراة كرة قدم، يشارك فيها مواطنون لا يتعلمون من أخطائهم. تشير الدراسات الاجتماعية إلى أن من استحاله إصلاحه أيام الشيوعية ظل كذلك حتى في النظام الديمقراطي، وما زال يتردد بكل عزم على مراكز الانتخابات. إن السياسيين الديمقراطيين لا يأخذون مثل هؤلاء المواطنين على محمل الجد؛ لأنك لا يمكن أن تحترم أحداً يهدد دوماً بأنه لن يحضر، ورغم ذلك يفاجئك بالمشاركة، لذلك لا يمكن أن يغضب المواطنون بعد ذلك عندما يسخر منهم السياسيون، ولا ينفعهم في تحسين صورتهم أنهم ينتخبونهم.

كانت الانتخابات البرلمانية في النظام الشمولي غالباً ما تتكرر كل خمسة أعوام، أمّا في

النظم الديموقراطية فهي تتم كل أربعة سنوات. كان مزاج المواطنين يعتدل لمدة يوم واحد فقط أثناء الانتخابات؛ لأنهم كانوا ينظمون لنا الحفلات الموسيقية على آلات النفخ، أما اليوم فمزاجنا يظل معتدلاً لفترة أطول؛ لأننا نتسلى بالمرشحين قبل موعد الانتخابات.

الناس في ظل النظام الديموقراطي يختارون من بين أحزاب متعددة؛ لذلك تجدهم متوترين، أما في النظام الشمولي فلم يكن أمامهم من يفضلونه على الآخر؛ لذلك كانت أعصابهم هادئة، لكنهم لم يعبروا عن ذلك صراحة، لكن عندما يغضب المواطن في النظام الديموقراطي فهو يعبر عن ذلك على الملأ، لكن الأمور تبقى كما هي، وعلى الرغم من ذلك يعبر المواطنون عن سخطهم الدائم في ظل النظام الديموقراطي. في النظام الشمولي لم يكن في مقدور المواطن أن يعبر عن أي شيء صراحة وبحرية، وأيضاً لم يغير ذلك شيئاً على أرض الواقع. يدفع المواطنون من خلال الانتخابات إلى معترك السياسة أناساً لا يذكرونهم بخير بعد انقضاء الانتخابات، ورغم ذلك يظلون متفائلين، تماماً كما يحدث بعد كل هزيمة لفريق الهوكي أو فريق كرة القدم، ينسون الهزيمة بعد يوم أو اثنين، وتعاودهم روح التفاؤل من جديد، يتطلعون إلى المباراة التالية وكلهم أمل في النجاح، ثم تتوالى الهزائم واحدة وراء الأخرى.

في كل مرة نقول عن كل حكومة لم نكن راضين عنها، إن الحكومة الجديدة ستكون أفضل، وإن هذا سيتحقق بالتأكيد بعد الانتخابات القريبة القادمة. تتكرر الانتخابات كل أربعة أعوام مثل بطولة العالم في كرة القدم، أو الألعاب الأولمبية. قد تكون فترة الأعوام الأربعة كافية تماماً لنسيان الإخفاقات وخيبة الأمل. لا أتخيل أن يحدث في السياسة كما يحدث في نظام الانتخابات للعبة الهوكي التي تتم سنوياً.

الفرق بين كرة القدم والقدم والسياسة هو أنه لا يوجد في كرة القدم فريق آخر يمكنه أن يحاسب الفريق المنتخب الذي أساء لعب المباراة، وحتى عندما يصل إلى أرض الملعب فريق كان مصنفاً قبل الانتخابات بأنه فريق معارض، سرعان ما يتأكد المشاهدون من أن أداء كلا الفريقين محدود بقدرات اللاعبين. لكن ميزة كرة القدم هو أن المواطن عندما يصاب بالجزع من المباراة، يمكنه الانصراف عنها للترويح عن نفسه بشيء آخر، أو يتجاهلها تماماً. لكن السياسة تُلعَب بلا توقف، وتجد المواطن أينما كان، حتى لو اختبأ منها. الأكثر من ذلك أن المواطن ينتخب حتى وإن لم يشارك في الانتخابات.

النظام الانتخابي

"لَا تَنْتَخِبِ السِّيَاسِيِّينَ! فَهَذَا يَمْنَحُهُمْ شَجَاعَةً لِيَسُؤُوا فِي حَاجَةِ إِلَيْهَا"

جيمس كونولي

تختلف النظم الانتخابية. فيوجد عندنا نظام مطبق يسمى نظام التمثيل النسبي، وهذا يعني أن كل سياسي مستعد لإجراء مواءمات مع غيره بعد إعلان نتائج الانتخابات، من أجل تشكيل الحكومة. إن نظام التمثيل النسبي يوجد في سلوفاكيا منذ أن نشأت الحانات، ففي الحانات اعتاد الرجال على إجراء المواءمات؛ لذلك يطلق عليه نظام المواءمة. تتم المواءمة في السياسة عندما يقتنع كل من لديه فرصة في تشكيل حكومة ائتلافية، بأن كل التهم المتبادلة التي تمت أثناء الانتخابات لم تكن جادة. نظام التمثيل النسبي يتميز بعدة خصال مقارنة بنظام الاقتراع بالأغلبية. أولاً يمكن إجراء المواءمات فيه بصورة أكثر فعالية من نظام الاقتراع بالأغلبية. ففي نظام الانتخابات بالتمثيل النسبي يختار المواطن الأحزاب السياسية فقط، وليس له تأثير كبير في اختيار من سيمثله داخل البرلمان؛ لذلك فإن فرصة تواجد كثير من الأغبياء والمحتالين والنصابين في البرلمان أكبر من نظام الأغلبية.

ويتحمل الحزب تكاليف الحملة الانتخابية للمرشحين الذين يتمتعون بمكانة مرموقة فيه. في نظام الاقتراع بالأغلبية يقوم المرشح بتسديد غالبية تكاليف الحملة الانتخابية، وهذا هو أحد أسباب تسميته بنظام الاقتراع بالأغلبية. يترشح المرشحون في نظام الاقتراع بالأغلبية عن دائرة انتخابية محددة، يعرفه فيها الناخبون؛ لهذا السبب يمكن أن يصل إلى البرلمان بعض النواب المشهود لهم بالنزاهة. وعندما يتضح أن النائب لم يفعل شيئاً للناس سوى زيادة راتبه الخاص، يمكن للمواطنين عزله بعد جمع التوقيعات المطلوبة. هذا النظام يُطبَّق في الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، ويطلق عليه العامة "الكلب الأكبر يلتهم كل شيء"، أو "المنتصر يجمع كل الأوراق". توجد أيضاً أنظمة مختلطة للانتخابات، وهي عملياً تتم بأن تكون الكلاب جوعى، ومن يقدم لهم الطعام جوعان مثلهم.

المشاركة الانتخابية

"لَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ تَخْتَارَنِي النُّخْبَةُ. بَلْ أُرِيدُ أَنْ تَنْتَخِبَنِي الْأَغْلِيَّةُ"

ستيفنسون

سجل خبير الشؤون السياسية "س. م. ليبسيت" ملاحظات حول المشاركة في الانتخابات على درجة كبيرة من الأهمية: "إن نماذج المشاركة في الانتخابات في مختلف البلدان متطابقة. الرجال يشاركون أكثر من النساء في الانتخابات، الحاصلون على شهادات عليا في التعليم يشاركون في الانتخابات أكثر ممن لديهم شهادات أقل. يُقبل سكان الحضر على الانتخابات أكثر من سكان الريف. الناخبون في سن يتراوح بين 35 - 55 يشاركون في الاقتراع أكثر ممن هم دونهم في العمر. العجائز والمتزوجون والمتزوجات ينتخبون أكثر من العزاب. يقبل على الانتخابات الفئات العليا في المجتمع أكثر من الفئات الأدنى. أعضاء المنظمات يشاركون أكثر ممن لا ينتسبون إلى أية منظمة".

يتضح من هذه الملاحظات أن الناخب يكون في الغالب متزوجاً، وفي سن الأربعين، ومن سكان المدينة، ويحمل شهادة الثانوية، وهو رئيس اتحاد الصيادين أو اتحاد عمال الحدائق في مدينته. وبناء على ملاحظات "ليبسيت" يمكننا أن نرسم صورة نموذجية للإنسان الذي لا يقبل على الانتخابات: مواطنة عانس في سن المعاش تقيم في القرية، ولم تحصل على تعليمها الأساسي، وترفض بكل عناد الحصول على عضوية نادي أصحاب المعاشات.

كانت نسبة المشاركة في الانتخابات إبان الحكم الشيوعي تصل إلى 99 في المئة. وفي ظل النظام الديمقراطي نكون من المحظوظين عندما تصل إلى نسبة 70 في المئة من الناخبين. في النظام الشيوعي كان 99 في المئة من المواطنين يختار حزباً واحداً. ولم يعد الكثير من المواطنين يتذكر أيّاً منها اليوم، حسب ما قاله البروفيسور "الزيمر".

يرحب السياسيون بقلّة عدد الناخبين. والوضع المثالي هو عندما لا يشارك في الانتخابات سوى السياسيين فقط. ويجب تغيير الدستور كي يكون الإدلاء بالصوت في الانتخابات

مقصوداً على المواطنين المرشحين. عندها قد لا تختلف النتائج كثيراً بصورة أو بأخرى، لكننا سنوفر بذلك ثلاثمائة مليون كرون. يمكن أن تصل نسبة المشاركة إلى مئة في المئة، وهو ما تحاول عبثاً كل ديموقراطية أن تصل إليه. احتار خبراء العلوم السياسية في الإجابة عن السؤال التالي: هل المشاركة في الانتخابات بنسبة مئة في المئة هي مؤشر إيجابي، أم سلبي؟ عقدت في عام 2006 انتخابات على رئاسة المناطق الإدارية العليا، وليس على رئاسة معهد بحوث تليف الكبد- ملحوظة المؤلف) على جولتين، شارك فيها في الجولة الأولى أربعة عشر في المئة، وفي الجولة الثانية أحد عشر في المئة من الناخبين. لم تعقد الجولة الثالثة ولا الرابعة لحسن الحظ، وإلا لوصلت نسبة المشاركة إلى تحت الصفر. رغم أنه أمر مُحزن، لكنه يعتبر في الوقت نفسه دليلاً على الحرية التي افتقدناها في الأنظمة الشمولية؛ لذلك لا أفهم سبب دعوة السياسيين للناخبين إلى الإدلاء بأصواتهم قبل الانتخابات. عليهم أن يتعلموا من النظم الشمولية التي لم تَدْعُ أحداً للمشاركة في الانتخابات، ورغم ذلك شاركوا فيها جميعاً، بمن فيهم من يزعمون اليوم أنهم لم يذهبوا إلى صناديق الانتخابات.

إن الإقبال الكثيف على المشاركة في الانتخابات له عندنا تقاليد عريقة. أُجريت في السابع من نوفمبر عام 1938 انتخابات مجلس النواب السلوفاكي، كان في استطاعة الناخبين أن يختاروا فقط نواباً من حزب الأرض الشعبي السلوفاكي؛ لذلك لم تكن الاختيارات أمامهم كثيرة. ورغم أن الاقتراع كان سريعاً، فإن العديد من الناخبين "عبروا صراحة وعلى الملأ عن مشاركتهم في التصويت" حسب صحيفة "السلوفاكي" اليومية. نادراً ما اختفى المصوّت خلف ستارة التصويت رغم توجيهات لجنة الانتخابات المتكررة لهم حفاظاً على سرية التصويت. "كانت نتيجة الانتخابات 97 في المئة لصالح حزب الأرض السلوفاكي الشعبي. وبعد مرور ثمانية أعوام على تلك الانتخابات عقدت الانتخابات البرلمانية في تشيكوسلوفاكيا بعد الحرب العالمية الثانية، والتي شارك فيها غالبية من صوتوا قبلها بثمانية أعوام على استقلال الجمهورية السلوفاكية. وسرعان ما ظهرت على السطح قضية الأعضاء التابعين لحزب الأرض السلوفاكي الشعبي الممنوع والمولين لهم. تم حل القضية على الطريقة السلوفاكية: وقَّعت رئاسة الحزب الديموقراطي اتفاقية مع ممثلي القوى السياسية الكاثوليكية (كان جميع المولين لحزب الأرض من الكاثوليك)، سمحت تلك الاتفاقية لآلاف من الأعضاء السابقين في حزب الأرض بالانضمام بصورة رسمية إلى الحزب الديموقراطي، الذي حصل بفضل ذلك على نسبة 62 في المئة في انتخابات مايو عام 1946. لم يعجب ذلك الشيوعيين رغم أن وجودهم في سلوفاكيا كان مدعوماً بشكل غير رسمي من الأعضاء

السابقين في حزب الأرض وناخبهم (كانوا يدعمون الحزب الديمقراطي بصورة رسمية. ربما يقول لي أحد إنني أزيّف الحقائق. لكن من أين حصلت تلك الأحزاب على الأصوات بينما من شارك في انتخابات عام 1938 جميع مواطني سلوفاكيا فوق سن الثامنة عشرة، واختار 97 في المئة منهم حزب الأرض...؟)، ولم يحصد الحزب الشيوعي إلا ثلاثين في المئة من الأصوات. لذلك دعم الشيوعيون مركزهم بانقلاب عسكري في فبراير عام 1948، وانضم الأعضاء السابقون في حزب الأرض إلى الشيوعيين، وقاموا بحل الحزب الديمقراطي، وبذلك تخلصوا من أعضائه. عقدت بعد ذلك بثلاثة أعوام - في الثلاثين من أكتوبر 1948- أول انتخابات لمجلس الشعب في جمهورية تشيكوسلوفاكيا.

صوّت على القائمة الموحدة للجبهة الوطنية التي يسيطر عليها الشيوعيون 86 من أصوات الناخبين الذين صوتوا قبلها بثلاثة أعوام، ولم يحصل منهم الشيوعيون إلا على 30,37 في المئة من أصواتهم. تراوحت نجاحات الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي في الانتخابات التالية بين نسبة 97 في المئة إلى ما فوقها. ورغم أن "الاقتراع كان سرياً، لكن نادراً ما اختبأ أحد خلف ستارة التصويت، وشارك الشعب العامل في الانتخابات بكل حماس" (لم تكن هذه أخباراً من جريدة السلوفاكي اليومية، لكن من جريدة الحق الأحمر اليومية). عندما لم يشارك في الانتخابات السبب في ذلك يعود إلى أنهم كانوا يختارون من حزب واحد، سواء في انتخابات نوفمبر 1938، أو في انتخابات مايو 1948. كانوا يقترعون على الحزب الوحيد الذي سمحوا لهم به.

العزوف عن الانتخابات

"تُبْنَى أَيُّ سِيَّاسَةٍ عَلَى اسْتِهْتَارِ الْأَغْلِيَّةِ"

ريستون

قد يبدو أن العزوف عن الانتخابات عكس المشاركة في الانتخابات. لكن الحقيقة غير ذلك. المشاركة في الانتخابات تُشَتَّقُ من عدم المشاركة في الانتخابات وليس العكس، لأن المشترك اللفظي الرئيسي ليس المشاركة بل عدم المشاركة. عندما لم يشارك في الانتخابات المحلية التي أُجريت عام 2005 ما مقداره 81,98 في المئة من الناخبين فهذا يؤكد عزوف واضح عن الانتخابات حتى وإن تحدث خبراء العلوم السياسية والصحفيون مئات المرات عن مشاركة 18,02 في المئة. فعدد المواطنين الذين صوتوا في الانتخابات أقل من عدد من لم يصوتوا. فالمجموعة الحاسمة هي مجموعة الغائبين. لذلك يجب مخاطبتهم كي يواصلوا العزوف عن التصويت. فلو جاء الممتنعين وشاركوا لكانت كارثة على السياسيين. جميع النظم الديمقراطية تعمل بفضل الممتنعين الواعين الذين هم نتاج الديمقراطية. إبان الحكم الشمولي لم يرغب أحد عن التصويت، والسبب يعود إلى أن أحد لم يزعجهم بأكوام الأوراق، ولا بقوائم المرشحين، أو المؤتمرات الانتخابية المميزة.

يختلط الأمر على المواطن. فقد سلموه في الانتخابات البرلمانية عام 2006 واحد وعشرين قائمة بأسماء يجهلها تمامًا. إن الاختيار من بين أناس لا يعلم المواطن شيئاً عنها يصيبه بالاكئاب. لذلك نجد أن المشاركة في الانتخابات تنقلص. ففي الوقت الذي شارك في الانتخابات البرلمانية عام 1990 تسعين في المئة من المواطنين (وهي نسبة تقل بقيمة 9,9 عن آخر انتخابات جرت في ظل النظام الشيوعي)، لم يشارك في انتخابات 2006 سوى 54 في المئة. ولو تواصل هذا الأمر سنجد أنفسنا في موقف مشابه لما كان أيام الشيوعيين، حيث كانت الأغلبية الصامتة هي التي تقرر. إن المستهترين يشكلون قواعد الديمقراطية. الجبناء الذين ينصرفون عن الانتخابات يعيدون بلدنا مرة أخرى إلى عصور النظم الديمقراطية. لو حدث يوماً، لا قدر الله، وشاركت نسبة مئة في المئة في الانتخابات

فسيكون هذا دليلاً على أننا قد عدنا إلى عصر ما قبل 1989. لذلك علينا دائماً أن نشي على المواطنين الجسورين الذين لا يشاركون في الانتخابات، ليثبتوا لنا أن الديمقراطية عندنا تزدهر.

قوائم مرشحي الأحزاب السياسية

"أفضل لك ألا تكون في قائمة حزب كبير من أن تكون في قائمة حزب صغير"

المؤلف

إن إعداد قوائم الترشح هي من أصعب أيام رجل السياسة. فكلما اقترب موعد إغلاقها يمعن التفكير فيما إذا كان قد قال من قبل شيئاً دون أن يدري في حق رئيس الحزب أو أحد أعضاء المجلس الرئاسي. تصبح فرصته السياسية في الظهور على قوائم الحزب غير مضمونة لو تذكر أنه فعل شيئاً تافهًا، على سبيل المثال لم يمرر الكرة إلى رئيس الحزب أو رئيس النادي أثناء مباراة كرة القدم، حيث كانت هناك فرصة ليقوم بذلك، أو أنه سمح لنفسه بأن يسدد أهدافاً أكثر رئيسه.

يمكن للمرشح أن يرسل رسالة نصية قصيرة من الهاتف، يعرب له فيها عن أسفه من أنه سمح لنفسه بتسديد أهداف أكثر منه، وأن ذلك حدث نتيجة خطأ من حكم المباراة الذي اعترف بأهداف المرشح رغم أنه سددها وهو في منطقة التسلسل، أو لمس الكرة بيده. لا أنصحك أن ترسل الـ SMS بعد منتصف الليل، فيمكن أن يحدث أن يكون الرئيس نائمًا فتوقظه، فتزيد الطين بلة. لو لم تفلح الرسائل القصيرة أرسل للرئيس خطابًا مؤثرًا ملطخًا بالدموع. لو لم ينفخ الخطاب المخضب بالدموع زُر الرئيس شخصيًا، وخذ له هدايا قيمة. لكن هذه ستكون محاولة يائسة، فمن المستحيل أن تعثر على هدية ثمينة لم يتلقها الرئيس من قبل. لكن طالما أردت أن تحصل على مكانة في القائمة فسوف تجد مثل هذه الهدية. في كل الأحوال تدبر وحدك الأمر، ولا تنتظر مساعدة مني، فأنا لم أصل إلى قائمة المرشحين.

تُخطيء الأحزاب عندما تعتقد أنها ستحسن صورتها عند الناخب عندما تضع على قائمة ترشيحات الحزب شخصيات عامة معروفة وتحظى باحترام المواطنين، وتعمل في مجال آخر غير السياسة. هذا خطأ لأن كل شخصية عامة مرموقة يتم إقحامها في عالم السياسة تصير بعدها شخصية غير مرموقة. وتصير الشخصية العامة أقل قدرًا كلما طال بقاؤها

في السياسة، بل ويتوقف عن كونه شخصية في الأساس. سيكون شخصية كوميدية أكثر مما كان عليه قبل أن يدخل إلى عالم السياسة، حتى لو لم تكن هذه الشخصية كوميدية قبل دخولها إلى عالم السياسة. إنها ميزة كبيرة أن تكون ممثلًا هزليًا قبل أن تنخرط في العمل السياسي، لأنك معتاد على أن يسخر منك الناس. لن يحدث له إطلاقًا ما حدث مع أحد النواب الذي كان يؤكد باستمرار ويقول: "أكثر ما يزعجني في السياسة هو أن يسخر الناس مني!".

غير أن الناس تتوقع من رجل السياسة أن يكون كوميدياً جيداً، ولو عرفوا يوماً أن السياسي قادم إلى مدينتهم لحل مشاكلها فسوف يصابون بالصدمة. أتوقع أنهم بعد ورود أخبار عن زيارة السياسي لهم سوف يجمعون أغراضهم الضرورية على عجل، ويخبئون مقتنياتهم الثمينة، ثم يغلقون بيوتهم بالضبة والمفتاح ويغادرون البلدة؛ فلا أحد يضمن لهم أن يقوم السياسي الذي طمع في الوقود، والغابات، ومحطة الكهرباء، وخطوط السكك الحديدية، والأراضي، وبنادق الصيد، لن يطمع في دراجة الناخب أو في ماكينة تهذيب الحشائش.

لو وجدت أن الحزب الكبير لم يدرجك على قائمة ترشيحاته، فلا تيأس. ولا تسمح لأي حزب صغير بأن يغريك بالترشح في المكان الذي تريده على قوائمه، فأفضل لك دائماً ألا تكون في قائمة حزب كبير، من أن تكون في قائمة حزب لا وزن له.

الحملة الانتخابية

"يَجِبُ أَنْ يُقَوْمَ رَجَالُ السِّيَاسَةِ بِعَمَلِ حَمَلَاتِهِمُ الْإِنْتِخَابِيَّةِ مِنْ خِلَالِ لَوْحَاتِ الْإِعْلَانَاتِ فَقَط. فَهَنَّاكَ
سَيَعْتُرُ النَّاخِبُ عَلَى رَأْسِكَ بِسَهُولَةٍ، وَلَنْ يَعْرِفَ الْكَثِيرَ عَمَّا بَدَاخِلِهِ".

المؤلف

إنَّ الحملات الانتخابية هي نفسها حملات الترويج، الفرق هو أنك لا تروج موديل سيارة جديد، بل تروج لسياسيين. وكما هو الحال في الحملات الترويجية يقومون بإظهار حسنات المرشح في الحملات الانتخابية. يرفعون وجه نجم الإعلانات الذي يروج لشركة تأمين تشيكية، ويضعون مكانه وجه المرشح الذي يروج لنفسه لبعض الوقت. الفرق بين وجه نجم الإعلانات ووجه المرشح هو أن نجم الإعلانات يحصل من الحملة على مقابل، أمَّا السياسي فمضطر إلى أن يدفع مقابل الحملة. وفي حالات نادرة يقوم حزبه بتسديد النفقات نيابة عنه، لكن هذا لا يحدث إلا مع قادة الحزب الذين يتمتعون بوسامة واضحة.

لم تكن هناك حملات انتخابية إبان الحكم الشيوعي؛ لأن الجميع كان يعرف أن حزبًا معينًا هو الذي سينجح. لكن رغم ذلك كانت هناك حملات البنجر، والبطاطس، وحشيشة الدينار، والفحم. ورغم نجاحهم في الانتخابات لم يصل البنجر، ولا البطاطس، ولا حشيشة الدينار، ولا الفحم إلى البرلمان.

وكالات الإعلانات من أكثر الجهات التي تتحمس للحملات الانتخابية. تضم إلى فريقها أفضل المتخصصين الذين يجيدون كسب أصوات الناخبين، إنهم خبراء لا يُقدِّرون بثمن، منهم مثلاً من قام بتصوير رجال السياسة على بطاقات بريدية ووزعوها في صناديق البريد. الهدف هو أن يصوت الناس للحزب، وأيضًا أن يلتفتوا حول المرشح أو المرشحة عن الحزب. إن خبراء الدعاية على قناعة لا يعرف أحد سببها بأن المواطن عندما يرى على لوحة الإعلانات مواطنًا آخر سوف يصوت له فقط من أجل وجهه الناعم. المرشحون بالتأكيد سعداء لأن صورهم توجد فوق كل عمود. سمعت عن مرشح شعر بالإثارة الجنسية وهو

يتطلع إلى صورته فوق لوحة الإعلانات، ويُقال إنه أمر بوضع صورة له على لوحة إعلانات أمام الغرفة التي ينام فيها. وبعد انتهاء الانتخابات رافقت زوجته رجلاً تحدث له الإشارة بدون لوحة الإعلانات، بعدها بدأ المرشح الناجح يدمن الخمر.

من الخطوات الهامة في الحملة الانتخابية نزع ملصقات المرشحين المنافسين. إنها خطوة جديرة بالثناء؛ لأن النظر إلى المراحيض، ومواقف الأتوبيسات، أو المقاعد المغلفة بوجوه المرشحين الذين يلاحقونك في كل خطوة تخطوها، أمر لعين. إن نزع الملصقات أمر يتسم بالمسؤولية، ولا يمكن أن يفعله إلا أشخاص بأعينهم. فقصار القامة لا يمكنهم سوى نزع الجزء السفلي من الملصق، ويظل الناخبون قادرين على تخمين هوية المرشح من عينيه، أو تسريحة شعره، أو قبعته. إنها نموذج لأنصاف الحلول. الأفضل أن تنزع ملصقات المنافسين أثناء الليل، أو عندما يخلو موقف الحافلة من الناس، لكن في هذه الحالة لن تحقق الغرض الرئيسي من هذا العمل؛ حيث لن يراك أحد من أنصار مرشحك؛ لذلك تفقد عملية نزع الملصقات أهميتها، لذلك يفضل أن تُشكّل "هجمة" من الحزب، حينئذ يكون العمل أكثر بهجة، ويكون الأعضاء شهداء على أنفسهم وأنشطتهم.

المؤتمرات الانتخابية

"الهدف الرئيسي من المؤتمرات الانتخابية هو إقناع الناس بأمور لا يؤمن بها المرشحون أنفسهم"

المؤلف

أهم الأشياء (أو الأشخاص) في المؤتمرات التي تسبق الانتخابات هي التالية بنفس الترتيب:

1. بروتشكا، وروزبوريل، وهورفاتوفا، وكازيك، وجلادياتور، وهاميل، ونيدفياد، وبيركي-مرينسيا، وشيفيروفا، وهابيرا، وديبارديو، ومارتسين، وكراوس، ودفورسكي، وآخرون.
2. الميكروفون، والكابلات، ومحسنات الصوت، الخ. لا يمكن أن ننسى أيضاً مكبرات الصوت، فلا فائدة من ميكرفون تصيح فيه بدون جهاز يخرج منه هذا الصياح.
3. الفنيون الذين يتولون تشغيل الصوت وتوصيل الكابلات.
4. البالونات، والأكياس البلاستيكية، والأقلام، وصور السياسيين، وملصقات عليها برنامج الحزب السياسي الذي ينظم المؤتمر. لكن لا طائل من توزيع ملصقات تحمل برنامج حزبك الانتخابي في مؤتمرات يحضرها الغجر؛ بسبب عدم اكتراثهم بالكلمة المكتوبة.
5. وجبات كباب الحلة، ونقانق، وبيرة، وعصائر، وغيرها من المقبّلات. توزيع هذه الأمور في المؤتمرات التي يحضرها الغجر مفيد جداً؛ نتيجة عدم اكتراثهم بالكلمة المكتوبة.
6. لافتات تحمل رقم الحزب السياسي الذي يدعوهم لانتخابه. يفضل اختيار أطول رقم ممكن من أجل الناخبين كبار السن. يجب ذكر رقم حزب الحركة المسيحية الديمقراطية في المؤتمرات التي تعقد في الكنائس، ولا يختلف قُداس بعض الكنائس عن المؤتمرات الحزبية في المرحلة التي تسبق الانتخابات. أذكر بعض رجال الكنيسة من باب الاحتياط

أن يذكروا اختصار اسم الحزب (حمد).

7. المرشحون أنفسهم.

يجب اختيار موعد المؤتمر الجماهيري بعناية. فيحدث أن تعقد في نفس البلدة مؤتمرات انتخابية لثلاثة أحزاب سياسية مرة واحدة. هذا إجراء لا يتسم بالعملية؛ لأن الحزب الذي ينظم مؤتمراً في وسط البلدة لن يجد أمامه طريقاً للهروب. كما أنه لا طائل من إهدار الموارد عبثاً. من الأفضل أن تتفق الأحزاب فيما بينها على تقاسم التكاليف. لو لم يتدبر الحزب مغنياً محترفاً فليختر من بين صفوفه من يجيد الغناء، وإن تعذر ذلك أيضاً يختار رئيس الحزب المرشح كي يغني بنفسه.

من المفضل تأمين "مخربي المؤتمرات الجماهيرية"، أي أناس يقوم الحزب المنافس بإرسالهم، يحملون لافتة عليها عبارات لتشويه رئيس الحزب الذي ينظم المؤتمر. إن مخربي المؤتمرات الجماهيرية أناس شجعان، يدينون بالولاء للحزب، يغامرون بتلقي بعض اللكمات أو الضربات فوق رءوسهم.

الناس يحبون المؤتمرات الجماهيرية، وخاصة في القرى؛ إنها المناسبة الاجتماعية الوحيدة التي يلهون فيها، فضلاً عن الحرائق، والفيضانات، ومباراة كرة القدم، والطقوس الدينية، والجنائز، والمشاجرات.

الوعود الانتخابية

"قِصَّةٌ خَيَالِيَّةٌ قَبْلَ الْإِنْتِخَابَاتِ: كَانَ يَا مَا كَانَ، ثَلَاثَةٌ أَصْوَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ لِلْعَجُوزِ سَلِيمَانَ"

ستانو راديتش

الغرض من الانتخابات هو الحصول على أكبر عدد من الأصوات. الحزب السياسي غير معني بسماع أصوات الناخبين، بل برؤيتها في صندوق الانتخاب، وبعد انقضاء الانتخابات يكون لدى الحزب السياسي كثير من المشاغل التي لا تسمح له بسماع أصوات الناخبين. وفي وقت الحملات الانتخابية من الضروري تقديم الخدمات الانتخابية، أفضلها على الإطلاق هي تلك التي لا تجعل الناخبين يسخرون منها. الخدمات التي يضحك منها الناخبون هي على سبيل المثال: "لو انتخبتمونا سنرفع مستوى المعيشة"، أو "سنخفف نسبة البطالة". ميزة هذه الوعود هي أنها تجعل الناس تضحك، ولا يصدقها أحد. لكن المرشح يكسب ثقة الناخبين بوعود مثل: "أعدكم لو انتخبتموني أن حياتي ستكون أفضل". وعدٌ كهذا يمكن صياغته بطريقة أخرى: "إن انتخبتموني رئيسًا، فسأجعل جميع السفراء زملاءً لي"، أو "لو ساعدتمونا على أن ندخل البرلمان، فسوف نضرب بطلباتكم عرض الحائط".

تصاغ جميع الوعود الانتخابية في المستقبل: "ما أعدكم به اليوم، لن أفعله غدًا". من الواضح أن كل السياسيين معنيون بالمستقبل. وهذا أمر منطقي؛ لأنك عندما تبدأ الحملة الانتخابية بوعد مثل "لو انتخبتموني، أعدكم أن أجعل ماضيكم أفضل" فهذا عبث، إلا لو كان حزبك ينوي الترشح لمعهد ذاكرة الوطن.

أيضًا من العبث وعد الناخبين، والقول بأننا سنفي بوعودنا "الآن وفورًا"، مثل هذه الوعود لا يطلقها إلا حزب جاء ليهرج. لن يضحك الناس لو أن الحزب اتخذ شعارًا مثل "نريد أن نحكم الآن وفورًا". وهناك وعود أكثر تأثيرًا، وهي تلك الوعود الصريحة والحقيقية مثل: "لو ساعدتمونا لندخل البرلمان، سوف نقر لكم زيادة في رسوم الخدمة الصحية"، أو "نعدكم بأن نجعل الدراسة بالجامعات بمصاريف". الناخب يعرف أن هذا سيحدث فعلاً، لكن ما

سيزعجه هو أنك لا تكذب عليه. إن دور الناخبين الرئيسي في الانتخابات هو أن تكذب عليهم، لذلك هم يكرهون الحقيقة. لا يمكنك أن تفوز في الانتخابات بشعارات حقيقية، فالناخب لن يغفر لك الوعود التي ستتحقق؛ فكن خائئًا وكذابًا!

كباب الحلة في موسم الانتخابات

"وَحَتَّى كَبَابِ الحَلَّةِ الانتخابيِّ الجيِّدِ يَبْرُدُ سَرِيعًا"

المؤلف

كان الأغبياء في النظم الشمولية يُفرضون علينا من أعلى، أما في النظام الديمقراطي فنحن نختارهم بأنفسنا. لكن نوايانا في كلتا الحالتين سليمة؛ لأنهم لم يعدونا في النظام الشمولي بشيء أثناء حملتهم الانتخابية، أما في النظام الديمقراطي فلدينا فرصة أن نحصل من المرشح على العصائر، والبيرة، وأحياناً السجائر. لكن أفضل طرق الضيافة هي كباب الحلة الانتخابي. إن كباب الحلة الانتخابي له أهمية سياسية كبيرة، رائحته تستدعي اهتمام المشردين الجوعى بالسياسة، وحتى خبراء التذوق. هناك أناس لا يشاركون إلا في المؤتمرات الانتخابية التي يُقدَّم فيها كباب الحلة، ويختارون الحزب السياسي حسب جودة طهوه؛ لذلك يجب أن يأخذ المرشحون جودة كباب الحلة مأخذ الجد. أعرف مواطنين رفضوا إعطاء أصواتهم لمرشح نسي أن يضع الزعتر في كباب الحلة. كما أن الفشل في الانتخابات يمكن أن ينتج عن قلة الملح، والفلفل، والبصل، والدهون أيضاً. لكن يجب عدم المبالغة في البهارات؛ لأن الفشل يمكن أن يحدث أيضاً جرّاء زيادة التوابل. ولا طائل من أن تطهو كباب حلة توافقي- بدون دهن، وبدن ملح، لأن المرشح مهدد وقتها أن يفقد كل شيء. يجب أن يكون كباب الحلة واضحاً وصريحاً، وأيضاً أن يكون مختلفاً عن كباب حلة الأحزاب السياسية الأخرى، شأنه شأن برامج الأحزاب السياسية. لو قام خبراء العلوم السياسية بتحليل النجاح المتواصل لحزب الائتلاف المجري فليس لديّ شك بأن السبب الرئيسي يعود إلى كباب الحلة المجري الرائع. لو كنت مكان مرشحي الأحزاب السياسية السلوفاكية لما ترددت في الذهاب إلى المناطق الجنوبية في وقت الحملات الانتخابية، وتعرفت سراً على الوصفات المجرية.

كباب الحلة من الوجبات المفضلة في المؤتمرات الانتخابية في المناطق التي تتواجد بها نسبة مرتفعة من التجمعات السكنية المجرية. رغم ذلك يجب الحذر، والتأكد من أنهم

لم يقدموا كباب حلة من لحم الغزال في المؤتمر الانتخابي للحزب المعارض الذي عُقد قبلَ بيوم، فمواطنو هذه الأقاليم يفضلون كباب الحلة من اللحم البقري، وليس بلحم الغزال. ستزداد فرصتك في الحصول على أصواتهم لو أنك قدمت لهم براندي بطريقة غير رسمية.

الفوز في الانتخابات

"لَيْسَ الْمُهْمُ أَنْ تَفُوزَ، لَكِنَّ الْمُهْمَ أَنْ تُشَارِكَ فِي الْاِتِّتِلَافِ الْحُكُومِيِّ"

مستوحاة من بيير دي كوبرتين

يفوز الحزب السياسي في الانتخابات عندما يحصل على أكبر عدد من الأصوات. الأحزاب التي تصل إلى البرلمان تكون مُمتنّة للناخبين على أصواتهم، ولن تنسى لهم ذلك أبداً. سوف تتذكرهم بالتأكيد عندما تكون في حاجة إليهم من جديد.

قد يخدع السياسيون المنتصرون أنفسهم عندما يدّعون بأنهم قد فازوا لأن الناس تحبهم. من يحبهم هم فقط أفراد عائلتهم المقربون، لكن الآخرين صوتوا لهم لأنهم جربوا كل الطرق الممكنة. لم يكن تصويتهم للحزب الذي اختاروه إلا لأنه لم يخيب آمالهم حتى الآن، لأنهم لم ينتخبوه من قبل. إن الأحزاب المنتصرة تحصل على أصوات الناخبين في الغالب بسبب يأسهم.

وعلى عكس كرة القدم التي يكون فيها انتصار فريق على آخر نهائياً، في السياسة لا يعني الفوز في الانتخابات بالضرورة شيئاً ما. أفضل من يتحدث في هذا الأمر هو "فلاديمير ميتشيار" وحزبه (حركة سلوفاكيا الديمقراطية) الذي فاز في الانتخابات عام 1998، وعام 2002، لكنه لم يستفد من ذلك بأي شيء. النجاح في السياسة يتحقق عندما تشارك في الحكومة الائتلافية.

لا تتحدث نتائج الانتخابات إلا عمّن وصل إلى البرلمان. يقول الخبراء إن الانتخابات البرلمانية مجرد توزيع للأوراق؛ لذلك لا يهمل أحد في نظام التمثيل النسبي بعد الانتخابات. الحزب السعيد هو الذي يصل إلى البرلمان بدون أذنين، أما الفائز في الانتخابات فسيختاره كشریک في الائتلاف. لم يتمكّن حزب حركة سلوفاكيا الديمقراطية منذ عام 1998 من المشاركة في الحكومة إلا بعد ثالث محاولة في عام 2006. فاز في المحاولة الأولى والثانية، وأخفق في انتخابات 2006. "كنا في عام 2002 أقوياء لكننا بكينا، أما اليوم فنحن ضعفاء

لكننا نضحك". هذا ما قاله "فلاديمير ميتشيار" حرفياً.

إذن هدف حزب حركة سلوفاكيا الديمقراطية في انتخابات 2010 واضح: 5,0 في المئة ليضحك حتى يستلقي على قفاه.

خسارة الانتخابات

"أفكرُ في الانتِحارِ بَعْدَ كُلِّ خَسارَةٍ فِي الأنتِخابَاتِ. إِنَّها الشَّيْءُ الوَحِيدُ الَّذِي يُبْقِينِي عَلَي قَيْدِ الحَيَاةِ"

وليامز

تقول الإحصائيات إن نسبة الخسارة في الانتخابات أكثر من الفوز فيها، ففي سلوفاكيا يوجد 121 حزبًا سياسيًا، لم يصل منها إلى البرلمان سوى ستة أو ثمانية أحزاب. وهذا يعني بالأرقام أن 0,07 في المئة فقط هي نسبة الأحزاب الناجحة. من الواضح طبعًا أن خبراء العلوم السياسية عليهم أن يولوا أسباب الخسارة في الانتخابات اهتمامًا أكبر في تحليلاتهم السياسية، أكثر من اهتمامهم بأسباب النجاح.

الطريقة المثالية لتجنب الخسارة في الانتخابات هي عدم المشاركة فيها، وبهذا نمنع انتشار روح التشاؤم بين من لم يوفقوا في الانتخابات، خاصة وأن أحدًا لا يبحث عن المذنب الذي تسبب في خسارتهم الانتخابات. هذا الأمر البسيط لم يدركه إلا عدد قليل من رجال الدولة. أول من التفت إلى هذا الأمر كان الحاكم اليوناني "كلايسينيس" الذي طبق الديموقراطية النيابية في أثينا عام 507 قبل الميلاد. كانت هذه أول مرة في تاريخ البشرية يختار فيها الشعب نوابه ليشاركوا في المجلس الإكليركي التشريعي وقتها. قسم المواطنين إلى عشر فئات يمكنها أن تختار نوابها. لكن "كلايسينيس" كان يعلم أنها ستكون مخاطرة لو أنه ترك للمواطنين اختيار النواب التشريعيين، فقد كان يعرف مواطنيه جيدًا، ونادرًا ما وثق في قدراتهم العقلية وقيمهم الأخلاقية؛ لذلك قرر أن يلجأ إلى الآلهة لاختار، وكان اليونانيون يقدسونها، بمعنى أنهم ببساطة أجروا قرعة لاختيار النواب. بهذا وفر "كلايسينيس" أموالًا طائلة تُنفق على الحملات الانتخابية، ورشوة الناخبين، أو الصحفيين. كما أنه لم تكن هناك خسارة، بل على العكس، فمن حالفهم الحظ شعروا بأنهم مختارون من الآلهة. ويمكنني أن أؤكد أنه لو أمكن اختيار الأعضاء اليوم بنفس الطريقة فلن نرى أي تغيير سلبي في طريقة الحكم.

الفصل الرابع الحكومة

الحكومة

"كُلُّ الحُكُومَاتِ سَيِّئَةٌ بِمِقْدَارِ مَا يَسْمَحُ لَهَا بِهَ المُواطِنُونَ، وَكُلُّ الحُكُومَاتِ جَيِّدَةٌ بِمِقْدَارِ مَا يُجْبِرُهَا عَلَى ذَلِكَ المُواطِنُونَ"

جيروم دافيد ساليانجر

عرف التاريخ أشكالاً عديدة من الحكومات. ونشأت كلها في اليونان القديمة، حيث جرّب الحكام في مواطنهم أنواعاً كثيرة للحكم. كانوا يبحثون عن طريقة يزعجون بها أقل عدد من المواطنين قدر الإمكان. وكلما صار المواطنون أقل رضا ازداد سعيهم للبحث عن حكومة. في البداية سيطر الأرسطوقيطيون على الحكم، وكانت تسمية هذه الطبقة مشتقة من كلمة "أرسطو"، ومعناها الأفضل. في الواقع شارك في الحكومة في البداية أفضل العناصر، لكنهم سرعان ما استبدلوهم بعناصر سيئة، فبدأ المواطنون يعلنون عن سخطهم؛ لذلك أوجدوا لهم حكومة الأقلية oligarch، والتي سموها اشتقاقاً من كلمة "oligo"، ومعناها القلة. لكن لم يسيروا أمور المواطنين كلهم على أفضل حال، بل قلة منهم فقط. لم تنجح حكومة الأقلية لسبب بسيط، كان عدد الذين أرادوا الاستئثار بالحكم كبيراً، وفي حكومة الأقلية لا يمكن أن تحكم الأغلبية؛ لذلك ظهر أحدهم وطبق نظام الحكم التيموقراطي timocracy، وهي تسمية مشتقة من كلمة "time" ومعناها في اللغة اليونانية القديمة: التقييم الضريبي. تولى الحكم في النظام التيموقراطي كل من أقرّ بما يملكه، وشارك في الحكومة كل من زاد على غيره في دفع الضرائب. كانت هذه طريقة ماكرة؛ لأنه لم يشارك في الحكومة إلا صاحب أكبر الأملاك التي أقرّ بها. وهنا قرر المواطنون تولي مقاليد السلطة، وشكلوا ما يعرف بالحكم الأخلوقراطي ochlocracy - حكومة الرعاع. لكن المشكلة حدثت عندما ضغط الرعاع من أجل الوصول إلى مبنى الحكومة. كان عدد سكان إسبرطة وقتها 250 ألف نسمة، منهم 220 ألفاً من الرعاع. ورغم براعة البناء اليونانيين لم يكن في مقدورهم تصميم صالة اجتماعات تتسع لمثل هذا العدد؛ لذلك لم يشارك في الحكومة إلا أول من وصل إلى مقر الحكومة بعد إقرار النظام الأخلوقراطي. وبالطبع أثار

ذلك سخط من وصل متأخرًا ولم يدخل، فبدءوا مع الوقت في التفكير في النظام البرلماني الديمقراطي، وفيه يقوم المواطنون بانتخاب من يرغبون في إدارة شئونهم. واشتقت كلمة الديمقراطية النيابية من لفظة demos ومعناها الشعب، والشعب هو كل من لم يصل إلى مقعد الحكم.

يبدو أن الحكومة هي مؤسسة مفيدة. هناك دول تتغير فيها الحكومات مرة كل ثلاثين عامًا، ودول أخرى ليس لديها حكومة من الأساس، كما أنه توجد دول تتغير فيها الحكومات كثيرًا مثل تُغَيِّرُ مواسم التخفيضات على الملابس الشتوية والصيفية. لقد ظهرت في فرنسا من نهاية الحرب العالمية الثانية 43 حكومة، وفي إيطاليا 53. الجدير بالذكر أن تعاقب الحكومات في هاتين الدولتين كان ناجحًا بدرجات متفاوتة، لكنه في نهاية الأمر كان موفقًا. لكن هذا دائمًا ما نجح حتى في الدول التي ليس لديها حكومات، وتسودها الفوضى.

ظهرت أول حكومة في العصر الحديث في القرن السابع عشر في إنجلترا، وكانت تسمى في بداية الأمر باسم الغرفة، ليس لأن الوزراء كانوا "يمرحون" في الغرفة أو يدخنون التبغ سرًا، لكن لأن الملك كان لديه عدد كبير من المستشارين، ولم يكن قادرًا على أن يتذكرهم جميعًا، فاختر بعضهم ودعاهم إلى مكتبه الملكي، ومن وقتها والحكومات تسمى باسم الغرفة.

فرص الائتلاف

"يُقْنَعَكُ كُلُّ مَنْ هُوَ فِي الْاِئْتِلافِ الْحُكُومِيِّ أَنَّهُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَعْْمَلُ، وَشَرِيكُهُ فِي الْاِئْتِلافِ يُفْسِدُ مَا يَفْعَلُهُ"

مينجوير

كل حزب سياسي بعد انتهاء الانتخابات مستعد أن يتخلى عن أفكاره، ويأتلف مع أي حزب سياسي آخر، فقط من أجل أن يصل إلى السلطة. يطلق خبراء العلوم السياسية على التخلي عن الأفكار "فرص الائتلاف". ستكون مفاجأة لطيفة لو اتحدت الأحزاب بناء على برامج متشابهة. وربما تكون مفاجأة للأحزاب المؤتلفة نفسها؛ لأنها ستأكد عند اتحادها مع بعضها بناء على برامج متشابهة أنها لا تملك أية برامج. تعلن جميع الأحزاب أثناء تشكيل الحكومة الائتلافية صراحة أنها مستعدة للدخول في ائتلاف مع أي حزب. وبعد تشكيل الحكومة الائتلافية تنتبه الأحزاب التي لم تدخل الائتلاف أنها صارت خارج الخدمة لمدة أربعة أعوام؛ لذلك تعود إلى ادعاء المبادئ. تبدأ في ممارسة سياسة معارضة شرسة. تتلخص سياسة المعارضة الشرسة في النقد اللاذع للأحزاب لم تكن لتنتقدها لو أنها شاركت معها في الحكومة الائتلافية.

يسمى الائتلاف في علم الاقتصاد بالاتحاد الاحتكاري الذي يضطر إلى الاسهاب في الشروح أمام مكتب مكافحة الاحتكار. لكن لا توجد اتحادات احتكارية في السياسة. لذلك فالأحزاب السياسية ليس مضطرة إلى شرح أية شيء. فعندما يحصل حزب ما على الأغلبية المطلقة لا يكون في حاجة إلى الدخول في ائتلاف مع أحد للممارسة الحكم. لم يحدث هذا في المناطق الأوروبية التي تتبنى نظام القائمة النسبية إلا مرة واحدة - في سلوفاكيا تحت قيادة "فلاديمير ميتشيار". من المستحيل اليوم عملياً أن تحصل على الأغلبية المطلقة أحزاب مثل حزب حركة سلوفاكيا الديموقراطية، أو حزب سمار، والمهمة 21، والمهمة 31، والحزب الشيوعي الوطني، والحزب الشيوعي السلوفاكي، وحزب نعم، وحزب لا، وحزب البستان، وحزب بينتا، وحزب التبجيل أو حزب المرسي. لذلك لن نخوض في هذا الأمر.

إن قدرة الأحزاب السياسية المؤتلفة على ابتزاز بعضها البعض هي شرط أساسي لنجاح التحالف. لو لم تتمتع بهذه القدرة فمن الأفضل ألا تشارك في الائتلاف. إن فرص الائتلاف تنطلق أساسًا من علاقات الصداقة لرؤساء الأحزاب التي حصلت على أكثر من خمسة في المئة من الأصوات. وتُبنى علاقات رؤساء الأحزاب أثناء المناسبات المختلفة، أو أنها تتعكر أثناء هذه المناسبات. على سبيل المثال لم يمرر "روبرت فيتسو" الكرة إلى "ميكولاش دزوريندا" أثناء مباراة كرة القدم، فبات من الواضح أن فرص الائتلاف بين هذين الرئيسين قد باتت قليلة، أو منعدمة. لكن "روبرت كاليناك" مرر الكرة إلى "ميكولاش دزوريندا" (لقد أفصحت للتو مجددًا عن أحد الأسرار)، لكن ذلك لم ينفعه، لأنه لم يعد رئيسًا للحزب وقت تسطير هذا الكتاب. لكن "دزوريندا" ما زال حتى كتابة هذا العمل رئيسًا، ورغم ذلك لا ينفعه هذا بشيء.

الائتلاف

"الائْتَلافُ هُوَ فَنُّ ارْتِدَاءِ الْفَرْدَةِ الْيُسْرَى مِنَ الْحِذَاءِ فِي الْقَدَمِ الْيُمْنَى دُونَ أَنْ تَضَعْتَ عَلَى قَدَمِكَ"

جوي موليت

إن الائتلاف شر لا بد منه. ويظهر الائتلاف عندما يعجز واحد عن فعل كل شيء. ائتلاف ضد العدو أثناء الحرب العالمية الثانية- ائتلاف معارض لهتلر، وضد الإرهاب- التحالف ضد الإرهاب، وضد العدو في السياسة السلوفاكية- الائتلاف المعارض لـ"ميتشيار". عيوب الائتلاف أكثر من مزاياه، ومن أكثر عيوب الائتلاف:

لا يتحمل أحد المسؤولية، وكل عضو في الائتلاف يلقي باللائمة على غيره.

هناك فرصة للتواني، تمامًا مثل الرجال عندما يرفعون معًا لوحًا من الخشب.

- توزع الغنائم بين عدد كبير.

- الائتلاف دائمًا يقبل الحلول الوسط.

- في الائتلاف دائمًا يوجد ابتزاز متبادل بين الأحزاب المؤتلفة.

غالبًا ما يكون للائتلاف ألوان مميزة له. ألوان الطيف، الأحمر والأسود (حزب ÖVP-SPÖ في النمسا)، الأحمر والأخضر (حزب الخضر الألماني)، ألوان إشارات المرور الضوئية (الأحمر، والأصفر، والأخضر - الاشتراكيون والليبراليون والخضر في ألمانيا)، الأسود والأزرق (ائتلاف ÖVP-FPÖ في النمسا). يمكن أن يكون الائتلاف أيضًا حزبًا سياسيًا، مثال على ذلك ائتلاف الاشتراكيين الديمقراطيين الذي انبثق عن ائتلاف أحزاب الحركة الديمقراطية المسيحية، والاتحاد الديمقراطي، والحزب الديمقراطي، والديموقراطي الاجتماعي السلوفاكي، وحزب الخضر. وعندما عجزت تلك الأحزاب عن إحداث تآلف بين ألوانها قرر أعضاؤها اختيار اللون الأزرق، ثم اتضح مع الوقت أنه ليس اللون المفضل لدى الجميع، فاتفقوا على حل وسط: اللون الأزرق مقبول.

ينشأ الائتلاف بناء على اتفاقية شراكة. اتفاقية الشراكة هامة لكي يعرف كل من وقع عليها ما الذي سيخرقه. إن النكث باتفاقيات الائتلاف يتم بالتناوب، فمن العيب أن ينقض أطراف الائتلاف اتفاقهم مرة واحدة، فعندها لن يتمكن كل طرف من توبيخ الآخر، لذلك يخرق

أحد الأحزاب الاتفاق، ثم يتلوه حزب ثان أو ثالث. إن خرق اتفاقية الائتلاف يحدث كثيراً في الممارسة السياسية، بنفس قدر الحفاظ عليها، لذلك لا ينزعج أحد من خرق الاتفاقية، باستثناء الديموقراطي المسيحي الذي يثور دائماً عند حدوث أية خروقات لاتفاقية الائتلاف. أيضاً يحدث تهديد بمغادرة الائتلاف بعد كل خرق للمعاهدة. لكن، ورغم أن اتفاق الائتلاف قد تم خرقه بانتظام في الفترة من 2002 - 2006، لم ينسحب أي حزب من الائتلاف باستثناء حزب الحركة المسيحية الديموقراطية الذي هدد على الملأ بأنه سينسحب من الائتلاف ما لم يلتزم أطرافه بالاتفاقية، والتزموا بتعهدهم ونقضوا اتفاقية الائتلاف وانسحبوا من التحالف لسبب لا يعرفه أحد من حزب الحركة المسيحية الديموقراطية حتى وقت إعداد هذا الكتاب. وعندما انسحب حزب (نعم) نفسه انهار الائتلاف، وخسرت بذلك مرتب أربعة أشهر، وإقامة مدعمة لقضاء إجازة في مدينة "تشاستي بابرينيتشكا".

تعد إسرائيل من الحالات الجديرة بالاهتمام فيما يتعلق بالحكومات الائتلافية. فاليهود لديهم تقاليد عريقة في الجدل منذ ألف عام. يقولون في مدينة القدس إنه عندما يلتقي ثلاثة يهود تظهر بينهم خمسة آراء. يمثل سبعة ملايين نسمة في البرلمان الإسرائيلي عشرون حزباً. وخارج البرلمان يوجد مئة حزب آخر. لذلك من السهل على أي رئيس حكومة معين أن يشكل حكومة ائتلافية في إسرائيل، فلديه بدائل اختيار كبيرة. في ربيع عام 2007 تولى الوزارة في هذه الدولة ائتلاف من أحزاب: كاديما، وجيل، ونيما، وشاس. لو أراد رئيس الوزراء أولمرت لاختار من أحزاب الليكود، وبيتنا، وموليديت، وتكوما، وأجودات، وديجيل، وميريتس، وغيرها من الأحزاب التي لها أسماء أكثر غرابة. لذلك فـرئيس الوزراء السلوفاكي المعين يعد هاويًا مقارنة برئيس الوزراء الإسرائيلي.

إن ما يسمى بالائتلاف الموسع هو مثال جيد عن عدم جدوى الديموقراطية البرلمانية. يطبق هذا الائتلاف الموسع منذ سنوات طويلة في كل من ألمانيا والنمسا. يشكله أكبر حزبين سياسيين. اتهامات وشتائم متبادلة إبان الحملة الانتخابية. الاشتراكيون يشكلون الحكومة مع المحافظين بناء على برنامج لم يطرحه أي من الحزبين أثناء الانتخابات. جدير بالذكر أن أحزاب مثل SPD وCDU/CSU أو مثل ÖVP وSPÖ لديهم معًا ما يقرب من 90 في المئة من الأصوات في المجلس الاتحادي، أي المجلس القومي. الائتلاف المستقر قد يحدث عندما تشارك فيه جميع الأحزاب الممثلة في البرلمان. ولا يهم موضوع برنامج الحزب؛ لأن الأحزاب تعرف أن البرامج التي تعرضها قبل الانتخابات لا يقرؤها أحد. في سلوفاكيا يمكن تحقيق هذا الحل المثالي بتغيير الدستور السلوفاكي بحيث لا تضطر الأغلبية التي تشكل الحكومة إلى الحصول على 76 من الأصوات، بل كل الأصوات المئة والخمسين. ومن المؤكد أن المواطنين سيرحبون بمثل هذا الحل.

مجلس الائتلاف الحاكم

"الائْتِلافُ مِثْلُ الْجِنْسِ الْجَمَاعِيِّ. يُمَكِّنُكَ أَنْ تَلْتَقِطَ فِيهِ أَنْفَاسَكَ بِاسْتِمْرَارٍ"

مؤلف مجهول

إن وجود مجلس الائتلاف الحاكم في سلوفاكيا دليل صريح على أن سلوفاكيا ليس بها ديمقراطية برلمانية؛ ففي الديمقراطية البرلمانية تُتخذ جميع القرارات تحت قبة البرلمان، لكن من يقرر في سلوفاكيا هو مجلس الائتلاف، والأغلبية البرلمانية لا تفعل سوى اعتماد شكلي للقرارات التي يتخذها المجلس. تعتبر مؤسسة مجلس الائتلاف شيئاً فريداً من نوعه في العالم، فهناك مجلس ائتلاف المؤسسات الأذربيجانية غير الحكومية التي لديها شعار يقول: "النط للجميع!"، ومجلس ائتلاف وسائل الإعلام الأمريكي الإسباني، ومجلس ائتلاف زراع القمح الياباني، ومجلس ائتلاف جمعيات مناهضة حكم الإعدام. إن دور مجلس الائتلاف هو فقط إجراء المباحثات التي تخص الائتلاف، والمباحثات الائتلافية معقدة، وطول الجلسة الواحدة يتوقف على عدة عناصر هي:

- عدد الأحزاب المتألفة

- مدى وقاحة طلبات الأحزاب المتألفة.

- مدى صبر هذه الأحزاب التي لم تقدم الطلبات.

- مدى صبر الحزب الذي قدم الطلب.

- صبر رئيس أقوى حزب في الائتلاف.

- عدد الرؤساء الذين يتميزون بالعدل في الأحزاب المؤتلفة.

مجلس الائتلاف هو هيئة من مجموعة من الأفراد الذين يعتقدون أنهم يفهمون كل شيء. هذا الاعتقاد يؤهلهم حسب اعتقادهم لكي يقرروا في مصير البلد. ويتبنى الوزراء قراراتهم،

ومن بعدهم الأغلبية البرلمانية في البرلمان. الالفت للانتباه أن المواطنين يتأفون من تعيين هواة غير خبراء في الأماكن القيادية بمحطات الكهرباء أو الغاز، في حين لا يابهون عندما يرون في مجالس الائتلافات السلوفاكية فنيًا شيوخًا، أو عامل بناء، أو أخصائي تفجير مناجم، أو مشاركًا في سباق السيارات، أو ممثلًا، أو مهندس محركات، أو عالم رياضيات، أو كاهنًا سرّيًا، أو خبير أمراض نساء، أو مدرسًا. لو كانت هذه هي طبيعة المشاركين في رئاسة المجلس الإداري لمحطات الكهرباء السلوفاكية، أو صناعة الغاز السلوفاكية فعلى المواطنين وقتها أن يشرعوا من باب الاحتياط في تخزين الخشب للتدفئة في فصل الشتاء؛ فعندما يتخذ قرار خاطئ بخصوص محطات الغاز، فسنشعر به جميعًا على الفور، أما القرار السياسي الخاطئ فلن نشعر به إلا بمرور الوقت، وغالبًا عندما يختفي المجلس الائتلافي الذي اتخذ القرار؛ لذلك تكون قرارات مجلس الائتلاف غالبًا جريئة، وذات رؤية طويلة المدى.

رئيس الحكومة

"الحُكُومَةُ يُمكنُ أَنْ يُدِيرَهَا طَبَّاحٌ"

فلاديمير إيليتش لينين

رئاسة الحكومة هي من المناصب التي ظهرت ليس لأن أحداً يحتاجها بصورة لا مفر منها، لكن السبب في وجود هذا المنصب هو توفير وظيفة محترمة لأحد التابعين المخلصين. أول من فكّر في هذا المنصب كان الفرنسيين عام 1624 عندما اختار الملك "لودفيغ الرابع عشر" أكثر وزرائه إخلاصاً له، ونصبه أول "رئيس للوزراء". أسس أول رئيس للوزراء، الكاردينال "دي ريشيليو" - فضلاً عن أعماله الأخرى- أكاديمية فرنسية تعليمية، وهي الأكاديمية الفرنسية. في سلوفاكيا لدينا أكاديمية العلوم السلوفاكية، لذلك أُوصِدَ الطريق إلى دخول تاريخ العلم أمام رؤساء الوزراء السلوفاك.

ولم يَرُضَ الإنجليز أن يتقدمهم الفرنسيون؛ لذلك ظهر وزيرهم الأول في عام 1715. أجبرهم على ذلك أنهم كانوا غير قادرين على التواصل مع الملك، لأن ملك إنجلترا في عام 1714 كان الألماني جورج لودفيج، وبصفته ملك إنجلترا فقد حمل اسم جورج الأول، وترأس غرفة الوزراء. بمعنى أدق، كان سيرأسها لو استطاع أن يتواصل مع أعضاء الغرفة. كان ملك إنجلترا جورج الأول يتحدث الألمانية بطلاقة، والفرنسية أيضاً، ولكن لم يكن هناك سوى قليل من سكان مدينة لندن يعرف هذه اللغة. وعندما أجاب ذات يوم على سؤال أحد الوزراء: "How are you" أجابه "Ich liebe England". كان واضحاً أنه هو الآخر لا يعرف اللغة الإنجليزية. وقام وزراء ملك إنجلترا بحل القضية في عام 1715 على الطريقة الإنجليزية أيضاً. أكدوا في البداية أنهم يفهمون الملك، لكن الملك أدرك أن الأمور عكس ذلك، فعَيّن أحد الوزراء في وظيفة الوزير الأول prime-minister، ومنذ ذلك الوقت ولديهم في إنجلترا حكومة جلالة الملك أو الملكة. لكن الملك اشترط أن يدير الغرفة بنفسه، لكن بمرور الوقت تأكد أنه غير قادر بمفرده على ذلك، فأعلن أن الديمقراطية قد حلت على إنجلترا وانتهى الأمر! وترك للبرلمان صلاحيات المراقبة، وتفرغ هو لهوايته المفضلة وهي

الكروشييه. فالديموقراطية إذن لم تظهر عند الإغريق، بل في إنجلترا نتيجة لهواية الملك في عمل الكروشييه. لم يتوقع الملك أن المواطنين سيعجبون بالديموقراطية إلى درجة أنهم يختارون في الانتخابات حزباً سياسياً يقوده رؤساء وزراء لحكومة ستكون أقوى من الملك. ليس رئيس الوزراء الجيد هو من يرتكب أخطاءً أقل من سلفه، بل من يجيد الدفاع عن أخطائه بطريقة مقنعة. الوسيلة المقنعة للدفاع عن الأخطاء هي تلك الوسيلة التي يبدو منها أنه رغم الأخطاء فقد دفع الدولة إلى غدٍ مشرق.

القاعدة الأصيلة عند تناوب رؤساء الوزراء هي أن رئيس الوزراء المكلف دائماً أفضل من سلف، ولكي يثبت ذلك عليه أن يصحح أخطاءه منذ البداية يصاحبه صراخ وعويل. وبما أن رئيس الوزراء يعلم أنه آجلاً أو عاجلاً سوف يحل محله رئيس وزراء آخر؛ فهو لا يتحدث عن تصويب الأخطاء، بل عن إجراء تغييرات. إن إجراء التغييرات من أولى مهام رئيس الوزراء الجديد، ولا يهم أية تغييرات سيجريها، لكن عليه أن يقوم بها، وإلا سيسأله الناس عما يفعله في وظيفة رئيس للوزراء.

البلكون أم البلقان

"الْمَلِكُ يَمْلِكُ، وَلَا يَحْكُمُ"

مؤلف مجهول

رغم أن هذا القسم يتحدث عن الحكومة، لكنني أسمح لنفسي أن أدرج بشكل استثنائي فصلاً عن الملوك والرؤساء. رغم أن صلاحياتهم الدستورية محدودة في كل من سلوفاكيا، وألمانيا، والمجر، وبريطانيا العظمى. إنهم من الناحية الرسمية المواطنون رقم واحد في بلادهم. لدى الرئيس أو الملك كثير من المهام ذات الشأن. إحدى هذه المهام وأهمها هي ألا يجلب العار لبلاده. فالملك والرئيس ممثلون لبلادهم، ويكفيهم أنهم موضع سخرية مواطنيهم في الداخل. فالرئيس يجب ألا يخلط بين سلوفاكيا وسلوفينيا، وبين العراق وسوريا، والبلكونة والبلقان، و"بنديكت" و"دومينيك". كما أنه لا يجب أن ينطق أسماء مضيفيه بطريقة خاطئة كما حدث مع الرئيس الألماني "هنريش ليوبيك" أثناء زيارته لمدغشقر، فقد خاطب الرئيس وزوجته بعبارة: "السيد الرئيس، السيدة تانايرف"، يبدو أنه لم يكن يعرف أن تانايرف هي عاصمة مدغشقر. وفي دولة إفريقية أخرى بدأ خطبته بالعبارة التالية: "سيداتي سادتي، أعزائي الزوج". إن كلمات الرئيس "ليوبيك" أثارت وقتها في ألمانيا عاصفة من الضحك، ونشرت البهجة في كل أرجاء ألمانيا لأول مرة بعد الحرب. قطعت بسببه إذاعة بافاريا برنامجها اليومي الساخر المسمى "مجتمع بافاريا الناري"، وذكرت الإذاعة أن السبب في ذلك يعود إلى أن ضيوف البرنامج يتلقون المكافآت عبثاً، فلم يكونوا مضطرين إلى اختلاق أي قصص ساخرة، يكفي أن يذكروا مقتطفات من خطابات رئيسهم.

لكن يبدو أن المادة الأكثر دسامة للساخرين في كل أنحاء العالم، وخاصة في بلده أمريكا هو الرئيس الأمريكي "جورج ووكر بوش" (بالسلوفاكية يوري خوداتس كريك). في الوقت الذي كان الأمريكيون يتخوفون إبان حكم الرئيس الأمريكي "كلينتون" من اللحظة التي يفتح فيها الرئيس أزرار سرواله، في عهد بوش كان يملكهم الخوف كلما فتح الرئيس

فمه. يقول المُسْتَنُون إن السبب الذي جعل بوش ينخرط في السياسة هو أنه لم يعثر على نبط في ولاية تكساس. يُقال إنه أثناء زيارته لموسكو اقترحوا عليه أن يزور قبر لينين، لكنه رفض لأنه من عشاق موسيقى البيتلز. يؤكد "ياي لينو"⁽⁶⁾ أنه عندما سأله عن رأيه بشأن الاحتفال بمرور مئة يوم على وجوده في منصبه، أجابه بوش باندهاش: "مئة يوم؟ يا له من عام مرَّ بسرعة رهيبه!". خاطب "يوري خوداتس" الطلبة في جامعة "بييل" أثناء تسلمه الدكتوراه الفخرية من الجامعة قائلاً: "أريد أن أهنئ كل الطلبة المتفوقين، وأقول للطلبة الفاشلين: يومًا ما قد يصبح أحدكم رئيسًا". وقد أثنى الرئيس كينيدي على عمله بهذه العبارات: "إنه عمل جيد، لديّ مرتب محترم، ويمكنني أن أذهب إلى مكثبي سيرًا على الأقدام".

كانت المجر أيضًا مادة للسخرية إبان الحرب العالمية الثانية بسبب أكبر ممثليها، على الأقل في مكتبة الكونجرس الأمريكي. عندما أعلنت المجر الحرب على الولايات المتحدة بضغط من ألمانيا، طلب أحد رجال الكونجرس الأمريكي من أحد المهاجرين المجرين الذين يعملون في مكتبة الكونجرس أن يذكر له شيئًا عن المجر، فسأله:

"كيف تبدو المجر؟"

"إنها مملكة يسكنها ثمانية ملايين ونصف المليون نسمة".

"ما اسم الملك؟"

"لا يوجد عندنا ملك، بل عندنا أمير للبحار اسمه هورسي".

"أمير للبحار؟ لديكم إذن أسطول قوي؟"

"ليس لدينا أسطول؛ لأن المجر لا تطل على بحار، حيث سلبتنا إيطاليا إياه عام 1918".

"صحيح؟ إذن أنتم الآن تحاربون إيطاليا؟"

"كلا، إن الإيطاليين حلفاؤنا. نحن نحارب ضد الروس".

"حقوق إقليمية؟"

(6) مقدم برامج تلفزيونية أمريكي شهير، وهو من مواليد 1950. المترجم

"كلا، حقوقنا الإقليمية نطالب بها سلوفاكيا ورومانيا".

"إذن أنتم تحاربونهما؟".

"كلا، نحن نتعاون مع رومانيا وسلوفاكيا من أجل نهضة أوروبا...".

غادر رجل الكونجرس المكتبة، واتجه إلى البوفيه مباشرة. يقول الشهود إنه شرب ثلاثة كئوس من الويسكي مرة واحدة كي يعرف السبب الذي يجعله يصاب بدوار في رأسه.

نستخلص من هذه القصة أن المواطنين التالية أوصافهم لا يجب أن يتولوا رئاسة بلادهم:

- الأدميرال، طالما كانت الدولة لا تطل على بحار.

- مرشدو الجبال، طالما لا توجد جبال في البلاد.

- قادة القوافل، طالما كانت الدولة بدون صحراء.

- مهندسو الحدائق، طالما كانت الدولة مجرد صحراء.

- خريجو المدرسة الماركسية اللينينية، طالما أردتم ألا تجعلوا من بلادكم صحراء.

- البروتستانت، طالما كانت دولة يقطنها كاثوليك.

- المجريون، طالما كانت دولة تعيش فيها أغلبية سلوفاكية.

- السلوفاك، طالما كانت دولة تعيش فيها أغلبية سلوفاكية

- من لا يشربون الخمر، طالما أردتم دولة تحظى بالاحترام.

إن اختيار الشخص الصحيح في منصب الرئيس يعتبر مهمة صعبة، ومن الأفضل تركها للمتخصصين، والثقة في مؤسسة متخصصة في الموارد البشرية. بعدها ما عليك إلا أن تطلب من المرشح الذي تم اختياره أن يترك الترويج عن الشعب لممثلي الكوميديا.

تشكيل الحكومة

"لَيْسَتْ الْحُكُومَةُ الدِّيْمُوقْرَاطِيَّةُ هِيَ أَفْضَلُ الْحُكُومَاتِ، لَكِنَّ أَفْضَلَهَا الْحُكُومَةُ الرَّشِيدَةُ"

أفلاطون

يكلف رئيس الجمهورية بعد إعلان نتائج الانتخابات رئيس الحزب الفائز بتشكيل الحكومة. يقوم رئيس الحكومة المعين باختيار من لديه الرغبة في الائتلاف مع حزبه. يعتبر نصراً كبيراً إذا تم تشكيل الحكومة من أول مرة، ويكون رئيس الوزراء هذا من المحظوظين. لو لم يوفق، يقوم الرئيس باختيار شخص آخر يليه في الترتيب، ويستمر الأمر إلى أن يجد رئيس الحكومة المعين من ترغب الأغلبية النسبية في مجلس النواب في الائتلاف معه. بعد أن يتحقق ذلك يبدأ تشكيل الحكومة بالأسماء. غالباً ما تكون هذه أسعد فترة في حياة رئيس الحكومة؛ لأنه يقرأ السير الذاتية لأعضاء الحكومة القادمة، ويسعى إلى إقناع رؤساء الأحزاب المؤتلفة معه كي يرشحوا له أحد البنائين بدلاً من رسام أكاديمي لشغل وظيفة وزير الإسكان. في الغالب لا يحالفه الحظ، فلو وجد الحزب المتألف من بين خبراءه عامل بناء، فمن المنطقي أن يرشحه على الفور، وبدراً بذلك المشاكل التي قد تواجه رئيس الحكومة، لكن غالباً لا يجد هذا العامل. فإمّا أن يُصِرَّ على ترشيح الرسام الأكاديمي، أو في حالات نادرة يرشحه في منصب وزير الثقافة، ويطلب من الحزب الذي يطالب بحقيبة وزارة الثقافة أن يجد هو عامل البناء.

يبدو من الخارج أن الوزارات توزع حسب الخبراء الذين يمتلكهم الحزب لشغل منصب محدد، لكن هذا مجرد وهم؛ لأن الوزارات توزع حسب درجة وقاحة الحزب المشارك في الائتلاف، فالحزب الأكثر وقاحة في الائتلاف يحارب غالباً من أجل الحصول على الوزارات التي تسمى بالوزارات المؤثرة، ألا وهي وزارة الداخلية، والعدل، والمالية، والدفاع، والاقتصاد. وتظل وزارة الاقتصاد مؤثرة طالما كان هناك شيء لم يُخَصَّصْ بعد.

من مزايا الحكومة الائتلافية أنها تتسع لكثير من الأعضاء. كلما زاد أعضاء الائتلاف ازداد عدد رؤساء الحكومة والوزراء. أيضاً كلما زاد الوزراء ازداد عدد مساعديهم. يمكن أن تتشكل الحكومة من ثمانية وزراء (كما هو الحال سويسرا)، وقد يصل العدد إلى اثنين وثلاثين (كما كان الحال في تشيكوسلوفاكيا السابقة).

من الضروري عند تشكيل الحكومة وضع الأمور التالية في الاعتبار:

رغبات الأحزاب في تولي حقائب بعينها.

عند ظهور مرشح لوظيفة عليا في التحالف لم تتوفر له وزارة بعينها، يجب تسميته في منصب رئيس الوزراء.

إذا كان المرشح صديقاً لرئيس الحكومة، ويفهم في شيء لا توجد له وزارة، يجب استحداث وزارة له.

عندما لا يرشح أي من الأحزاب المتحالفة أي خبير جديرين بوزارة موجودة، يتم إلغاؤها. هذه الحالة غالباً ما تكون نادرة؛ لأن كل حزب لديه عادة خبير لأية وزارة.

رئيس الوزارة غالباً ما يفهم في شئون وزارة واحدة بعينها، وهذا ما يزعجه بعض الشيء وليس كثيراً؛ لأنه يعرف أن من بين أعضاء حكومته وزراء لا يفهمون في إدارة أية وزارة.

رئيس الوزراء غالباً لا يفهم في إدارة شئون أية وزارة، وهذا الأمر لا يزعجه على الإطلاق، فهو لا يتحمل أية مسئولية، ولديه حكومة تحمل عنه المتاعب.

في النظم الملكية عادة ما يكون الملك أو الملكة هي رأس الدولة بشكل رسمي. هذان لا يفهمان في شيء على الإطلاق، فالملوك عادة ما يكونون خريجي الأكاديميات العسكرية المرموقة، حيث قضا فيها وقتهم غالباً في مقامرة كبار الضباط، وملاعب الجولف التابعة لهم؛ لذلك فالملك أو الملكة لا يزعجهم على الإطلاق أنهم لا يفهمون في شيء، لأن وظيفتهم هي إذكاء روح التفاؤل في نفوس المواطنين.

مواصفات أعضاء الحكومة

"عندما تُولِّتُ مَنْصِبَ وَرَازَةِ الْبِيئَةِ اِكْتَشَفْتُ أَنَّ سَلَفِي كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ biodiversity⁽⁷⁾

هُوَ اسْمُ أَحَدِ أَنْوَاعِ مَسَاحِقِ الْعَسِيلِ"

ميخال ميخار

إذا أردت أن تصبح خبازاً فسوف يطلبون منك شهادة خبرة، بدونها سوف تحصل على وظيفة متواضعة في المخبز. وإذا أردت أن تصبح سائق أتوبيس، فعليك أن تمتلك رخصة قيادة، وإذا أردت أن تصبح مديراً لإحدى المستشفيات فيجب أن تجتاز امتحاناً معيناً. تقدم شركات الاستشارات المتخصصة في الموارد البشرية متخصصين في مختلف المجالات. المجال الوحيد الذي لا يوجد لديهم متخصصون له هو السياسة. عند تشكيل الحكومة لا فائدة من شركات الاستشارات، ولا لاختبارات الأهلية، ولا لشهادات الخبرة. أسهل منصب عند تشكيل الحكومة هو منصب رئيس الوزراء؛ لأنه لن يجد من يسأله عن أهليته لشغل المنصب. لو كان رئيس الحكومة مهندس طرق، فسيكون على كفاءة عالية في قيادة البلاد؛ لأن غالبية المواطنين يسافرون. وإذا كان مهندساً معمارياً، فسيكون ذلك رائعاً؛ لأن أغلبية المواطنين يسكنون في بيوت أيضاً. وإذا كان حقوقياً، فسيكون ذلك أيضاً رائعاً؛ لأن كل مواطن خالف القانون ولو مرة واحدة في حياته.

من المناصب الأخرى الهامة في الحكومة وظيفة نواب رئيس الوزراء. من أفضل من يتولى منصب نائب رئيس الوزراء لشئون الاقتصاد خريجو كلية الإعلام؛ لأنهم في الاقتصاد - كما هو الحال في الإعلام- يكتبون كثيراً. من الأفضل أن يشغل منصب نائب رئيس الوزراء لشئون التكامل الأوروبي مهندس نسيج؛ نظراً للتوسع الكبير في استيراد المنسوجات الصينية الرخيصة إلى أوروبا. مالكو المطاعم الذين حصلوا على دراسة حقوقية أو محام حديث التخرج، هم أفضل من يتولى منصب نائب رئيس الوزراء للشئون الداخلية. سيفيده

(7) التنوع الحيوي أو البيولوجي (المترجم).

كثيراً أن يكتسب خبرة وهو في منصب نائب رئيس الوزراء. يُفضّل أن يتولى وزارة التعليم مدرس في مدارس النقل، وفي منصب وزير الدفاع خبير كل مؤهلاته أن يمتلك كتاباً صغيراً أزرق، وشاهد بانتظام فيلم "حرب الكواكب"، وألعاب "كينو 10".

كما أن عالم الرياضيات مناسب تماماً لمنصب وزير الداخلية، فتعليمه مناسب تماماً لحساب العائد من المناقصات الحكومية لتوريد أجهزة تأمين حدود البلاد. وحيث إن العهدة الرئيسية لوزارة الثقافة هي السيارات الحكومية، وماكينات الكتابة، أو أجهزة الحاسوب التي تفسد ويجب إصلاحها؛ فإن أفضل مرشح هو الذي يكون حاصلًا على شهادة في الهندسة الميكانيكية.

في السياسة يأتي التخصص مع المنصب. أصبح "فوروشيلوف"، أحد المقربين من ستالين، قائداً للجيش العاشر بناء على توصية من الفريق الذي يتولى حمايته، رغم أن مؤهلاته الرئيسية كانت استئارة القطاعات التي تعمل في مجال صناعة البترول.

عادة ما يدير الوزير وزارة لا يمتلك أدنى المقومات الفنية التي تؤهله لذلك، لكن هذا لا يعني أن هذا هو السبب في فشل مثل هذه الوزارة. تحدث المشاكل عندما يُحاط الوزير بمستشارين أقل منه تأهيلاً. لا يعرف الرأي العام الكثير عن المستشارين، باستثناء الحالات التي يهتم فيها الإعلام بدخولهم ومكافأاتهم، عندها يبدؤون في الحديث عن الاستشارات التي قدموها للوزير وتقدر بالآلاف. أفضل مميزات المستشارين هي أنهم لا يحتملون مسئولية أي شيء، فغالباً ما يكون المستشارون من بين الأصدقاء أو الأقارب، ونادراً ما يكونون من خارج هاتين الدائرتين.

برنامج الحكومة

"لَا تَسْرِقْ؛ فَالْحُكُومَةُ لَا تُحِبُّ مَنْ يُنَافِسُهَا"

نقش جداري في فلوريدا

توجد دول بلا حكومات؛ لذلك لا وجود لبرنامج حكومي فيها، ونادراً ما يلتفت أحد إلى أمر كهذا. كانت جمهورية التشيك بلا حكومة منذ انتخابات الرابع من يونيو 2006 حتى يناير 2007، أي أكثر من سبعة أشهر، ولم يشعر أحد بغيابها، وصارت وقتها جمهورية التشيك أكبر مؤسسة لا تديرها حكومة (أو غير حكومية؟). ورغم ذلك، أو ربما لذلك السبب كان كل شيء يعمل بصورة ناجحة.

الأمر المذهل في البرامج الحكومية هي التوفيق الذي يحالف من يكتبها. في كثير من الأحيان يكتب برنامج تسيير أمور البلاد أعضاء الحكومة، وبعضهم لم يتولَّ من قبل إدارة مصعد عمارة. ربما يعتمدون على أنه لن يحاسبهم أحد على الوفاء ببرنامج الحكومة.

الجزء الرئيس في برنامج أية حكومة هو محاربة الفساد، والتضخم، والبطالة، والجريمة. ورغم أن أية حكومة في العالم لم تتمكن من القضاء على الفساد والتضخم والبطالة والجريمة، لكن كل الحكومات تدرجها في برامجها. المثير للاهتمام هو أسلوب محاربة الفساد الذي اتبعته على سبيل المثال الحكومة السلوفاكية، عندما أنشأت مكتباً خاصاً بمحاربة الفساد تابعاً لمجلس الوزراء. يوماً ما قرر هذا المكتب محاسبة وزير الدفاع، من أين له بأموال بنى بها فيلا كلفته عشرات الملايين في حي راقٍ في مدينة براتسلافا، وهو حي "كوليبيا". أبلغ الوزير مكتب محاربة الفساد بأن تلك الأموال فاز بها في أحد كازينوهات القمار. اكتفى المكتب بهذه الإجابة المرضية. على خلاف ذلك انقضَّ زملاء أحد موظفي اتحاد كرة القدم المرتشي عليه بكل ضراوة عندما اتُّهم بتلقي رشوة بقيمة عشرة آلاف كرون.

إن ميزانية الدولة هي عبارة تقرير مالي سنوي في برنامج الحكومة. تكمن فحوى

ميزانية الدولة في عدد الشركات المستهدف إرضاؤها، فعلى سبيل المثال لو أكدت إحدى الحكومات على ضرورة تخصيص ملايين لبناء وحدات سكنية، فليس ذلك لأنها حريصة على من هم بدون مأوى، لكن لأن هذا الحزب مقرب جداً من شركات تعمل في مجال الإنشاءات.

إن كتابة برنامج الحكومة يُعد من أسهل ما يمكن عمله. لقد أعلن "فلاديمير ميتشيار" أن برنامج حكومة رئيس الوزراء "فيتسو" قد كتبه شعبه (ويقصد بذلك أنصاره). "لقد جلست في يوم واحد مع مئة وستة مواطنين، اجتمعنا في الصباح، وفي المساء كنا قد انتهينا من برنامج الحكومة". لذلك ليس من المستغرب أن تخرج حكومة "روبرت فيتسو" ببرنامج جيد على هذا النحو. فـ"ميتشيار" لديه خبرة في كتابة البرامج الجيدة.

الوزارات غير السيادية

"تُعَدُّ مُحَارَبَةُ الْفَقْرِ مَسْأَلَةً بَاهِظَةً التَّكْلِيفِ"

ستانلي بالدوين

إن وزارة الثقافة، والعلوم، والتعليم، من أقل الوزارات أهمية من الناحية الاقتصادية. وهذا أمر لا غبار عليه؛ لأن التاريخ يقول إن الشعوب الجاهلة، وغير المثقفة تكون قيادتها أسهل من قيادة الشعوب المتعلمة والمثقفة، فقد نجح البربر بصورة مذهلة؛ لذلك فإن اتجاه كل حكومة سلوفاكية نحو دعم الثقافة بأقل قدر ممكن هو اتجاه صحيح بشهادة التاريخ، لأن الشعوب الجاهلة تكون أكثر صلابة من الشعوب المتعلمة. ويجب ألا نخاف من الجهل، فالجهلة يمكنهم أن يمارسوا السياسة.

وزارة الصحة من الوزارات غير السيادية، لكن الموارد المالية يمكن تدبرها فيها على نحو أسهل من وزارة الثقافة أو التعليم. يكفي عندما يتفق منتجو مصل إنفلونزا الطيور وغير الطيور مع الوزير، ويتفق الوزير مع الإعلام. يروجون لاقتراب وباء الإنفلونزا، عندها تصب كل حكومة في وزارة الصحة عشرات الملايين التي تخصص لإنفلونزا الخنازير أو الطيور، أو لمرض جنون البقر. الواقع أن مئات الملايين التي تذهب إلى جيوب منتجي الأمصال، ومن ساعدهم في ذلك، لا يراها المواطنون. وأيضاً لا يرون أن أحداً قد مات بسبب مرض إنفلونزا الطيور أو جنون الأبقار، هؤلاء لا يظهرون إلا في تقارير التلفزيون.

تجمع الوزارات كل ثروات البلد التي تبقت بعد الخصخصة على يد الحكومات السابقة، وتضعها تحت تصرف الأحزاب الحاكمة. كان هناك إبان الحكم الشيوعي حزب واحد يتحكم ثروات البلاد، أما في النظام الديموقراطي فيتحكم فيها عديد من الأحزاب. ولم يتمكن المواطن، لا تحت حكم والشيوعيين ولا في ظل النظام الديموقراطي، من أن يحصل على نصيبه من هذه الثروات. كانت هناك وزارات أيضاً إبان الحقبة الشيوعية، لكن الملكية كانت واحدة. كانت الفروق بين الوزارات تمكن فقط في طريقة الإدارة. هدف الوزارات

هو الوصول إلى الثروة التي تديرها الوزارة قدر الإمكان. قُسمت ممتلكات الوزارات بين شركات مختلفة كي ينهل منها أكبر عدد من المهتمين قدر المستطاع. احتل أناس من تلك الأحزاب السياسية التي وصلت إلى السلطة المجالس الرقابية، ورئاسة محطات الكهرباء، وإدارة أراضي الدولة، ومكاتب البريد السلوفاكي، وشركات إدارة الطرق الوطنية، وشركات السكك الحديدية، ونقل البضائع، والتليفزيون السلوفاكي، والإذاعة السلوفاكية، وغيرها من المؤسسات. مهمة رؤساء هذه المؤسسات والمكاتب الرقابية هي توجيه العوائد الاقتصادية في الاتجاه الصحيح، والاتجاه الصحيح تحدده الأحزاب التي عيّنت أعضاء مجالس رئاستها، ورئاسة الجهات الرقابية.

الوزارات السيادية

"لَنْ يَذْهَبَ الْجُنُودُ السُّلُوفَاكِ إِلَى الْحَرْبِ فِي أَفْغَانِسْتَانَ إِلَّا عِنْدَمَا يَحْضُونِ عَلَى ضَمَانَاتٍ بِأَنَّهُمْ لَنْ يُصَابُوا بِمَكْرُوهٍ"

"روبرت فيتسو"

نَعَتْ هذه الوزارات يأتي من كلمة "سيادة". والسيادة هي مجرد أداة تدار بها بناءً على قاعدة سيادة الأموال والمعلومات، وهناك وزارتتان سياديتان: وزارة المالية، والداخلية. لا شك في أن من يملك المال يملك القرار. كما أن صاحب القرار هو أيضاً من يمتلك المعلومات. بل إن من يمتلك المعلومة أقوى من الجميع؛ لأنه يعرف كل شيء عمن يمتلك الأموال. وهذه القاعدة تطبق غالباً في السياسة. ويشترط في سعي وزارة الداخلية أو المخابرات للحصول على معلومات عنك، أن يكون لديك سجل أسود، ولو لم يكن لك أي سجل أسود فهناك احتمال ضعيف أن تعثر المخابرات على شيء ما يثير حولك الشبهات، عندها تقوم المخابرات بتدبر الموقف، ترتب لشيء ما كي يبدو الأمر وكأن هناك ما يثير حولك الشكوك. أحياناً تجد أن المخابرات تهتم بعملك أكثر منك شخصياً. عندما تكون سياسياً ستأكد من ذلك حسب الأصوات الغريبة وصدى الصوت الذي تسمعه في هاتفك المحمول، فضلاً عن أشياء أخرى. وستختفي هذه الأصوات بعد أن تغادر عملك في الحقل السياسي بقليل. أحياناً تتعاون المخابرات مع وسائل إعلام لتعمل لحسابها، هذه الوسائل الإعلامية تقنعك بالأ تفكر في معارضة النظام، وأنه من الأفضل لك، وتحت ضغط الرأي العام أن تنصرف خفيفاً.

لكن سطوة الوزارات السيادية والأجهزة المخابراتية تضعف؛ لأن غالبية المعلومات الهامة التي تحصل عليها تصبح معروفة للرأي العام الذي لا يهتم بما قد يستجد من معلومات. فعلى أي حال لا أحد يتوقع خيراً من السياسيين. ويتحول السياسي المشكوك في أمره إلى رجل مأمون العواقب في نظرهم، لكن المواطنين لا يعترفون به؛ لأنهم لا يتوقعون منه أن يكون نموذجاً إيجابياً. فليس من المريح أن ترى أمامك كل يوم مثلاً حياً للخزي. وقد قدم الأمريكيون للعالم نموذجاً حياً في فضيحة الرئيس بيل كلينتون، والسيدة الشهيرة مونيكا.

أبلغ بيل كلينتون رسالة إلى مواطنيه مفادها: لو أن لديهم اعتراضاً على "الممارسات الفموية" فعليهم أن يختاروا بابا الفاتيكان رئيساً لهم. لكن الأمريكيين لم يروا في بابا الفاتيكان نموذجاً إيجابياً، فبقوا على اختيارهم لبيل كلينتون.

تتسم وزارة الدفاع، كإحدى الوزارتين السيادةيتين، بالعبثية. ففي أوقات السلم، وعضوية سلوفاكيا في الناتو، وفي ظل وجود جيش من المحترفين قوامه سبع عشر ألف جندياً، من الضروري طرح هذا السؤال: ما الجدوى من وجود وزارة الدفاع؟ تسعون من مئة طالب بالمدارس قد يجيبونك بأنه موجود كي يحمينا من الأعداء. رئيس الوزراء السلوفاكي أحد القلائل الذين لا يعرفون أن وظيفة الجنود هي حماية الآخرين. هذا الرئيس الذي قال في 2006/9/26: "إننا سوف نسحب قواتنا من العراق. ونفكر في إرسال وحدة غيرهم إلى أفغانستان، لكن بشرط أن نحصل على ضمانات بأن جنودنا سيحظون بالحماية!". لا أعرف جيشاً آخر في العالم يذهب إلى الحرب شريطة أن يحصل على ضمانات بالألأ يصاب أحد من الجنود بمكروه. وتحقيق هذا الشرط يتطلب أن ترسل فرقة عسكرية من دولة أخرى لحماية فرقتنا العسكرية. لكن قد تحدث هنا مشكلة لو أن حكومة الدولة الأخرى وضعت شرطاً مماثلاً، وعندها قد يحدث أن يجتمع في أفغانستان آلاف الجنود المتحالفة الذي تحمي نفسها فقط.

إقالة أعضاء الحكومة

"تَنْتَشِرُ الْبَهْجَةُ فِي غُرْفَةِ الْاجْتِمَاعَاتِ عِنْدَمَا يُغَادِرُهَا بَعْضُ أَعْضَاءِ الْحُكُومَةِ"

مؤلف مجهول

لا يفضل رئيس الوزراء إقالة أعضاء حكومته، ورغم ذلك فكل رئيس للوزراء على استعداد أن يقيّل أي وزير تحت ضغط الرأي العام، وخاصة قبيل الانتخابات، وبالطبع هذا يحدث بعد أن يعطي ذلك الوزير الوقت الكافي ليتسبب في خسائر لا يمكن إصلاحها. عادة ما يقرر رئيس الوزراء التدخل بعد أن تصل أخطاء الوزير إلى درجة كارثية تجعل المرضى فوق مقاعد طبيب الأسنان تضحك منها. عندها يُقيّل الوزير الفاشل، ويعاقبه بمنحه منصباً يسمح له بمواصلة إحداث خسائر فادحة، وفي الغالب يرسله ليعمل كسفير، أو في مجلس رقابي من أجهزة الدولة.

من لهم الحق في إقالة عضو الحكومة هم:

- المعارضة.

- الائتلاف، أي الحكومة نفسها.

- زوجته.

- يستقيل الوزير من تلقاء نفسه.

في الحالة الثالثة لا يتعلق الأمر بإقالة من الناحية الدستورية، لكنها عملياً كذلك، ولا يكون الوزير المقال مستعداً لمغادرة منصبه في كلتا الحالتين، لكن إمكانية تركه منصبه تكون أعلى لو كانت بناء على أوامر من زوجته؛ لأنه يكون معرضاً للعقوبات في حالة زوجته، على خلاف الإقالة الدستورية، فربما تُلوّح زوجته بالذهاب عند أمها، أو ترفض القيام بالواجبات الزوجية، وما شابه.

إقالة أعضاء الحومة عن طريق البرلمان يُعدّ إجراءً روتينياً ينتهي ببقاء الوزير في منصبه، فنائب المعارضة الذي يقدم اقتراحاً بإقالة عضو الحكومة، يعرف أن فرصته في نجاح مسعاه مُنعدمة، ورغم ذلك يقدم الاقتراح. لماذا؟ إنه سؤال يوجه للأطباء النفسيين؛ لأن الناس الطبيعية تفكر بطريقة عقلانية.

ونادراً ما يقدم الائتلاف الحاكم مقترحاً بإقالة وزير من الحكومة التي يشارك فيها، لكنه وارد. وغالباً ما يحدث ذلك في نهاية الفترة الانتخابية، عندما تكون هناك ضرورة لإظهار يد العدالة للناخبين، وغالباً ما يُظهر هذه اليد رئيسُ الوزراء للوزير الذي ليس عضواً في حزبه. لا تنسق الأحزاب السياسية فيما بينها عند إقالة أعضاء الحكومة، فقد اقترح إقالة عدد من الوزراء مرة واحدة في إبريل عام 2006. اقترح حزب الجهة إقالة وزير الصحة "رودولف زياتس"، وحزب حركة سلوفاكيا الديموقراطية وزير النقل "باول بروكوبوفيتش"، والحزب الشيوعي السلوفاكي وزير التعليم "مارتن فرونك". قد تكون الإقالات الجماعية أسرع، وأكثر قوة، وأقل تكلفة. وكانت نتيجة غياب هذا التنسيق أنه لم يتم إقالة أي منهم.

كان أول وزير في حكومة "فيتسو" لم تتم إقالته هو وزير الاقتصاد "يهناتك". واللافت للنظر المناقشة التي تمت.. تندّر نواب الائتلاف على الدعاوى التي ساقها نواب المعارضة، وكانت هي نفس الأسباب التي سخر منها نواب المعارضة عندما كانوا نواباً في الائتلاف الحاكم.

الفصل الخامس
البرلمان

قاعة المداولة

"لَا يَأْمَنُ أَحَدٌ عَلَى حَيَاتِهِ وَحُرِّيَّتِهِ وَأَمْلَاكِهِ كُلَّمَا اجْتَمَعَ الْبَرْلَمَانُ"

مؤلف مجهول

البرلمان هو مجرد مجلس لمراقبة شؤون الدولة. يراقب أعمال الحكومة التي تسمى في الشركات مجلس إدارة، هيئة، أو كما يُقال في اللغة السلوفاكية، الإدارة التنفيذية. تتعدد أسماء البرلمانات في الدول المختلفة. - ففي روسيا اسمه مجلس الدومة الوطني، وفي إنجلترا الغرفة السفلية، وفي الولايات المتحدة مجلس النواب، وفي المجر بيت الأمة، وفي أوكرانيا المجلس الأعلى، وفي فرنسا والنمسا الجمعية الوطنية، وفي ألمانيا المجلس الاتحادي، وفي السويد المجلس التشريعي، وفي الدنمارك شؤون الشعب، وفي بولندا مجلس النواب، وفي إسبانيا المحاكم العامة، وفي اليابان كوكاكي.

يشير اسم البرلمان في كل دولة، بطريقة أو بأخرى، إلى وظيفته الحقيقية. يمكننا أن نفهم من اسم البرلمان الياباني أنه المكان الذي يتعاطون فيه الكوكايين. يطلق الإيطاليون على مكان اجتماع نوابهم: الأطفال. وواضح لكل فرد من أفراد الشعب ما الذي يتوقعه من أعضاء البرلمان.

كانت لدى إسبرطة القديمة برلمان يحكمه ملكان، من باب الاحتياط. وكان كلاهما تحت إمرة ثمانية وعشرين عضواً في مجلس الشيوخ، يشترط أن تكون أعمارهم فوق الستين، وكانوا يعتبرون النواب الأصغر سنًا غير مؤهلين لاتخاذ القرارات المصيرية.

كان للبرلمان في النظام الشيوعي وظيفة شكلية فقط، وكانت الأغلبية الساحقة تقرر القرارات التي اتُخذت من قَبْلُ في أعلى هيئة في الحزب الشيوعي. يختلف دور البرلمانات في النظم الديمقراطية بشكل كبير، فالبرلمان في أي نظام ديمقراطي يُصدّق على القرارات التي اتخذت من قبل في أعلى هيئة في الائتلاف الحاكم، أي في مجلس الائتلاف.

هناك حالات شهيرة في تاريخ البرلمانات انتهى فيها الحال بنواب الشعب المنتخين في الشارع فجأة بفعل رجال الشرطة المخولين من الحكومة. فقد حاول بعض نواب الشعب في مجلس الدوما الروسي إبان حكم القيصر نيقولاي اقتراح قانون يسمح بإعادة الأراضي للمواطنين التي اغتصبت منهم تعسفاً، وبمجرد أن انتهى التصويت داهمت شرطة القيصر صالة الاجتماعات فجأة، وألقت القبض على النواب الذين صوتوا لصالح هذا القانون، ونفوهم إلى سيبيريا. تمكّن بعضهم من الهرب إلى فنلندا. لم يكن ذلك، حسب الأخبار المتواردة، سوى المحاولة قبل الأخيرة من مجلس الدوما للقيام بشيء يصب في صالح الشعب.

وكانت آخر محاولة للقيام بشيء لصالح المواطنين، بأي ثمن، في عام 1993، عندما قام مجلس الدوما المنتخب ديموقراطياً في روسيا الفيدرالية بسحب الثقة من الرئيس المنتخب "بوريس يلتسين". فأرسل يلتسين ومجموعته من الديموقراطيين الدبابات لتهاجم النصف الآخر من مجموعة الديموقراطيين. وبدلاً من أن يطلقوا النار في الهواء قصفوا البرلمان، وبلغ عدد القتل رسمياً 149، أما الأرقام غير الرسمية فقد بلغت 1500 مواطن، وعادت الديموقراطية من بعدها مرة أخرى. أثنى الرئيس الأمريكي وقتها "بيل كلينتون" على طريقة يلتسين في تحقيق الديموقراطية، وأشاد بها رئيس الوزراء البريطاني "جون ميغور"، والرئيس التشيكي "فاتسلاف هافل".

كلمة برلمان مشتقة من السابقة الفرنسية parler بمعنى: يتكلم، فالبرلمان هو إذن مكان للحديث، مَكَلَمَة. ما زلنا نتذكر مَكَلَمَات أخرى من أيام الطلائع والمحادثات الهاتفية جرت عندنا في وقت لاحق، ومن أيام الاشتراكية الحقيقية عندما كان من يملك هاتفاً يُعدُّ من النخبة. كانت عبارة عن كبائن صغيرة في مباني البريد، حيث كانت موظفة الاتصال تقوم بتوصيل المتحدث بالشخص الذي يطلبه عندما توفَّق في الاتصال بالرقم الذي يطلبه، وكان رقم اثنين ينتظر لدقائق طويلة وأحياناً لساعات، قبل أن تدعوه للدخول إلى كابينة التحدث. أيضاً في السياسة عليك أن تنتظر إلى أن تصل إلى البرلمان.

في الوقت الذي يكون فيه دور البرلمان في الولايات المتحدة الأمريكية اتخاذ القرارات، نجد أن الدور الرئيسي للبرلمانات الأوروبية هو التحدُّث. هذه العادة جاءت من إنجلترا، حيث كان بها غرفة واحدة على مدى قرون، مكونة من لوردات ورجال دين يشعرون بالضجر، وكي يقتلوا الوقت بطريقة مقبولة كانوا يلتقون في البرلمان كي يتحدثوا ويسهبوا في

الحديث، وتزايد عدد النواب الذين عجزوا عن مواصلة الاستماع إلى الكلام الفارغ الذي يردده اللوردات، وعندما بلغ عددهم قدرًا مقبولًا قرروا أن يتركوا اللوردات الشثرارين ويشكلوا غرفة خاصة بهم، وأطلقوا عليها اسم الغرفة السفلى. بتلك التسمية تمكن النبلاء ورجال الدين من أن يطلقوا على غرفتهم اسم الغرفة العليا، وأطلقوا عليها اسم البرلمان منذ عام 1830 عندما انتخب ثلاثة في المئة، وهي الطبقة الأكثر ثراءً، الغرفة السفلى في إنجلترا.

البرلمانات غير المنتخبة في سلوفاكيا لها تاريخ أطول من تاريخ البرلمانات المنتخبة، فقد ظهر في بلدنا عام 1848 أول مجلس وطني سلوفاكي غير منتخب بقيادة "لويس شتور"، و"ميخال ميروسلاف هودشو"، و"يوسف ميلوسلاف هوربان". وفي عام 1918 تشكل ثاني مجلس نيابي سلوفاكي، دون أن يختاره أحد أيضًا. ثم جاء المجلس الوطني الثالث تحت اسم مجلس النواب السلوفاكي، وظل يعمل طوال فترة وجود الدولة السلوفاكية المستقلة إبان الحرب. كان في مقدور المواطنين أن ينتخبوا ذلك المجلس لو تمت الدعوة إلى انتخابات أثناء فترة وجود الدولة السلوفاكية. ظهر مجلس النواب الرابع في سلوفاكيا بعد خروجها من حالة عدم الشرعية أثناء الانتفاضة الشعبية السلوفاكية في خريف عام 1944، ولم يكن ذلك المجلس منتخبًا هو الآخر. ظهرت في سلوفاكيا عدة مجالس نيابية منذ الانقلاب العسكري في فبراير عام 1948 حتى عام 1989، لكن مشروعيتها وأهميتها كانت على مستوى مكتب التظلمات. ومنذ ثورة نوفمبر عام 1989 يختار مواطنو سلوفاكيا مجالسهم النيابية بأنفسهم، ولا يمكن مقارنة صلاحيتها بصلاحيات بيوت المظالم.

النواب

"النَّائِبُ الْمُتَّفَائِلُ هُوَ النَّائِبُ الَّذِي لَدَيْهِ نَقْصٌ فِي الْمَعْلُومَاتِ"

الكاتب

ظهر أول نواب للشعب في العالم في أيسلندا عام 930م، وهناك تأسس أول برلمان في العالم باسم (أسينج)athing. تفسر مجلة العلوم السياسية Politics forever التي تصدر شهرياً، الأمر بأن الشتاء في أيسلندا عام 930 كان قارساً على نحو غير معهود، فتدفقاً المواطنين وقتها بأن احتشدوا في أكبر مكان على الجزيرة. كان الشتاء طويلاً، ففضوا وقتهم يتحدثون مع بعضهم البعض، وكل من أظهر قدراً من التسلية أكثر من غيره صار نائباً.

يقول القانون الخاص بتوزيع المقاعد في البرلمان، الذي تم إقراره في إنجلترا عام 1885، إن عدد مقاعد النواب في مجلس النواب 670، تسعة مقاعد منها تخصص إجبارياً لممثلي الجامعات. ضمن هذا القرار أن هناك على الأقل في الغرفة السفلى تسعة أعضاء عاقلين. يطلق الإنجليز على نائب البرلمان اسم Member of parliament، ويطلقون عليه اختصاراً اسم MP. بعض مواطني إنجلترا يخلطون بين نوابهم وبين الشرطة العسكرية، التي لها نفس الاسم المختصر MP- Military Police.

ينقسم أعضاء البرلمان إلى أعضاء فاعلين وأعضاء غير فاعلين. تبلغ نسبة الأعضاء الفاعلين في البرلمانات حسب التقديرات حوالي ثلاثين في المئة. إنهم الأعضاء الذين يشاركون في المناقشات في الجلسات العامة أو في جلسات اللجان، ويعملون في الهياكل البرلمانية الدولية، أو يقدمون بأنفسهم مشاريع قوانين. الفريق الآخر في البرلمان إما أنه:

- في حاجة إلى الحصانة البرلمانية.

- يريد أن يدعم حزبه بتمثيله له.

- السبب الأول والثاني معًا.

دور البرلمان هو إقرار قوانين الدولة؛ لذلك فسلطته تشريعية. المقابل اللغوي لكلمة تشريع هي كلمة legislature وهي مشتقة من اللفظ اللاتيني lex بمعنى القانون. نستنتج من هذا أن أقرب نائب للقانون هو إيفان ليكسا Ivan Lexa الذي يحتوي لقبه على معنى التشريع بشكل لا جدال فيه. كان إيفان أحد النواب الحاليين في مجلس النواب السلوفاكي، ورغم أنه كان نائبًا منتخبًا بطريقة شرعية، فقد قضى معظم فترة نيابته في جنوب إفريقيا. كان مجلس النواب يعمل حتى بوجود 149 نائبًا فقط. هناك نوع من المواطنين الذين يظلون نوابًا لأكثر من فترة برلمانية، ويشكلون ما يسمى بالمخزون البرلماني. مثل هؤلاء النواب "فرنتيشك ميكلوشكا"، "ولاديسلاف ناجي"، و"كاترينا توتوفا"، و"جيولا باردوس". أشهرهم جميعًا "فرنتيشك ميكلوشكا" الذي أطلق عليه رئيس الوزراء "فيتسو" ذات مرة اسم البرلماني المحبوب جالب الحظ.

عمل البرلمان ليس بالأمر البسيط؛ لأن النواب عليهم أن يتواجدوا بين المواطنين، ويحضرون الاجتماعات، ويسافرون في رحلات العمل، ويشاركون في حفلات الاستقبال، ويترددون على الإذاعة والتلفزيون؛ لذلك لا يكون لديهم الوقت الكافي لحضور جلسات البرلمان.

يرتاب المواطنون في بعض أعضاء البرلمان ويتهمونهم بالكذب والخيانة، ولا أعرف سبب غضب المواطنين من هذه الأمور، فهناك بعض المواطنين الذين يكذبون ويحتالون على غيرهم في المجتمع، وهؤلاء لديهم أيضًا الحق أن يكون هناك من يمثلهم في البرلمان.

يوجد في البرلمانات من يسمونهم البدلاء، وهم بدلاء النواب الذين تولوا مناصب في الحكومة. اللافت في الأمر الطريقة التي تعامل بها الأحزاب السياسية هؤلاء البدلاء، ويصرون على تطبيق قانون للانتخابات لا يحدد من سيتم تصعيده من قائمة المرشحين ليدخل البرلمان كبديل، ويرغبون في أن تختاره قيادة الحزب. يمررون ذلك بأنهم سيضمنون بذلك اختيار بديل كفاء. اللافت في الأمر أن الأحزاب لا تؤكد على أهلية النواب إلا في حالة اختيار البديل، أما في حالة النواب المنتخبين فلا تمثل لهم أهلية النائب للمنصب أية مشكلة.

نابليون، وتشرشل، والمهندس كوروتس

"لَدَيَّ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ وَحُضُورُ جَلَسَاتِ الْبَرْلَمَانِ يُعَوِّقُنِي عَنْهَا بِصُورَةٍ كَبِيرَةٍ"

المؤلف

كان نابليون بونابرت قائدًا عسكريًا، وأول مستشار لجمهورية فرنسا، وقيصر الفرنسيين، ووالي اتحاد الراين، وملك إيطاليا، وصاحب مدونة الوطنية، وفضلًا عن كل ذلك كان أستاذًا جامعيًا.

ونستون تشرشل كان هو الآخر نائبًا في مجلس النواب، ووزيرًا للتجارة، والداخلية، والبحرية، وأول وزير للبحرية، ووزيرًا للإنتاج الحربي، ووزيرًا للحرب والمستعمرات والمالية. وتقلد مرتين منصب "رئيس الوزراء". من الواضح أنه لا يوجد في السياسة الدولية من يضارع هذين الرجلين العظيمين. بل ظهر من يضارعهم في سلوفاكيا. إنه المهندس مارتن كوروتس، عضو حزب الاتحاد المسيحي الديموقراطي السلوفاكي. وعلينا أن نتخلص من عقدة النقص وننضم إلى هؤلاء الشخصيات القومية العظيمة، ونضم إليهم المهندس مارتن كوروتس. ورغم أنه في الثانية الثلاثين من عمره، فقد استطاع - حتى كتابة هذه السطور - أن يتقلد منصب نائب عن حي روجينوف في مدينة براتسلافا، ونائب عن مدينة براتسلافا، ونائب عن منطقة براتسلافا ذات الإدارة المستقلة، ونائب في مجلس النواب السلوفاكي. كما كان أيضًا ممثلًا لحزب الاتحاد المسيحي الديموقراطي السلوفاكي في حي روجينوف، ونائب رئيس مجلس إدارة شركة (أولو) وهي شركة لنقل المخلفات، وفي نفس الوقت يشغل وظيفة رئيس الحي الخامس في مدينة براتسلافا. سبع وظائف! يتفوق بذلك على نابليون بوظيفة واحدة. ولما كان نابليون أستاذًا جامعيًا، فقد قام مارتن بمباراته، فشرع في الدراسة بالجامعة للمرة الثانية كي يحصل على شهادة في الحقوق. ورغم أن تشرشل كان يتقلد مناصب أكثر من ذلك، أحد عشر منصبًا، فإنه تقلدها بالتدريج على مدى واحد وتسعين عامًا، أما المهندس كوروتس فقد تقلد كل وظائفه السبع في آن واحد! وذكر في سيرته الذاتية أيضًا أنه يرفع أسرته في أوقات الفراغ، ويذهب في نزهات وسط

الطبيعة ويمارس الرياضة. أخشى من أن الطبيعة لا تستفيد كثيراً من وجوده فيها. وحسب عدد المناصب فإن السلوفاكي مارتن كوروتس يعد الآن أهم سياسي على مستوى العالم، ويبدو أيضاً أن عبقرية المهندس كوروتس خارقة للعادة، لأن شركة (أولو) تنقل المخلفات بكل جدية حتى تحت رئاسته. خسارة كبيرة أن سلوفاكيا ليس لديها عشرة مهندسين أمثال المهندس كوروتس. إن النواب الذين على شاكلته يمكنهم أن يفعلوا كل شيء، حتى إن كان قليلاً. هناك احتمال وارد أن يقوم المهندس كوروتس بهذا الدور في البرلمان بنفسه. يكفي إجراء تعديل دستوري، ويمكنه أن يمثل المعارضة أيضاً. يجب أن يفخر كل مواطن سلوفاكي بهذا المهندس. يمكننا أن نتفهم (ونحن قادرون على ذلك بالفعل) عدم وجود تمثال يليق بـ"يوسف ميلوسلاف هوربان"، أو "ميلان راستسلاف شتيفانيك"، أو "أندري هليнка"، أو "ميلان هودشو"، لكن لا يمكن أن نقبل عدم وجود تمثال للمهندس كوروتس.

النواب المجهولون

"القانونُ العادلُ يَمْنَعُ الْفُقَرَاءَ وَالْأَغْنِيَاءَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ مِنَ النَّوْمِ أَسْفَلَ الْجُسُورِ، أَوْ التَّسْوُلِ أَوْ السَّرِقَةِ"

أناطول فرانس

النواب المجهولون يُشبهون البرتقال في زمن الشيوعيين، تعرف بوجوده، لكنك لا تراه إلا نادراً. ليس الخطأ خطأ النواب، بل خطأ المواطنين؛ لأن المواطن عليه أن يهتم بنائبه في البرلمان، كما يجب أن يعرف النواب بعضهم بعضاً، وإن لم يفعلوا فقد يحدث أن يخاطب أحدهم الآخر قائلاً: "أريد أن أدلي للصحافة بتصريح"، فينظر إليه ذلك الشخص ويسأله: لماذا تخاطبني أنا ولا تخاطب أحد الصحفيين؟ فيجيب: "عفوًا، أنا لا أراك هنا إلا مرة كل ثلاثة أشهر، واعتقدت أنك صحفي"، فيهز النائب المعنيُّ رأسه وينصرف، وينبهه صحفي قريب منه بأن الشخص الجالس في الصف الثالث أسفل ناحية اليسار هو نائب زميل له. عندما كنت أعدّ مع النائب "هانزيل" مطبوعة مصورة حول انتخابات الدورة البرلمانية الثالثة اكتشفنا مجموعة من الزملاء الذين كانوا يجلسون بجوارنا في مجلس النواب على مدى أربعة أعوام، ولم نكن نعرف أسماءهم.

كان كل أعضاء نادي حزب التحالف المجري تقريباً من بين النواب المجهولين في انتخابات الدورة البرلمانية الثالثة. لا أتذكر أن أحد نوابه اعتلى ولو مرة واحد منصة مجلس النواب السلوفاكي، باستثناء الجلسة التي ناقش فيها المجلس قضية جامعة "كومارنو". وعندما طلب الزملاء الأعضاء من حزب التحالف المجري أن تكون اللغة المجرية لغة المناقشات في مجلس النواب السلوفاكي، اعترضت قائلاً بأنه لا فرق أن تصمت في البرلمان باللغة المجرية أو باللغة السلوفاكية.

ستأكد من كونك شخصية عامة معروفة عندما تدخل إلى إحدى المقاهي الشعبية. كنت أنتظر القطار السريع الذي سيقلني إلى مدينة براتسلافا فذهبت لطلب مشروب في مطعم

المحطة في مدينة كيساك، وسمعت شاباً يرتدي قبعة ملوثة بالشحوم ويقف عند ماكينة صب البيرة يصيح: "دَعَكَ من هذا المخنث، ابن الداعرة!". أسعدني جداً أنهم يعرفونني في كيساك، وزاد من ثقتي بنفسي.

مساعدو النواب

"مُسَاعِدُ نَائِبِ الْبَرْلَمَانِ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يُخْبِرُ النَّائِبَ بِمَا كَانَ يَجِبُ فِعْلُهُ عِنْدَمَا يَتَّخِذُ قَرَارًا خَاطِئًا"

المؤلف

مساعدو النواب يشبهون النقاد الأدبيين، فدائمًا ما يخفقون في أن يصبحوا أدباء رغم سعيهم الدءوب إلى ذلك. مساعدو النواب يحصلون على راتب، فمساعد النائب يحصل على 42 ألف كرون شهرياً (وقت كتابة هذا العمل) وهو ما يقرب من 1400 يورو. وظيفة مساعد النائب الرئيسية هي مساعدته، مساعدته في كل شيء، بدءاً من المشاركة في المشاجرات، وانتهاء بقيادة السيارة.

الوظيفة الثانية لمساعد النائب هي عمل هالة من الأهمية حول نائبه، والنائب يمكن أن يكون له عدد لا نهائي من المساعدين، وحصته من المساعدين لا تعبر عن وضعه الحقيقي، فكلما كان النائب أحمق، زاد عدد مساعديه.

وهناك مساعدون وهميون، يُعَيَّنُونَ كمساعدين كي يحصلوا على تراخيص من مجلس النواب السلوفاكي بركن سياراتهم في منطقة القلعة، أو الدخول بدون تصاريح إلى قاعة المجلس أو مركز الرياضة البدنية التابع للبرلمان.

المساعد رجل عالم ببواطن الأمور، مثل هؤلاء أناس يعرفون كل شيء، ويفهمون في كل شيء، لكنهم عاجزون عن أن يعلنوا ذلك على الملأ. المساعدون يلعبون دور الحكماء عندما يتضح أن قرار النائب لم يكن صائباً. يمررون ذلك بأنه من النادر أن تكون قرارات النائب مستقلة وحررة، وعليه فلا يتسع المجال لإسداء النصيحة.

لا تقل أهمية النواب بالنسبة لغالبية الأعضاء عن دور مكاتب النواب التي قد تلعب دوراً هاماً لو أن النواب انشغلوا بالسياسة بطريقة تتسم بالمسئولية. هناك مساعدون ينشغلون

بالسياسة أكثر من النواب أنفسهم، وتعرف النائب الذي لديه مساعد كفاء عندما تراه يخطب في الناس وهو يقرأ من ورقة في يده، فهو يلجأ إلى الورقة عندما لا تكون الكلمات كلماته، ولو كانت كذلك فلا حاجة له بمساعد. بعض النواب يعدون بأنفسهم خطبهم التي يلقونها أمام الجماهير رغم أن لديهم مساعدين على كفاءة عالية، تعرف أمثالهم عندما يلقون خطبهم، فتجد مساعديهم يجلسون في الشرفة ويصفقون لهم بحرارة.

يلعب المساعدون دوراً هاماً بصفتهم مسئولين عن الرد على الأسئلة المحرجة التي يوجهها لهم الصحفيون، وعندما تكون الأسئلة مناسبة يقوم النائب بالرد عليها بنفسه. هناك حالات يحمل فيها المساعد حقيبة النائب، ولو حمل النائب حقيبته بنفسه لما أثار هذا على المرتب الذي يتقاضاه المساعد. يضع النائب يديه في جيوبه ما لم يكن يحمل حقيبة.

عادة ما يكون المساعدون من أفراد عائلة النائب، أو الرعاة، أو أحد أعضاء القيادات الحزبية. ونادراً ما تقوم العشيقة أو العشيق بدور المساعد، ومن الصعب أيضاً أن تجد صديق النائب مساعداً له، ويكاد يكون مستحيلاً أن يكون المساعد مساعداً لأنه يفهم شيئاً.

مكاتب النواب

"عَلَاقَةُ النَّائِبِ بِمَكْتَبِهِ لَا تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنِ عِلَاقَةِ رَجُلِ الشَّارِعِ بِهِ، فَكِلَاهُمَا لَا يَدْخُلُهُ"

المؤلف

الهدف الرئيس من وجود مكاتب النواب هو تمويل المقرات الإقليمية للأحزاب السياسية من أموال الدولة، فالحزب السياسي يوزع أماكن مكاتب نوابه حسب عددهم في البرلمان، بحيث يغطي كل الجمهورية قدر الإمكان. بلغت قيمة إيجار مكتب النائب التي يدفعها عنه مجلس النواب السلوفاكي وقت إعداد هذا الكتاب 27 ألف كرون (ما يعادل 900 يورو) شهرياً. هذا المبلغ يعادل قيمة إيجار شقة فاخرة من أربع غرف في حي "ميخالسكا برانا" الراقى، مع إمكانية إحداث ضجة في منتصف الليل. لكن هذه الأموال التي جاءت من دافعي الضرائب لم تُهدَر عبثاً؛ لأن كل نائب لديه في مدينة براتسلافا مكتب في منطقة القلعة. لذلك عادة ما تقسم هذه الأموال (27 ألف كرون) إلى ثلاثة أو أربعة أقسام، يمولون بها مكاتب الأحزاب في أرجاء سلوفاكيا، فيكفي أن يمثل حزباً ما 12 نائباً كي يغطوا 48 منطقة. لأننا لو قسمنا 27 ألف كرون إلى أربعة أقسام، تكون النتيجة ما يقرب من 7 آلاف كرون، وهي كافية لاستئجار مكتب جيد في أي مدينة، بدءاً من مدينة "بازيناك"، حتى مدينة "سينينا". أحياناً تظهر سكرتيرة المقر الإقليمي للحزب في ذلك المكتب، لكن النائب لا يظهر فيه على الإطلاق، الدليل على ذلك الأشهر العديدة - بل والسنوات- التي انتظر فيها الصحفيون طويلاً وعبثاً كي يزور النائب مكتبه. ولا يمكن معرفة غالبية المكاتب لأنه لا أحد يعرف مكانها.

لو لم يقوم النواب بتمويل مقرات أحزابهم من أموال دافعي الضرائب، فهم يمولون بها المقر الرئيسي لحزبهم. فعشرون نائباً من حزب "سمار" كان لديهم حتى وقت كتابة هذا العمل مكاتب تقع في مبنى وكالة "سمار" في شارع جوندولوتشيفا في مدينة براتسلافا، أو في مقرات الحزب في أنحاء سلوفاكيا. (يبدو وكأن وكالة سمار كانت تسمى من قبل الحزب اليساري الديموقراطي). ذهبت ذات مرة إلى ذلك المبنى، ولست متأكداً من أن عدد

الغرف هناك عشرون. كثير من نواب الأحزاب الأخرى لديهم مكاتب في المقر الرئيسي لأحزابهم مباشرة. الحزب الذي يمثله في البرلمان عشرون نائبًا، على سبيل المثال، يحصل شهريًا على 540 ألف كرون (أي ما يعادل 17 ألفًا و940 يورو)، و سنويًا على ستة ملايين و580 ألف كرون (ما يعادل 218 ألفًا و416 يورو)، وخلال الفترة الانتخابية كلها يكون إجمالي المبلغ 26 مليونًا و320 ألف كرون سلوفاكي (حوالي 872 ألفًا و664 يورو).

الفرصة الثالثة الأوفر حظًا لفتح مكاتب للنواب هي الشركات التابعة لأفراد أسرهم أو أصدقائهم. فبعد أن تركتُ حزب "أنو" فتحتُ مكتبًا لي كنائب في دار إيواء يملكها الكاهن "أنتون سيرخولاتس" في أبرشية "بودونايسكي" في براتسلافا. بهذا تمكن دافعوا الضرائب من إطعام وتغذية وكسوة وإيواء خمسين مواطنًا مشردًا. وعندما تركتُ العمل السياسي بعد انتخابات عام 2006 طلبت من 11 (أحد عشر) نائبًا، زملائي السابقين الذين حصلوا على مقاعد في البرلمان، أن يفتح واحد منهم على الأقل مكتبًا في دار "سرخولتسوف" لإيواء المشردين، وكانوا تسعة نواب من أحزاب مسيحية باستثناء اثنين. ورغم إلحاحي ووعود من كبار أعضاء الأحزاب السياسية لم يستجب لدعوتي أي واحد منهم.

نواب المعارضة

"البرلمان ليس كالحانة لتتردد عليه يوماً"

مؤلف مجهول

السياسي المعارض هو رجل مُحَبَط، يشعر بالدونية وبأنه عالية على غيره، تتركز أنشطته على تكرار نفس الحجج التي سلحت بها المعارضة وقت أن كان نائباً في الائتلاف. دور نائب المعارضة بسيط؛ فهو لا يزعج نفسه بدعاوى جديدة ضد الائتلاف الحاكم، ويكفيه أن يتصفح محاضر الاجتماعات السابقة لمجلس النواب السلوفاكي، ويلقي خطب المعارضة التي سبق أن ألقاها. إن نائب المعارضة لا يخاطر بالظهور أمام الصحفيين؛ لأن صوت نائب المعارضة ورأيه ليس مهماً، فلم يستمع أحد من قبل إلى نائب المعارضة، كي ينصت إليه الآن.

على الرأي العام ألا يقلل من شأن نواب المعارضة، وأنهم يشاركون أصلاً في جلسات مجلس النواب السلوفاكي. إن مشاركتهم دليل على مستوى رفيع من حسن التربية. إن عمل نائب المعارضة يشبه الجماع الذي لا يصل إلى قمة النشوة، فهو يجتهد دون مقابل. كان نواب الحزب الشيوعي السلوفاكي هم الوحيدين الذين لم يدركوا أنهم ضمن نواب المعارضة؛ لذلك كان لديهم انتصاب سياسي دائم، كانوا يدافعون عن آرائهم رغم استحالة تنفيذها حتى على المستوى النظري.

من المؤكد أن الوقت الذي يقضيه الإنسان في صفوف المعارضة وقت ضائع، وعلى نائب المعارضة وحده أن يجد طريقة للاستفادة منه، فيمكنه خلال الأعوام الأربعة أن يستبدل أسنانه بطاقم صناعي، أو يشفط الدهون من جسده، أو يتعلم لغة أجنبية، أو يدفئ منزله، أو حتى يهتم بحديقة منزله.

لكن من المؤكد أن متابعة الائتلاف الحاكم يصيب بعض السياسيين المعارضين بالاكنتاب. فلو ساءت حالت نائب المعارضة إلى درجة أنها بدأت تلقي بظلالها على حالته

الصحية، فعليه أن يتوقف عن متابعة الحكومة، أو يتابعها في أضيق الحدود.

قال أحد السياسيين المرموقين في فترة ما بعد الحرب العالمية، وهو المستشار الألماني

كونراد أيزنهاور، وهو يتذكر بكل حنين إحدى زيارته لليابان: "اليابان لديها أعظم برلمان في

العالم، فبعد إلقائي كلمتي صفق لي الائتلاف الحاكم والمعارضة معاً".

اللصوص والنواب المستقلون

"عِنْدَمَا يَقُولُ السِّيَاسِيُّ إِنَّهُ مُوَافِقٌ مِنْ حَيْثُ الْمَبْدَأِ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَنْوِي عَلَى الْإِطْلَاقِ تَطْبِيقَ الْأَمْرِ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ"

أوتو فون بسمارك

إن تاريخ وجود النواب المستقلين في السياسة الدولية أقدم من تاريخ النواب غير المستقلين، فالبرلمان البريطاني لم يكن يضم على مدى قرون سوى نواب مستقلين، ولم يكن في مقدور أي منهم أن يكون عضواً في حزب سياسي؛ لأن الأحزاب السياسية في بريطانيا العظمى لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر. إذن فوجود نواب بدون أحزاب أمر جائز، لكن من غير الجائز أن تكون هناك أحزاب بدون نواب، فالنواب البريطانيون الذين كانوا يشربون معاً بدءوا في تأسيس نوادٍ لهم، وقد جمعت تلك النوادي نوادياً حسب مذاق الويسكي المفضل، ومن المتوقع أن اجتماع آرائهم حول الويسكي جعلهم يتطابقون في آرائهم في الأمور الأخرى، ثم تحولت تلك النوادي لاحقاً إلى أحزاب. أطلقوا في البداية على النواب المستقلين الذي شكلوا مع الوقت حزباً محافظاً اسم التوريون⁽⁸⁾، وهو في الأساس لقب لصوص إيرلندا. هذا بالطبع لا يعني أن عضو الحزب المحافظ يمكن أن يكون شخصاً ذا أصول تعود إلى لصوص إيرلندا، لكن لو حدث ذلك ينال ذلك العضو احتراماً أكثر من أي عضو آخر خلت أسرته من اللصوص، لكن الحقيقة هي أن عديداً من النواب تخلصوا من هذه النقيصة سريعاً.

يأتلف بقوة النواب الضعفاء والأقوياء حسب الحاجة، وذلك مع اقتراب نهاية الفترة البرلمانية الانتخابية، ويشكلون مجموعة النواب المستقلين. النواب المستقلون هم في العادة الوحيدون الذي يلتزمون بنصوص الدستور، فالدستور يقول إن النائب عليه أن يتصرف ويدلي بصوته حسب ما يميله عليه ضميره. جميع النواب - أعضاء النوادي

(8) أعضاء في حزب سياسي بريطاني يؤيد السلطة الملكية (المترجم).

الحزبية- يصوتون حسب قرار مؤسساتهم الحزبية، وكثيراً ما يحدث أن يكون قرار المؤسسات الحزبية لا يتفق مع ما يمليه ضمير النائب عليه، فيصاب النائب بنوع من تأنيب الضمير، وأيضاً يخالف بذلك الدستور.

وعندما يتكرر التصويت رغم إرادة النائب يفقد النائب أعصابه، ويترك الحزب، ويصبح نائباً مستقلاً، بعدها يشعر بالراحة، فهو يصوت حسب ما يمليه عليه ضميره، على خلاف من بقي في نوادي الأحزاب. لكن دعنا نأمل أن يكون تصويته حسب ما يمليه عليه ضميره هو نفسه. يتعرض النائب المستقل الذي يصوت حسب إرادته الشخصية وطبقاً لنصوص الدستور للنقد من قبل الصحفيين والرأي العام أيضاً، فعندما يصوت النائب المستقل حسب ما يمليه عليه ضميره لا يعوقه في ذلك أي شيء. ومن هذا يتضح أن الصحفيين والرأي العام لا يعرفون شيئاً عن الدستور. فلو أنهم عرفوا لأثنوا على النواب المستقلين. يمكن أن يكون مجلس النواب، من الناحية النظرية، أكثر دستورية لو أصبح كل أعضائه مستقلين. ولأن كل نائب سيسعى لإرضاء ضميره فلن يكون هناك مجال للممارسة السياسية؛ لأن السياسة قائمة على وجود الأحزاب السياسية، أي على تجمع أشخاص غير مستقلين. إنها بالفعل إشكالية الديمقراطية البرلمانية. ويشير بقاء غالبية النواب كأعضاء في نوادي أحزابهم إلى أن ما يعينهم في الأساس هو ممارسة السياسة، وليس إرضاء ضمائرهم. في مثل هذه الحالة يصير الأعضاء المستقلون جزءاً هاماً في البرلمان.

يمكن أن يترشح المواطنون للبرلمان السلوفاكي فقط ضمن قائمة الأحزاب السياسية، ومن المستحيل أن يصل إلى البرلمان عضو مستقل، لكن بمقدورهم أن يكونوا مستقلين لاحقاً، فالاستقلال تسبقه التبعية.

النفاق ومشروع القوانين

"وَوَظِيفَةُ النَّائِبِ هِيَ إِقْرَارُ الْقَوَانِينِ. وَمِنْ وَاجِبَاتِ الْمُوَاطِنِ احْتِرَامُهَا"

المؤلف

إن القوانين تشبه النفاق. تبدو جيدة، ورائحتها طيبة، لكنك لن تعرف ما بها إلا عندما تضعها في فمك. الأمر هو نفسه في حالة القانون، من الأفضل ألا نعرف الكثير عن تفاصيله. الغرض من مشروع القانون الذي تقدمه الحكومة هو أن يتم إقراره قبل أن تتقدم المعارضة بمشروع مشابه. هذه الحالات كثيرة، وتزعج نواب الحكومة كثيرًا.

الحكومة هي التي تقدم مشروع القانون. ويعتقد المواطنون أن الحكومة يمثلها الوزراء، لكنه اعتقاد خاطئ، فالحكومة هي في الواقع موظفو الدولة، وموظفو الدولة أناس يعانون من ضيق العيش، ترتجف أوصالهم بعد كل انتخابات خوفاً من أن يستبدلهم الوزير الجديد بأصدقائه، ويشعر بالامتنان كل من ينجو من هذا الأمر، ومن أفضل الطرق للنجاة هي حني الظهر. وانقرض العمود الفقري لموظفي الدولة كنتيجة طبيعية للانتخابات الديمقراطية. بعد الانتخابات يتم تكليف وزير جديد يعين معارفه في وظائف قيادية بالوزارة، وغالبًا ما تكون حاشية الوزير من أناس غير محترفة، وظيفتهم الأساسية هي الحصول على مرتبات سخية. لكن يحتاج الوزير لإدارة الوزارة بعض المتخصصين، ويحدد عددهم بناء على عدد الهواة الجدد الذين يجلبهم الوزير إلى وزارته. مع قدوم الوزير الجديد يتحرك العاملون في الوزارة بخفة وهم يحنون ظهورهم كي يراهم الوزير الجديد، والمدير العام، أو حتى رئيس القسم. ويمكن أن يتحرك الإنسان إلى الأمام بانحناءة دون أن يكون له عمود فقري. إن الوزراء يحبون الأشخاص الذين ليس لديهم عمود فقري؛ لذلك يتركونهم في وظائفهم، فيقوم هؤلاء بإعداد مشاريع قوانين الوزارة بحيث تنال إعجاب الوزير. من أكثر القوانين التي يحبها الوزير القوانين التي تنال إعجاب من أرسلوه للمشاركة في الحكومة. فيقرأ في اجتماع الحكومة التقرير الذي أعده له أحد خبراءه المرءوسين. وغالبًا ما يجهل أعضاء الحكومة محتوى القانون، لذلك يفضلون ألا يناقشوه، فتقر الحكومة القانون وترسله إلى

البرلمان حيث تضمن الأغلبية التي شكلت الحكومة إقرار القانون.

وقبل إقرار القانون في الجلسة العامة يتم مناقشته في اللجان. وكي لا يتجنب الوزير مخاطر الإجابة عن سؤال متخصص يأخذ معه خبراءه. يجيب الوزير في اللجنة على أسئلة النواب بهذه الطريقة: "سيدي الوزير، هل تعتقد أن الحكومة بوسعها الالتزام بشروط معاهدة ماستريخت؟"، الإجابة: "لا شك في أن مدينة ماستريخت تقع في جنوب هولندا، وهذا يضيف على شروطها أهمية كبيرة. أطلب من السيد المدير العام لقطاع تحقيق شروط اتفاقية ماستريخت أن يكمل إجابتي". يرد المدير العام للقطاع. وبعد سماع إجابته يسأل الوزير إن كانت الإجابة كافية، وعادة ما تكون كذلك.

مشروع قانون مقدم من المعارضة

"اقتراحك رائع؛ لذلك لن نؤوت عليه"

المؤلف

يشكّل أي اقتراح بقانون تقدمه المعارضة استفزازاً للائتلاف الحاكم؛ لذلك لا يصوت نواب الائتلاف الحكومي على المشاريع الاستفزازية. أحياناً يحدث أن يقوم نائب المعارضة بطرح اقتراح قانون يتسم بالمنطقية، وعادة ما يطرح مشروع القانون الوجهه بعد الاتفاق مع الائتلاف. ونعرف مشروع القانون المنطقي أو المعدّل الذي تقدمه المعارضة دون الاتفاق مع الائتلاف الحاكم حسب الضجيج الذي يعلو في قاعة المناقشة. لكن عادة لا تكون هناك رغبة في مناقشة الاقتراح، لذلك يقابل بالرفض.

وعندما تعجز المعارضة عن تقديم اقتراحات وحيهة، يقوم نائب الائتلاف بتبني هذا المشروع بصورة ما، وعندما يصبح المشروع ذاته مقبولاً، ويتم إقراره. وعلى العكس من ذلك، يطلب بعض نواب الأحزاب المشاركة في الائتلاف من نائب المعارضة أن يعرض مقترح القانون الذي يعجز نوابهم عن تقديمه، أو لأنهم قد يتجنبون إثارة ناخبهم أو حلفائهم في الائتلاف. ويشارك في المناقشة الحزب الحاكم الذي يحتاج إلى مثل هذا القانون، لكنه لا يستطيع طرحه، ويرفضه بكل قوة. يصوّت ضد القانون، أو يمتنع عن التصويت، أو يقلل من النصاب القانوني بمغادرة القاعة، ويتم إقرار القانون بأصوات نواب المعارضة. الحزب الحاكم يحتاج إلى القانون، لكنه في نفس الوقت لا يستطيع اقتراحه مراعاة لناخبيه؛ لذلك يتوجه خلصة بالشكر إلى أحزاب المعارضة التي صوتت لصالح القانون.

فلا فرق في أن تدار البلاد بقانون الائتلاف الحاكم أو أحزاب المعارضة. الاقتراحات المقدمة من المعارضة تتحول إلى قوانين حكومية بعد أن تعتلي المعارضة السلطة، ورغم ذلك لا يلاحظ أحد أن شيئاً قد تغير، للأسوأ أو للأفضل. القاعدة الأساسية في الديمقراطية البرلمانية هي أن المعارضة لن تصوت لصالح مشروعات قوانين الحكومة، والائتلاف

الحاكم لن يصوت لصالح مشاريع المعارضة، مهما كانت أهمية القانون بالنسبة للمواطن.

الاستثناء الوحيد هي القوانين المتعلقة بزيادة المعاشات، والحد الأدنى للأجور. إنها قوانين لا

يتم إقرارها إلا قُبيل الانتخابات فقط.

تعديل القانون

"القانونُ شَيْءٌ جَيِّدٌ، لَكِنَّ البُنْدُقِيَّةَ أَفْضَلُ مِنْهُ"

آل كابوني⁽⁹⁾

تعديل القانون يعني تغيير الصيغة الأصلية إلى الأسوأ. بعد إقرار التعديلات يعتقد الكثير من النواب أن القانون صار أفضل، لكن الممارسة تؤكد أن الأمر ليس كذلك. وقد يتحلى النواب بالشجاعة مع الوقت - بعد ستة أشهر على الأقل - ويقدم أحدهم اقتراحًا بمراجعة القانون بغرض تعديله مرة أخرى ليكون أفضل. تعرضت بعض القوانين للتعديل عشرات المرات. ومن مراجعة وثائق أرشيف مجلس النواب السلوفاكي، اتضح أن القوانين الوحيدة التي لم يتم تعديلها كان قانون النسبية، وقانون الجاذبية، وقانون أرشميدس، وقانون بقاء المادة، وقانون الحصانة البرلمانية.

السبب في تعديل القانون يكمن غالبًا في أنه لم يَفِ بحاجة المجموعة التي وصلت إلى السلطة، وعاجزة عن الوصول إلى الموارد المالية للدولة؛ لأن أسلوب الحصول عليها كان مقننًا حسب أغراض المجموعة السابقة. فلو كان الراعي الرئيسي للحزب الحاكم في الفترة الانتخابية السابقة يحتكر إنتاج الإطارات الشتوية للسيارات، لأقر البرلمان قانونًا حول إلزام المواطنين باستخدام الإطارات الشتوية. السبب الرسمي المعلن لإقرار القانون هو سلامة السير على الطرق في أشهر الشتاء. وعندما يحب حزب آخر في فترة انتخابية أخرى، ويكون الراعي الرئيسي له أحد منتجي مقاعد السيارات المخصصة للأطفال، فسيتم تعديل قانون سير المركبات على الطرق بحيث يلزمون فيه المواطنين باستخدام مقاعد

(9) ألفونس جابرييل آل كابوني (17 يناير 1899 - 25 يناير 1947) عضو في العصابات الأمريكية، قائد عصابات جرائم التهريب والغش في الخمور وغيرها من الأنشطة غير القانونية خلال عصر الحظر (1920-1930). وُلد في بروكلين لأبوين مهاجرين من جنوب إيطاليا. بدأ كابوني مسيرته في بروكلين قبل أن ينتقل إلى شيكاغو، حيث أصبح رئيسًا لمنظمة إجرامية معروفة باسم سلاح فرسان شيكاغو. لم تنجح إدانته قط بتهمة الابتزاز، إلا أن وظيفة كابوني الإجرامية انتهت عام 1931، عندما أُدين من قبل الحكومة الاتحادية بتهمة التهريب من دفع الضرائب على الدخل (المترجم).

الأطفال، والسبب تأمين الأطفال في وسائل المواصلات. وهكذا تُعدّل القوانين الحالات الأخرى لأسباب مشابهة. وتعدّل القوانين من وقت لآخر لمجرد أنها صدرت في عهد الرئيس "أنتونين نوفوتني".

فوضى الجلوس

"فِي الْمَدْرَسَةِ وَكَذَلِكَ فِي الْبَرْلَمَانِ يَجْلِسُ الْمُصْطَفُونَ فِي الْمَقَاعِدِ الْأَمَامِيَّةِ"

المؤلف

نظام الجلوس مهم كي يسمح بظهور الحزب أو نادي الحزب في وسائل الإعلام، أما المنبوذون فيجلسون في المقاعد العليا على يمين ويسار قاعة البرلمان، حيث لا يراهم رئيس المجلس، ولا حتى المصورون الذين يمتلكون أجود أنواع عدسات التصوير. (كان الليبراليون أثناء الفترة الانتخابية الثالثة يجلسون أعلى القاعة على اليسار، وعلى يمينهم جلس الشيوعيون. وكان رئيس البرلمان لا يلتفت إليهم). ورغم أن الإنجيل يستقبح المسيحيين الذين يجلسون في الأديرة وفي الأماكن العامة في الصفوف الأولى، فقد احتل المسيحيون الديمقراطيون الصف الأول في منتصف قاعة المجلس في الفترة الانتخابية الثالثة، وقدموا أنفسهم على شاشات التلفزيون دون اعتبار للإنجيل. عليهم يفسرون الأمر لله بطريقة مقبولة.

لا ينطوي توزيع النواب حسب نظام الجلوس على أي منطق، وبالتالي يمكننا أن نطلق عليه بكل اطمئنان نظام الفوضى، على الأقل من وجهة نظري الشخصية. لقد كنت أجلس في الصف الأخير في البرلمان، وهو كل ما حصلت حصلت عليها بعد انتقالني من حزب "أنو" إلى حزب الاتحاد المسيحي الديمقراطي السلوفاكي. فكان الجلوس في الصف الأخير من نصيبي، وكان أفضل من لا شيء.

الخطأ الكبير في البرلمان السلوفاكي هو أن الجلوس في قاعة المداولات يكون على طريقة التلفزيون، حيث يجلس النواب متجاورين، ينظرون أمامهم، وكأنهم في غرفة المعيشة يشاهدون التلفزيون، وهم عادة يتوجهون بأنظارهم إلى رئيس المجلس، أو إلى النائب الذي يقف خلف منصة الحديث. ربما لهذا السبب لا نجد من يتناقش في البرلمان السلوفاكي، لكنهم فقط يلقون الخطب. وكيف يمكن أن ينشأ حوار أثناء مشاهدة

التليفزيون؟ الجميع ينظرون أمامهم، ينطق أحدهم كلمة بين الحين والآخر دون أن ينظر حوله. النقاش في البرلمان البريطاني له شكل آخر، هناك يجلس النواب متقابلين، يتدلى أمام كل منهم ميكروفون، لا توجد فيه طاولات، يضعون أيديهم فوق أقدامهم أو يتركونها حرة بمحاذاة أجسادهم، وينظر كل منهم في عيون الآخر، فضلاً عن أن البرلمان البريطاني لا يوجد به نظام للجلوس، فكل نائب يجلس أينما أراد، لكن بالطبع لا يجلس نواب الحكومة بين نواب المعارضة، والعكس. إن الديمقراطية في بريطانيا مختلفة، فعدد المقاعد أقل من عدد النواب في مجلس النواب. لو طُبِقَ هذا النظام في برلماننا، بحيث لا يجلس النواب حسب نادي الأحزاب التي ينتمون إليها، بل بصورة عشوائية، لُجِّنَ جنون رؤساء نوادي الأحزاب أثناء التصويت، فهم لا يجيدون التحكم وتنظيم التصويت إلا وهم في جماعة.

نادي النواب

"مَا دَامَ أَصْحَابُ الْمَعَاشَاتِ وَالْمِثْلِيُّونَ وَالْمَلَّاحُونَ لَدَيْهِمْ نَوَادٍ خَاصَّةٌ بِهِمْ، فَلِمَاذَا لَا يَكُونُ لِنُؤَابِ الشَّعْبِ نَادٍ مِثْلَهُمْ؟"

سميث

إن نادي النواب يختلف عن صالون النواب، فصالون النواب عبارة عن غرفة تقع خلف قاعة المداولات، فيها يستريح النواب بعد عمل مرهق في قاعة المجلس، بعضهم يستريح هناك حتى قبل العمل المضي في القاعة. وطبيعي أن يأخذ النائب حقه من الراحة؛ لأنه لا يمكن أن يبدو مرهقاً، فقد تراه زوجته أثناء النقل التليفزيوني، وعندها ستعرف على الفور أنه لم ينم طوال الليل. وما لم يأخذ النائب نصيبه من الراحة يكون عصبياً، ولا يتحدث بطلاقة، ويتجنب الإجابة على الأسئلة، ويهرب من الصحفيين. ومن السهل على الصحفيين أن يعرفوا أن النائب يتهرب منهم، ويمكن أن تحدث لهذا حالة من الذعر في أنحاء البلاد. إن النواب المنفعلين هم أكثر ما يُخيف المواطن؛ لأن هذا يترك عنده انطباعاً بأن هناك أمراً ما يحدث. لذلك فصالون النواب له أهمية كبيرة.

نادي النواب، على عكس الصالون، هو مؤسسة يفقد فيها النواب أعصابهم، ينفعلون عندما تختلف آراؤهم - وغالباً ما يكون السبب هو مشروع قانون ما- مع آراء الحكومة التي تطرح القانون. يدلل هذا مرة أخرى على أن نائب الحكومة في وضع لا يُحسد عليه. يكاد يكون من واجبات نائب المعارضة أن يختلف في الرأي حول أي قانون تقدمه الحكومة. على خلاف ذلك نجد أن اجتماعات نوادي أحزاب المعارضة مفعمة بالحب والتفاهم والاتفاق على رفض قوانين الحكومة، باستثناء القوانين التي تقف المعارضة وراءها والتي تتفق عليها مع الوزير المختص كي يتم تمرير القانون على أنه مقدم من الحكومة. في هذه الحالات يكون دور نواب المعارضة المشاركين في الصفقة شديد التعقيد: أن يبرروا موقفهم في نواديهم لمن لم يشاركوا في المؤامرة، ويشرحوا لهم سبب اتفاقهم مع الحكومة في الرأي، لكن غالباً ما يكون كل أعضاء النادي مشاركين في المؤامرة، ويجب أن يكونوا كذلك؛ لأن

المعارضة الحالية قد تكون جزءاً من الحكومة في انتخابات تالية، وعندها سيكونون في حاجة إلى إظهار نفس التفاهم الذي تبديه المعارضة الحالية.

في الوقت الذي يرفع فيه حكم المباراة بطاقة حمراء أو صفراء للاعب الذي يأتي بلعبة غير قانونية بناء على خشونة الـ"فاول"، نجد أن رئيس نادي النواب يرفع الكارت الأخضر. الكارت الأخضر يُعدُّ إشارة للنواب بأن في إمكانهم أن يكونوا أحراراً لبعض الوقت ويصوتوا حسب ما تمليه عليهم ضمائرهم. نلفت الانتباه هنا إلى أن هذا الكارت الأخضر لا يمنح حق العمل بالولايات المتحدة الأمريكية.

المناقشات والنواب الأموات

"بَعْدَ كُلِّ يَوْمٍ مِنَ النَّقَاشِ فِي الْبَرْلَمَانِ، يَجِبُ أَنْ أَشَاهِدَ الْأَخْبَارَ فِي الْمَسَاءِ لِأَرَى مَا شَارَكْتُ فِي إِقْرَارِهِ
مِنْ قَوَائِنِ"

المؤلف

قد يبدو من مفهوم كلمة مناقشة أنهم يتناقشون في البرلمان، لكن البرلمان ليس مكاناً للنقاش، بل هو منصة لإلقاء وابل من الخطب. المناقشة تعطي مساحة لشرح الآراء في قضية ما لمن لا يملك فيها رأياً. تظهر مواقف مختلفة أثناء المناقشة، أكثرها شيوعاً ألا يستمع أحد إلى ما يقوله الخطيب. لكن في الحقيقة، البرلمان ليس مكاناً للاستماع، بل هو ساحة للحديث، ويمكن للنائب أن يقول أثناء المناقشة أي شيء وهو على يقين بأن أحداً لن يعلم شيئاً قاله سوى موظفات المضبطة. أحياناً يحدث أن تظهر أثناء المناقشة أفكار جيدة، لكن للأسف، حتى هذه الأفكار لا يستمع إليها أحد. لكن ما يُطمئن أصحاب الأفكار الجيدة أنه حتى الأفكار الغبية لا يستمع إليها أحد؛ فالأمران إذن سيان، ولا يهم أن يتغيب بعض النواب أثناء إلقاءهم الكلمة، فلا داعي للغضب، حتى هم ليسوا مضطرين إلى التواجد في القاعة أثناء كلمات زملائهم.

من الأساليب المجربة للفت أنظار المجلس، القيام بشيء غير معتاد. على سبيل المثال، الشاء على زميل في المعارضة طالما كنت عضواً في الائتلاف الحكومي، ومن الأفضل أن تطلق قبلة حقيقية، وإلا فلن تستطيع إيقاظ الزملاء الذين يغطون في النوم. قد يكون لطيفاً أن تغني كلمات خطبتك، أو حتى ترافقها بعزف على آلة موسيقية، لكن لن يلتفت إليك إلا محببو الموسيقى. لكن الطريقة الناجعة للفت الأنظار هي سب رئيس الحكومة عندما تكون عضواً في الائتلاف، أو على العكس، تمتدح رئيس الحكومة عندما تكون نائباً معارضاً.

إن وجود أربعة نواب على الأقل في قاعة المناقشات، دليل على أن المناقشة دائرة، وشرط افتتاح المناقشات هو حضور رئيس الجلسة، وأحد الصحفيين، والنائب الذي يلقي كلمته، ومن الأفضل أن يحضرها أيضاً النائب الذي يليه في إلقاء الكلمة. وعندما يحدث أن يتواجد

في القاعة أكثر من أربعة نواب، فمن الضروري التأكد من أن شيئاً غير عاديّ قد يحدث. النائب الذي يجلس في القاعة ولا يقرأ الجريدة، ولا يتصفح الإنترنت، ولا يتحدث في الهاتف، أو يكلم زميلاً آخر، أو لا يقرأ الرسائل، أو لا يأكل، ولا يشرب، ولا يتحرك، هذا النائب يحتمل أنه ميت. فلو رأيت نائباً مثله في القاعة فلا تلمسه، ويفضل أن تستدعي له الطبيب.

المناقشة في البرلمان هي الإيهام بالديموقراطية، فالنواب وخاصة نواب المعارضة، يُسْرُون عن أنفسهم، ويشنفون آذان المواطنين، رغم علمهم أنه لا طائل مما يقولونه؛ لأن كل شيء قد تقرر سلفاً، ومن النادر أن تسفر نتيجة التصويت عن شيء مغاير لما اتفقوا عليه، ويحدث هذا إذا أخطأ النائب، ولم يتمكن من العودة من البوفيه في الوقت المناسب، أو أن "سُستة" سرواله قد علقت وهو خارج من المراض، أو لم يلبس نظارته في الوقت المناسب، أو غشيه النوم، فيسقط رأسه على زر "موافق" بدلاً من أن يسقط على زر "غير موافق"، وإن سقط رأسه على كليهما مرة واحدة، تُرفع الجلسة ويستدعون مسئول الصيانة.

في المناقشات يخاطب النواب بعضهم بعبارات: السيد الزميل، السيدة الزميلة، سيداتي سادتي، حضرات المحترمين نواب الشعب، وحماة القانون. وأحياناً يخاطبون بعضهم بأسماء حميمية: يا چو، يا كتكوتة، يا بتوره! وأحياناً يخاطبون بعضهم بألفاظ غير مقبولة. وصف "بافول هروشوفسكي" رئيس البرلمان نائب المعارضة الشاب "روبرت مادايا" في ربيع 2006 قائلاً: "ابن الزانية أبو بربور". على ما يبدو أنه تأثر بوزير الاقتصاد "بافل روسكو" الذي وصف رئيس البرلمان "بافل هروشوفسكي" سابقاً بلفظ "ابن الزانية" دون أن يذكر أوصافاً أخرى. وقال "فلاديمير ميتشيار" رئيس حزب حركة سلوفاكيا الديموقراطية، عن نواب من حزب الحركة المسيحية الديموقراطية إنهم "شواذ"، لكن هذا لم يزعج نواب حزب الحركة؛ لأنهم على ما يبدو لا يعرفون معنى كلمة "شواذ".

وقد فهم النواب قبل الصحفيين أن المناقشة لا قيمة لها، بل هي جزء عبثي من عمل البرلمان، وصار من المشكوك فيه أن يقال إن أحداً يناقش القوانين. فعندما يشرعون في مناقشة شيء ما في البرلمان نعرف أن الأمر سينتهي بالتصويت. وعندما لا يناقشون قانوناً ما في البرلمان، فإن نتيجة التصويت واحدة، فالمناقشات لا تؤثر على نتيجة التصويت بأي صورة، بمعنى أن المناقشة في البرلمان لا تأثير لها، فالتأثير الحقيقي على نتيجة التصويت يأتي من المناقشات في مجلس الائتلاف. لكن أحياناً يحدث ألا يتفق ممثلو الائتلاف. في هذه الحالة يقررون أن يتركوا الأمر لله، أي لتصويت النواب.

القراءة حَسَبَ...

"شَرَحُ الْقَانُونِ يَعْني تَشْوِيهَهُ"

فرانسوا فولتير

تختلف القراءات. هناك قراءة إجبارية في المدرسة الابتدائية، والقراءة التي هي جزء أصيل من الشعر، أو قراءة مرقس، أو متي، أو لوقا، أو يوحنا، أو آخرين ممن صنعوا الأشياء المقروءة. وعندما يعلن الكاهن أثناء أداء الصلوات ويقول: "قراءة بول"، يكون متأكدًا من أن الحاضرين سوف يستمعون له. مثل هذه الثقة لا يملكها رؤساء مجلس النواب السلوفاكي، ففي الوقت الذي يصبح فيه الإنجيليون كُتَّابًا ذائعي الصيت، لا يمكن أن نتوقع أن ينتفض المستمعون إلى داخل القاعة عند قراءة "تسوبيير"، أو "ميكلوشكا"، أو "أوندرياش"، بل على العكس ينسحبون منها.

إن صنّاع نظام المناقشة، وصناع القانون الذين يتأسى بهم عند إقرار القوانين قد وضعوا في اعتبارهم أن النواب غير مباينين، وأن شيئًا قد يفوتهم أثناء القراءة الأولى؛ لذلك فكروا في قراءتين للقانون. في القراءة الأولى يشحذ النواب هممهم، ويصنع مقدم القانون حملة دعائية كي يلفت أنظار الصحفيين، لكن جهوده في الغالب تذهب سُدى؛ لأنه لا يقرأ القانون سوى مقدمه وبعض مساعديه الذي يأخذون عملهم بجدية. لكن حتى هذا يعتبر تقدمًا؛ لأن هناك احتمالًا أنهم يحتفظون بمحتوى مشروع القانون لأنفسهم، ومنهم من هم أكثر إخلاصًا فيخبرون نائبيهم وآخرين بمحتواه. لكن هذا الاحتمال لا يسري تلقائيًا، حيث إن ما يقع في أيدي النواب قبل كل جلسة عامة لمجلس النواب، ما يقرب من مئة مشروع قانون أو قرار أو تقرير، كلها معًا تشكل أربعة آلاف صفحة. حتى لو كانوا عابرة لما تمكنوا من قراءة كل تلك المشاريع، لكن المواطنين يتوقعون هذا من النواب، ولأسباب غامضة ينتظرون منهم أن يفهموا هذه القوانين.

الصحفيون الماجنون يهاجمون نواب الشعب بشكل دائم عندما يسألونهم إن كانوا يعرفون عدد الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، أو نوع الطوب الذي بنى منه العمود

الثاني لإصلاح المعاشات. يتوقعون أن يجيهم النائب "تحت التهديد" عن كل سؤال، لكن توقعًا عبثيًا كهذا لا يمكن أن يتحقق، وهذا أمر واضح للجميع باستثناء الصحفيين والرأي العام. وعلى الرأي العام أن يتأقلم مع حقيقة أنه لن يحصل على إجابة من النائب في الغالب؛ لأن القضية التي يهتم بها لا تفهمها غالبية الصحفيين. وكما يتخلص النواب من أي صحفي فضولي كانت القراءة الثانية للقانون. تصبح الأمور أكثر جدية أثناء القراءة الثانية، ويزداد عدد النواب الذين يطلعون على مسودة القانون، أو على الأقل يتزايد عدد من شرح لهم مساعدوهم محتوى القانون، وينتاب النائب الذي اطلع على محتوى القانون شعور طيب، فالتكرار أساس الحكمة.

التصويت العلني

"لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَصْنَعَ حَقِيقَةً بِالتَّصْوِيتِ عَلَيْهَا، فَالشَّهَادَةُ إِمَّا أَنَّهَا قَوْلُ الْحَقِّ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ"

بنديكت السادس عشر

من أكثر اللحظات إثارة في عمل مجلس النواب السلوفاكي، لحظة التصويت. ولكي تتم عملية التصويت بنجاح، لا بد من القيام بعده أمور: أولها قرع الناقوس، والناقوس عبارة عن جهاز يتم به دعوة النواب للتصويت، وقد اخترع عالم الفيزياء الروسي "إيفان بيتروفيتش بافلوف" عام 1904 استخدام الناقوس لدعوة النواب للتصويت، وأيضاً لتجربة أحد أنظمة الإشارة. توصل وقتها إلى أن النواب في مجلس الدوما الروسي يستجيبون بطريقة أفضل عند سماعهم صوت الناقوس. المشكلة هي أن نشاط غددهم اللعابية يتزايد أثناء هرولتهم للإدلاء بأصواتهم، فأطلق "بافلوف" تفسيراً مفاده أن النشاط الزائد للغدة اللعابية المرتبط بالتصويت على صلة لصيقة بروية "وليمة" شهية. تعمق هذا السلوك اللاإرادي في النظام العصبي لبعض النواب إلى درجة أنهم عندما يتركون مجال التشريع، يسيل لعابهم عند سماع صوت الناقوس، وتبحث أصابعهم بصورة تلقائية على الأزرار⁽¹⁰⁾. وهذا دليل آخر على أن عمل النائب في البرلمان يمكن أن يترك آثاراً لا تمحى على بعض الأفراد ضعاف العزيمة.

الشرط الثاني لنجاح التصويت هو حضور ما لا يقل عن 76 نائباً. يتم التصويت عادة مرتين يومياً: في الساعة الحادية عشر صباحاً، وفي الساعة الخامسة مساءً ما لم يكن هناك بث مباشر لمباراة للفريق السلوفاكي في بطولة العالم للهوكي. في هذه الحالة يتم إرجاء التصويت إلى ساعة أخرى. لا يجب تواجد النواب في القاعة بين أوقات التصويت، رغم أن الرأي العام لا يفهم أن النائب يمكنه أن يفعل شيئاً للصالح العام ويقوم بخدمة المواطن وهو خارج القاعة.

(10) المؤلف يسخر من لهفة بعض النواب على التصويت، بمقارنتهم بالكلاب، التي أجرى عليها بافلوف تجاربه المعروفة في الارتباط الشرطي.(المترجم).

وقبل أن يشرع النائب في الإدلاء بصوته يجب أن يتأكد من أنه:

- أغلق الأجهزة الكهربائية قبل خروجه من البيت.

- أغلق باب الشقة أو البيت.

- أطعم حيواناته الأليفة.

- اغتسل، وارتدى ملابسه

- أحضر ملابس ثقيلة معه إلى البرلمان

- شحن هاتفه المحمول جيداً

- درب أصابعه بصورة كافية.

- لم ينسَ نظارته.

إغلاق الأجهزة الكهربائية يعد أمراً هاماً كي يتمكن النائب من التركيز في عمله. إن التصويت عمل شأنه كل الأعمال الأخرى، الفارق الوحيد أنك لو لم تضغط على الزر الصحيح تصبح العواقب وخيمة، ليس على المجتمع بقدر ما هي على النائب نفسه. وإن قام بالضغط على الزر الخطأ أكثر من مرة يعطي انطباعاً سيئاً بأنه يضمّر شراً ما لحزبه، أو ربما للاتلاف الذي هو عضو فيه.

تقول المادة 2/73 من دستور الجمهورية السلوفاكية: "يمارس النواب الوكالة حسب ما تمليه عليهم ضمائرهم وقناعاتهم الشخصية، وهم غير ملزمين بأية توجيهات". ورغم أنهم "غير ملزمين بأية توجيهات" يقوم النواب بالتصويت حسب توجيهات قياداتهم الحزبية. لو صوت النائب عكس ذلك أكثر من مرة، على خلاف أوامر قيادة حزبه، ينتهي به الحال خارج نادي النواب، ويصبح مستقبله السياسي على المحك. لكن هذا لا يعني أنه لو صوت حسب توجيهات قيادة حزبه أن سيرته السياسية في مأمن.

اللافت للنظر هو التصويت على القوانين التي تنطوي على عشرات المشاريع المعدلة. ولا يمكن لأي مقدم للقانون، مهما بلغت درجة تركيزه، أن يكون متيقظاً تماماً خلال التصويت لمدة ساعة أو ساعتين. فأحياناً يخطئ، وتكشف سكرتارية اللجان الخطأ، وتتمر الأمور

طبيعية، لأن الله نفسه لا يمكن أن يعرف علاماً يصوتون بعد أن تعدل مشروع القانون ثمانين مرة، فما بالك بمقدم المشروع نفسه! لو صادف أن عرف النواب بالقانون، وصوتوا كما ينبغي، يدوي التصفيق في القاعة، ويعلو صوت يقول: "مبروك!". بعدها يتبادل النواب التهاني.

الشرط الثالث لنجاح التصويت هو وجود ما يطلقون عليه "الدليل". فكل نادٍ للنواب لديه دليله من توافر ما يضمن أن يصوت النواب على النحو الأفضل. إنه نائب يجلس في مكان يراه فيه كل أعضاء ناديه. إنه ليس ذلك الشخص الذي يرسل إشارات عشوائية، كما كان يفعل ذات يوم "روبو ميكلان". بل يشير بشيء أصغر بكثير، بإصبعه. الرأي العام يعرف معنى الإشارات: رفع الإبهام إلى أعلى يعني "موافق"، وأفقياً يعني "الامتناع عن التصويت"، وخفضه إلى أسفل يعني "غير موافق". يجب على النواب أثناء التصويت أن ينتبهوا إلى "الدليل"، فما هو إلا إنسان، يحتاج أحياناً إلى أن يلهو بإبهامه في أنفه. في هذه الحالة لا يصوتون بالموافقة. وعندما يقوم الدليل بوضع إبهامه في أذنه لينظفها فلا يعني هذا أن أعضاء حزبه عليهم أن يمتنعوا عن التصويت. وعندما لا يقوم الدليل بأية إشارات، فهذا يعني أن على كل نائب أن يصوت حسب ما يميله عليه ضميره. وهذا الأمر نادراً ما يحدث، ويتسبب في مشاكل كبيرة. النائب الذي اعتاد على التصويت حسب التعليمات يسقط في يده إن غاب الدليل. أسوأ ما في الأمر أن يرن هاتف الدليل ويكون المتصل رئيس الحزب، أو أحد أعضاء جماعة الضغط، أو زوجته، أو حماته. عندها يضطر الدليل إلى الرد على المكالمات، فيختفي أسفل الطاولة كي لا يضطر رئيس الجلسة إلى دعوته لعدم التحدث في الهاتف. يمكن أن يتسبب الدليل المختبئ في أزمة حكومية؛ لأن المعارضة الشرسة تنقض عندما يتوقف الدليل عن رفع إبهامه. إنها معارضة شريرة، يمكنها أن تتصل هاتفياً بكل دليل في الائتلاف في وقت واحد. وتأتي لحظة يصاب فيها الائتلاف بالشلل التام، وهذا الشلل تتبعه سعادة غامرة من المعارضة.

نائب الائتلاف لا يصوت على مشروعات القوانين المقدمة من المعارضة، وكي لا يزعج نواب المعارضة الذين يلتقي بهم في الحانة بكل سرور، لا يصوت بالرفض، لكنه يمتنع عن التصويت، وهي طريقة مهذبة للتصويت بالرفض. نواب الائتلاف الذين يضغطون على زر "ممتنع عن التصويت" أثناء التصويت على قانون تقدمه المعارضة يقول بهذا للجميع إنهم يشعرون بالذنب، ولولا خوفهم لأيدوا مشروع القانون.

الاقتراع السريّ

"الاقْتِرَاعُ السَّرِّيُّ هُوَ دَلِيلٌ دَامِعٌ عَلَى فَشْلِ الْمَوْءَمَاتِ السِّيَاسِيَّةِ"

المؤلف

التصويت السريّ هو مقياس مثالي لاختبار تماسك الائتلاف الحاكم والمعارضة. ميزة هذا التصويت أنه يسمح بالتحكم في الأرقام الكلية، لكن من المستحيل أن تعرف منه أصوات النواب. النواب يفضلون التصويت السريّ لأنه يتم في مكتب رئيس البرلمان القابع خلف قاعة المداولات. الدخول إلى المكتب يكون من ممر وحيد ضيق؛ لذلك على النواب أن يصطفوا فيه. يقفون في الصف بصورة عشوائية وبغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية. والاصطفاف من أجل التصويت السري يعد فرصة طيبة لتبادل الحديث مع الزملاء، وكثيراً ما تلتفي في الصف وقبل الاقتراع السري مع نائب زميل لم تلتق به من قبل في البرلمان. إذن فأهمية التصويت السري تكمن أيضاً في الجانب الاجتماعي له. تتعرف وأنت في الطابور على أحوال باقي أعضاء أسرة الزميل، ونوع المسحوق الذي يستخدمونه لمحاربة الفطريات.

يشترط في التصويت السريّ أن يُقرّه النواب، فلا يمكن أن يدعو أحدهم إلى التصويت السريّ وقتما شاء، حيث ينظم إجراءه قانون المداولات، ويجب أن يتم التصويت العلني على إجراء التصويت السريّ. فأثناء التصويت على إجراء تصويت سري يظهر كل نائب وجهه الحقيقي، ويصبح التصويت السري نفسه مجرد تأكيد لنتائج التصويت العلني على إجراء التصويت السري. ويمكن أن تتوقع من النواب الذين يصوتون على إجراء الاقتراع السريّ أنهم لن يصوتوا كما أمرهم رئيس الحزب.

من حسن الحظ أنهم لا يصوتون سرياً على القوانين. فهم يصوتون سرياً على تعيين الأفراد في الوظائف العليا بالدولة. وعندما يكون هناك مرشح واحد لمنصب واحد تكون الأمور أكثر سهولة، ويتغير الموقف عندما يختارون مثلاً أربعة أعضاء في مجلس أمناء

التلفزيون السلوفاكي، ويكون عدد المرشحين أربعة عشر. في هذه الحالة يتحول البرلمان إلى بورصة، حيث يدافع كل نائب عن مرشحه، ويسعى للحصول على أصوات تؤيده، لكنها في الواقع مضيعة للوقت؛ لأن التصويت السريّ يمثل الفرصة الوحيدة للاختيار حسب ما يمليه عليه ضمير كل نائب. ويحرص النواب على الاستمتاع بلحظة نادرة كهذه. يُعدّ التصويت السري محفلاً صغيراً يستمتع فيه النواب بحريتهم، فالنائب في النهاية إنسان، ويحتاج أحياناً إلى ما يؤكد له أن مازال ضميره يعمل. تقوم نوادي النواب، حيث ثقتهم في بعضهم في أدنى مستوياتها، بتعيين عضو يثقون فيه، ويتأكدون منه قبل أن يلقوا بأصواتهم في الصندوق بأنهم قد اختاروا الشخص الصحيح. هذا بالطبع تصرف مهين، لكن الاحتياط واجب. المذهل في موضوع التصويت السريّ أن نتيجته تكون صحيحة حتى لو ضرب النواب بالاتفاق عرض الحائط، وتعادلت أصوات المعارضة مع أصوات نواب الائتلاف الحاكم.

غالباً ما يستمر التصويت السري إلى ما لانهاية. القاعدة الأساسية للتصويت السريّ على اختيار مرشح مناسب هي أنه يتكرر إلى أن يتم اختيار أحدهم. المرشح المناسب هو ذلك الشخص الأنسب للدفاع عن مصالح الحزب الذي أيد ترشيحه. أحياناً يختارون عضواً في مجلس أمناء التلفزيون السلوفاكي يكون من بين الذين يعملون في وظيفة حارس ليلي منذ ثلاثة أعوام، ولا يختارون أستاذاً يتمتع بخبرة ثلاثين عاماً كمخرج، أو كاتب سيناريو، أو رئيس تحرير حاصل على عدة جوائز دولية، ودرس الإعلام في مدينة براغ، أو في هارفارد. كل هذا لا يعد دليلاً على أن الحارس الليلي أفضل منه. لكن هذا الحارس من الناحية السياسية سهل الانقياد، أما السيد البروفيسور فعليه أن يعتمد أكثر على تكوين لوبي، وليس فقط على كونه متخصصاً.

التصويت "فائق السرية"

"السِّرُّ الَّذِي يَعْرِفُهُ ثَلَاثَةٌ أَفْرَادٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَبْقَى سِرًّا مَا لَمْ يَمُتْ مِنْهُمْ اثْنَانِ"

بنيامين فرانكلين

يؤسفني أن أقول إن هذا النوع من التصويت لا يمكن أن أخبر عنه إلا شفويًا. كل ما يمكنني

قوله هو أن نتائج التصويت فائق السرية تظهر للرأي العام في صورة دخان أبيض يتصاعد من

مدفأة مجلس النواب، ولو لم يظهر الدخان فهذا يعني أن التصويت لم يحدث.

نقطة نظام

"أحيانًا يَسْتَعْرِقُ الأمرُ نِصْفَ سَاعَةٍ حَتَّى أَفْهَمَ مَا أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَهُ خِلَالَ دَقِيقَتَيْنِ فِي نَقْطَةِ نِظَامٍ"

المؤلف

نقطة نظام هي من أشكال المداخلات القصيرة التي تستغرق دقيقتين على الأكثر، يرغب من خلالها النواب الرد على كلام المتحدث. من شروط نقطة النظام هي أن صاحب المداخلة يمكنه أن يُعلّق فقط على النائب الذي انتهى على الفور من حديثه. السبب في ذلك هو ألا ينسى النواب الشخص الذي يرغبون في التعليق على ما قاله. نقطة نظام لا تسمح بالتعقيب على نقطة نظام أخرى، فضلاً عن أنه لا يجوز أن تُعقّب أكثر من مرة واحدة.

نظام المداولة في مجلس النواب السلوفاكي لا يسمح بالمناقشة. يُقال إن هذا الأمر كان مسموحاً به من قبل، لكنهم ألغوه بسبب "چون كوبر"، صاحب فكرة نقطة النظام الذي لم يتمكنوا من إيقافه إلا بهذه الطريقة، وهي الاقتصار على مداخلة واحدة في إطار نقطة النظام. لقد قضيت مع "چون كوبر" في البرلمان عدة سنوات، وفي الواقع كان دائماً ما يَظْهَرُ أحدهم لكي يعلق ساخراً من مداخلاته. عادة ما كان هو نفسه يفعل ذلك. كان في مقدوره أن يصل إلى مرحلة الضحك التلقائي. ويؤسفني أن "چون كوبر" لم يعد نائباً في البرلمان، فقد كانت جودة مداخلاته تزداد مع الوقت.

ساعة للأسئلة، ودقيقة للإجابة

"إِنَّ سِرَّ أَيِّ مُتَحَدِّثٍ مَفْوَهُ هُوَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَخْصًا غَيْبًا مِثْلَ مُسْتَمْعِيهِ كَيْ يَعْتَقِدُوا أَنَّهُمْ أَذْكِيَاءُ
مِثْلَهُ"

كراوس

الاستجواب هو وصف يطلقونه على الدقائق الخمس التي يطرح فيها النواب أسئلتهم على أعضاء الحكومة برئاسة رئيس الحكومة، وأيضاً على الخمس والخمسين دقيقة التي تُمنح لأعضاء الحكومة، وفي مقدمتهم رئيس الحكومة كي لا يجيبوا على الأسئلة. لا يجيبون على الأسئلة إلا عندما تروقهم. الأسئلة المقبولة هي تلك التي يطرحها نواب الحكومة على أعضائها. أما الأسئلة غير الإيجابية فهي تلك التي توجهها المعارضة. تُعدّ طريقة اختيار الأسئلة من أكثر الأعمال ديموقراطية في النظام البرلماني، حيث يتم ترتيب الأسئلة بشكل عشوائي. الدقائق الخمس عشرة الأولى من الاستجواب مُخصّصة لرئيس الحكومة، وهو الوقت المتاح لطرح الأسئلة، وليس للرد عليها. وعندما لا يرغب رئيس الحكومة في سماع المزيد من الأسئلة يجيب على السؤال الأول لمدة ساعة كاملة، وبهذا ينتهي الأمر. يستمر الاستجواب لمدة ساعة واحدة فقط، على عكس برنامج التسلية الذي كان يُذاع في التلفزيون يوماً ما تحت عنوان (تحت المصباح) لمدة أطول. لا يمكن استجواب أعضاء الحكومة إلا يوماً واحداً في الأسبوع، وهو يوم الخميس، وفي ساعة محددة، وهي الساعة الثانية ظهراً. وقد اقترح نواب الائتلاف أن يكون وقت الاستجواب في يوم الاثنين كي لا يزعجوا أعضاء الحكومة بلا طائل؛ حيث إن مجلس النواب لا ينعقد يوم الاثنين، ولا يوم الثلاثاء قبل الظهر، ولا يوم الجمعة بعد الظهر، ولا ينعقد أيضاً بين الثانية عشرة والثانية ظهراً، حيث تكون استراحة الغداء. لا ينعقد مجلس النواب جلساته في يناير، ولا إبريل، ولا يوليه، ولا أغسطس، ولا أكتوبر. ما عدا ذلك يمكن عمل استجواب لأعضاء الحكومة.

ينطوي مصطلح "ساعة الاستجواب" على نقيصتين في كلمة "ساعة" وكلمة "استجواب". لا يحدد نظام الجلسات إن كان عضو الحكومة مضطراً إلى الرد، أم يمكنه أن يقول ما

شاء، حتى لو كانت قصصًا خرافية من حكايات "آندرسون". يفضل الصحفيون أوقات الاستجواب للتندر بها؛ لأنهم يمنحون نائب المعارضة فرصة للتفوه بتعليقات ساخرة، أو نوادر، أو حتى عرض أفكار ما.

الحصانة البرلمانية

"لَا تَيْأَسْ! سَيَأْتِي يَوْمٌ تَتَمَكَّنُ فِيهِ مِنْ دُخُولِ الْبَرْلَمَانِ"

المؤلف لأحد مدمني الخمر النواب

الحصانة تعني المناعة. ولا أفهم سبب سعي المواطنين من أجل إلغاء حصانة النواب البرلمانية، وكأن النواب ليسوا بشرًا، لهم الحق في أن يتمتعوا بالمناعة. إن إيقاع الحياة السريع، والمليء بضغوط العمل، كما أن نظام الحياة السيئ، ونقص الحركة، والتجمد، كلها أمور خارجية تتسبب في ضعف مناعة الجسم. وتبعات ذلك هي الإصابة بالرشح، والبرد، والحساسية، وغيرها من الأمراض التي تتكرر، وتستمر لفترة طويلة. من يتحمل مسؤولية أن يمرض غالبية النواب، فيصمت البرلمان ولا يكون هناك من يُقَرُّ القوانين الإيجابية للمواطنين؟ يبدو أن المواطنين يفهمون الحصانة على أنها حماية للنائب من أن يلقي رجال الشرطة القبض عليه وهو يقود سيارته مخمورًا.

في ربيع عام 2006 قام رجال الشرطة بحملة تكررت عدة مرات تحت اسم "الصقر" موجهة ضد من يقودون سياراتهم تحت تأثير الكحول. وتوصلوا إلى أن 400 ممن اختبروهم يقودون سياراتهم تحت تأثير المشروبات الروحية، من بينهم 150 نائبًا في البرلمان فقط، ولم تكن غالبية السكارى من نواب البرلمان. حتى إن النائب "جان س" الذي استطاع أن يرتكب حادثة سير في مدينة "مودرا" لم يكن من بينهم. قد يكون الأمر مزعجًا لو أن "جان س" تعرض لحادثة سيارة في قبلة النيبيذ السلوفاكي وهو في كامل وعيه.

من الطبيعي أن يسعى النواب إلى تحصين أنفسهم طالما يفعل المواطنون نفس الشيء. إن الوسيلة المثلى لزيادة المناعة منتج جديد في علم المناعة وهو -"إيمونو جلوكان"، إنه يحتوي على "جلوكوزان د"، الذي يعد مضادًا حيويًا طبيعيًا يعمل بصورة مثالية مع فيتامين سي. إنه يضمن المناعة للمواطنين والنواب على حد سواء، لكنه لا يضمن المناعة ضد الجرائم التي يعاقب عليها القانون؛ لذلك نجد أن البرلمان أحيانًا يتأهب لمنع الحصانة

البرلمانية عن أحد النواب بناء على طلب من النائب العام، وعادة ما يظهر نوع من التضامن الكبير وسط النواب عند التصويت على رفع الحصانة، عندما يكون النائب المتهم على استعداد أن يتخلى عن قواعد الأخلاق، بل وعن نفسه أيضاً.

في مايو عام 1995 ارتعدت فرائص السيد "جان لانجوش" (الرجل الذي قتل نفسه في وقت لاحق، وجرح مواطناً آخر، في الخامس عشر من يونيو عام 2006 أثناء حادثة سير) وهو يقف في مجلس النواب السلوفاكي خوفاً من أن يرفعوا عنه الحصانة البرلمانية بسبب حادثة كان سبباً فيها لتجاوزه السرعة المقررة في منطقة "خيمينيانسكا نوبا فاس"، لم يرفعوها عنه. لم يحمد ربه فقط على ما حدث، بل شكر أيضاً نواب حزب حركة سلوفاكيا الديمقراطية الذين كانوا بالمناسبة من ألد أعدائه. لكن ذلك لم يمنعه من أن يقول في اجتماع مجلس النواب السلوفاكي في الخامس عشر من فبراير 2001: "إن الحصانة البرلمانية يجب أن تحمي النائب من الملاحقة عن أي شيء يقوله تحت قبة البرلمان، لكن ليس من شأنها أن تحميه من الجرائم التي يرتكبها خارج البرلمان". أتوقع أن تلك الكلمات كانت السبب في رفع النقاب عن تمثال نصفي لهذه "الأيقونة الأخلاقية" في وسط مدينة براتسلافا.

رحلات النواب الخارجية

"عِنْدَمَا يَبْدَأُ نُوَابُ الْبِرْلَمَانِ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْجَنُوبِ فِي شَهْرِ نُوفَمْبَرٍ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَوَقَّعَ شِتَاءً طَوِيلًا فِي الْبِرْلَمَانِ"

مؤلف مجهول

غالبًا ما تكون رحلات العمل التي يقوم بها النواب محل اهتمام الإعلام. السبب الرئيسي في ذلك هو الطبيعة البشرية الحسود للصحفيين الذين لا يمكنهم السفر بنفس المعدل الذي يسافر به النواب. من سمات بعض الصحفيين أنهم يحسدونهم حتى عندما يكونون معهم في رحلة العمل ذاتها.

تنقسم الرحلات الخارجية للنواب إلى مجموعتين: رحلات ذات معنى، وأخرى عبثية. الرحلات ذات المعنى هي تلك التي تهم الوطن وليس النائب. أما الرحلات العبثية فهي الرحلات التي يقوم بها نواب بصفتهم أعضاء في وفود في الاجتماعات البرلمانية للمجلس الأوروبي، والنااتو، واتحاد أوربا الغربية. من أهم شروط رحلات النواب الخارجية، هامة كانت أو عبثية، الإلمام الجيد باللغة الإنجليزية على الأقل. كثير من النواب يصاب بالإحباط الشديد عندما لا يستطيع أن يتحدث في باريس أو لندن باللغة السلوفاكية، نفس الحال بالنسبة للغة التشيكية، فرغم أنها تعد لغة أجنبية، لكنك لا يمكن أن تتعامل بها في باريس أو لندن أو برلين، ولا حتى في بودابست.

لقد أطلقت بعض وسائل الإعلام على مجلس النواب السلوفاكي أنه أكبر مكتب سفريات في سلوفاكيا. وهذا الكلام حقيقي إلى حد ما طالما سافر النواب معه في رحلاتهم الحمقاء. لكنني لا أتفق مع هذا الكلام بصفة عامة؛ لأن - مثلاً - شراء طوابع بريد خاصة، وإحضار الأسماك النرويجية المثلجة لأعياد الميلاد، أو تحقيق حلم أحد الشباب، وزيارة ديزني لاند ليست أمورًا حمقاء. أعرف عمَّ أتحدث، فقد كنت من أكبر الرحالة النواب في البرلمان السلوفاكي في الفترة الانتخابية الثالثة. على الأقل تقدمت الصفوف في شيء ما.

ولكي أكون دقيقاً، يمكنني أن أسمى الاتحاد البرلماني بأنه أكبر شركة سياحة دولية، فهو مؤسسة تجمع بين البرلمانات، ومن خلالها يتعرف نواب كل الدول الأعضاء على أفضل معالم الدول التي لديها برلمانات، وهي في الواقع معظم الدول؛ لذلك يجدون دائماً شيئاً يرونه. وكلي لا أكون مبالغاً يجب أن أذكر أن صفات الجدية والعبثية فيما يتعلق بالرحلات الخارجية تنطبق أيضاً على أعضاء الحكومة، وموظفي الدولة، والقيادات المحلية وغيرهم.

إن الرحلات الخارجية تعد فرصة يتعرف من خلالها النواب على بعضهم البعض بصورة أفضل، يتحدثون خلالها عن أسرهم وهواياتهم، يتبادلون عبارات التعاطف في رحلات العمل، ويقدمون في رؤسائهم، ويتعاهدون بالألا يخرج حديثهم ذلك على الملأ. ذلك العهد ينقضي مع الوقت، عندما يبدأون في الإفصاح عن آراء زملائهم في وسائل الإعلام.

بوفيه البرلمان

"عَفْوًا! لَمْ أَفْهَمْ سُؤَالَكَ. مَنَعَنِي مَن ذَلِك فَمَكَ الْكَبِيرُ الَّذِي يُشْبِهُ فَمَ بَقْرَةَ تَلُوكُ الطَّعَامِ".

ميلينج

إنَّ بوفيه البرلمان من الأماكن المفضلة لدى النواب والعاملين في مجلس النواب، ولدى الصحفيين أيضًا. يترددون عليه لتناول القهوة الرخيصة، والسَّلطات، وأنواع الحساء. وبعدها تنتقد وسائل الإعلام الأسعَارَ المتدنية للقهوة والسلطة والحساء في بوفيه البرلمان. حتى البيرة في بوفيه البرلمان أرخص من أقرب بار، المشكلة تكمن في أن بيرة البرلمان صعبة المنال؛ لأن الصحفيين يشربونها بينما النواب في القاعة يحضرون الجلسة. يحب الصحفيون البيرة البرلمانية، ليس فقط لأنها رخيصة الثمن، وإنما أيضًا لأنها مادة إعلامية جيدة. فالحصول على مادة إعلامية يعد من أكبر المشاكل التي تواجه الصحفيين؛ لذلك فالبيرة والقهوة تقدم لهم الحل. أحيانًا يكتب الصحفيون عن القهوة الرخيصة في بوفيه البرلمان أكثر من السياسة، فكلُّ يكتب فيها يفهم فيه.

بوفيه البرلمان هو أيضًا مكان يتعرف فيه النواب على مَنْ يجالس مَنْ، فنائب الحكومة مشكوك في أمره لو تناول حساء الفاصوليا مع زملاء له في البرلمان من المعارضة، ويقهقه وهو يتحدث معهم.

إن وجود النواب في بوفيه البرلمان يمكن أن يكون أمرًا له مخاطره على المجتمع، ففي نهاية عام 2002 اجتمعنا في البرلمان من أجل إقرار مشروع قانون قدمته المعارضة بشأن الإعانة الاجتماعية، شعرنا بالجوع أثناء مناقشة القانون، فطلبنا دعمًا من البوفيه، طلبنا حساء كوارع طازجًا، وغالبًا ما يكون حساء الكوارع ساخنًا. إن النائب الذي يحتسي شوربة الكوارع الساخنة يعيش لحظة صعبة؛ لأنه يتوقع في كل لحظة أن يدق الناقوس الذي يدعوهم للتصويت، وقانون الصدفة في بوفيه البرلمان يقول: "يدق الناقوس في اللحظة التي يحملون لك فيها الحساء الساخن"، وهذا ما حدث معي. وقتها لم يَبْقَ على

التصويت سوى حوالي عشرين ثانية، وبناء على خبرتي السابقة، كنت أعرف أن الصعود إلى الطابق الثاني من أجل الوصول إلى قاعة التصويت يستغرق من نائب مثلي عشر ثوانٍ، لكنني لم أنتبه في تلك اللحظة أنني لم أمارس التمارين الرياضية منذ وقت طويل، كما أن الشوربة كانت ساخنة على غير المعتاد. هرولت لأدلي بصوتي. كان عدد الأصوات فوق اللوحة ستة وسبعين صوتاً، وهو العدد الذي احتاجه الائتلاف، فعدتُ بهدوء إلى البوفيه لأرتشف ما تبقى من الحساء. وهنا انقضَّ عليَّ الصحفيون وسألوني لماذا لم أُدَلِّ بصوتي. كان واضحاً أن ثانية واحدة حالت دون إدلائي بصوتي. لحسن الحظ أخطأ زميل لي في المعارضة ليعوض الخطأ الذي ارتكبه بعدم التصويت، وأنقذ بذلك اثنين ونصف مليار من ميزانية الدولة. أنصح قيادة البرلمان الجديدة بأن تتجنب هذه المخاطر في المستقبل، وتقدم شوربة الكوارع مع قطعة خبز وزجاجة بيرة في قاعة البرلمان مباشرة.

استراتيجات الحكومة وتديير المؤامرات

"الغَايَةُ تُبْرِزُ الوَسِيلَةَ وَتُطَهِّرُهَا. وَالاسْتِرَاحَاتُ الحُكُومِيَّةُ تُطَهَّرُ مَنْ لَا يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا"

المؤلف

مجلس النواب لديه مكان للاستجمام، إنه مجمع فنادق للاستجمام في منطقة "تشاستي بيايرنيتشكا"⁽¹¹⁾. يعرفه العامة بهذا الاسم منذ أن أطلق "يارو فيليب" على المنطقة التي يوجد فيها المجمع اسم "زيدكافا بيايرنيتشكا". لقد كنت شاهداً على تلك اللحظة التاريخية شخصياً. كان ذلك في خريف عام 1994، عندما نظمت شركة التبغ السلوفاكية في هذا المكان حفلة كبيرة، أمتعنا وأمتع كل من شارك في الحفل السيد "فيليب" الشهير، وأيضاً "نوجا"، و"سكروتساني"، و"بيشكوا"، و"راديتش". شربنا معاً، وقرعنا النواب الذين يلهون في المقر من أموالنا. بعدها بثماني أعوام، وبعد أن صرْتُ أنا نفسي أحد زوار مقر الاستجمام، توقفت عن سبِّ النواب.

مقر المجلس يتكون من غرف فندقية، وصالة طعام، وبار، وبار ثانٍ، وبار ثالث، وحمّام سباحة خارجي، وحمّام سباحة داخلي، وحمّام سباحة للأطفال، وملعب لكرة الطائرة، وملعب لكرة القدم، وملعبين للتنس، وصالة بولينج، وتنس طاولة، ودراجات، وساونا، وجاكوزي، وشطرنج، وصالة سينما، وغرفة تبديل الملابس، وغيرها من أغراض الاستجمام. لا يجب أن ننسى أفضل الأماكن للاستجمام: الحمامات. تحقق أماكن الاستجمام كثيراً من الأهداف، ففضلاً عن مختلف وسائل النقاهاة التي تقدمها لمؤسسات أخرى، فهي توفر سبل الاسترخاء لموظفي مجلس النواب، والنواب غير المقتدرين. أحاط صحفيو الصحف الصفراء مقرات الاستجمام في "بيايرنيتشكا" بالكثير من القصص الخرافية حول الأسعار المتدنية، واستغلال نواب البرلمان لهذا المكان بطريقة فاضحة، وكنت واحداً من نسبة الواحد في المئة أو أقل، وهي نسبة النواب الذين ترددوا على المكان.

(11) الاسم يعني مكان تتردد عليه كثيراً، والاسم الآخر للمكان يعني العكس (المترجم).

وفضلاً عن وظيفة المكان الترفيحية، فهناك وظيفة أخرى وهي تدير المؤامرات، حيث يلتقي فيه رؤساء الأحزاب السياسية بعيداً عن أعين الصحفيين والرأي العام. سبك المؤامرات في المقر الترفيحي يتم بطريقة لذيذة، لأن قادة الأحزاب عندما يجتمعون يبقى مفتوحاً حتى ينصرف آخر واحد منهم، وليس شرطاً أن ينصرف آخر رئيس حزب بعد الآخرين مباشرة. وينطبق هذا الأمر حتى عندما يحملونه من البار. يحاك كثير من مؤامرات مجلس النواب في مقر "بيابيرنيتشكا" على نحو أسرع من أي مكان آخر. السبب بسيط، لو عنت لك فكرة ما جهنمية، فعليك أن تطهوها على الفور قبل أن تبدل رأيك وأنت تدعو الآخرين إلى المقر. ربما كان من الأفضل إطلاق اسم آخر على مقر الاستجمام وهو: "مجلس النواب السلوفاكي-مقر الاستجمام". وقتها سيعرف الجميع أن مجلس النواب السلوفاكي يفعل شيئاً يستحق عليه هذا.

الفصل السادس
الإعلام والرأي العام

السياسي والإعلام

"الإعلامُ هُوَ مَكَانٌ لِلثَّرْتَرَةِ الْمُنظَّمَةِ"

إيجلستون

(اللغة التشيكية تستخدم كلمة "مَكَلَمَة" التي لا يمكن ترجمتها إلى اللغة السلوفاكية).

إن ما يجمع السياسيين بالإعلام أكثر مما يفرقهم، رغم ما يبدو على السطح من أن كلاً منهم لا يحب الآخر. من أكثر ما يجمع السياسيين والإعلام هو أنك لا تصدق أيًا منهم. وتعرف وسائل الإعلام وكذلك السياسيون أن الناس سوف يستمعون إليهم رغم أنهم لا يصدقونهم. إن الناس لا تتعلم من أخطائها؛ لذلك ينجح الإعلام والسياسيون.

الصحفيون يتمتعون بميزة على عكس السياسيين. فالسياسيون لا يكتبون عن الإعلاميين، رغم أنهم يعرفون الكثير عن كثير منهم. وعلى خلاف السياسيين نجد أن الإعلاميين لا يعيشون من أموال دافعي الضرائب، ولا يوزعونها بينهم مثلهم. ولا يملك السياسيون حيلة في ردّ ما يكتبه عنهم الصحفيون. بالأحرى يملكون لكني لا أنصحهم بالدفاع عن أنفسهم.

السياسيون يتجنبون الإعلاميين، يشترتون الحلوى للصحفيات تزلّفًا، ويحكون لهن النكات، ويهدونهن كتبهم قصرًا. السياسيون يعرفون أنهم لو استنهضوا في الصحفيين تعاطفهم معهم فهناك احتمال كبير أن يكتبوا عنهم بطريقة إيجابية. غالبًا ما يحدث هذا الأمر، باستثناء الحالات التي يكون فيها السياسي ممن لا يفضلهم رئيس رجل الإعلام. عندها يكتب الصحفي عن السياسي بطريقة لا تعجبه حتى إن كان من المتعاطفين معه، لأن من يدفع له راتبه ليس السياسي، بل رئيس التحرير الذي يعمل لديه، أو على وجه الدقة صاحب الآلة الإعلامية. إن الكتابة عن السياسي بصورة إيجابية مهمة له، لأنه يسعى إلى نيل إعجاب المواطنين. أما الكتابة عنه بطريقة سلبية فهي مهمة بالنسبة للصحفي؛ لأنه يسعى إلى نيل رضا رئيس التحرير أو مالك الوسيلة الإعلامية. يُكوّن المواطنون رأيهم في رجل السياسة من خلال وسائل الإعلام، ولا توجد وسيلة أخرى غيرها. مشكلة السياسي هي أنه

كلما أرضى المواطنين أغضب رئيسه.

ففي واقع الأمر لا يعنيه إن كانت الصحافة تكتب عنه سلبياً أم إيجابياً. المهم أنها تكتب وتتحدث ويظهر في الإعلام. السياسي الذي لا يظهر في وسائل الإعلام لا يعتبر على قيد الحياة. من أكثر المواقف المحبطة في حياة السياسي هي عندما يقف عند بوابة إحدى المؤسسات فيفتحصه موظف الاستقبال قائلاً: اسمك ولقبك!

لا يمكن أن يباري رجل السياسة ووسائل الإعلام أو يفوز عليها. ربما يحقق بعض النصر القريب عندما يفوز في نزاع قضائي خاصم فيه إحدى الصحف الصفراء التي أكدت أنه يمتلك عقليين. لو فاز في نزاع كهذا، وأثبت أنه لا يملك عقليين، يكون انتصاراً باهظ الثمن، فرغم أنه سيحصل على تعويض، لكن الصحيفة الصفراء ستطارده إلى أن يكف عن "العويل". الإعلام لا يخاصم إلا من ينتحر سياسياً.

يوجد بين الصحفيين نوع من التضامن رغم أنهم يتنافسون فيما بينهم. أما بين السياسيين حتى وإن كانوا من نفس الحزب فلا يوجد سوى المزاحمة. يحدث أحياناً أن يفقد رجل السياسة أعصابه ويسب أحد الصحفيين. في هذه اللحظة تتحد ضده كل وسائل الإعلام "وإن اختلفت" ويقتضون منه. أكثر ما يفعله زملاؤه هو أن يشعروا نحوه بالأسف، لكنهم في أعماقهم يحمدون الله أن على هذا لم يحدث معهم، ومنهم من يهنتون الصحفي على ما فعله بزميلهم، بل وأكثر من مرة يبادرون هم أنفسهم بملاحقة زميلهم. مثل هؤلاء السياسيين يعد مصدرراً أساسياً للصحفيين لأخبار ما خلف الكواليس.

إن الجمع بين السياسي النفعي المخضرم والصحفي النفعي مفيد لكلا الجانبين، فلو حصل السياسي على منصب بمساعدة الإعلام فغالباً ما يعين هذا الصحفي متحدثاً باسمه. شرط هذا التعاون الناجح هو أن يقبل الصحفي بالسياسة النفعية على أنها أمر بديهي.

إن المحرر الصحفي شخص غير مؤهل في عمله، وهو هنا يشبه رجل السياسة. أما رئيس التحرير فهو أكثر أهلية من الصحفي، وأكثرهم مهنية هو رئيس مجلس الإدارة، وأكثرهم مهنية على الإطلاق صاحب الوسيلة الإعلامية. ويعتبر نصراً كبيراً عندما يترك رئيس التحرير مقالة المحرر بدون تعديل في صالة التحرير. يمكن أن يُجنَّ المحرر من السعادة عندما لا يغير رئيس التحرير في عنوان المقال. يترك رئيس التحرير مقالة المحرر في نصها الأصلي وبمعناها الأصلي عندما يملئها هو بنفسه عليه، وهذه خطوة محمودة من

قَبْلَ رئيس التحرير. ليس من المفضل أن يشارك رئيس التحرير بنفسه في الانتقاص من حق رجل السياسة. لا يفعل رئيس التحرير أمرًا كهذا إلا عندما يُوقَّع الصحفي باسمه على المقالة التي وصلت إلى رئيس التحرير من رئيس مجلس الإدارة مباشرة. يعرف رؤساء مجلس الإدارة، شأنهم شأن رؤساء التحرير، أن الصحف والمجلات تباع حسب عناوينها حتى وإن كانت غير حقيقية. هذا العمل لا يعجب بعض الصحفيين الذي يتمتعون ببقايا احترام لأنفسهم؛ لذلك أنصح الشرفاء بالألا يعملوا في الصحافة، وإن فعلوا فسينطبق عليهم ما ينطبق على السياسيين.

من أكثر البرامج التلفزيونية التي يفضلها رجال السياسة، تلك التي يظهر فيها. من أكثر الأنشطة إثارة عند رجل السياسة، البحث في الأخبار وهو يتابع نفسه على شاشة التلفزيون علَّه يسمع فيها خبرًا يتحدث عنه. ولا يهم إن كانت أخبارًا تلفزيونية، أو إذاعية، أو حتى مكتوبة. والمكتوبة منها مفضلة لديه؛ لأنه يجتزُّ صورته ويديم النظر فيها. إن السياسي مستعد أن يكون أضحوكة (حتى لو تجاوز الأمر حد المعقول) مقابل أن ينال شعبية. إنه على استعداد لأن يجعل من نفسه إنسانًا أحمق، ومهرجًا، ولأن يتشقلب على رأسه، وأن ينتف ريش الدجاج أمام الكاميرا، وأن يقرأ الفنجان حتى الزجاجي منه، وأن يساعد الفقراء، وأن يلعب كرة القدم، ويتردد على دور رعاية المسنين، ويرقص، ويغني، ويطهو الطعام، رغم أنه لم يَرِ موقد الطعام عن قرب من قبل. إنه مستعد أن يمثل مشهدًا وهو يرقد في ماء مثلج، وكأن صحفيَّ الجريدة الصفراء قد رآه صدفه، رغم أنه قد اتفق معه على ذلك مسبقًا. الصحفيون والمصورون يحبون هذه الأمور؛ لأنه من الصعب جدًا أن تختار موضوعًا كل يوم يساعد في ترويح الصحيفة، لذلك لا تصدق أن هناك عداوة بين الصحفيين ورجال السياسة.

المواطنون والإعلام

"إِنَّ التِّلْفِيزِيُونَ وَسَبِيلَةَ تُمْكُنُ الْبَشَرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَفْعَلُونَهُ أَنْ يُتَابِعُوا أَنْاسًا لَا يَرِغَبُونَ فِي الْعَمَلِ"

وودي آلان

الإعلام يحدد توجهات الرأي العام، ويحدد أيضًا توجهات السياسيين. يعمل النظام بالطريقة التالية: السياسي يكذب على الصحفي، والصحفي يكتب ما يقول. وبما أن رجل السياسة هو في الوقت نفسه مواطن، فهو يصدق ما يقول. وعندما يصدق ما يقول، يعلق عليه، والصحفي يكتب، فيقرأ القارئ ورجل السياسة مرة أخرى. وهكذا تدور الدائرة، وتتوه الحقيقة.

تظهر علاقة المواطنين بالإعلام في دعوة المواطنين إلى أن يتمتع الإعلام بأقصى درجات الحرية، وهو ما يؤدي إلى توفير فرص أكبر لخداع المواطنين. تقدم منظمة "صحفيون بلا حدود" الدولية على سبيل المثال أكثر من تقرير سنويًا عن حرية الصحافة في مختلف دول العالم. لكن أحدًا لا يقدم تقريرًا واحدًا حول الحد من حرية المواطن تحت تأثير حرية الصحافة المطلقة. جاءت في ذيل القائمة دول لا تتمتع فيها الصحافة بأي نوع من الحرية، وفي رأس القائمة دول تخطت فيها حرية الصحافة كل الحدود. حرية الصحافة المطلقة تعني للإعلاميين كتابة وإذاعة ما يريدون بدون رقابة. إن الحرية المبالغ فيها تعطي وسائل الإعلام فرصة استغلال المواطنين إلى أقصى درجة. أنا لست متأكدًا من أن احتلال سلوفاكيا المكانة الثامنة بين أكثر دول العالم التي تتمتع بحرية الصحافة يعد خبرًا جيدًا. جاءت جمهورية التشيك في المرتبة العشرين، والولايات المتحدة في المرتبة الثلاثين. لا أعتقد أن المواطنين في تلك الدول يتمتعون بحياة أسوأ وأقل حرية من مواطني دولتنا. القاعدة تقول إن المبالغة في الحريات ضارة؛ لهذا السبب لقي حصان المزارع "أيسوب" مصرعه، عندما حزن على حصانه لأنه مقيد طوال اليوم بأحد الأوتاد، ففك قيده، وانطلق الحصان يجري من السعادة، فسقط في إحدى الحفر ولقي حتفه، فقال ذلك الفلاح بحزن: "لو أنني أعطيته

حرية أقل لكان معي الآن".

من الأوقات المهمة بالنسبة للإعلام، فترة ما قبل الانتخابات. إنها، وكما يقال، فترة النشوة الإعلامية الكبرى. أبرز ما فيها هو أن كل الوسائل الإعلامية تؤيد كل الأحزاب. قبل انتخابات عام 2006 أمطرت إحدى أكبر الصحف اليومية انتشاراً الرأي العام بالمدفعية الثقيلة عندما اتخذت موقفاً متأرجحاً من حزب "سمار". فمن ناحية هاجمت بشكل متواصل "روبرت فيتسو"، وأثنت من ناحية بشكل متواصل على "روبرت" آخر، وهو "روبرت كايناك". وهو لا يفقه شيئاً! وعبر التلفزيون السلوفاكي عن تعاطفه مع حزب الحركة المسيحية الديمقراطية، وخاصة في برنامج "تحت المصباح". ولم تُخفِ إدارة التلفزيون السلوفاكي تعاطفها مع حزب حركة سلوفاكيا الديمقراطية؛ لأن إدارة التلفزيون كانوا من أعضاء ذلك الحزب.

بغض النظر عن وقت الانتخابات أو ما بعد الانتخابات، لكل آلة إعلامية أصدقاؤها وأعداؤها. وقد أعرب رئيس تحرير الصحيفة الأكثر انتشاراً، عن عداته لحزب الاتحاد المسيحي الديمقراطي السلوفاكي صراحة، وذلك في المرحلة الانتخابية الثالثة. كما عبرت نفس الصحيفة عن حبه لحزب المحافظين الوطني. ولو انطلقنا من النسبة المئوية للأصوات، والمساحة التي حصل عليها في تلك الجريدة اليومية، نجد أن حزب الاتحاد المسيحي الديمقراطي السلوفاكي قد حصل على أصوات أعلى من حزب المحافظين 70,38 مرة.

ما يطلق عليهم الصحفيون المستقلون هم أفضل حظاً في أوقات الانتخابات. الجميع يسعى لكسب ودهم، يهرولون وراء كل صحفي يعمل في جريدة أسبوعية بعينها وتحقق سمعة طيبة بين القراء. تكثر في تلك الصحيفة في أوقات الانتخابات عبارات مثل: "يُقال"، "من مصدر موثوق به"، "كما يقال"، "علّمنا"، الخ. وكثيراً ما تضع هذه الوسائل الإعلامية علامة استفهام بعد كل خبر تنقله. إنها حيل تعد بمثابة أساس لتهرب وسائل الإعلام من الملاحقة القانونية. أما لو ظهر على الصفحة الأولى عنوان كبير يقول: "السياسي نوفاك لص؟" فهذا يعني أن وسيلة الإعلام تتساءل فقط. لكن المواطن لا ينتبه إلى علامة الاستفهام. ويصبح نوفاك بالنسبة له لَصاً، وتتضاءل بقوة فرصته في الفوز في الانتخابات.

الوسيلة الأكيدة التي تصونك سليماً معافى في فترة الانتخابات هي الامتناع عن شراء الجرائد، وفصل الكهرباء كي لا تزعجك الصحافة الإلكترونية، وبالتأكيد لن يفوتك شيء.

الصحفيون والدُّمَى المطاطية

"لَوْ كُنْتُ مِنْ صُنَاعِ الْحُومِ الْمُدَخَّنَةِ لَمَا اسْتَحَقَّتْ جَرِيدَتُكُمْ أَنْ أُلْفَ فِيهَا بِضَاعَتِي"

المؤلف

تزخر سلوفاكيا بالعديد من الصحفيين المعتبرين، أصحاب الكلمة، الباحثين عن الحقيقة، لكن للأسف لا حاجة لصحفي باحث عن الحقيقة في زمن الإعلام الاستهلاكي المتوحش؛ لذلك فالصحفيون الجادون لا مكان لهم إلا على الهامش. أما في المركز فلا يوجد سوى صحفيين من أنصاف المتعلمين، الذين لا يجيدون كتابة نص لغوي صحيح. إنه أمر يدعو للأسف على المواطنين والصحفيين المحترمين، لكن عزاء هؤلاء الصحفيين أن حال السياسة لا يختلف كثيراً.

الصحفي الأول في كل هيئة تحرير هو رئيس التحرير، إنه صاحب الوسيلة الإعلامية المسئول عن استعادة الأموال التي تُنْفَق على الصحيفة في صورة مكاسب؛ لذلك فهو يسعى إلى أن تباع الصحيفة أكبر عدد من النسخ، وتجذب أنظار أصحاب الإعلانات. يقرأ الناس الجرائد عندما تتحدث عن الآخرين بصورة سلبية، كي يتأكدوا من أنهم ليسوا الوحيدين الشريرين. رئيس التحرير هو الشخص المسئول عن فرز الأخبار الجيدة والأخبار السيئة، ويحرص على أن تكون الأخبار السيئة أكثر من الجيدة. ولو حدث وكانت نسبة الأخبار الطيبة أكثر لأعطى هذا انطباعاً بأن أمور الدولة تسير بصورة جيدة، وهذا أسوأ ما يمكن أن تواجهه الصحيفة. فلو انتظمت أمور البلاد في مكان ما، واستقامت، لعجزت الصحافة عن جذب الأنظار إليها. فلو ندرت الفضائح فإن رئيس التحرير يصدر الأوامر بتلفيقها. بعض رؤساء التحرير يبدؤون اجتماعاتهم بهذا السؤال: "ماذا لدينا من مصائب اليوم؟". الصحفي الذي لا يقدم سوى أخبار جادة وتحليلات يصير مع الوقت منبوذاً في هيئة التحرير، ولو كان يعول أسرة فإنه ينصاع لأوامر رئيس التحرير، كما أن رئيس التحرير بدوره يأتمر بأوامر مالك الصحيفة.

في الوقت الذي كانت فيه وسائل الإعلام لا تخدم إلا أيديولوجية حزب واحد في زمن الشيوعية، ظهرت بعدها وسائل إعلام مختلفة في النظام الديموقراطي هدفها التبرج بالدرجة الأولى لصالح مالك الوسيلة الإعلامية، ثم يأتي الإعلام في الدرجة الثانية. نحن في السياسة ننتقد هؤلاء الشعبويين لأنهم لا يقولون إلا ما يريد الناس سماعه، وهو نفس الحال في الإعلام، غير أنه لا يوجد من ينتقدهم، وهم لن يفعلوا هذا بأنفسهم. وسائل الإعلام في سلوفاكيا لا تنفك تنوح بأن سلوفاكيا خلت من الشخصيات السياسية التي تستحق أن يوجهوا إليها الانتقادات. إن الشخصية الإعلامية المحترمة في الواقع نادرة مثل ندرة الشخصية السياسية. يمكننا أن نعثر على شخصيات، لكنها شخصيات مصابة "بعقدة النقص"، فقد كان العديد منهم في زمن الشيوعية يقدم فروض الولاء والطاعة للشيوعيين، واليوم أصيبوا بتأنيب الضمير على ما فعلوه، كما أنهم فقدوا الرغبة في الصراع مع جيل الصحفيين الجدد الذي يعاني كثير من مثليه مشاكل مع قواعد اللغة السلوفاكية، وأسلوب الكتابة الصحفية، فضلاً عن عقدهم الشخصية. إن الصحفي الذي يعاني من عقده شخصية يختلف عن غيره من الصحفيين بأنه لا يمتلك وجهة نظر، فهو يتبنى رأي محرر العدد، أو رئيس القسم، أو رئيس التحرير. صحفي كهذا نسميه الصحفي المطاط. والمطاط مادة يمكنك أن تشكّلها، وتضغطها، وتعتصرها، وتشوه من شكلها، وتلقي بها في الطين، وتدحرجها في الوحل، وتدفعها على الحائط كما تريد؛ لأنها في النهاية ستعود إلى هيئتها الأولى. إن الصحفي المطاط رغم رائحته الكريهة يعد بالنسبة لملك الوسيلة الإعلامية أهم من الصحفي الجاد، فالصحيفة لا تحقق نسب توزيع مرتفعة نتيجة أعمال الصحفي الجاد، ويمثل مثل هذا الصحفي عبئاً على مالك الصحيفة، ويشعر أن وجوده في هيئة التحرير غير مرغوب فيه. من ذا الذي يهتم بالمقالات الجادة، أو الأعمدة الصحفية، أو المعلومات الحقيقية؟ يجب أن تكون المعلومات جذابة في المقام الأول. إن الناس العاديين يسعدون بكلمات رئيس الحكومة عندما يقول: "تمكنت الحكومة لأول مرة في تاريخ الجمهورية السلوفاكية من الاحتفاظ بقيمة الكرون أمام اليورو تحت خط الثلاثين كرون". إن رئيس التحرير المطاطي، أو الصحفي المطاطي قد يتحمس لنشر مثل هذا التصريح لو أنه كان آخر ما قاله رئيس الوزراء بعد سقوطه قتيلاً من على قمة جبل "لومنييتسكي". وحتى لو حدث، أشك شخصياً في أن يكتب الصحفي المطاطي عن الأمر. لذلك أنصح رئيس الوزراء الذي يحرص على أن تصل مثل هذه الأخبار إلى الصحف أن يُرَجِّئ هذا الإعلان إلى ما بعد وفاته، وأن يرفع رأسه من التابوت أثناء الجنازة ويعلن الخبر ثم يتركهم يدفنوه. عندها قد

اتصل بي أحد الصحفيين المطاطيين المبتدئين بتاريخ 2004/9/1 بعد الظهيرة، وأخبرني بأنه سيأتي لي طرح عليّ بعض الأسئلة المتعلقة بالدستور السلوفاكي، الذي كنا نحتفل يومها بمرور اثني عشر عامًا على إقراره. وحيث إنني لست بالغباء الذي كان عليه ذلك الصحفي المطاطي المبتدئ، فقد توقعتُ الأسئلة التي سيوجهها، وأعددت نفسي لها. سألني عندما جاء: "ما عدد مواد الدستور؟ جاءت إجابتي صحيحة. "ما عدد أبواب الدستور؟ جاءت إجابتي صحيحة. "ما هو محتوى مقدمة الدستور؟". تلوت عليه المقدمة. تندّى وجه الصحفي المطاطي عرقًا من شدة انفعاله، وأخبرني أنني أول من أجابه على الأسئلة من بين مَنْ سألهم، ثم طرح سؤاله الأخير: "ما هي الرموز الرسمية في الدولة؟ كنت أعرف الإجابة بكل تفاصيلها، لكن بعد أن أخبرني أن زملائي لم يعرفوا الإجابة إلا قليل منهم، فقلت له كي لا أبدو كشخص وُصولي: علم الدولة، النشيد الوطني، الصليب المزدوج، والرمز الرابع لا أعرفه (وحركت يدي في الهواء). ابتهج الصحفي المطاطي، وشكرني. وفي المساء أدتُ المحطة لاتباع الأخبار بكل شغف وشوق إلى ما سأقوله للشعب. قدمت المذيعَة للأخبار بالطريقة التالية: "نحتفل اليوم بذكرى إقرار الدستور السلوفاكي. من المحزن أن عددًا قليلًا من المواطنين لديه معلومات عن الدستور السلوفاكي. ومن العار أن كثيرًا من السياسيين لا يعرفون به". مشهد آخر، لم يجب زميلي الأول على أيّ من الأسئلة التي وجهت إليّ تقريبًا، والزميل الآخر كان أضعف منه، ثم جاء دوري.. "بناش" .. كان سؤال الصحفي الذي أعده في الاستوديو: "ماذا تعرف عن دستور سلوفاكيا؟ مشهد آخر، "بناش" يهز يده في الهواء وهو يقول، "لا أعرف". لقد قطع الصحفي المطاطي 99 في المئة من الإجابات الصحيحة، ولم يرسل سوى إجابة واحدة، وهي النسبة الأقل. النتيجة؟ تجنب المواطنون الجلوس بجواري في الحانة التي أتردد عليها، واضطرت لفترة طويلة أن أسير في الشوارع الجانبية. اتصلت هاتفياً بأكبر ممثل في تلك القناة التلفزيونية، فأجابني باقتضاب: "اسمّع! أنتَ تركت حزب (أنو)..". عرفت على الأقل ما يشعر به السياسيون الذين لم يكونوا أعضاء في حزب (أنو).

الخبر الجيد هو أن الصحفيين المطاطيين موجودون، ليس فقط عندنا، فهم في كل مكان، يمارسون نفس الأعمال القذرة. في عام 1982 كانت هناك جائزة أمريكية شهيرة في مجال الصحافة، جائزة بوليتزر التي حصلت عليها صحيفة مطاطية من جريدة واشنطن بوست

اليومية، وذلك على تقرير غير اعتيادي حول صبي اسمه چيمي مدمن للهيروين. اتضح بعدها أن الصحفية اختلقت كل القصة، فلم يكن هناك صبي باسم "چيمي" بالأساس.

في أيام حرب الخليج الأولى انتشر في أنحاء العالم تقرير حول أطفال رُضِع من الكويت، كان الجنود العراقيون البرابرة يأخذونهم من الحضانات ويلقونهم على الأرض. كانت الممرضة تصف المشهد والدموع تترقق في عينيها، واتضح بعد ذلك أنها كانت ابنة السفير الكويتي في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد دَبَّر القصة كلها مستشار الرئيس بوش للاتصالات بمساعدة "صحفيي الدعاية". وفي عام 1968 نشرت وسال الإعلام في ألمانيا الديمقراطية وفي الاتحاد السوفيتي تقريراً فاجعاً عن قتل أعضاء الحزب الشيوعي الأبطال من قِبَل المناهضين للثورة في تشيكوسلوفاكيا، رغم أنه لم يتعرض للقتل أي عضو من الحزب الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا حينئذ. لكن كان من الضروري تهيئة الرأي العام في ألمانيا الديمقراطية والاتحاد السوفيتي من أجل احتلال تشيكوسلوفاكيا. فحتى في عصور الشيوعية كان الصحفيون المطاطيون موجودين، وهم أيضاً موجودون في الدول الديمقراطية. كان وجودهم إبان الحكم الشيوعي ضرورياً، لكنهم غير مضطرين للعب هذا الدور في النظم الديمقراطية. لكن لا يجب أن ننسى أن الصحفيين المطاطين يشبهون الخِرْقَةَ، يلقيها من يستخدمها بعد أن ينتهي دورها.

المصورون في صحافة المشاهير

"كَانَ أَبِي يَكْرَهُ الإِدَاعَةَ، وَلَمْ يَمْتَدِّ بِهِ العُمُرُ لِيَرَى التِّلْفِيزِيُونَ كَيْ يَكْرَهُهُ بِنَفْسِ القَدْرِ"

بيتر دي فريس

مؤسس التصوير الحديث الذي يطلق عليه اسم "باباراتزي" هو الرسام الإيطالي من عصر النهضة "جيان فرانكو باباراتزي"، فقد رأى فينوس الجميلة في وضع حميمي مع كيوييد، إله الحب، وعلى الفور التقط ريشة وألواناً، وسجل تلك اللحظة بسرعة البرق على اللوحة. راح أوائل من رآها من الرسامين يمعن فيها النظر، لكن فشل هؤلاء الـ"باباراتزيين" الأوائل في التقاط المشاهد بنفس السرعة رغم محاولاتهم، فانزعجوا من الأمر؛ لذلك ابتكر الرسام الفرنسي "داجوير" صورة فوتوغرافية سهلت من عمل الـ"باباراتزيين".

إن الباباراتزيين، أو مصوري المشاهير، هم عبارة عن دمي مطاوية يتلصقون على الشخصيات الشهيرة بغرض التقاط صور لهم في أوضاع حسّاسة، وتظهر الأوضاع الحساسة مثلاً عندما يصورون أحد رجال السياسة في السرير مع امرأة غريبة عنه. الأسوأ من ذلك هو عندما يلتقطون له صوراً مع امرأة غريبة ميتة. والأسوأ من ذلك الموقف هو عندما يمسكون بذلك السياسي مع رجل آخر. والكارثة الحقيقية هي عندما يصورون سياسياً من الائتلاف الحاكم في السرير مع سياسي من المعارضة. في هذه الحالة يصبح مصير السياسي في عالم السياسة على المحك؛ لأن وجوده في الفراش مع زميل له من المعارضة يعني خيانة لحزبه ولكل الائتلاف الحكومي. غير أن وضع السياسي المعارض يكون أفضل منه في مثل هذه الحالات، فلا يمكنك أن تخون المعارضة، فلا يوجد عندها ما يستحق الخيانة.

ينطلق مصور المشاهير من نفس المبدأ الذي ينطلق منه رجال السياسة. نشر فضائح المشاهير ليس الهدف، بل هي وسيلة للضغط بها عليهم، ويتم نشرها فقط عندما يرفض السياسي المتورط "التعاون" مع مصور المشاهير، كأن يعطيه مثلاً معلومات عمّن يلتقي

في الفراش من الائتلاف الحاكم مع أحد سياسي المعارضة سرّاً. مصور المشاهير الغبي هو من يسلم مثل تلك الصورة لرئيس التحرير على الفور ليحصل على مكافأة قدرها مئة يورو. يقرر مصور الفضائح فيما لو كان سيسلم الصورة لرئيس التحرير أو للسياسي المتورط في الأمر بناء على المنفعة الشخصية التي سيجنيها جرّاء ذلك، فلو تعاون السياسي مع المصور يمكن أن يظهر السياسي في اليوم التالي في إحدى الصحف الشعبية المصورة وهو يساعد امرأة عجوزاً تعبر طريق المشاة، وهذه العجوز في الواقع عبارة عن مساعد السياسي المتخفّي، فتزداد محبة الناس للسياسي بعد نشر تلك الصورة.

مصورو الفضائح في سلوفاكيا يحتلون مكانة مرموقة بين مصوري العالم، فهم قادرون على تصوير السياسي وهو يتزوج، أو يتسوق في المتجر، أو يلعب على الساكسفون، أو يقود دراجة نارية، أو يطهو الطعام في مطبخ بيته. السؤال الأول الذي يخطر ببال القراء عندما يرون السياسي "متلبساً" وهو يعثر على قطعة فطر تزن 2 كيلو في إحدى الغابات الكثيفة عند سفح الجبل: كيف عرف المصور مكان وتوقيت عثور السياسي على الفطر؟ وكيف عرف السياسي بأن المصور سيعثر عليه؟ التفسير الوحيد هو أن إدارة التحرير قد دفعت للمصور نظير ملاحقة السياسي على مدى أسبوعين كاملين وهو يجمع الفطر، لكن التفسير المنطقي هو أن المصور ورجل السياسة يذهبان معاً لجمع الفطر.

الإعلام وإنفلونزا الخنازير

"النَّاسُ يَرِغْبُونَ فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ شَيْءٍ، بَاسْتِثْنَاءِ الْأُمُورِ الْهَامَّةِ"

أوسكار وايلد

يعد وباء إنفلونزا الخنازير، أو الطيور، أو جنون البقر، مثالاً على أهمية حرية الصحافة والإعلام في المجتمعات الديمقراطية. تنعم كل الدول الأوروبية تقريباً بأنظمة ديمقراطية؛ لذلك استطعنا جميعاً منذ وقت قريب متابعة جنون اللحوم. أحياناً انتابني شعور بأن الإعلام قد أصيب بالجنون أكثر من الأبقار الإنجليزية. فيقال إن هذا المرض انطلق من إنجلترا في بداية الأمر. وأنا على قناعة تامة بأن جنون البقر، ووباء إنفلونزا الطيور اخترعته قوى متحدة من الشركات المناوئة لمربي الطيور والأبقار، بالتعاون مع منتجي العقاقير. ومن أجل التخلص من لحوم الدواجن والأبقار كان عليهم إثارة موجة من الهستيريا. تماماً كما حدث في عام 1986 بعد انفجار تشرنوبل، فقد اختفت جميع حبوب اليود من الأسواق الأوربية رغم أن أحداً لم يمت جراء الأنشطة الإشعاعية سوى الأوكرانيين، ولا يمكن أن يثبت أحد اليوم بأن حبات اليود قد أنقذت الأوروبيين الذين تناولوها بكثرة من الموت. كما لا يوجد أي تهديد حقيقي من وباء إنفلونزا الطيور، أو جنون الأبقار التي تهددنا بها وسائل الإعلام بانتظام منذ سنوات دون أن لها أثر. ورغم ذلك فقد خصصت الحكومة في الفترة الانتخابية الثالثة ما يقرب من ثمانمئة مليون كرون لاستيراد أمصال مضادة لإنفلونزا الطيور (وهي أمصال لم تكن قد أثبتت فعاليتها بعد). كان باستطاعتهم زيادة المعاشات بتلك الأموال أو رفع مرتبات المدرسين.

كان مربو الخنازير ومنتجو العقاقير من أكثر من استفاد بالهستيريا التي سببتها إنفلونزا جنون البقر وإنفلونزا الطيور. وكان من المتوقع أن ينتقم منهم مربو المواشي والدواجن، فعجت وسائل الإعلام بعدها بقليل بوباء إنفلونزا الخنازير.

تتخذ وسائل الإعلام ومنتجو العقاقير نفس النهج في حالة الإنفلونزا العادية، فأى طبيب

شريف سيقول لك صراحة بأن الأمصال المضادة للبرد ما هي إلا خديعة، فهي لا تُقَوِّي مناعة الجسم، بل بالعكس، تضعفها على المدى البعيد. وبدلاً من أن يدعو الأطباء الناس إلى التدفئة بصورة جيدة، وإلى الحركة، واتباع نظام تغذية سليم، يخدع كثير منهم المواطنين البسطاء في وسائل الإعلام بأموال مروجي الأمصال. أنا شخصياً أَدْفَى نفسي جيداً، أمارس رياضة الجري، ولا أتناول اللحوم؛ لذلك لا يمكن أن تجدي وسائل الإعلام معي نفعاً في مثل هذه الحالات.

التلفزيون وظهور رجال السياسة

"التلفزيون بالنسبة لرجل السياسة جهازٌ يظهر فيه وليس جهازاً يُشاهدُه"

كوارد

يحب السياسيون الظهور في التلفزيون؛ لأنهم يعرفون أنهم بذلك يدخلون السرور على المواطنين. ومن الثابت أن المواطنين يقضون أوقاتاً في مشاهدة برامج الـ"توك شو" أطول من تلك التي يقضونها في متابعة البرامج الترفيهية. وأي طبيب يمكنه أن يؤكد لك أن النظر إلى رجال السياسة يُسبب لعاب المواطنين، ويقوّي من جهاز المناعة لديهم. وبعض الرجال الصُّلح يدعون أن شعرهم ينبت من جديد بعد مشاهدتهم، وأنا أؤكد لك هذا، ويفسر الأطباء هذا بسبب زيادة الأدرينالين في الدم، وهو أمر إيجابي، خاصة لمن يعانون من الضغط المنخفض.

عندما ظهر التلفزيون في الخمسينيات كنا نتطلع إلى شاشته بكل إعجاب وسعادة. لم نكن نعرف أن دوره الرئيسي أن يجعل من المشاهدين العقلاء نسبياً أبقاراً مع الوقت. لم يحدث هذا بين ليلة وضحاها، وكان مسئولو الإعلانات على درجة كبيرة من الصبر. وربما كان من الأنسب أن نطلق على وسيلة غسيل المخ هذه اسم "جهاز للبقر". وهذا هو معنى الكلمة التشيكية التي تطلق على التلفزيون⁽¹²⁾.

ليس صحيحاً أن السياسيين يظهرون في التلفزيون لكي يجد المشاهدون ما يشاهدونه. إنهم يحبون الظهور به لكي يجدوا هم أنفسهم ما يشاهدونه. كي يتمكن السياسي من أن يسعد بنفسه؛ تقوم زوجته بتسجيل أوقات ظهوره بالتلفزيون على شريط فيديو. تسجل البرنامج الذي يظهر فيه زوجها رغم أنهم يعطونه في التلفزيون بكل احترام شريطاً مجانياً بمحتوى الحلقة. السياسي العاقل لا يأخذ مثل هذا الشريط ويقول إنه ليس لديه وقت لمشاهدة نفسه. لكنه ما إن يصل إلى البيت حتى يجلس أمام شاشة التلفزيون على

(12) السابقة tele في كلمة televize التشيكية تعني أيضاً: العجول أو صغار الأبقار (المترجم).

الفور، وقبل أن يخلع معطفه يضع الشريط في جهاز الفيديو. في العادة يشاهد السياسي نفسه ثلاث مرات. في المرة الأولى كي يعرف كيف كان شكله، وفي المرة الثانية كي يعرف ما قاله، وفي المرة الثالثة كي يستطيع أن يثبت لزوجه أنه بدأ أفضل مما اعتقدته هي، وكذلك تحدث. معاودة السياسي لمشاهدة نفسه يعد أمراً هاماً خاصة عندما لا يظهر السياسي على الشاشة إلا طيفاً ولم يكن واثقاً من أنه هو من مرق على الشاشة.

من أكثر من يشاهد نفسه على الشاشة الرؤساء ونوابهم، ليس لأنهم أكثر نرجسية من باقي السياسيين، لكن لأنهم يظهرون في التلفزيون أكثر من غيرهم من السياسيين، فباقي السياسيين لا يظهرون في التلفزيون تقريباً.

ولكي يتأكد الرئيس من شعبيته، عليه أن يظهر في البرامج الحوارية التي يصوت فيها المشاهدون لصالح سياسيتهم المفضل. ومن الضروري الاستعداد جيداً لمثل هذه البرامج. الاستعداد الجيد يعني أن أمين عام الحزب يتصل بأمناء المحافظات، الذين بدورهم يتصلون بمن دونهم ويطلبون منهم أن يرسلوا لهم رسائل قصيرة من الهاتف لدعم الرئيس. الأمين الجيد هو من لا يترك شيئاً للصدفة، ويطلب من خبير الكمبيوتر في مركز الحزب الرئيسي أن يضبط جهاز الحاسوب بحيث يرسل عددًا معينًا من الأصوات في الثانية، من أجل أن يفوز الرئيس على منافسه. أحياناً يرسل من خلال الحاسوب بضعة آلاف من الأصوات، وعندما يضيفون إلى هذا أصوات الأعضاء المسجلين في الحزب، يضمنون بذلك فوز الرئيس، ما لم يكن عدد الأعضاء في حزب الرئيس المنافس أكثر، أو كان خبير الكمبيوتر عندهم أكثر مهارة.

المؤتمرات الصحفية

"أمام السِّياسيِّ خيارانِ، إمَّا أَنْ يَتَحَدَّثَ مَعَ النَّاسِ، أَوْ يَتَحَدَّثَ فِي صُلْبِ الْمَوْضُوعِ"

كاسبار

المؤتمرات الصحفية من الأنشطة الناجحة على المستوى العام. يسعد بها خاصة الصحفيون وأصحاب المعاشات، الذين يترددون عليها باستمرار، وخاصة المؤتمرات الصحفية التي تعقدتها الشركات. تختلف مثل هذه المؤتمرات الصحفية عن تلك التي يعقدها رجال السياسة، في أنهم يقدمون فيها المقبلات، وكثيراً ما يحصل فيها المشاركون على هدية ما، وهي تساعد الصحفيين وأصحاب المعاشات على تحسين دخولهم.

يسعى رجل السياسة إلى الإفلات من أسئلة الصحفيين المحرجة، وهذا جزء لا يتجزأ من مهارة أي سياسي في التواصل. ومن أسوأ ما يحدث للسياسي أن يوقع به أحد الصحفيين؛ لذلك فهو يسعى جاهداً إلى أن يوقع هو بالصحفيين. العينة التالية من مؤتمر صحفي عقده وزير الدفاع تُعدُّ مثلاً جيداً على الإيقاع بالصحفي:

الصحفي: "سيدي الوزير، هل يمكن أن نخبرنا عن السبب الذي جعل وزارتك تطلب شراء مليون قطعة سداة للأذن بالأمر المباشر من شركة حماك بدون طرحها في مناقصة عامة؟".

الوزير: "أنا سعيد بأنك طرحته هذا السؤال؛ لأنني أعرف أن الرأي العام مهتم بهذه القضية، وأنا مؤمن تماماً بحق الرأي العام في الاهتمام بقضية كهذه، كما أن من واجبي تقديم إجابة لسؤالك بهذا الخصوص بناء على القانون رقم 782 لعام 2002 حول الحق العام في الحصول على المعلومات. رغم أننا على قناعة في وزارتنا، بصراحة أقول لك، بأن هذا القانون عقيم، ويتطلب إجراء بعض التعديلات عليه، فالمادة رقم 128 على سبيل المثال...".

الصحفيّ: "سيدي الوزير، لقد كنت أقصد أن أقول...".

الوزير: "نعم، هذا ما قصدته، المادة 128...".

الصحفيّ: "... لا أعني المادة 128، ولكنني قصدت شراء 100 مليون قطعة سداة للأذن بالأمر المباشر...".

الوزير: "أؤكد لحضرتك بأني سأجيبك عن سؤالك، لكن هذا غير ممكن بدون أن أشرح العيوب التي تتضمنها المادة من قانون الحق العام في الحصول على المعلومات".

الصحفيّ: "أعتقد أنه ممكن، وأن المادة 128 لا علاقة لها بالأمر على الإطلاق".

الوزير: "هذا هو رأيك الشخصي، وأنا غير مقتنع به؛ لذلك اسمح لي أن أعرب لك عن رأيي. أعتقد أنه من حقي طالما نحن في دولة ديموقراطية، أم أنك لا ترحب بأن تنعم دولتنا بالديموقراطية؟!".

(لو كان عمر الصحفيّ تجاوز الأربعين، يمكن أن يضيف الوزير متهمًا: ماذا أيها الرفيق الصحفي؟!).

الصحفيّ: "أنا لا أفهم عمّ تتحدث..".

الوزير: على حسب علمي، كنتَ تعمل إبان النظام الشيوعي الاستبدادي محررًا في صحيفة الراية الحمراء، وكنت مؤيدًا للإمبريالية، هذا على حد علمي!".

الصحفيّ: "لا أعرف من أين لك بهذه المعلومات، لكنها بالطبع كلام فارغ!".

الوزير: "لا أعرف ما تعنيه بـ"كلام فارغ"، لأن أمثالك سيظلون على عداوة مع الديموقراطية، وأي شيء يقوم به وزير في مجتمع ديموقراطيّ سيكون بمثابة شوكة في حلقهم!".

الصحفيّ: "أنا لا أفهم، ما علاقة عملي إبان النظام القديم بسؤالي الذي طرحته عليك؟".

الوزير: "هناك علاقة، وعلاقة قويّة. لولا الديموقراطية التي تتمتع بها اليوم لما وجهت لي سؤالًا كهذا!".

الصحفيّ: "عفوًا، أنت تتحدث وكأنك أنت من أطاح بالنظام الشيوعيّ القديم، وعلى حد

علمي، أنتَ كنتَ أستاذًا مساعدًا للماركسية واللينينية، وحصلت على درجة أستاذ مساعد من جامعة "فلاديمير إيليتش لينين".

الوزير: "إنها طريقة معهودة من الصحفيين الشيوعيين. عندما يفشلون في الحوار، يوجهون دفتها نحو الأيديولوجية".

الصحفي: "هكذا أيضًا عهدنا بالأستاذة الشيوعيين السابقين. لكنني لم أمرر "بيزنس" بقيمة مئة مليون كرون إلى شركة حماي، كما فعلت أنت".

الوزير: "انتبه إلى أنك تتحدث مع عضو في الحكومة!".

الصحفي: "عفوًا، لكن لم تجبني على سؤال".

الوزير: "للأسف، لا يمكنني أن أقدم معلومات بهذا الخصوص؛ لأنها من المعلومات السرية".

هذه عينة من ردود الوزير القوية الذي لم يسمح للصحفي أن يوقع به، ليس هذا فقط،

بل هاجم الصحفي ووضعه في خانة الدفاع عن النفس بطريقة لا تخلو من كياسة.

لو شعر الوزير أن الندوة الصحفية سوف تكون "صعبة"، فإنه يسافر في رحلة عمل خارج

البلاد، أو يدعي المرض ويرسل إلى المؤتمر أحد نوابه ومتحدثًا باسمه.

المتحدثون الرسميون و"المبرراتية"

"كُنْ دَائِمًا صَرِيحًا حَتَّى وَإِنْ كُنْتَ لَا تُؤْمِنُ بِذَلِكَ"

هاري ترومان

المتحدث الرسمي هو الشخص المنوط به تبرير زلات حزبه، أو حكومته، أو الوزير الذي يتحدث باسمه، أو رئيسه. ارفض، ارفض، ارفض! الأعمال الناجحة يعلن عنها الرئيس شخصياً، أو المديرون أو الوزراء. أغلبية المواطنين لا يملكون متحدثاً باسمهم، ولا يمكنهم أن يفعلوا ذلك، لكن طبيعة الإنسان هو أن يتحدث حتى فيما لا يعرفه، وقليلون هم من يمتنعون عن الحديث؛ لذلك ليس سهلاً العثور على متحدث رسمي جيد، والأصعب منه أن يتحد المتحدث الرسمي مع الشخص الذي يتحدث باسمه. وعندما يحدث أن يُقال الشخص الذي يتحدث باسمه من منصبه، يتم إقالته معه؛ لأن المتحدث الرسمي يجب أن يكون أهلاً للثقة. فمن الصعب أن نصدق متحدثاً رسمياً أكد أثناء تولي (بافل روسكو) أن (يركو مالخاريك) يجب أن يلبس حفاظات أطفال، ثم يأتي بعد تغيير الوزير (بافل روسكو) بوزير آخر وهو (يركو مالخاريك) ويقول فجأة إن حفاظات الـ"بامبرز" عديمة الجدوى، وإنه كان دائماً من أنصار الحفاضات القطنية التقليدية. لن يجديه هذا نفعاً، حتى وإن لبس هو نفسه تلك الحفاضات. فضلاً عن أن كل مواطن يعرف أن الوزير السابق (روسكو) لم يكن يعني حرفياً ما قاله في حق الوزير الجديد (مالخاريك)، وأنها كانت مجرد مزحة، والوحيد الذي صدقه كان المتحدث الرسمي باسمه.

المتحدث الجيد هو من يؤمن بكل ما يدعيه رئيسه. والأفضل منه هو المتحدث الذي يؤمن بما يقوله رئيسه، حتى وإن كان رئيسه نفسه لا يؤمن به. وأفضل المتحدثين على الإطلاق هو ذلك الذي لا يؤمن بما يقوله هو شخصياً. ومن السهل التعرف على المتحدث الذي لا يؤمن بما يقوله، فهو يهرش في مؤخرة عنقه، ولا ينظر في عيني الصحفي الذي يسأله، ويلتفت تلقائياً نحو رئيسه ولسان حاله يقول له: "هل أحسنت الإجابة؟". من الجمل المأثورة التي يرددها المتحدث الرسمي الجيد: "لقد أخبرتكم بكل ما يمكنني قوله في

هذه القضية، وليس عندي ما أضيفه". لكنْ هناك فارق كبير بين ما يفهمه الرأي العام من جملة "كل ما يمكنني قوله" وما يعنيه المتحدث. لذلك فالمتحدثون المخضرمون يلقون المعلومات على الصحفيين وكأنها حكاية سندريلا، فالمعلومة التي نحصل عليها من حكاية سندريلا هي نفسها التي نتلقاها من تصريح المتحدث الرسمي حول تمويل الحزب. ويجب على الصحفيين أن يُثمّنوا أن المتحدث حاول على الأقل أن يُسليهم. إن الصحفيين لا يتعلمون من أخطائهم حتى بعد سنوات من الخبرة في التعامل مع المتحدثين الرسميين، ما زالوا مُصِرِّين على تلقي الإجابات الحقيقية. لم يفهموا أن دور المتحدث الرسمي ليس الكشف عن الحقائق، بل إخفاؤها. وكلما اتبه الصحفيون إلى ذلك مبكرًا صارت الأمور أكثر سهولة، لهم ولذلك المتحدث، أو لرئيسه بصورة خاصة. لو أن الصحفيين توقفوا عن إزعاج السياسيين والمتحدثين الرسميين لصار الجميع سعيدًا وراضيًا.

عندما يتوقف الرئيس ومساعدو الرئيس والنواب وحتى السكرتير العام للحزب عن الرد على هواتفهم، فإن المتحدث المحنك يدرك على الفور أن في الأمور أمورًا، فيغلق هو الآخر هاتفه، ولا يبقى أمام الصحفيين عندها إلا سكرتيرة المتحدث الرسمي التي لا تعرف شيئًا وتكرر على الدوام: "السيد المتحدث الرسمي لديه اجتماع مهم". ما يسعد سكرتيرات المتحدثين الرسميين أن تكون هواتفهم مغلقة، فهي فرصتهن الوحيدة للظهور في وسائل الإعلام. ولا يجب أن يغلق المتحدث الرسمي هاتفه كثيرًا؛ لأن الصحفيين يفسرون الأمر على أن الرئيس أو الوزير ليس لديه إجابات مناسبة على أسئلتهم.

يعرف الصحفي عندما يؤكد له المتحدث أن الوزير في رحلة عمل، أن الوزير المَعْنِيَّ يجلس بجواره ويشير إليه أن يرسل هذا الصحفي الوقح إلى الجحيم. فهي وقاحة من الصحفي أن يطالب المتحدث بمعرفة رأي الوزير في أمر ما، في الوقت الذي يلعب فيه الجولف أو القمار، أو يحتفل بعيد ميلاد سكرتيرته.

استطلاعات الرأي العام

"أَنَا لَا أَتَّقُ سِوَى فِي اسْتِطْلَاعَاتِ الرَّأْيِ الَّتِي أُزَوِّرُهَا بِنَفْسِي"

ونستون تشرشل

عندما تضع في الأرض بذرة الجَزر فلن تنبت الكرنب، أو الكرفس، أو البقدونس، بل ستنبت الجزر. إن الثمرة صورة للبذرة. والرأي العام هو صورة طبق الأصل لما تبثه وسائل الإعلام في أذهان المواطنين، ويجب أن نطلق على استطلاعات الرأي العام اسمًا صحيحًا، وهو "استطلاعات تأثير الميديا على المواطنين".

تعد نتائج استطلاعات الرأي من أكثر الأمور استقطابًا للإعلام. وندين للأمريكي "جورج جالوب" بأنه أول من بدأ في استخدامها في عام 1935 على نطاق واسع. وقتها راح يسأل الأمريكيين بطريقة علمية عن رأيهم في السياسيين. اتضح أن آراءهم لم تتغير عندما سألهم نفس السؤال بطريقة غير علمية. وبدأت الأحزاب السياسية تستخدمها بكثرة، خاصة في فترة ما قبل الانتخابات، حيث الحملات الانتخابية. يتم اللجوء إلى وكالات محددة لإجراء تلك الاستطلاعات. الوكالات المعنية باستطلاع الرأي تكون حكومية وخاصة، إنها وكالات تحقق أرباحًا بغض النظر عن مالكيها، خاصة في الفترة التي تسبق الانتخابات؛ لأن الاستطلاعات التي تجرى قبيل الانتخابات تحظى بتأثير كبير على الناخبين. إنها بمثابة خط النهاية الذي يحدد مَنْ المنتصر. غالبية الأحزاب تدفع وكالات قياس الرأي العام إلى الإعلان عن نتائج في صالحها. من مزايا هذه الوكالات أنه غير وارد، من الناحية الفنية، أن تتحقق الأحزاب أو المؤسسات أو حتى الأفراد الذين يطلبون الاستطلاع من الاطلاع على الاستبيانات التي ربما قد ملأها المواطنون الذين يوزع عليهم الاستبيان. أقول: ربما، لأنه ليس في مقدور أحد أن يتأكد من عدد أوراق الاستبيانات التي ملأها المواطنون، ولا ممن أجري عليهم الاستطلاع. من بينهم أحيانًا بعض العاملين في تلك المنظمة. السرية هي أهم شروط عمل هذه المنظمات. من أكثر استطلاعات الرأي تأثيرًا، فيما يخص الأحزاب، تلك التي تتراوح نسبتها حول الخمسة في المئة، وهي تمثل الحد الأدنى للدخول إلى البرلمان. أحيانًا يتعاطف بعض

الناخبين مع حزب تتراوح نسبته بين ثلاثة أو أربعة في المئة، لكنهم لا يخاطرون، فيعطون أصواتهم لحزب مشابه يحتفظ طويلاً بنسبة تتجاوز الخمسة في المئة. أفضل الأمور على الإطلاق هي عندما تحابي الوكالات جميع الأحزاب. فالأمر لا يختلف مطلقاً، حتى عندما لا تقوم وكالات الاستطلاع بالمحابة لحزب بعينه، وتجري استطلاعاً "موضوعياً".

نتائج استطلاعات الرأي لا يمكنها أن تكون موضوعية؛ لأن كل شخص يفسر هذا المصطلح على طريقته. يوماً ما أجرت منظمة الأمم المتحدة استطلاعاً للرأي العام في جميع قارات العالم. وجه المسؤولون عن الاستطلاع في الأمم المتحدة سؤالاً واحداً للناس: "أخبرنا بصدق عن رأيك الشخصي حول عيوب الأغذية في العالم". فشل الاستطلاع للأسباب التالية:

- لم يفهم الأوروبيون المقصود بكلمة "عيوب".
- لم يعرف الأفارقة معنى كلمة "أغذية".
- لم يعرف الأمريكيون معنى المقصود بكلمة "العالم"، فقد كانوا يعتقدون حينئذ أنه لا وجود سوى للولايات المتحدة الأمريكية.
- لم يعرف الصينيون معنى كلمة "رأيك الشخصي".
- مازال البرلمان الإيطالي حتى اليوم يناقش "صدق".

يتضح بناء على هذا الاستطلاع أنه من الأفضل لك ألا تثق سوى في رأيك، لا في استطلاعات الرأي.

إعلام الفضاء

"إِعْلَامُ الْفَضَائِحِ يُشْبِهُ دَاءَ الْبَوَاسِيرِ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ"

دافيز

ابتدع إعلام الفضاء، الرئيس الأمريكي الأسبق تيودور روزفلت، فقد دعا الصحفيين في بداية القرن العشرين إلى البحث عن الفضائح والآثام الموجودة في النظام الحكومي. لم يكن عدد الجرائد وقتها كافياً لتغطية الفضائح في النظام الحكومي، لكن وسائل الإعلام تزايدت مع الوقت بشراهة؛ لذلك حوّل الصحفيون الذين يقومون بالاستقصاء اهتمامهم من مجال السياسة إلى الشأن العام، وإلى الـ"شو بيزنس". وفي الوقت الذي كانت فيه الكلمات تحظى بقيمة ما، صارت أهميتها في إعلام الفضائح نسبية إلى حد كبير، بل وبلا معنى. فالكلمات المبتذلة صارت عديمة الجدوى؛ لذلك لجأت وسائل إعلام الفضائح إلى الصور الفوتوغرافية وحدها. لكنني عندما أتخيل مدى براعة عمال معامل التصوير والمصورين الذين يصنعون اليوم صوراً مركبة قوية على جهاز الكمبيوتر، سأجد أنهم تفوقوا ببراعة. لكن لا يجب أن نتعجب من الأمر، لأن المواطنين الذين يوجهون النقد الدائم لصحف الفضائح عليهم أن ينتبهوا إلى أن وظيفة هذه الصحف ليست تقديم الأخبار، بل التسلية، وحث الناس على الانفعال. إن الأدوات التي يعيش عليها إعلام الفضائح هي للأسف السعادة، والدموع، والغضب، والثأر، والحسد، والموت، والدم، أو ربما عصير الطماطم. من أهم واجبات صحف الفضائح أن تنشر مقالة لا يمكن تعقبها؛ لذلك كما ذكرت آنفاً تعج بمصطلحات مثل: "على ما يبدو"، "ربما".

أخشى من أن صحافة الفضائح قد تعتبر المسيح رجلاً معادياً للمجتمع لو أنه عاش بيننا اليوم (لأنه يشعر طویل وذو لحية)، أو سَكِّيراً (لأنه كان يشرب النبيذ مع أصدقائه من وقت لآخر)، أو شاذاً جنسياً (لأنه لم يتزوج "على ما يبدو"). لقد استخدمت كلمة "على ما يبدو" هنا كي لا يلاحقني قضائيًا الشواذ جنسياً في الكنيسة الكاثوليكية. لو أنه مشى على سطح بحيرة طبرية وقتها لكتبت عنه الصحف الجادة بأنه كان مضطراً لذلك؛ لأنه لم يكن يجيد العوم. أما صحف الفضائح فكانت ستكتب إنه مشى على سطح الماء لأن المراكبية اليهود يتقاضون مبلغاً كبيراً نظير النقل. لو فعل المسيح نفس الشيء اليوم، لكتبت الصحف أنه أتى بمعجزة، فقد شاهد مراسل الصحيفة في بلدة كفر ناحوم بأمر عينه، لكن الحقيقة تظل ثابتة، فقد مشى المسيح على الماء؛ ببساطة لأنه لم يكن يعرف العوم. لكن صحف الفضائح

لا تعنيها الحقائق.

نحن نتوقع ألا يكتب صحفيّ إعلام الفضائح سوى التفاهات؛ لذلك يتقبلهم الناس على سبيل التسلية، لكن الأمر خطير في حالة الصحف التي تتظاهر بالجدية. إن الصحفي الذي يتظاهر بالجدية يخدع المواطنين بطريقة أكثر وحشية من صحفيّ الفضائح، فهو يقدم نفسه بطريقة جادة، على عكس صحفيّ الفضائح، يستخدم المصطلحات الأجنبية، ويجعل من نفسه صانعاً للرأي العام. إنه في الواقع يصنع رأياً في مجموعة صغيرة من أقربائه وأصدقائه، لكن المشكلة هي أن مثل هذه المجموعات الصغيرة من أكثر المجموعات شراسة وغدراً، بمعنى أدق يكونون شرسين وغادرين عندما لا تتفق معهم في الرأي.

بدأ نشر فضائح السياسيين في وسائل الإعلام منذ أن انطلقت في أمريكا عام 1690 أول صحيفة يومية بعنوان *Public Occurrences, Both Foreign and Domestic*. كانت تتكون من ثلاث صفحات، وكانت بالفعل صحيفة يومية بمعنى الكلمة؛ لأنها ظهرت ليوم واحد فقط. واستطاعت في يوم واحد أن تزج تقريباً جميع السياسيين المحليين. لم هناك سياسيون يمثلون الدولة وقتها؛ لأن الولايات المتحدة لم تكن ظهرت إلى الوجود بعد. لو أن تلك الصحيفة نشرت فضائح سياسيين يمثلون الدولة لأسعدت بذلك السياسيين المحليين، ربما. لذلك منعوا ظهورها في اليوم التالي. ومن وقتها والصحافة تتخذ موقفاً معادياً لرجال السياسة، حتى وإن حاولوا قدر استطاعتهم.

خير من يتحدث عن وسائل الإعلام الشريرة هو الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون، الذي اضطر إلى الاستقالة من منصب الرئيس بسبب فضيحة معروفة حدثت في فندق ووترجيت في مدينة واشنطن، ولولا الميديا لاستطاع نيكسون بكل تأكيد البقاء في ممارسة مهام منصبه. لقد تنحى نيكسون من منصبه بناء على أحاديث مسجلة مع مستشاريه، تحدث فيها عن إبطال تحقيق حول محاولة الوصول إلى المركز الانتخابي للحزب المنافس. نشرت وسائل الإعلام الخبيثة نص الأحاديث على الملأ، فكانت الفضيحة. استغل الرئيس الجديد وقتها "جيرالد فورد" صلاحياته وأصدر عفواً عن المسكين نيكسون. وسُجِن ثلاثون من مساعديه الذين نفذوا تعليمات نيكسون، ولم يُصب أي من الصحفيين الذين تسببوا في الفضيحة بأي أذى.

وعندما أنقذ "توني بين" يوماً ما أحد الأطفال من الغرق، نشرت إحدى صحف الفضائح اليومية التي كانت تناصبه العدا، صورة له وسط الجزيرة وهو يحمل الطفل وفوقها عنوان يقول: "طوني يحاول إغراق الطفل!"، لو حدث معك شيء مشابه من قبل صحيفة للفضائح فأنا أشفق عليك. عليك أن تُغرق الطفل بحيث لا تراك إحدى صحف الفضائح.

الفصل السابع السياسي

نشأة رجل السياسة

"يَنْدَهْشُ رَجُلُ السِّيَاسَةِ عِنْدَمَا لَا يُصَدِّقُهُ أَحَدٌ، رَغْمَ أَنَّهُ عَادَةً لَا يُصَدِّقُ مَا يَقُولُهُ هُوَ بِنَفْسِهِ"

شارل ديغول

يُولد رجل السياسة حتى في أحسن العائلات، لكننا في نفس الوقت نجد فيها المدرسين والصحفيين والقساوسة. يصير الإنسان سياسياً لعدة أسباب: البعض يسعى إلى العمل في مجال السياسة لأنه حاول العمل في مجالات أخرى وفشل، والبعض يرغب في أن يسجل اسمه في التاريخ، وغيرهم يسعون إلى التُّرْبُح، وغيرهم دُفِعوا إليها دفعاً تحت ضغط من حَمَوَاتِهِمْ، وآخرون أحبوا أن يظهروا في الصحف، وقليل منهم من يعترف بأنه انخرط في السياسة من أجل خدمة المواطنين.

يمكنك أن تستدل على السياسي الليبرالي عندما تهب رياح عاصفة فوق جبال تاترا، فتجده يحمل منشاراً كهربيّاً وينضم إلى مجموعة من الخطابين لكي يأخذ صورة معهم، رغم أنها قد تكون المرة الأولى التي يحمل فيها ذلك المنشار. أما رجل السياسة التابع للحزب الديموقراطي المسيحي فتعرفه عندما يظهر جالساً في الصف الأول في قداس الاحتفال بعيد رأس السنة، أو أعياد الميلاد أو عيد الفصح الذي ينقله التلفزيون من (بيت القديس مارتن). أما السياسي من الحزب الوطني فتعرفه بأنه على استعداد أن يضحي بك في أي وقت من أجل الوطن. السياسي الشيوعي تعرفه من ياقة قميصه المنفكة، أو من قميص يرتديه أصغر من مقاسه برقمين. كما يتميز السياسي من الحزب المجري بأنه يرتدي قميصاً على مقاسه لكن أزراره منفلته عند سُرَّتِهِ؛ لأن بطنه أكبر من الحجم المعتاد.

تعرف رجل السياسة بصفة عامة عندما يظهر أمام الكاميرات وهو يصفح الناجين من الكوارث الطبيعية وحوادث الطرق وهم فوق الأَسْرَةِ في المستشفيات، أو يقص شريط افتتاح الطرق، والجسور، والمباني وغيرها من المنشآت، وهو يتصور مع المشردين بدون مأوى وهم يستدفنون من برد الشتاء، أو تراه في إحدى الصور وهو يومئ متظاهراً بالمعرفة أثناء زيارته لأحد المصانع التي تنتج الـ "polymethyl methacrylate". يتظاهر بأنه يفهم جيداً أن هذا النوع من البلاستيك ينتج من خلال Radical polymerization of methylester methacrylic acid. فضلاً عن الشواهد العديدة الأخرى، تعرفه أيضاً بأنه الرجل الذي يعرف في كل شيء. لكن المواطنين يعلمون بأنه يتظاهر بهذا فقط، وهذا ما

يتوقعونه منه بالتحديد. ليس من مصلحة السياسي أن يُنبّه مدير مصنع البلاستيك ويقول له: "من فضلك، لا تجهد نفسك، فأنا لا أفهم شيئاً مما تقول. هيا بنا إلى مكتبك نشرب كأساً". مثل هذه الصراحة قد تعجب البعض بالفعل، لكن الغالبية ستشعر بالإهانة، لأن السياسي لا يمكنه أن يعترف بأن هناك ما لا يفهم فيه. ورغم أن المواطنين يعرفون جيداً أن رجال السياسة غالباً لا يفهمون شيئاً، لكنهم ينزعجون عندما يعترفون أمامهم بذلك. يرغب المواطنون في أن يكون من يحكمهم شيئاً بهم، لكنهم في الوقت نفسه يريدونه مثلاً يُحتذى، ليس فقط في النزاهة، لكن مثلاً في النفاق أيضاً. فالمواطنون يحتاجون لأن يكون السياسي قريباً منهم، وبعيداً عنهم في الوقت نفسه. يريدون أن يكون "واحداً منهم"، وغريباً عنهم، متفرداً. لا يحبون أن يختاروا سياسياً لا يفهم في الكيمياء.

الترزي يدير ورشة للحياكة، والطبيب عيادة طبية، والسياسي يمارس السياسة. ولا يمكن ممارسة السياسة كمهنة، بل يمكنها أن تكون مصدرًا للرزق.

عندما تجد مصاعب في تربية ابنك، وتراه يرد عليك بوقاحة، لا يستجيب إلى ما تقوله، ويسرق الشيكولاتة من المتجر، أيضاً عندما تجده يُعلّق على كل شيء، ويتهرب من المدرسة، فأنت أمام سياسي واعد في المستقبل. عندما تجده يحصل باستمرار على تقدير جيد جداً في مادة السلوك (أو حتى جيد)، فإنه بهذا يتجه نحو الهدف. ولو أنك اكتشفت أنه يدخن سجائر المالبورو، ويشرب ويسكي "شيفاز ريجال- 12 عاماً"، وأن نقودك تختفي من المكان الذي خبأتها فيه، فهو مرشح لمنصب سياسي في المستقبل بجدارة. وعندما تجد أنه لا يرغب في العمل، عندها تأكد أنه سيكون سياسياً بكل تأكيد.

وحسب علاقتهم بالعمل نجد أن مليوناً ونصف مليون سلوفاكي لديهم فرصة للعمل في السياسة. في سلوفاكيا، حسب إحصائية صدرت عام 2005 يوجد 2,2 مليون موظف من إجمالي أربعة ملايين مواطن بالغ، منهم ثلاثمائة ألف مدير وصاحب عمل. هذا يعني أنه يوجد مليون ونصف مليون مواطن لا يعملون، ويركنون إلى البطالة. إنها مشكلة تواجه المجتمع بأكمله؛ لأن وجود كل هذا العدد من السياسيين غير ممكن، فحتى لو وصل الشيوعيون إلى السلطة، سيعمل في السياسة مرة من لا يرغب فيها.

يسعى السياسي أن ينال حب الناس، يحاول تحقيق هذا بالحسن في البداية، لكنه عندما يرى أن الناس لا يُقبلون عليه، يكتفي بأن يجعلهم يخافون منه. الحب والكراهية متلازمان ليس فقط في الحياة العامة، لكن في السياسة أيضاً.

السياسي في الائتلاف والمعارضة

"لَيْسَ مِنْ مَهَامِّ السِّيَاسِيِّ حَلُّ مَشَاكِلِ الْمُوَاطِنِينَ، بَلْ تَسْلِيَتُهُمْ"

مؤلف مجهول

يوجد فرق جوهري بين السياسي المعارض والسياسي في الائتلاف الحاكم. سياسي الائتلاف تعرفه بأنه عضو في الحكومة، أما نائب الائتلاف فتعرفه بأنه عادة لا يشارك في مناقشات البرلمان إلا عندما تقدم المعارضة اقتراحًا بإقالة رئيس الوزراء، أو أحد أعضاء الحكومة، باستثناء ذلك فهو لا يظهر في القاعة إلا عند التصويت. نائب المعارضة تعرفه عندما لا يظهر إلا لانتقاد مشروع قانون مقدم من الحكومة، وأمر يكاد يحدث باستمرار. تجده نشطاً أثناء التصويت، رغم أنه يعرف أن صوته في الغالب لا يغير من الأمر شيئاً، ورغم ذلك يشارك في التصويت خوفاً من أن يوبخه الصحفيون بأنه يتقاضى أجراً دون مقابل.

عندما يتعرض رجال السياسة لأحد المواقف المزعجة (أن يراهم أحد برفقة عشيقته، أو يتهم بالنصب والاحتيال، أو يسقط في أحضان رجل المرور من خلف عجلة القيادة وهو مخمور)، في هذه الحالة لا فرق بين سياسي معارض وآخر مشارك في الائتلاف. يتضامنون معاً، وتتسم ردود أفعال نواب المعارضة والائتلاف الحاكم بالرحمة، والتفاهم، وينادون وقتها بالتسامح. سياسيو كلا المعسكرين متطابقون في آرائهم فيما يخص زيادة مرتبات النواب، وحتى في إقرار القوانين ذات الطبيعة الشعبية قبيل الانتخابات. عادة يتم إقرار زيادة مرتبات النواب بعد إجراء الانتخابات، كي يكون هناك مزيد من الوقت لنسيان هذه الزيادة قبل الانتخابات التالية. ولو زادت مرتبات المواطنين قبل الانتخابات، وكذلك المعاشات، فهذا لا يعني أنها لن تتغير بعد الانتهاء من الانتخابات، لكن المؤكد هو أن الزيادة التي تمت على مرتبات النواب لن تُمسَّ بعد الانتخابات.

من الأفضل لك بلا جدال أن تكون سياسياً في المعارضة لا عضواً في الائتلاف الحاكم،

لو أخذنا الموضوع من ناحية قوة شعبيتك بين المواطنين. لكن هذا لا ينطبق إلا في حالة أن يقوم الائتلاف الحكومي بإجراءات لا تلقى قبولا في الشارع، لكن عندما يقوم الائتلاف الحاكم بإجراءات تسعد المواطنين يصبح السياسيون أعضاء الائتلاف الحاكم مفضلين لدى المواطن. إن الحدود بين السياسيين في المعارضة والائتلاف غير صارمة، وكل من بقي في العمل السياسي لفترة أطول يتنقل بين صفة سياسي معارض وسياسي في الائتلاف، فالسياسيون الذين قضاوا في العمل السياسي أكثر من ثلاث فترات انتخابية ولديهم خبرة في العمل بالحكومة والمعارضة، مهددون بأن يختلط عليهم الأمر؛ لذلك من الحكمة أن يحال إلى التقاعد كل سياسي قضى في السياسة أكثر من فترتين انتخابيتين.

هل أعمل في السياسة أم لا؟

"لَوْ أَنَّ الذِّكَاءَ هُوَ الشَّرْطُ الْوَحِيدُ لِلْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ لَكَانَتْ الدَّرَافِيلُ أَكْثَرَ مَنْ مَارَسَهَا"

مؤلف مجهول

من السهل ترك العمل السياسي، لكن من الصعب الانخراط فيه؛ لذلك نجد أن غالبية الناس لا ترغب في العمل بالسياسة. لذلك فإن فرصة وجود منافس لك تكاد تكون صفرًا، من الناحية العملية. إن إجمالي عدد أعضاء جميع الأحزاب السياسية في سلوفاكيا بلغ 25 ألفًا، نسبة 0.0062 من السياسيين بين أربعة ملايين من المواطنين البالغين. لكنها فكرة مذهلة أن يقوم 25 ألف مواطن بإدارة ما تبقى من الملايين الأربعة. أنا لا أزعج أن إرادة الغالبية هي أساس الديمقراطية، لكن ليس إلى درجة هذه الأقلية الساحقة. لكن لو كنت تعتقد ذلك، فلا تتردد، وانضم على الفور إلى تلك الأقلية الأمرة. ليس مطلوبًا منك سوى أن تتخلص من اعتزازك بنفسك، وتتنازل عن آرائك الشخصية، وحبك للحقيقة، والأصدقاء الحقيقيين، وأن تتخلى عن احترامك لباقي المواطنين، وحرمتك الشخصية، ورغبتك بأن تكون مفيدًا، وأن تتنازل عن حياتك الشخصية، وبعض الأمور الأخرى.

يعتقد بعض المواطنين أن الأخلاق والتعليم والخبرة هي أسس الدخول إلى عالم السياسة. أعتقد بكل ثقة أن هناك دولًا تنطبق فيها مثل هذه المعايير، لكني لا أتذكر واحدة منها الآن. بل على العكس، تحضرني مثلًا الجمهورية التشيكية وقت أن كان رئيس وزرائها "ستانيسلاف جروس". كانت الخدمة العسكرية التجربة الوحيدة التي خاضها ذلك الرجل الشاب، حسب ما ذكره زميله في الحزب وقتها "ميلوش زيمان"، إضافة إلى أنه عمل لبضعة أشهر كفني كهرباء. وفي الوقت الذي كانت فيه الكوادر العاملة إبان النظام القديم مرشحة لعضوية الحزب الشيوعي، كان "ستانيسلاف جروس" مرشحًا لوظيفة سائق قطار، خط براغ-فرشوفيتسا. وعندما سقط النظام الشيوعي التحق بالعمل السياسي، وصار عضوًا في المجلس الفيدرالي، وكي لا يكون في موضع يتصف بالحماقة درس في كلية الحقوق في جامعة غرب بوهميا في مدينة "بلزن". وفي الوقت الذي غرق فيه آخرون في إعداد

الرسائل العلمية، ألقى عليهم "ستانيسلاف" بـ34 ورقة أتى بها من الحزب، حصل بها على لقب دكتوراه في القانون. اجتاز امتحاناً صعباً في اللغة الألمانية في جامعة غرب بوهميا، رغم أنه حسب شهود عيان لم يكن يعرف من اللغة الألمانية ولا حتى حرف الفاء المرقق. بهذه الشهادات صعد إلى منصب وزير الداخلية، ترافقه فضائح زوجته المالية، ثم تولى منصب نائبي رئيس الوزراء، ثم رئيس الوزراء. لو أنك ترشحت لوظيفة سائق قطار، واجتزت امتحان اللغة الألمانية، وأديت الخدمة العسكرية، ولم تمارس عملاً واحداً في حياتك، يمكنك أن تجرب حظك في السياسة، وقبلها اتصل ببراغ واطلب منهم النصيحة.

أصل الإنسان مهم قبل أن يخوض في السياسة، ولا حظ لك في الحزب الوطني السلوفاكي لو أنك من أصول مجرية. وغير مسموح لك أن تكون من أصول مجرية لو أردت أن تلتحق بحزب الائتلاف المجري. أما لو أردت أن تدخل حزب الحركة المسيحية الديموقراطية، فلا يجب أن تكون بروتستانتياً، وفي الحزب الشيوعي ممنوع أن تكون ميسور الحال، أما الأصل اليهودي فمرحب به في كل مكان.

السياسي والعمل

"رَجُلٌ سِيَّاسَةٌ يَبْحَثُ عَنِ كُرْسِيِّ. مَلْحُوظَةٌ: مَا لَمْ يَكُنْ مُتَّاحًا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَعْمَلَ فِي أَيِّ وَظِيفَةٍ"

ستانو راديتش

العمل، وخاصة العمل الشريف، يعتبر ظاهرة لافتة للنظر، ويمكنني أن أكتب عنه الكثير من المعلومات الجيدة لو وجدتُ في نفسي رغبة في عمل كهذا، وفي الغالب لا أجدها. لا أعرف إن كان ذلك لأنني عملت في مجال السياسة، أم أنني التحقت بالسياسة لأنني لم أجد في نفسي الرغبة في العمل. العمل الشريف أمر لا يخلو من مخاطرة. وليس أسوأ من أن يراكَ رئيسك في العمل وأنت متحمس لعمل شيء ما، فالنتيجة إما أن يريقك، وهو ما يعني عملياً أنك بعد أن كنت تعمل يومياً ثماني ساعات ونصف بكل همّة، بعد الترقية سيكون عليك أن تعمل اثنتي عشر ساعة يومياً. مثل هذه المخاطر توجد في كل مهنة، باستثناء السياسة. فلو لاحظ رئيسك أنك تجدُّ في عملك سيبدأ على الفور في تكليفك بمزيد من المهام كي لا يكون لديك وقت لتُعدي الآخرين بحماسك.

الناس يفضلون رجال السياسة الذين لا يفسدون أي شيء. أقل الخسائر يسببها الرؤساء، والملوك، والفراغة، والقياصرة. ولا يقومون إلا بدورهم التمثيلي فقط. يفتتحون بطولة العالم، والكرنفالات، والمهرجانات، ويقومون بالأنشطة الخيرية، وأشياء أخرى يحبها الناس. لا يتدخلون في السياسة رغم أنهم يرغبون في ذلك، لكن الدستور لا يسمح لهم بذلك. الملوك، والرؤساء، والفراغة، والقياصرة لا يفعلون سوى القليل؛ لذلك خسائرهم قليلة، لذلك يتصدرون قائمة الأكثر شعبية على الدوام. الفراغة وبعض القياصرة وصلوا إلى درجة التأليه.

من عادة كثير من الشركات أن يجلس الموظفون في مكاتب زجاجية، أو في مكاتب ضخمة بدون حوائط كي تسهل مراقبتهم، ومعرفة من يعمل منهم، ومن يتظاهر بأنه يعمل. قد تكون بدعة جيدة أن يجلس نواب البرلمان السلوفاكي في مكتب واحد ضخم بدون

حوائط ويحمل كل منهم بطاقة تحمل اسمه.

علاقة السياسيين السلاف بالعمل حميمية، شأن كل السياسيين من غير السلاف. هذه العلاقة موروثة منذ أيام تشارلز الأكبر، حيث كانت الناس تعمل في المناجم التابعة له حتى يلقوا حتفهم نتيجة الإرهاق. كان هؤلاء سكان أوروبا الشرقية الذين يطلق عليهم السلاف، وبالإنجليزية "slaves". فال Slave هو إذن مواطن سلافي، وصار مرادف الحب الأبدي للعمل حتى الإعياء القاتل، حتى صاروا يطلقون على العبد باللغة الإنجليزية كلمة "Slovan". لكن هذا بالطبع لا يعني أن لاعبي كرة القدم في فريق "سلوفان" يَكِدُون في عملهم.

بحث ملك إحدى الممالك يوماً عن وزير للعمل، ووجه إلى أحد المرشحين هذا السؤال: "نقل وزيران كومة من الفحم، لبس أحدهما قفازاً في يده، ولم يفعل الآخر. فمن منهم تلوّث يده بعد أن فرغا من العمل؟ أجابه المرشح بكل ثقة: "ذلك الذي لم يلبس قفازاً". "إجابة خطأ"، أجابه الملك، وأعاد الكرة، إلى أن فقد الأمل في العثور على الوزير المناسب. حتى جاءه أحدهم، فأجاب على السؤال كالتالي: "لم تتلوّث يد أحد منهما. والأمر كله عبثي في الواقع، فمن غير المعقول أن يعمل الوزير". على الفور اتخذ الملك وزيراً له.

السياسي والمواطن

"الشَّعْبُ لَيْسَ مَصْدَرُ السُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ، بَلِ الْقَوَائِنُ"

ماو تسي تونج

شاركتُ ذات يوم في سباق للدراجات مع "ميكولاش تزوريندا". تجاذب "ميكولاش" أطراف الحديث مع مجموعة من المواطنين لا ينتمون للعجر في إحدى القرى الجبلية، والتفتُ حولي مجموعة أخرى من العجر. وصاح رجل عجري مهتاج يترنح من السكر، وقال إنه لا يخاف، وسيضرب رئيس الوزراء. صاح رجل من مكان ما قائلاً: "اهدأ، إن معه حراساً!". تردد العجري، ثم صاح: "إذن سأضربك أنت!".

يعتقد بعض المواطنين لأسباب مجهولة أن واجبهم الأساسي أن يحكموا غيرهم، حتى وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة، أي من خلال نوابهم. حتى إنهم يترقبون ما سيفعله نوابهم الذين انتخبوهم. إن مثل هذه التطلعات من مقبل المواطنين ليست في محلها. من ذا الذي لا يزعج من تربص الآخرين به؟ إن نواب الشعب قد يمارسون الحكم بطريقة أكثر اتزاناً لو أنهم تأكدوا من أن المواطنين قد حلّوا عن سمائهم. فليس من اختصاص المواطنين أن يحكموا، بل أن ينتخبوا نوابهم فقط، وبانتهاء الواجب الانتخابي ينتهي دور المواطن في المشاركة في إدارة الشأن العام، إلى أن يحين موعد الانتخابات التالية.

المواطنون في الواقع لا يعرفون رجال السياسة، لا يعرفون إلا من يظهر منهم في وسائل الإعلام بانتظام. ولا يظهر في الميديا إلا ممثلو الأحزاب السياسية. لقد أشرت في الفصول السابقة إلى أن من يمثل الأحزاب السياسية ليست الكفاءات، بل الكوادر الطموحة فقط. وعادة ما تنظم منظمات استطلاع رأي الشارع استطلاعات تحمل هذا السؤال: "من هم أكثر السياسيين الذين تثقون بهم؟". لا يمكن أن يثق المواطن إلا في السياسي الذي سمع عنه. أما السياسي الذي لا يعرف بوجوده، فلا يمكنه أن يثق فيه. وهذا ما تؤكده كل استطلاعات الرأي. وهذا مثال على استطلاعات الرأي التي تقيس مصداقية السياسيين:

استطلاع مؤسسة الشأن العام- يناير 1999، بالترتيب: "دزوريندا"، "فيتسو"، "ميتشيار"، "شوستر"، "شموجنروفا"، "كاليكوف"، "فايس"، "سلوتا"، "جاشباروفيتش"، "بوجار"، "كوكان".

استطلاع معهد قياس الرأي العام- أغسطس 2005، بالترتيب: "فيتسو"، "جاشباروفيتش"، "ميتشيار"، "بوجار"، "سلوتا"، "دزوريندا"، "روكسو"، "ميكلوش"، "مارتينكوف"، "هروشوفسكي"، "كاليناك"، "بانيوفا"، "كوكان"، "بالكو"، "ليشيتس"، "كاسكي"، "فاتاشكا".

استطلاع معهد قياس الرأي العام- يناير 2006، بالترتيب: "فيتسو"، "جاشباروفيتش"، "ميتشيار"، "بوجار"، "مارتينكوف"، "بانيوفا"، "دزوريندا"، "هروشوفسكي"، "سلوتا"، "كاليناك"، "ميكلوش"، "ليشيتس".

ينقسم المواطنون إلى فئتين: المواطن السعيد وهم السياسيون، والمواطن الحزين وهم الآخرون. والآخرون يطلقون عليهم الشعب. والشعب فئة متأرجحة للغاية. السياسي يحتاج إلى الشعب، كي يكون هناك من يحكم باسمه. ويصف السياسيون الشعب بأوصاف كثيرة حسب حاجتهم إليه: الأصدقاء، الناس، المواطنون، الجمهور، الحشود، الجموع، الشارع، الرعاع، العصابة، الأوغاد، الدهماء، الخ.

كلما أدرك الشعب أن دوره التاريخي هو دفع الضرائب كي يكون لدي السياسيين ما يعيشون عليه، كان ذلك أفضل، أفضل للسياسيين وللشعب على حدٍ سواء. المواطن مسئول عن أفعاله، أما السياسي فليس مسئولاً. المواطن يمكن أن يُعاقب على أعماله السيئة، أما السياسي فلا يعاقب، أو بالأحرى يمكن أن يُعاقب السياسي، لكن شيئاً كهذا لم يحدث حتى الآن.

مسئولية رجل السياسة

"حَوْضُ الْعَلْفِ الْفَارِغِ مَسْئُولِيَّةُ الْعَلْفِ وَلَيْسَ الْخِنْزِيرُ"

المؤلف

إن عنوان هذا الفصل غير دقيق، فالسياسي غير مسئول. المواطنون دون غيرهم هم من تقع على عاتقهم المسؤولية؛ لأنهم هم من اختاروا السياسي وأعطوه ثقتهم. فلو أن شاباً اختار "أنا" زوجة له، فليتحمل المسؤولية عنها، ولا يجب أن يتظاهر بأنه لا يعرفها. السياسيون جاءوا من رحم المواطنين. فلو أن أحد الآباء أرسل ابنه للتزلج وهو لا يرتدي ملابس كافية تقاوم البرد، فسيكون هو المسئول عن إصابته بالبرد؛ لذلك ليس من الملائم أن يلقي المواطنون باستمرار بالمسئولية على عاتق السياسيين.

لم أسمع يوماً من الناخبين وهم يعترفون بخطئهم في التصويت لأحد، فما دام المواطن لا يتعلم من خطئه، ويظل يختار على نحو سيئ، فليتحمل خطأه، ويكف عن الشكوى. إن القاء التهمة على السياسيين هو نفسه الحال عندما لا تطعم الخنازير ثم تتهمها بأنها أكل بعضه البعض؛ لذلك فالمواطنون الذين يتحلون بالمسئولية يجب أن يفكروا في إطعام رجال السياسة أولاً كي لا يجوعوا ويفقدوا أعصابهم.

لكن هناك حالات استثنائية، يعترف فيها رجال السياسة بالمسئولية. تحدث هذه الحالات عندما يحقق السياسي أو حزبه نجاحاً. رجل السياسة هو المسئول الأول عن أي نجاح، أما الفشل فيرجعونه إلى الطقس السيئ، وصحفي الإثارة، والناخبين، وزحمة المرور، ونقص الأماكن في مواقف سيارات مجلس النواب، والمنبه الذي لم يرن، أو الحموات.

إن أكثر السياسيين تحملاً للمسئولية يدخل التاريخ من أوسع أبوابه، وقد تمكن من هذا في السنوات الأخيرة، الرئيس الأمريكي بيل كلينتون. فبعد فضيحه الشهيرة مع مونيكا لوينسكي بدأت شركة صناعة المطاط الصينية Guangzhou Rubber Group في إنتاج واقٍ ذكري اسمه "كلينتون"، وآخر "لوينسكي". من الواضح أن الشركة استغلت الموقف

المسئول الذي عبر عنه الرئيس الثاني والأربعون لأمريكا تجاه الجنس. وقال المتحدث باسم الشركة الصينية: "إن الواقي الذكري "كلينتون" سيكون من أفضل منتجاتنا، لكن الواقي الذي يحمل اسم "لوينسكي" لن تكون له نفس الكفاءة". للأسف، بيل كلينتون يعد مثلاً نادراً على تحمل المسؤولية السياسية. ونادراً ما ينجح رجل السياسة في أن يصبح مثلاً يقتدي، ثم يطلق اسمه على الواقي الذكري.

السياسي صاحب المبادئ

"السِّيَاسِيُّ عَدِيمُ الْمَبَادِئِ، هُوَ مَنْ بَدَأَ فِي الْأَخْذِ ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنَ ذَلِكَ"

كيللي

نحن نقسم السياسيين مثلما نفعل مع المأكولات، عندما نقسمها إلى مأكولات حامضية، وأخرى حُلوة⁽¹³⁾. السياسيون الحامضيون هم من يأكلون المحار، والأسماك، واللحوم، والدواجن، والبيض، وحبوب الطعَام، والقمح، والمكسرات (باستثناء اللوز والبندق)، والجبن، والعدس، والفاصوليا السودانية. السياسيون الذين ينتمون إلى النوع الحلو هم من يأكلون التين، والصويا، وحببات الفاصوليا، وبراعم الفاصوليا، والمشمش، والبرقوق، والزبيب، واللوز، والجزر، والبلح، والكرافس، والبطيخ، والكرنب، والبطاطس، والقرنبيط، والجريب فروت، والطماطم، والخوخ، والعنب، والموز، والبندق، والحنطة. يتضح من عرض المأكولات هذا أنه ليس من السهل أن تكون سياسياً ضمن الفئة الحلوة؛ لأن حلوة رجل السياسة تظهر في المقام الأول بأنه لا يأكل اللحوم، وعدد من يأكل اللحوم أكثر ممن لا يأكلها، رغم أن عددهم في تزايد. وهذه إشارة جيدة، فكلما ظهر في السياسة رجال من الفئة الحلوة كان هذا أفضل حتى للمواطنين الحامضيين أنفسهم. أن تكون بلا مبادئ لا يعني بالضرورة أنك حامضي، لكن أمثال هؤلاء السياسيين على الطريق الصحيح، وسيصبحون ذات يوم حامضيين. ولا تنفع معها ذرائع من قبيل أنه لا يمكن الحصول على التين أو براعم الفاصوليا بسهولة. كما أن الكرنب والبطاطس والجزر موجودة عند كل البائعين بالأسواق. يتواجد السياسيون ذوو المبادئ بنسبة كبيرة في المناطق التي تستهلك الكرنب والبطاطس.

يجب الانتباه والحذر من السياسيين أصحاب المبادئ الذين عادة ما يبدؤون حديثهم بكلمات مثل: "اسمحوا لي أن أتحدث معكم بصراحة"، أو "هل لي أن أتحدث معكم بصراحة؟"، الخ. السمة الطبيعية للبشر هي المصارحة، ويوجد في الواقع كثير من السياسيين الأغبياء

(13) "حلوة" هنا ترجمة لكلمة سلوفاكية تعني أيضًا: أساسي أو مبدئي أو ذو مبدأ. كلمة "حامضي" تحمل المعنى العكسي، أي عديم المبادئ (المترجم).

الذين يعتمدون المصارحة. "الأشخاص الصريحة" تستطيع استدعاء المشاعر الجياشة، ويصلون إلى حد الإجهاش بالبكاء. وغالبًا ما تكون "الأشخاص الصريحة" هي أول من يطعنك بخنجر في ظهرك. فلو أنك من الأشخاص التي تتبنى الصراحة فعلاً فاحذر من أن يعرف بذلك أحد ممن حولك.

السياسي صاحب المبادئ هو ذلك الرجل الذي عندما يقرر الانتقال من حزب إلى آخر، لا يجب أن يتوقف عن تكرار ذلك. وعندما يبدأ في موالاة زملائه فعليه أن يواصل هذا الأمر. إن رجل السياسة يبني مصداقيته عندما يلتزم بالمبادئ التي يتبناها. فالسياسي الذي يتلقى الرشاوى ثم يتوقف عن ذلك يفقد مصداقيته. السياسي صاحب المبادئ هو الرجل الذي عندما يقرر أن يأخذ شيئاً ما فعليه أن يواصل ما بدأه. فما إن يتوقف حتى يفقد مصداقيته لدى من حوله. والسياسي الذي يفقد مصداقيته ينتهي أمره. وعندما يعرف الناس المبادئ التي بدأت في مخالفتها فعليك أن تعثر على مبادئ جديدة لتكسرهما.

العداوة في السياسة

"عِنْدَمَا يُصَافِحُكَ أَحَدُهُمْ وَهُوَ يَضَعُ يَدَهُ فَوْقَ صَدْرِهِ، انْظُرْ مَاذَا يَحْمِلُهُ فِي يَدِهِ هَذِهِ"

بيناس

خير لك أن تكون عدوًّا في السياسة، لا صديقًا. فلو أنك عدوٌّ فلديك فرصة أن تصبح صديقًا؛ فلا يمكنك كعدو إلا أن تصبح صديقًا. فضلًا عن أن عدد الأعداء في السياسة يفوق الأصدقاء؛ لذلك سوف تكون ضمن الأغلبية العظمى. يتواجد الأعداء في السياسة في الأماكن التالية:

1. في نفس الحزب.

2. في داخل الائتلاف الواحد.

3. في المعارضة.

4. في كل مكان.

يبدو من الوهلة الأولى أن أعداء رجل السياسة خارج حزبه أكثر من داخله. لكنه مجرد اعتقاد، فرجل السياسة يعرف أن التهديد الأكبر يأتيه من بين أقرانه. وهناك مزايا عديدة لوجود عدو من داخل الحزب الذي تنتمي إليه، فيمكنك على سبيل المثال أن تتواصل مع زميلك في نادي الحزب. وهذا غير ممكن في نادي حزب غريب، فهم لن يسمحوا لك بالدخول إلى هناك إلا إذا أعلنت عن أنك ذاهب للشكوى من زميل لك في حزبك. لا طائل من التشهير بعدوك لأنه لا يشكل تهديدًا لك.

من مزايا العدو أنه لن يخونك يومًا. مكنم العداوة التالي الخطير بعد حزبك هو الائتلاف، رغم ذلك يمكنك أن تعتمد على شركائك في الائتلاف أكثر من غيرهم؛ لأنهم نادرًا ما ينقلبون ضدك، على عكس أعضاء حزبك، لكن هناك استثناءات، ورغم ذلك ينتهي الأمر دائمًا بأن يأسفوا على ما فعلوا، أما أعضاء حزبك فعادة لا يشعرون بالأسف.

الأعداء في السياسة يتداعون عليك في كل مكان، فلا توجد مهنة أخرى تنضوي على كل هذه المخاطرة الجهنمية، بأن تتوقع العدو في كل مكان وزمان. ذات مرة لكمني أخدم وأنا أسبح في بحيرة "ليبتوفسكا ماريا"، لكن هذا حدث وأنا وسط الماء؛ لذلك جاءت الضربة بطيئة.

لا يوجد في السياسة أصدقاء، ويمكنك أن تجدهم عندما تجد لأحدهم العذر. كان "جوزيف فيساريونوفيتش ستالين" بالفعل من أشهر الشخصيات السياسية في التاريخ التي علا نجمها بفضل تسامحه. فعندما عفا ستالين عن أحدهم، حُكِم على المعفو عنه بالإعدام. لم يحدث الإعدام في الحال لأن "جوزيف" المحتمل كان يحب التواصل مع أناس كانوا عملياً في عداد الأموات، إنها ظاهرة لا نراها إلا لدى الأشخاص الذين يتحلون بالتسامح. أرسل البعض إلى حبل المشنقة حتى بعد مرور عشرين عاماً، كانوا يحملون له فيها مقعداً بدون مسند للظهر ليقف عليه كي لا يلاحظ أحد طوله البالغ 160 سم. كانوا يفعلون ذلك وعلى وجوههم إيماءة سخريّة. لم ينسَ هذه الإيماءة. كان ستالين يشبه هتلر فيما يتعلق باختياره الأشخاص الذين أنكر حقهم في الحياة. بالنسبة لهتلر كان اليهود والشيوعيون من بعدهم. ونفس الأمر بالنسبة لستالين. لم يلقَ حتفه في عمليات التطهير التي تمت في قيادة الجيش السوفيتي في الفترة من 1937-1938 سوى الشيوعيين وحدهم، دون غيرهم. تمت عمليات التطهير على أساس تقرير مزور قدمته الشرطة السرية التابعة لحزب ستالين (الجستابو) لشرطة هتلر السرية، ثم قامت شرطة هتلر بتقديم التقرير من خلال "هايدريش" إلى حكومات فرنسا وتشيكوسلوفاكيا، التي قامت بدورها بإعادة التقرير إلى ستالين مع خالص الشكر. ظهر التقرير، بالمناسبة، بناء على تعذيب أحد ضباط الجيش الأحمر المدعو "شميت" الذي أعد قائمة بضباط الجيش الذين ادّعى أنهم يتعاونون مع ألمانيا. والآن انتبه! إنها الأرقام: عملية تمت على مرحلتين، صفا خلالها ثلاثة من خمسة ضباط سوفيت، وثلاثة عشر من خمسة عشر من قادة الجيوش، وثمانية من تسعة من قادة الأساطيل، وخمسين من بين سبعة وخمسين قائد فرقة، ومئة وخمسين من بين مئة وستة ثمانين قائد وحدة. كانوا غالبيتهم من أصدقاء ستالين السابقين؛ لذلك لا عجب من أن الألمان وصلوا حتى نهر الـ"فولجا" عندما غزا هتلر الاتحاد السوفيتي. وعين ستالين صديقيه مدمني الخمر "بودوني" و"فوروشيل" كقائدين للجيوش. وكأن المعجزة وحدها هي التي ساقطت "جوكوف"، و"كونيف"، وملايين من الجنود السوفييت الباسلين الذين حموا البلاد وستالين نفسه. لم يرقم أي من هتلر أو ستالين بتصفية أصدقائهم بأنفسهم. كان

لديهم أناس مخصصة لهذا الغرض، وقاموا لاحقًا بتصفيتهم هم أيضًا. فلو أراد الأصدقاء في السياسية إقصاء صديق لهم فهم يستأجرون لهذا الغرض أناسًا يسهل التخلص منهم غير مأسوف عليهم. يشير المثال المذكور إلى أنه من الأفضل لك أن تكون عدوًا لا صديقًا. على الأقل لن تندم عندما يطلقون عليك النار.

فاز "روبرت فيتسو" في انتخابات 2006 وهو يحمل شعار: "من سرق في عهد "ميتشيار"، سرق أيضًا في عهد "دزوريندا"". وهو من قال أيضًا في عام 2000: "المنتصر في السياسة السلوفاكية هو من سيطرده "ميتشيار" خارج الحقل السياسي". وقال في عام 2001: "إن تشكيلة حزب حركة سلوفاكيا الديمقراطية بدون "ميتشيار" تشكيلة عظيمة بالنسبة لي". وأكد في عام 2006: "إنه من الخطورة بمكان لقاء رجل مثل "ميتشيار"، وأضاف بعد ذلك بشهر واحد، في مايو من نفس العام: "إن حزب "سمار" لا يمكنه أن يتعاون مع شخص السيد "ميتشيار". وبعدها بشهر آخر - في نهاية يونيو- جلس مع فلاديمير ميتشيار على طاولة الحكومة. لكنني لا أزعم أنهم أصدقاء.

مستشار رجل السياسة

"المُسْتَشَارُ رَجُلٌ يَسْتَعِيرُ مِنْكَ سَاعَةَ يَدِكَ، ثُمَّ يَسْأَلُكَ: كَمْ السَّاعَةُ الْآنَ؟ ثُمَّ يَنْصَرِفُ بِهَا"

تاونسيند

المستشار هو في الأساس شخص جبان، إنه إنسان عاجز عن تحمل المسؤولية بنفسه؛ لذلك يكتفي بتقديم النصيحة، ولا يهمله إن كانت نصيحة طيبة أم خبيثة، فلن يعرف أحد ما قاله لرجل السياسة، ولن يعترف رجل السياسة بأنه يتلقى النصائح من أحد. المستشار على قناعة بأن الشعب لن يعرف إن كان أكثر أو أقل ذكاء من رجل السياسة الذي يعمل لديه.

كان الفيلسوف الصيني "كونفوشيوس" أحد هؤلاء المستشارين الذين يتحلون على الأقل بنفس القدر من ذكاء السياسيين الذين يعملون معهم. ستمائة عام قبل الميلاد، عندما بدأ اليونانيون يمسكون بمقاليد الحكمة، علّم كونفوشيوس الناس كيف يصبحون سعداء، ووضع منظومة أخلاقية للحكام الذين يفترض أنهم قدوة أخلاقية لشعبهم كأساس لممارسة الحكم، وقد التزم بعض قيصرة الصين بتعاليمه، ومن بين ما نصحهم به كونفوشيوس أنه قال:

- "اصنعوا الدولة على نفس شاكلة الأسرة. ولا يمكنك أن تدير الأسرة على نحو جيد إلا عندما تكون قدوة لها".

- "للفضيلة معنى واحد ينطبق على الفلاح وعلى الحاكم".

- "احرص على الابتعاد عن الأعمال المجرمة كي تقلل من تعرضك للعقوبة".

- "كان الصينيون أناسًا أحيانًا إبان حكم الملكين الطيبين "يا" و"كسو". وصار الناس أشرارًا إبان حكم الملك "كيا"، والملك "شوا"."

- "افعل لغيرك ما ترتضيه لنفسك".

- "أَحَبُّ النَّاسِ جَمِيعًا، وَاعشَقُ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرِ. أَنَسَ الْإِهَانَةَ، وَلَا تَسَّ الْأَعْمَالَ الْخَيْرَةَ".

- "هناك من الناس من يعجز عن اقتناء العلم، لكن ليس هناك من يعجز عن الالتزام بالفضيلة".

كان كونفوشيوس يقدم النصائح على أمل أن يلتزم السياسيون بها، وعندما أيقن أنهم لن يقدروها حق قدرها، راح يسعى هو في تطبيقها على أرض الواقع. انضم إلى حكومة القيصر "لو" وسعى إلى تطبيق أفكاره في الواقع السياسي، فكانوا يصفقون له. صفقوا لها طالما كانت مجرد أفكار، وبمجرد أن حاول تحويلها إلى أعمال توقفوا عن التصفيق. وتجاوز أعداؤه عدد أصدقائه على مدى أربعة أعوام قضاها في السياسة، وحرص هؤلاء الأعداء على أن يرسلوه إلى المنفى. ومن بعد كونفوشيوس حاول "سينسا"، و"غاندي"، وآخرون. لكن لم تُكَلَّلْ محاولة أي منهم بالنجاح. لذلك فالمستشارون عقلاء، وينصحون سياسيينهم بالأبداً يتجاوز الحديث عن الأخلاق حيز الكلمات.

مستشار رجل السياسة شخص يناقش السياسي في مختلف القرارات، لكنه لا يتحمل المسؤولية عن أي منها. تقول الحكمة اليهودية: أفضل لك أن تكون نبتة صغيرة وسط الحشائش الباسقة. ويقول قانون الحشائش إن النبتة سوف تنمو وترتفع، عاجلاً أم آجلاً، إلى أن يحين وقت قطافها. الحشائش تُجْتَرُ، بينما النبتة الصغيرة تبقى، ويمكن أن تنزلق قدم من يسوى الحشائش بتلك النبتة الصغيرة، فيسقط وتكسر قدمه. إن المكان المثالي للأشخاص الذين يعجزون عن الظهور أمام الشعب بأنفسهم هو أن يقفوا في الخلف، ويؤثروا في الشخص الذي يقف النور فوق المنصة.

يبدل المستشار كل ما في وسعه كي يبلغ رجليه أقصى درجات النجاح. أن تكون مستشاراً لرئيس أو لوزير، ومنهكاً من العمل، خير من أن تكون مستشاراً مدلاً لنائب في البرلمان أو نائب في مجلس محلي.

السياسي والبيروقراطية

"كُلُّ مَنْ لَدَيْهِ سُلْطَةٌ دَائِمًا مَا يَسْتَغْلِبُهَا"

ليوبارد

إن صلاحية رجل السياسة الناجح في أغلب الأحوال لا تتجاوز الفترة المتوسطة، أما صلاحية البيروقراطي الناجح فهي لا نهائية. السياسيون يأتون وينصرفون، أما البيروقراطيون فباقون، يسخرون من رجال السياسة. لم يظهر في العالم حتى الآن وزير استطاع خداع موظف، ربما يحقق الوزير بعض النجاح المؤقت، لكن الفوز النهائي في صراع رجال السياسة مع الموظفين يكون دائماً لصالح الموظف. البيروقراطي يختبئ خلف رجل السياسة، ويدفعه لفعل أشياء يتحمل السياسي مسئوليتها أمام الناس. رجل السياسة ببساطة هو عبارة عن عيدان باسقة، والبيروقراطي نبتة صغيرة وسطها.

يعلن السياسي قبل الانتخابات عن حرب ضروس مع البيروقراطية، وتنتهي هذه الحرب فور انتهاء الانتخابات، فلا وجود لرجل السياسة بدون موظفين.

تقدم وزارة المستعمرات في بريطانيا العظمى خير مثال على المناعة التي تتمتع بها البيروقراطية، ففي عام 1935 كانت بريطانيا العظمى على قمة سلطتها كقوة استعمارية. قامت وزارة المستعمرات التابعة لبريطانيا بتوظيف 357 شخصاً. وبعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة بعد استقلال الهند، تواصل انهيار نظام المستعمرات البريطانية. كان لدى تلك الوزارة في عام 1947 بالتحديد ألف ومئة وتسعة وثلاثون موظفاً، وفي عام 1954 عندما تقلص عدد المستعمرات بقوة بلغ عددهم 1661 موظفاً. لا تذكر المصادر إجمالي عدد الموظفين في وزارة المستعمرات اليوم، حيث لم يعد لدى بريطانيا العظمى مستعمرات. نحن محظوظون لأننا لم نكن إمبراطورية استعمارية يوماً ما، ووفرنا الكثير من الأموال التي أنفقت على موظفي وزارة المستعمرات.

لا تختلف الولايات المتحدة الأمريكية عن بريطانيا العظمى كثيراً، فقد كان أول رئيس

لها - وهو جورج واشنطن- يحكم ثلاثة ملايين مواطن و350 موظفًا عامًا. أما اليوم فيحكم الرئيس الأمريكي 230 مليون مواطن ويدير ثلاثة ملايين بيروقراطي، أو موظف حكومي government employees ، كي يكون اللفظ أكثر جمالًا. يتضح من المثالين الأمريكي والبريطاني، أن موظف الحكومة هو أخطر وأهم وظيفة في الدولة. جاءني أثناء عملي كنائب طاقم تليفزيون الدولة لإجراء حوار معي، وكان الطاقم مكونًا من ستة أفراد. ومن محطة التليفزيون الخاصة "مركيزا" جاء فردان فقط لإجراء حوار مشابه.

السياسي والأموال

"لَيْسَ صَحِيحًا أَنْ وَاحِدًا مِنْ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْ رِجَالِ السِّيَاسَةِ يَتَلَقَّى رِشَاوَى. بَلْ إِنَّ وَاحِدًا مِنْ كُلِّ اثْنَيْنِ لَيْسَ مُرْتَشِيًّا"

مؤلف مجهول

لا أحب الكلمات غير اللائقة، مثل: "هذا لا يحدث إلا عندنا". سلوفاكيا ليست استثناءً في أي شيء، وكل ما يحدث عندنا يمكن أن يحدث في أماكن أخرى، فالسلوفاك لم يخترعوا السفينة البخارية، ولا نظرية النسبية، ولسنا من ابتدعوا الفساد، فهو مزدهر من قبل أن تظهر سلوفاكيا للوجود.

وصل الفساد في اليونان القديمة مستويات عالية، حتى إنهم كانوا يرسلون الأموال لرشوة "خارون" - إله البرزخ في العالم الآخر- مع الميت. وكانوا يستخدمون عملة معدنية خاصة بالرشاوى، ويضعونها تحت لسان الميت. أما عندنا فلا نضع الأموال تحت لسان الميت، بل نضعها في جيوب الأحياء العاملين في مكتب دفن الموتى، حيث يتأفف عمال الدفن من تكفين ودفن ميت غير مُعَمَّد، ولم لا وبعض الكهنة الكاثوليك يشاركونهم الأمر نفسه؟

أول الآثار المكتوبة عن الفساد في جمهورية سلوفاكيا الحديثة، ظهرت إبَّان حكم "فلاديمير ميتشيار" في عام 1993. وأول ظهور للفساد على الإطلاق ذُكر في العهد القديم، في سفر الخروج، وأيضًا في قوانين مانو الهندية من عام 1000 قبل الميلاد⁽¹⁴⁾. كما جاء ذكر للفساد في مصر القديمة، وبلاد بابل، والصين، واليونان، وروما القديمة. لقد قضى الفساد على الإمبراطورية الرومانية، وسقطت الإمبراطورية، وعاش الفساد. وقد حان الوقت للتفكير: كيف سنباري العالم في هذا المجال؟

وقبل أن نحلل علاقة السياسي بالفساد، دعنا ننظر إلى علاقة المواطن بالفساد. حسب

(14) ورد ذكر الفساد في نصوص مصرية قديمة، أشهرها "شكاوى الفلاح الفصيح"، وترجع إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، بينما كُتِبَ أقدم نسخة من التوراة بين عامي 1155 - 1225 ق. م. (المترجم)

بحث أجرته مؤسسة سلوفاكيا الدولية للشفافية (TIS) نجد أن 40% (أي ما يعادل 1.8 مليون مواطن بالغ في سلوفاكيا) اعترف بأنه قدم رشوة لأحدهم مرة واحدة على الأقل في حياته. وتقول بيانات النائب العالم السلوفاكي إنه في عام 2001 تم اكتشاف 83 جريمة فساد، وفي عام 2002 زاد العدد إلى 139، وفي عام 2003 وصل إلى 147. وحسب الإحصاءات لم تكتشف الهيئات المكلفة بمراقبة القانون إلا نسبة 0.000087% من حالات الفساد التي اعترف بها مرتكبوها. لدى الحكومة وكل وزارة من الوزارات قسم خاص بمكافحة الفساد. وحسب مؤسسة الشفافية السلوفاكية يعتقد 60% من المواطنين أن الحكومة غير مهتمة بمكافحة الفساد. أنا لا أفهم السبب الذي يدفع المواطنين لمطالبة الحكومة بحل قضية الفساد، ونصف السكان البالغين تقريباً يشارك بصورة فعالة في دعم الفساد! وحسب استطلاع آخر لنفس المؤسسة يعتقد 22% فقط من السكان أن السياسيين يتمتعون بالأخلاق. ولماذا لا يفوز في الانتخابات من يمثلون نفس الشعب؟

تم تقنين الفساد في بعض الدول، وأطلقوا عليه اسم "مجموعات الضغط"، ففي واشنطن تم توظيف 67 ألف فرد في مجموعات الضغط، وهو ما يمثل 125 موظفاً لكل عضو في الكونجرس الأمريكي. لكن لا توجد عندنا مجموعات الضغط هذه؛ لذلك يقوم أعضاء جماعات الضغط بتقديم الرشاوى بصورة غير رسمية.

إن الفاسدين أناس حاسّة الشّم لديهم مُدربة بصورة هائلة. يشعرون بكل من هو على استعداد لأن يكون فاسداً. يمكنك أن تغتسل بأجود أنواع الصابون، ورغم ذلك سيشمون رائحتك.

من العبث رفض الفاسدين؛ لأن الفساد هو وقود النمو في سياسة أي دولة وأي بيت. تقول الإحصائيات إن كل بيت يدفع رشاوى بما يعادل ثلث دخله الشهري. وحسب الإحصائية الرسمية عن معدل الفساد نكتشف أن المواطن يدفع رشاوى بمعدل ست عشرة مرة شهرياً. إذن بدون الرشاوى لن تذهب أطفاله إلى المدارس، والحضانات، ولن يذهب أقاربه إلى المستشفيات، ولن يحصل على الدواء من الصيدليات، ولن يحظى بفرصة عمل، ولا حتى بجنائز إلا بعد أن تتعفن جثته، ولن يحصل على الخضروات والفواكه المستوردة. تقول الألسن الخبيثة إنك بالرشوة ستحصل على شهادة تقول إن والدك قد توفي ثم استيقظ في اليوم التالي من بين الأموات، صعد إلى السماوات العلا وجلس على يمين العرش الإلهي. هذه البيانات جاءت من كينيا، البلد الذي يتصدر قائمة أكثر الدول فساداً على وجه الأرض.

معدة رجل السياسة ومؤخرته

"الخِيَانَةُ مَسْأَلَةٌ تَارِيخِيَّةٌ"

تشارلز موريس دي تاليران

إن المعدة بالنسبة لرجل السياسة أحياناً أهمُّ من عقله وقلبه، فالسياسي الذي يتمتع بذهن متوقد وقلب سليم، ولديه معدة ضعيفة لا مكان له في السياسة. لا أعني بهذا وضعه وهو يتناول الغداء في بوفيه المحطة، فيصاب بوعكة صحية، بل أعني به عندما يعجز عن هضم أحد القرارات التي لا يرضى عنها. فعندما يتفاخر النائب، على سبيل المثال، بما حصل عليه نظير تخليص رخصة في إحدى الوزارات، وفي اليوم التالي ينتقد زميله على نفس الأمر أمام كاميرات التلفزيون، يبدو أن معدته قد انقلبت عليه، فيأخذ حبات "إنديارون" ثم يقول إن هناك ما هو أسوأ من ذلك. وعندما يحدث ما هو أسوأ من ذلك بكثير، يواصل الادعاء والشكوى، مرة تلو الأخرى. لا ينتبه إلى أنه لم ينظر إلى نفسه في المرآة منذ زمن، وإلى أن الـ"إنديارون" فقد مفعوله.

في اليونان القديمة لم يكن يحظى بالمواطنة إلا من يشارك برأيه في الشأن العام. كان شرط مشاركة الإنسان في الشأن العام هو أن يكون هو نفسه ذا رأي خاص به، وبدونه لا يشارك في الشأن العام، كان ممنوعاً على العبد أن يدلي برأيه، وكانت المواطنة قاصرة على من يشارك بصورة فاعلة. وكانوا يطلقون على المواطن الفاعل ذي الرأي "المواطن العام"- homo politicus. كان المواطن العام شخصاً يتمتع بالحرية، لا يخاف من التعبير عن رأيه في المجتمع الحر، وكان امتلاك رأي في اليونان القديمة سمة ذوي العقول والقلوب. وبدأ التبرم من أصحاب الآراء مع ظهور المسيحية، حيث تم استبدال الإنسان المفكر بالإنسان المتدين- homo credens. ووضعت النظرية المسيحية النشاط السياسي العقلاني لدولة المدينة اليونانية في إطار ديني. وعملياً اختفت الديمقراطية في العصور الوسطى نتيجة تقوية سلطة الكنيسة، واختفى معها كل رأي باستثناء رأي كبار ممثلي الكنيسة الكاثوليكية. وتنامت ضرورة امتلاك معدة جيدة في العصور الوسطى، ولم تعد الجرأة ومعها حرية

التعبير إلا مع حركة الإصلاح والتنوير البروتستانتية، فتضاءلت أهمية المعدة في السياسة لفترة ما، لكنها استردت أهميتها التي كانت عليها في العصور الوسطى مع تنامي دور الأموال في السياسة. ومن وقتها وإلى اليوم أيضاً أخذت المعدة تتأقلم مع كمية الطعام.

المؤخرة بالنسبة للسياسي الموظف أهم بكثير من المعدة، فالمؤخرة، وحسب الإنجيل، تعد جزءاً مهماً من أجزاء الإنسان. ورغم أن يوحنا أكد أنه يعني بذلك الفم، غير أن الأشياء تدخل إلى الجسد من خلال الفم، ولا تخرج منه. والواقع أن الفراعنة المصريين قد عرفوا بأن ما يخرج من الإنسان من مؤخرته أهم بكثير، فكان لديهم ذواقة للغائط. كانوا بمثابة خبراء في تشخيص الأمراض، يعرفون حالة الملك الصحية حسب طعم الغائط. كانوا لا يقلون أهمية عن الأطباء، وكان المجتمع يُكِنُّ لهم كل احتراماً وتقديراً. أطباء اليوم لا يتذوقون غائط الحكام، والحكام يموتون كما مات حكام آخرون قبلهم. لقد بالغ يوحنا في أهمية النهاية السفلية لأنبوب الهضم بكل تأكيد.

المؤخرة والفم هما نهاية لطرفي نفس الأنبوب. وإنما مجرد مصادفة أن يكون الفم حيث هو، والمؤخرة حيث هي. وحالة المؤخرة هي مجرد نتيجة لحالة الفم.

إن مؤخرات الرؤساء في السياسة ذات أهمية كبيرة، لكن مؤخرات المرءوسين لا أهمية لها. وتزداد أهمية مؤخرة رجل السياسة بصورة مطردة مع أهمية منصبه، فالعضو العادي في أحد الأحزاب لا يحتاج عملياً إلى هذا العضو، لذلك ندعو العضو العادي إلى أن يستثمر أمواله في مجفف الشعر، أو في شكل رأسه، أو في "جل" للشعر كي تنزلق الأشياء من فوقه على نحو أفضل، لكن لا يجب المبالغة في وضع الـ"جل" كي لا تنزلق أنتَ نفسك. تقول الكتب المتخصصة إن الشرط الأساسي للعمل السياسي هو أن يكون لديك عقل، ومؤخرة. ولم يتحدث أحد عن القلب.

سعادة السياسي

"أَفْضَلُ الْأَسَالِيبِ الَّتِي يُحَافِظُ بِهَا السِّيَاسِيُّ عَلَى مَاءِ وَجْهِهِ، هُوَ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى نِصْفِهِ السُّفْلِيِّ مُغْلَقًا"

مؤلف مجهول

سعادة السياسي الكبرى تتحقق عندما يشعر بالسلطة. يضع له رجال المرور مثلًا "كلابشات" على إطار سيارته عندما يقف في مكان ممنوع فيه الوقوف. وهنا تأتيه فرصته، يتصل مبتسمًا بغرفة عمليات شرطة المدينة وهو يقدم نفسه قائلاً: "أنا "سوكر" نائب في مجلس النواب السلوفاكي". يقول كلمة "نائب" عن عمد رغم أنه على ثقة كاملة بأن كل إنسان يعرفه شخصيًا، لكنه يقولها من باب الاحتياط كي لا يدفع غرامة متوقعة. يأتي رجال المرور بعد لحظات ويزيلون الغطاء عن إطار السيارة، ويعتذرون له بكل احترام. إنها اللحظات التي فيها يدرك الإنسان أهمية أن يكون نائبًا في البرلمان. مشاعر السعادة هذه لا يمكن أن يشعر بها النواب الأثرياء في البرلمان؛ لأن رجال الشرطة يخلطون بين سياراتهم وسيارات قادة عصابات المافيا. لم أسمع بعد عن رجل شرطة وضع أصفادًا على سيارة "أودي 8" أو على أحدث موديلات سيارة مرسيدس "ميتاليك".

يصاب رجل السياسة بالسعادة أيضًا عندما:

- يثنى عليه الرئيس في رسالة قصيرة بالهاتف المحمول أو شخصيًا. في حالة الثناء عليه أمام حشد من الناس يُعْمَى عليه من النشوة.
- يحصل على مكافأة مادية.
- ينال إعجاب الجماهير، والنساء منهم خاصة.
- يرى صورة له على صفحات الجرائد.

- يستمع إلى نفسه في الإذاعة.

- يرى نفسه فوق شاشات التلفزيون.

- يسافر بالقطار مجاناً.

- يظهر في مكان جَلِيٍّ في قائمة المرشحين.

- لا يرى زميله الذي يمقته في مكان واضح للعيان.

- يتعادل مع منافسه السياسي.

رغم أن كل الناس تدعي أن مولد طفل أو حفيد، أو الزواج، هو أكبر مصدر لسعادتهم، غير أن قمة سعادة السياسي تتحقق عندما يتغلب على غريمه. ويتحقق هذا الأمر عندما نراه يأسى عليه، حتى إن السياسي المحنك يذرف الدمع أثناء جنازة زميله الذي استطاع أن يهزمه. وأكثرهم حنكة هم من يذرفون دموع التماسيح، فهم يسعدون بحزنهم، غير أن التمساح لا يذرف الدموع حزناً على ضحيته، بل لأنه أدخل بفمه قطعة أكبر من حجمه، فالجرعة التي يمسك بها تضغط على الغدد الدمعية، فيعتقد الناظر أن التمساح يبكي أثناء التهامه الضحية.

السياسي والأسرة

"دَائِمًا مَا تُصَنَّفُ زَوْجَةُ رَجُلٍ السِّيَاسَةِ دَاخِلَ الْأُسْرَةِ عَلَى أَنَّهَا مِنْ طَبَقَةِ الْكَادِحِينَ"

فريدريك إنجلز

تتصدر الأسرة قائمة اهتمامات رجل السياسة طالما تحدث عنها بصورة طيبة في وسائل الإعلام طوال الوقت. يعرف رجل السياسة أن النساء ينتخبن رجال السياسة الذين يتمتعون بحياة أسرية طبيعية. إن التواجد في المجالس السياسية، وفي رئاسة الهيئات المركزية والمحلية، وحضور اجتماعات المؤسسات الرئيسية والمؤتمرات، والتردد على النوادي السياسية والمؤتمرات الصحفية، والظهور في المناسبات الخيرية، والاشتراك في افتتاح قطاعات من الطرق السريعة، والسفر في رحلات عمل خارجية وداخلية، كلها تمنع رجل السياسة من الاستمتاع بالحياة الأسرية. وكلمما خلت حياة رجل السياسة من نظام عائلي طبيعي ازداد حديثه عنها. وعندما يقترب موعد الانتخابات يُحَسِّنُ علاقته بأسرته، ويظهر مع زوجته في وسائل الإعلام وهما يتسلمان في وجه الكاميرات والمصورين. يسمح لهم بأن يصوروه وهو يقف في المطبخ ويغسل الأواني، وأيضًا وهو في فناء البيت يقطع الأخشاب ويرتب المنزل ويجتاز الحشائش، أو يصنع النقانق في البيت. ودائمًا ما تظهر زوجته بجواره وهي مبتسمة. ويفضل أن يكون في أسرة رجل السياسة أحد المعاقين بدنيًا، فالناس تحب أن تبدي الحزن على شخص ما.

الأسرة مهمة أيضًا كي يجد رجل السياسة سببًا للانصراف، فغالبًا ما تتخذ القرارات السياسية، أو التصويت عليها، أو أي خطب أمام الجماهير مخالفة لضميره؛ لذلك يحتاج إلى أن يجد متنفسًا. والأسرة هي المكان المثالي لهذا الهروب، فالسياسي في حاجة إلى شخص يلعبه، بما أن رئيسه قد وبخه سابقًا. الزوجة الخبيرة لا تصد زوجها السياسي، ولا تعلق بعبارات مثل: "هل وبَّخك هذا العجوز من جديد!...!"؛ لأنها تعرف أن هذا قد يستفزه ويزعجه.

الدور المهم للأسرة هو إيجاد الذرائع نيابة عن السياسي. الأسر المحكنة تضع للذرائع أرقامًا، فأحيانًا يحدث ألا تفهم الزوجة إشارات زوجها بعد أن ترفع سماعة التليفون، وبدلاً من أن تقول "إنه عند طبيب الأسنان"، تقول إنه في البرلمان، عندما يشير زوجها إلى فمه، لذلك تقوم الزوجات بعمل قائمة بالذرائع وترقمها، وعندما يرنُّ الهاتف فقط يشير زوجها بإصبعه على رقم العذر.

أخيراً وليس آخراً، يكمن دور الأسرة أيضاً في أنها تسمح للزوج السياسي بأن يشكرها في وسائل الإعلام على التفاهم، وتهيئة البيئة له لممارسة مسئولياته وأنشطته، أما السياسيون الذين يعيشون وحدهم فهم مساكين.

السياسة والجنس

"الجماع لا أقدم له"

ستانو راديتش

النكاح هو أكثر الأساليب نجاحًا في مجال السياسة لتحقيق الشعبية. فلو أن رجل السياسة رفع درجة نشاطه الجنسي إلى درجة ممتاز، يمكنه أن يتوقع أن تكتب عنه الصحفية التي مارسه معها كلمات طيبة. لا يجب أن يقتصر رجل السياسة على ممارسة الجنس مع زوجته، فهذا يضاعف من شعبيته، ودعم الرأي العام له؛ لأن الاقتصار على ممارسة الجنس مع الزوجة أمر يجيده أي شخص تافه. لكن أن يُمسك به وهو يمارسه مع سكرتيرته أو مساعدته فهذا له تأثير مختلف تمامًا. هناك مثال رائع على هذا، وهو فضيحة "وايت ووترجيت" المعروفة باسم فضيحة "مونيكاجيت". لقد اختلط الأمر على مونيك لوينسكي، سكرتيرة الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون، وبدلاً من ممارسة الجنس الفموي بالسيجارة، مارسته مع العضو الذكري للرئيس. وعندما انتشرت الفضيحة، وألقى الرئيس بشهادته أمام لجنة الفيدرالية العليا، أكد في بادئ الأمر أنه كان غارقاً في العمل إلى درجة أنه لم يلاحظ ما تفعله مونيك بقضيبه، وقال إن مونيك كانت على علاقة "غير مناسبة" مع قضيبه. أصدرت اللجنة حكمها بأن "بيل" كاذب، لكنه اتضح لاحقاً بأنه كان على حق. فعندما تقوم السكرتيرة بممارسة الجنس الفموي مع قضيبك وأنت غارق في العمل من أجل صالح الوطن، فهذا أمر محمود. لكن بيل كان يلقي بشهادته وهو تحت القسم، فنجاً بنفسه. ثمّن الأمريكيون صراحته بأن تركوه في منصبه حتى نهاية مدته الرئاسية. فلو أن مونيك مارس الجنس الفموي مع الرئيس المنشغل بمتابعة مباراة البيسبول وليس أثناء العمل من أجل صالح الأمة الأمريكية لاختلف الأمر، فكل ما في الأمر أنها قاطعته أثناء عمله من أجل صالح الشعب بشكل متكرر لمدة ستة أشهر، من نوفمبر 1995 حتى إبريل 1996. ما حدث هو أن الأمريكيين أدانوا مونيكاً على الملأ، أما بيل فقد تركوه يواصل عمله في المكتب البيضاوي. يجب أن يتعلم كل مبتدئ في السياسة من قضية بيل كلينتون، ويهتم بإقامة علاقة حميمة مع سكرتيراته بصورة مسؤولة. لا يجب أن تهاب هذا الأمر، فيمكنك أن تمارس الجنس على نحو مسئول حتى في أماكن أخرى وليس في البيت الأبيض فقط.

سجل الملك الإنجليزي "هنري الثامن" رقمًا قياسيًا في الجنس، فقد كان لديه ست زوجات. أما المستشار الألماني "جيرهارد شرودر" فكان يملك أربعًا. ومن الورد، نظرًا

لأنه بلغ السادسة والخمسين، أنه قد تفوق على "هنري"، فليده فضلاً عن ذلك ميزة أنه ليس مضطراً إلى أن يعدم زوجته.

الجنس لا ينفصل عن الأموال، فأنت لا تفكر فيه إلا عندما لا يكون في متناول يديك. وغالباً لا يكون متاحاً عندما تفتقد المال، خاصة عندما يتقدم بك العمر، ولم تكن قد ادخرت منه شيئاً. ومن ناحية أخرى، عندما يتوفر لك ممارسة الجنس تفكر في المال، وإن توفر المال تفكر في الجنس. يجب أن أضيف أن الجنس في السياسة عندنا نادر، كما هو الحال في الحياة العادية، فالرجال في الحياة العادية لا يفكرون إلا في العمل، وفي سعادة المحيطين بهم، هكذا هو الأمر أيضاً في السياسة.

وعندما يحدث أن يقيم رجل السياسة علاقة حميمة مع امرأة، فلا يشكل هذا أية مشكلة طالما لم تعرف زوجته بالأمر بالطبع. لا تعرف زوجته طالما لم يصل الأمر إلى الصحفيين. وبما أن وسائل الإعلام السلوفاكية لم تكتشف حتى اليوم أية فضيحة جنسية سياسية، فمن الواضح أن الفضائح الجنسية لا وجود لها عندنا، ومن المستحيل ألا تعرف عنها مجلة "نوفي تشاص" أو "بلاص سدوم دني". كانت هناك محاولات يائسة لإثارة أكبر شكوك جنسية في السياسة السلوفاكية في حق "فيتسو" و"كاليناك"، لكنها لم تنجح، وما كان لها أن تنجح؛ لأن الكل يعرف أن واجبات العمل تأتي في مقدمة أولويات "فيتسو" و"كاليناك"، ثم من بعدها المرح. إن الصور التي ظهر فيها كلا الرجلين بصحبة سيدة مجهولة لا تؤكد أي شيء غير اعتيادي. ربما كانت غير عادية لو أن الرجلين ظهرا معاً بصحبة تلك السيدة، أو بدونها وهما يتجولان معاً، ويمسك كل منهما بيد الآخر. وقد تكون فضيحة كبرى لو أن أحد الرجلين تأبط ذراع "ميكولاش دزوريندا" أو "فلاديمير بالكو". بالفعل قد تكون فضيحة كبرى أن يظهر سياسيون من أحزاب سياسية مختلفة وأحدهما يمسك بذراع الآخر. وحيث إن لا "بلاص سدوم دني" ولا "نوفي تشاص" لم يكتشفا شيئاً كهذا، فيجب أن تنام سلوفاكيا قريرة العين لأنه لا وجود لشيء كهذا.

ترشح في الانتخابات التشريكية عام 1998 حزب المبادرة الجنسية المستقلة، وحصل على نسبة واحد في المئة فقط. فقط واحد في المئة من الناخبين التشيك أعطى صوته لحزب يدعم ممارسة الجنس. كذلك كشف التشيك عن علاقتهم الإيجابية بالبيرة، فقد حصل حزب أصدقاء البيرة على نسبة اثنين في المئة فقط، لكن لم يسقط التشيك في العار لأن أصدقاء البيرة حصلوا على نسبة مئة في المئة أكثر من أصدقاء الجنس.

السياسي والخمير

"الامْتِنَاعُ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ أَمْرٌ جَيِّدٌ، لَكِنْ لَا يَجِبُ الْمُبَالَغَةُ فِي هَذَا الْأَمْرِ"

مؤلف مجهول

لا يقلل الكحول في السياسة أهمية عنه في الحياة العادية، فالناس تشرب في أماكن عملها، وفي المصانع، وفي إدارات التحرير، وفي المؤسسات العامة، وأيضاً في الهيئات السياسية. أكثر من ينتقد السياسيين الذين يشربون الخمر هم مواطنون يشربون الخمر. حلّ رئيس غينيا الاستوائية "تيودورو أوبيانج نجويما" قضية معاقرة المواطنين للخمر بصورة حاسمة عندما منع فقراء بلده من شرب الكحول بحجة أن "الفقراء ليس لديهم سبب لشرب الخمر". وبالفعل، توقف مواطنو غينيا الاستوائية عن الشرب. حاول الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف شيئاً مماثلاً في بداية "البروسترويكا"، وأدت محاولاته إلى اختفاء جميع أنواع العطور من المتاجر السوفيتية، ومن بعدها مساحيق التنظيف والأدوية التي كانت تحتوي على نسبة ما من المواد الكحولية. وعندما اختفت المواد الكحولية بدأ الروس بصورة جماعية في استنشاق الغاز المتصاعد من بنزين الحافلات؛ لأنه يحتوي أيضاً على الكحول. وعندما نقصت الغازات المتصاعدة من الحافلات تأكد المكتب السياسي أن ميخائيل جورباتشوف فقد شرعيته، فأقالوه من منصبه.

تمكن المحافظون الأمريكيون من إضافة 18 مادة إلى دستور الولايات المتحدة الأمريكية تمنع توزيع وبيع المشروبات الكحولية، ومنذ إقرار تلك المواد في الدستور والمحافظون الأمريكيون يشربون الخمر سراً.

تقوم كل شركة من وقت لآخر بتنظيم لقاءات وورش عمل ومنتديات لموظفيها. وكانت المنتديات تنظم حتى عند الإغريق، وكان المنتدى بمثابة وليمة يأكلون ويشربون طوال فترة انعقادها، وكان المشاركون في المنتدى يختارون رئيساً لهم يقوم بتحديد نسب خلط النبيذ بالماء. كان اليونانيون يعتبرون شرب النبيذ الخالص من الأعمال البربرية؛ لذلك كانوا

يحتاجون إلى وقت أطول ليعتدل مزاجهم. وقتها كان الزمن يمر بطيئًا، أما اليوم فيمكننا أن نعتبر لقاء اثنين أو أكثر منتدًى. لم أسمع عن لقاء عمل لا ينتهي بتقديم الخمر، لكن غالبًا ما يقدم الخمر في بداية اللقاءات، والغداء أو العشاء، وفي الدول الأكثر تقدمًا نرى الخمر مع وجبة الإفطار. لا أدري لماذا ينظم العلماء أكثر من غيرهم تلك المنتديات؟

في بوفيه مجلس النواب السلوفاكي لا يقدمون أية خمور باستثناء كتوس بيرة صغيرة ماركة "زلاتي باشانت". لكن النواب يحاولون حل هذه المعضلة قدر المستطاع. كثير منهم يضطرون إلى تهريب الخمر إلى مبنى البرلمان، يتناولون جرعات صغيرة منه في مطعم البرلمان المسمى "برلامتيكا"، وهو على بعد متر واحد من المدخل الجانبي إلى البرلمان، ويأخذونها معهم في بطونهم.

يتناول رجل السياسة كأسًا أو كأسين أو ثلاث كتوس عندما يجد في نفسه الحاجة إلى التحلي ببعض الجرأة، فالسياسي في حاجة إلى التحلي بالجرأة طوال الوقت تقريبًا، قبل لقائه برئيسه، وقبل الظهور أمام كاميرات التلفزيون، أو قبل إلقاء خطابه في جلسة مجلس النواب. السياسي ما هو إلا بشر، يتنابه المزاج العصبي، ويجف فمه قبل الظهور الرسمي. وحسب عقيدة المواطنين فهو يتناول كأسًا لقدمه اليمني، ثم اليسرى، وعلى الفور تأتيه الشجاعة.

اللافت للنظر أن إعجاب المواطنين بالسياسي لا يمنعهم منه أنه لا يشرب. من المعروف عن "فلاديمير ميتشيار" أنه لا يشرب الخمر، ورغم ذلك تقول عنه غالبية السلوفاك إنه "رجلنا المفضل رغم أنه لا يشرب".

السياسي والشخصية

"الشَّعْبُ السُّلُوفَاكِيُّ شَعْبٌ غَيْبِي بِالْفِطْرَةِ.. أَقْسِمُ أَنِّي سَابَقِي عَلَى الْعَهْدِ"

يان سلوتا

عندما سألوا ستالين في مدينة يالطا: لماذا لم يدعُ بابا الفاتيكان؟ أجاب: "كم فرقة عسكرية يمتلكها البابا؟". إن منطق القوة أقوى من منطق العقل.

نحن ننتقد السياسيين بأنهم تعوزهم الشخصية، وفي نفس الوقت لا ننظر إلى أنفسنا. إن شخصيتنا عادة لا تظهر إلا عند مواجهة السلطة، فالسلطة تؤثر على طبيعة البشر على طريقة الطرد المركزي غالبًا، أو أحيانًا العكس. فعملية السحب المركزي تؤثر على المحترفين إلى أن يتقبلهم النظام، أو يرفضهم، ثم تبدأ من بعدها عملية الطرد المركزي، والأمثلة على ذلك كثيرة، وخاصة بين الفنانين الذين تنشط جهودهم للبقاء في قمة المجد. فقد قال "بيرتولد برخت" بعد وفاة ستالين: "نعدكم أننا سنحول تعاليم ستالين إلى واقع من خلال أعمالنا، وسوف نظل أوفياء لعبقريته". كما أنشد "بابلو نيرودا" قائلاً: "ستالين هو شمس الظهيرة الساطعة، ضياء الشعوب والأوطان". كما ألقى "جورج برنارد شو" بحقيبة طعامه من نافذة قطار كان يستقله أثناء رحلة له إلى روسيا في عام 1930، وقت أن كان ملايين الروس والأوكرانيين يموتون جوعًا، وقال: "من ذا الذي يرغب في أن يحمل معه خبزًا وزبدًا وهو في الجنة؟!". "كان" جان بول سارتر "متيمًا بـ"فيدل كاسترو"، وألف "سلمان رشدي" الأناشيد في مدح ديكتاتور نيكاراجوا، وأيضًا علق "جراهام جرين" والدموع تترقق في عينيه على خطاب السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي. لم يكن أيُّ من صناع الثقافة العالمية هؤلاء بلا شخصية. لقد آمنوا، وهل من آمن بشيء يمكن أن يكون بدون شخصية؟

انتقد "ماريان لابودا" من على المنصة في نوفمبر 1989 الزعيم الشيوعي السابق قائلاً: "لقد سرقتم منا وجوهنا!". فهمت من كلامه أن أحدهم يمكنه - فضلًا عن أموالك وساعة

يدك أو حتى دراجتك- أن يسرق وجهك أيضًا رغماً عنك.

إن شخصية رجل السياسة لا تظهر إلا عندما ينتهي عمله بالسياسة، إنها اللحظة المناسبة التي يظهر فيها مدى ولاءه للرئيس وللحزب، فتتجلى أمام الرؤساء حقيقة مُرة بأن أكثر تابعيهم كانوا يتصنعون تلك التبعية، وما إن تتسنى لهم فرصة ألا يكونوا تابعين حتى يغيروا آراءهم في رؤسهم بصورة مدوية. كان القراصنة الإسكندنافيون القدامى يطلقون على أمثال هؤلاء السياسيين اسم "المسعورون". هؤلاء المسعورون كانوا قتلة، ومتعصبين، ومقاتلين مخلصين لقادتهم، لم يلجئوا يوماً إلى ارتداء الدروع، أو القمصان المحبوكة من الأسلاك. وفي يومنا هذا، هناك سياسيون مقاتلون يدينون بالولاء الشديد لقادتهم حتى يأتيهم قائد جديد.

لغة رجل السياسة

"السِّيَاسَةُ جَنَّةُ الْمُتَبَجِّحِينَ"

جورج برنارد شو

"أسير على خُطَى الحقير الذي سبقني!". هذا ما قاله ثالث رئيس للجمهورية السلوفاكية الثانية عن أول رئيس للجمهورية الثانية قبل أن يصبح رئيسًا. "إنه ابن زانية!"، هكذا نعت أحد وزراء الحكومة السلوفاكية رئيس البرلمان السلوفاكي. وقال رئيس البرلمان السلوفاكي واصفًا أحد نوابه: "ولد حقير، ابن داعرة!". يجب أن ينتبه السياسي إلى ما ينطق به، فكل كلمة منه يتلقفها الصحفيون، وربما يقول شيئًا لطيفًا في غياب الصحفيين، فيصير التاريخ فقيرًا. عليك أن تنتبه إلى طريقة مخاطبة زملاء، فرجل السياسة الذي يخاطب زملاءه بعبارات مثل: "السيد الزميل العزيز"، لا ينتبه إليه أحد. لكن عندما يقول: "أمش من هنا يا حيوان يا قذر، يا ابن الشرموطة!" كما قالها ذات يوم رئيس الحزب الوطني السلوفاكي لأحد الصحفيين، عندها ستلفت انتباه كثير من المواطنين.

السياسيون الجديرون بالانتباه يستخدمون عبارات لا يعرفون فحواها، مثل التضخم، وإجمالي الدخل القومي، معايير معاهدة ماستريخت، والصناديق الهيكلية، والصناديق الملتحمة، والدَّين، والانكماش الاقتصادي، والنمو الاقتصادي، والسياسة المالية، والعملات الأجنبية، والخصخصة، والمقاصة التجارية، وعائد الأسهم، وحقبة وزارية، وتعويم العملة، وميزان المدفوعات، الخ. يستخدم السياسيون هذه الكلمات بكل ثقة معتمدين على أن المواطنين أيضًا لا يفهمونها مثلهم.

السياسي العاقل يستخدم على الملأ لغة لطيفة وناعمة، فلا يقول إن الوزير الفلاني قد سرق، بل يقول بكل لطف: إن الوزير الفلاني متهم من بسوء استخدام سلطاته. لا يقول: إنني تقاضيت رشوة، بل يقول: لا تعليق. يطلقون على التعبيرات التي تخفف من حدة الموقف محسنات لفظية، وهي مفضلة في مجال السياسة، فعندما يقولون "إن السودان

يعاني أزمة إنسانية"، فهذا يعني أن مليون شخص قُتل في السودان. وعندما يقولون "إن البنك قدم قرضًا غير آمن"، فهذا يعني أنه قدم قرضًا مقابل رشوة ضخمة. وعندما يقولون "إن السيد فلانًا قد أهدر أموال الصندوق"، فهذا يعني أن السيد فلان قد سرق كل أموال الصندوق. وعندما يقولون: "لقد اتفقنا على مواصلة توطيد العلاقات"، فهذا يعني أنهم لم يتفقوا على شيء. وعندما يقولون: "لقد ناقشنا القضايا محل الاهتمام المشترك"، فهذا يعني أن اللقاء كان بلا طائل. وعندما يقول أحدهم: "أعتقد أننا توصلنا إلى حل يناسب الطرفين"، فمعناه أننا لم نتوصل إلى أي حل. وعندما يقولون "إن الوضع معقد، لكننا على الطريق الصحيح"، فمعناه أننا لا نعرف حلًا لمشكلة.

ويجب أن أقول هنا دفاعًا عن غموض لغة رجال السياسة، إنه بدون هذا الغموض قد تظهر النزاعات قبل أوانها.

إن إتقان اللغات الأجنبية تحدُّ لرجال السياسة، فقد كان كل من لا يتقن اللغة اليونانية عند الإغريق يعتبر بربريًا. كذلك هو حال السلوفاك، ففي بداية عام 2006 أجرت مؤسسة Eurostat دراسة عن قدرات مواطني الأمم الأوروبية على التفاهم بلغة أجنبية، وقد تصدر السلوفاك هذه الدراسة، حيث قال 67 في المئة إنهم يتقنون لغة أجنبية واحدة على الأقل، واتضح أن هذه اللغة هي اللغة التشيكية. ولو قال مواطنو صربيا أن اللغة الكرواتية لغة أجنبية، ولو أعلن الكروات أن اللغة الصربية هي لغة أجنبية لقضي علينا.

إن قدرة السلوفاك على تعلُّم اللغات الأجنبية نادرة، وتفوق قدرة المجريين، على سبيل المثال، بنسبة مئة في المئة. فلو أن أحد مواطني جنوب سلوفاكيا السلوفاك تزوج من امرأة مجرية، فإنه يتقن اللغة المجرية بعد عشرة أعوام، في الوقت الذي لا تتمكّن فيه زوجته من نطق كلمة سلوفاكية واحدة. لا يجب أن نأسى على عدم إتقاننا للغات الأجنبية، حيث إن السياسيين السلوفاك يضافون إلى قائمة كبار السياسيين الذين لا يجيدون اللغات الأجنبية، ومنهم المستشار الألماني "هلموت كول"، والرئيس الأمريكي "بوش"، والرئيس الفرنسي "جورج بومبيدو"، وملك إنجلترا "يوري الأول"، وغيرهم.

أيضًا من التحديات التي تواجه مواطني بعض البلدان إتقان اللغة الأم وليس فقط اللغات الأجنبية. لا يجيد الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية سوى 30 مليونًا من بين 280 مليون شخص، ولو أضفنا إليهم 23 مليون أمريكي فس نجد أن هذا الرقم يمثل الديمقراطية الأمريكية في أعلى درجاتها، وهي الديمقراطية التي تمنح نفس الحقوق المدنية للأمين

أيضاً. نجد في مدينة نيويورك مثلاً، أو ديترويت، أو ميامي أكثر من نصف المواطنين البالغين لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ورغم ذلك لا يشكو أحد. يوجد في السنغال مجموعة مؤثرة من الصوفييين الإسلاميين المتشددين (المرابطون)، هؤلاء يُكِنُّ لهم ثلثا المواطنين السنغال كل الحب، وثلثا المواطنين أميون، وكذلك ثلثا المرابطين، ويحاربون الأمية. إن غير المتعلمين في نيويورك، وديترويت، وحتى في السنغال، يحظون بميزة مقارنةً بالمتعلمين، فلا يشغلون بالهم بقراءة الكتيبات، ويستهلكون كل ما يظهر في إعلانات التلفزيون، وهذا هو المطلوب.

الفصل الثامن

اطلب النصيحة

كيف تصنع لنفسك مستقبلاً في السياسة؟

شروط العمل السياسي

"العَمَلُ فِي الحَقْلِ السِّيَاسِيِّ يَعْنِي أَنْ تَحْطَى بِفُرْصَةٍ فِي التَّحَكُّمِ فِي مَصَائِرِ الآخَرِينَ، وَتَفْقِدَ إِمْكَانِيَّةَ التَّحَكُّمِ فِي مَصِيرِكَ أَنْتَ نَفْسَكَ"

مؤلف مجهول

يشير التعبير الإنجليزي الذي يستخدم في حدائق الحيوان carrier إلى نوع من الحمام المنزلي ذي منقار طويل وحوصله ضخمة. وفي اللغة الروسية تعني كلمة "كارير": ذلك الجزء من المستنقع الذي يستخرجون منه النباتات المتفحمة. والنباتات المتفحمة عبارة عن مادة تنشأ نتيجة تحلل الأجزاء العضوية. أما اللغة الفرنسية فتقترب كثيراً من التعريف الدقيق لكلمة carrier. فالفرنسيون يعرفون "الكارير" بأنه تدرج وظيفي ناجح. أما الإنجليزية فهي تقدم تعريفاً دقيقاً للكلمة. فـ"الكارير" هو الشخص الذي لا تبدو عليه أية أعراض مرضية، رغم أنه يحمل الأمراض الوراثية. الكارير من وجهة النظر الإنجليزية الفرنسية هو "تدرج وظيفي ناجح يبدو وكأنه مرض وراثي". وليس مهماً أن يكون الشخص المجتهد على علم به.

غالبية الناس غير راضية عن عملها، وترغب في تغييره، أما السياسي فلا يغيره تحت أي ظرف. ورغم أنني لست واثقاً من أن كلمة "وظيفة" تنطبق على السياسة، وكلمة "عمل" أيضاً لا تفي بالغرض، ولا يمكن أن نطلق عليها "حرفة"، فأنا لا أتخيل سياسياً يُحضر خمس زجاجات من البيرة ويجلس أمام التلفزيون مساءً بعد يوم قضاها جالساً في البرلمان ويقول: "لقد بذلت اليوم جهداً كبيراً في العمل". أعتقد أن كلمة "مهنة" هي الأنسب، فصاحب المهنة هو كل رجل قادر على أن ينجز أي شيء بمقابل مادي.

يوجد الكثير من الشروط الواجب توافرها لممارسة مهنة السياسة بنجاح، كأن تكون ابناً لأحد الملوك، أو القياصرة، أو الأمراء، أو أي حاكم آخر، وبصفتك القائد العام لجيش إحدى الدول الإفريقية تقوم بحل الحكومة، أو أن يتبنأك ديكتاتور يحكم مدى الحياة. أما عندنا فيمكنك أن تصل إلى السلطة بأن تجدها ملقاة فوق الأرض، أو تلتزم بالنصائح التي سيأتي ذكرها في الفصول التالية.

خَيْلَ لي بناء على ملاحظاتي أثناء العمل في مجال السياسة أن الشرط الرئيسي للعمل السياسي الناجح هو بناء علاقة فاترة تجاه العمل، وتأسيس علاقة فاترة تجاه العمل ليس بالأمر السهل، لكن يمكنك بالتدريب الجاد أن تبنيها، وبنفس الطريقة يمكنك أن تبني علاقة حميمة بالعمل. الشروط الرائعة لبناء علاقة فاترة تجاه العمل تتحقق:

- لو أنك وُلِدْتَ بيدين أيسرين.
- أو كنت وريثاً للعرش.
- أو أن القدر وهبك عصاً سحرية وأنت في المهد.
- أو أن القدر منحك زجاجة خمر وأنت في مهدك.
- أو أن أمك أرضعتك منها بدلاً من لبن ثديها.
- لو أنك قضيت طفولتك وأنت تردد: "المجد للعمل!".
- لو أنك قضيت من ثماني ساعات إلى اثنتي عشرة ساعة يومياً تشاهد التلفزيون.
- لو أنك قضيت في البار من ثماني ساعات إلى اثنتي عشرة ساعة يومياً.
- لو أنك قضيت شبابك في مصحة إصلاح وتهذيب.
- لو أنك كنت عاملاً إبان النظام الاشتراكي الحقيقي.
- لو أنك كنت في حياتك السابقة منجلاً أو مطرقة.

لا تنخدع عندما تظهر البثور في وجهك وأنت تفكر في العمل، ستأتي اللحظة التي تبدأ فيها علاقتك الفاترة بالعمل في الظهور بشكل واضح ونهائي، وربما تصل إلى السلبية في مرحلة محددة، وهي عندما تبدأ في التبول اللاإرادي حين تفكر في العمل. جراحو الجهاز البولي في المجر يطلقون على هذه الحالة *ora urinialis*. وسيقول لك أي خبير إنها اللحظة المثالية للدخول إلى عالم السياسة، وقد ذكرت المراجع أشخاصاً خافوا من العمل أكثر من خوفهم من الموت.

الرجل المهني إذن ليس من نوع الحمام المنزلي ذي المنقار الطويل الذي يتحرك في بيئة متعفنة، بل هو إنسان يتسلق ليصل إلى قمة السلطة. لو وجدت هذا في نفسك فافعل كما يقول الألمان: "Drang nach der Macht"، أي انطلق نحو السلطة. لو كنت جاهزاً للانخراط في مجموعات مصالح، انسَ حريتك في اتخاذ القرارات، واحنِ ظهرك، وهنا يمكنك أن تدخل إلى عالم السياسة، فالسلطة تفتح لك ذراعيها.

دور الرئيس في حياتك المهنية

"لَوْ سَأَلَكَ الرَّئِيسُ عَن رَأْيِكَ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَرْغَبُ فِي أَنْ تَتَّفِقَ مَعَهُ فِي الرَّأْيِ"

شيستر فيلد

يلعب الرئيس دورًا محوريًا في مسيرتك المهنية في العمل السياسي، كلمة واحدة سلبية منه يمكنها أن تحول مستقبلك إلى ماضٍ. الشرط الرئيسي لامتهان السياسة هو أن تنال رضا رئيسك عنك، وكونك من المفضلين لديه يتضح من سلوك زملائك نحوك إلى حد كبير، فلو تمكنت من نيل رضا رئيسك عنك فعليًا أن تُظهر هذا على الملأ، بأن تُحدِّث عنه في غيابه بأن تذكره باسمه الأول، كأن تقول: "فلادو"، أو "ستارو"، أو "ميكى"، أو "بالو"، أو "بيلو"، أو "روبكو"، أو صديقي الرئيس، الخ. لكن في حضوره خاطبه بصورة رسمية بأن تقول: "فلاديمير"، أو "بالو"، أو "روبرت"، أو "ميكولاش". لو خاطبك رئيسك باسمك الأول فسيكون هذا دليلًا دامغًا على أنه يعتبرك من المقربين منه، ويشير أيضًا إلى أنكما قد ثملتما معًا مؤخرًا، وهذا فوز عظيم. في هذه اللحظة يبدأ الآخرون في طلب ودِّك. دورك الأساسي أن تحافظ على ودِّ رئيسك أطول فترة ممكنة، ولو استطعت مدى الحياة.

ومن الممكن أن تخسر إعجاب الرئيس بك، وغالبًا لن تعرف أبدًا السبب الذي أدى إلى ذلك، لكن ستلاحظ أن الرئيس لا يرد على مكالماتك، ولا الرسائل النصية، ويبدأ في مخاطبتك بلقبك. إن فقدان تأييد الرئيس يعد ثاني أكبر الكوارث في أسرة رجل السياسة بعد إبعاده عن مكانة متقدمة في القائمة الانتخابية الحزبية. كل كارثة منهما على صلة قريبة بالأخرى. ففقدان استحسان الرئيس لك مرتبط أيضًا بالاحتقار من جانب زملاء كانوا يداهنونك من قبل، وقت أن كنت تحظى برضا الرئيس. لكن لا داعي لليأس، فلا يمكن التنبؤ بما سيفعله الله ولا الرئيس. حاول أن تعرف من هو الرئيس القادم، وكرر عملية استرضائه مع تجنب الأخطاء السابقة، ابدأ قبل أن يصبح المرشح لمنصب الرئيس رئيسًا بالفعل، فليس هناك ما تخسره؛ لأنك على أية حال فقدت تأييد الرئيس الحالي لك.

الحقيقة دائماً لها رئيس

"الرئيس لِعُضْوِ الحِزْبِ: لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ رَأْيَكَ، سَأُخْبِرُكَ بِهِ!"

مؤلف مجهول

البديهيّات هي الأشياء المسلّم بها في المطلق، ولا يختبر أحد مصداقيتها، ومن هذه البديهيّات أن "الأرض كروية"، وأن "الله أكبر"، أو أن "اللون الأزرق جميل". من البديهيّات أيضاً أن "الرئيس دائماً على حق". لم ألتق على مدى أربع سنوات مع ما يشير إلى أن المدير، أو القائد أو الرئيس، لم يكن على حق. لذلك كانت البديهيّات بديهيّات؛ لأنها تسري بلا شروط.

فلا تراودك نفسك يوماً أن تتجادل مع الرئيس. قد يحدث أن تلعب مع الرئيس مباراة كرة قدم فيحرز في مرماه هدفاً. عليك أن تبتهج وتتظاهر بأنه أحرزه في مرمى خصمه، ولو قال الرئيس إن تركيا تحدها من الشرق أفغانستان، فاتصل فوراً بالسفارة التركية، واطلب منهم أن يسيطروا على إيران. وعندما يفتتح الرئيس الجلسة التي تسبق الانتخابات في مدينة "سيريد" بكلمات مثل: "أعزائي المجانين"، على الفور اطلب من مواطني "سيريد" المتجمهرين أن يغلقوا أفواههم ولا يستفزوا الرئيس. الرئيس على حق حتى لو قال إن الأرض على شكل المعين، أو إن الشمس تشرق من الغرب. عليك أن تصدق كل ما يقوله وتؤمن عليه بلا أي شرط. اعلم أن شكل الأرض، وشروق الشمس، لا قيمة لهما على الإطلاق مقارنة بمستقبلك المهني.

الخطأ الكبير الذي يرتكبه أغبياء السياسة، للصالح العام، أو محاولة للتقرب من الرئيس، هو أنهم يستخدمون تعليقا على كلامه عبارة غادرة: "إنه كذلك، تماماً كما قال السيد الرئيس، ولكنني أحب أن أضيف...". هذه العبارة تعني أن الأمر يختلف تماماً عما قاله الرئيس، ورغم أن الحاضرين يعرفون ذلك، لكن الغبي فقط هو من يسمح لنفسه أن يجاهر بهذا الأمر.

ممنوع أن تزايد على كلام الرئيس، أو تسأله، فأى سؤال توجهه له يمكن أن يفهم على نحو مغاير. لا تسأله: "من يحيك لك ملابسك التي تبدو دائماً أنيقة؟"، أو "أنت رجل مثقف بالفعل، ما هي المكتبة التي تتردد عليها؟"، أو "ماذا تفعل لتجعل كل السيدات يعجبين بك؟". كل سؤال من هذه الأسئلة يمكن أن يفهمه الرئيس على أنك تسخر منه.

كيف تحظى بتأييد الرئيس

"لَا أُرِيدُ أَنْ أَجْمَعَ مِنْ حَوْلِي مَنْ يَهْلُلُ لِي. أُرِيدُ أَنْ يُصَارِحَنِي النَّاسُ بِالْحَقِيقَةِ، حَتَّى لَوْ كَلَّفَهُمْ ذَلِكَ مَنْصِبَهُمْ"

صامويل جولدوين

لا تُظهِرِ مطلقاً للرئيس أنك تتفوق عليه في شيء، لو كنت أطول منه بعشرين سنتيمتراً فأَمْشِ بجانبه منحنيًا، ولو كنتَ أَسْمَنُ منه بخمسين كيلوجرامًا، اسحب معدتك كي تبدو أقل منه نحافة. ليس الأمر سهلًا، لكن طالما أردت أن تصنع لنفسك مستقبلًا في السياسة فعليك أن تتحمل الأمر. لو حدث أنك لا تعاني من نواقص ما، فعليك أن تخلق بعضها. اعرج في مشيتك، بلل ملابسك، أو تظاهر بأنك تعاني نوبات صرع. كل هذا سيثير في نفس رئيسك الشفقة عليك. الرؤساء يحبون الناس الذين يستدعون الشفقة عليهم، قد يحدث أن يدعوك رئيسك بعد نوبة كهذه إلى أن تجلس في سيارته، وهو فوز كبير، فإراك على الأقل بعض أعضاء المجلس الرئاسي.

أوصيك أن ترسل لرئيسك كل يوم باقة زهور كي تنال إعجابه، وهو من الأساليب الناجعة، لكن احترس من أن ترسل له وردًا كي لا يعتقد أنك متيم به. الموقف قد يختلف لو كان الرئيس مثليًا، فهذه حالة لا يمكن تخيلها في سلوفاكيا. على أي حال لا ترسل باقات الزهور إلى زوجة الرئيس، فقد يفسر الأمر على نحو خاطئ. إن إرسال الزهور إلى الرئيس مفيد له؛ لأنه يأخذها إلى زوجته التي في المقابل تعفيه من بعض الأعمال المنزلية.

اكتب قصيدة عصماء في حق الرئيس. لو لم تكن تتمتع بموهبة في نظم الشعر، الجأ إلى الأشعار الكلاسيكية. على سبيل المثال:

أنا من يشناق إلى الجمال

أَنْشُدُ الْحُسْنَ.. سعيدٌ

وروحى في ذاك الصّدَى
وعالمي كله مُوصدٌ
يهل عليّ من أعالي تاترا
ومن نيران السماوات يطير
هو رب هذه العوالم يرأسني
ويومئ نحوي من مئة حياة
هو المركز، والأساس، والسما
هو رئيسي، وبهجة الحياة

هذه القصيدة قد عدّلتُ من قبل لصالح رئيس آخر. لو لم تتمكن من كتابة قصيدة، ولو لم تسعفك القصائد الكلاسيكية، حاول باستخدام النثر أن تنال إعجابه. أحرز نجاحًا في جمع الأوراق القديمة، وانسب الفضل في ذلك للرئيس، تأكد من باب الاحتياط من أنه لم يشارك هو الآخر في جمع الأوراق القديمة، فلو شارك، فعليك أن تجمع ما يقل وزنه عمّا جمعه هو.

لا تُلَقِ النكات في حضرة الرئيس. لو حاولت أن تتندر حاول أن تفسد النكتة، وأعرب في بدايتها عن مضمونها. اعرق، واسعل، واضرب على جبينك لتثبت أنك لا تتذكر شيئًا. من المؤكد أن الرئيس سوف يلهو بك، وسيبدأ هو نفسه في إلقاء النكات. لو أنه أخبر عشرة مرات عن مغزى النكتة، أو لو أنك قد سمعتها من قبل مئة مرة، وخمسين مرة منه هو شخصيًا فتلّو فوق الأرض من الضحك، حتى لو لم تكن هناك أرض قريبة تتلوى عليها، واصرخ من وقت لآخر، وقل: "أنا لم أضحك في حياتي كما ضحكت الآن!"، والأفضل هو أن تظل تتلوى من الضحك لمدة ساعة بعد آخر نكتة قالها.

الخطأ الذي لا يغتفر هو أن تُفصح عن مغزى النكتة قبل أن يقولها الرئيس، ففي هذا نهاية حياتك المهنية. لا يجوز عند سماع النكات التي يلقيها الرئيس المثل القائل: "من يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا". فقد يعتقد الرئيس أنك لم تفهم النكتة، أو ربما أسوأ من هذا، أن النكتة لم تعجبك؛ لذلك لا تتوقف عن الضحك قبل الآخرين، كذلك احذر من أن تبدأ الضحك في وسط النكتة، فقد يعتقد الرئيس أن النكتة قديمة، وأنتك تسخر منه. إن حياتك

السياسية قد تنتهي بمجرد أن تقول له: "أنا أعرف هذه النكتة".

تحرك على مقربة من الرئيس، فهو يحتاج في كل لحظة أن ينظف شيئاً ما. كن مستعداً دائماً بخرقه في يدك تعطيها له، فلو حدث ولم تكن تحمل في يدك خرقه، لا قدر الله، أعطِ للرئيس معطفك، ولو لم تكن ترتدي معطفاً، فلا تترد واخلع قميصك. ولو لم تكن ترتدي قميصاً اخلع التي شيرت، أو ملبسك الداخلي. لا يمكن أن أوصي بأكثر من ذلك، وأقول لك إنك يمكن أن تقوم بجسمك مقام الخرقه. في الواقع أن هذا أمر كريه إلى درجة أن الإنسان لا يمكنه أن يعتاد عليه، لكن قرار أن تكون بمثابة خرقه للرئيس اعتبره قراراً شخصياً.

لو التفت إليك الرئيس بعد نصيحة خالصة النية، وقال لك موبخاً: "هل جننت؟!.. الإمكانية الوحيدة لكي تنجو بنفسك هي أن تُجنَّ بالفعل، عندها فقط يمكن للرئيس أن يعفو عنك، ولكي يكون أداؤك مقنعاً اخطف الهاتف من يد الرئيس واغمسه في المستردة. أو لو وبخك وأنتما في مطعم البرلمان، اطلب وجبة مضاعفة واصرخ بأنكما "الأختين الحلوين". لو لاحظت أن هذا المشهد لم يقنع الرئيس، اطلب من طبيب شهير أن يعطيك شهادة بأنك مريض وفي حالة متأخرة من المرض. فلو لم ينفع كل هذا، فأفضل لك أن تموت، فدائماً ما يكون الموت أفضل من ألا تحظى برضا الرئيس.

كيف تغني مع الرئيس؟

"لَا يُهِمُّ إِنْ كَانَ الرَّئِيسُ يُجِيدُ الْغِنَاءَ أَمْ لَا. اصْمِتْ وَهُوَ يُغْنِي!"

المؤلف

غالبًا ما يحدث أن تنتاب الرئيس رغبة في الغناء بعد إنجاز مهمة عمل ناجحة. لا يحدث هذا أثناء اجتماع الحكومة أو البرلمان، بل مع الأصدقاء في إحدى حانات النيبيذ. الرؤساء غالبًا لا يجيدون الغناء، رغم أنهم يغنون بحماس وسعادة كبيرة عندما يرون أن المستمعين من حولهم سعداء بالغناء، فيعلو صوتهم كلما شربوا المزيد من النيبيذ. الغبي فقط هو من يفكر في أن ينبه الرئيس إلى أن صوته غير مقبول. والغبي فقط هو من ينضم إلى الرئيس محاولاً مساعدته. إنها غلطة كبيرة، خاصة عندما يضع الرئيس ورقة بقيمة خمسة يورو على جبين عازف الكمان. ليس هذا بالمبلغ الكبير، لكن الرؤساء عادة لا يحملون معهم أكثر من ذلك، فلا تفكر أنت بأن تضع على جبينه ورقة بقيمة عشرة يورو. من العبث أن تسعى إلى مساعدة الرئيس؛ لأن الرئيس الذي لا يملك أذناً موسيقية لا يعرف أنه يغني على نحو سيئ.

لو حدث وواصل الرئيس الغناء، إلى درجة أنه اتكأ عليك بصورة ودية، خاصة عندما تأخذ الخمر بأوصاله، ممنوع أن تنصرف، حتى لو انفجرت مثانتك، فالجميع يحسدك على وقوفك أسفل يد الرئيس المنبسطة في هذه اللحظة. لو اعتقدت أن مثانتك لن تتحمل أكثر من ذلك، فلا تصدق. ستتحمل. فلو أنك انصرفت فسيأخذ مكانك على الفور أحد الحاسدين، لذلك اترك مثانتك تنفجر، هذا أفضل لك. ستموت مثل "تيخو دي براهي"، لكنك ستنال تقدير الرئيس.

زار القيصر "نيرون" في عام 66م الألعاب التي كانت تنظم في مدينة "كورينثي" وشارك في مسابقة الغناء. قيمت لجنة التحكيم أداءه بصورة موضوعية، واعتبرته الأفضل، وحصل على المركز الأول بدون منازع، لكن أحد منافسيه نال تصنيف أكثر شدة، ولم يكن

من اللائق أن يفعل معه المشاهدين هذا. ولو أراد لعثر على كل من صفق وأعدمه. لكن ربما استغرق هذا الأمر وقتاً طويلاً، فأمر بقتل ذلك المغني المسكين. يمكن أن يأمر الرئيس بقتلك سياسياً في أي وقت طالما غنيت على نحو أفضل منه. ولو كان صوتك أسوأ من صوته فسيغضب، ولو كان أفضل منه فسيزيد غضبه؛ لذلك لا تغامر، ولا تغنِّ مع الرئيس على الإطلاق.

كيف ترقص مع زوجة الرئيس

"أَنْ يَجْلِسَ الرَّئِيسُ فَوْقَ زَوْجَتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَنَامَ عَلَيْهَا"

ستانو راديتش

لو حدث، لا قدر الله، أن ضاقت السبل، ولم يكن أمامك سوى الرقص مع زوجة الرئيس في إحدى الحفلات الحزبية الراقصة، فعليك أن تدوس على أصابعها، وأن ترقص مثل الدب الجليدي، أو أن تنزلق وتجرها معك وأنت تسقط فوق حلبة الرقص. فهذا تحول دون أن تقول زوجة الرئيس وهي في أحضان زوجها بعد انتهاء الرقص معك: "السيد "كوفاتش" راقص ماهر". إنها اللحظات التي يدب الأدرينالين والعصارة الصفراء في جسده، ويفتح حارسه الشخصي جراب بندقيته التي يحملها في جيبه. على العكس، يسعد الرئيس جداً عندما يسحق "كوفاتش" الأبله قدم زوجته، وتفوح منه رائحة الثوم. لا شيء يسعد الرئيس أكثر من أن تقول له زوجته بأنه هو أفضل الراقصين على الإطلاق. وعندما يعود إلى طاولته بعد الرقص لا تلح عليه بأن ينضم إلى مسابقة "Let's dance".

لا تتحدث مع الرئيس، تحت أي ظرف بصيفة الملاطفة، حتى ولو فعلها هو معك، استمر بكل إصرار في مخاطبته بصيغة الاحترام. ولو قال لك بإلحاح: "أنا منزعج من الصيغة الرسمية التي تخاطبني بها"، عندها خاطبه بدون تكلف. حدث لأحد العامة في اليونان القديمة أنه ألقى التحية على سيناتور كبير، وقال له: سيرفوس⁽¹⁵⁾! فأمر السيناتور في اليوم التالي بإعدامه؛ لأن كلمة "سيرفوس" تعني العبد، وهذا ما لم يعرفه ذلك المواطن البسيط، لأنه من أصول نمساوية، من فيينا، والتحية بهذه الكلمة هناك أمر طبيعي تماماً.

(15) تحية شائعة بين مواطني سلوفاكيا والنمسا والمجر، بمعنى: مرحباً، أو كيف حالك! (المترجم).

كن أول من يصفق

"أخْرِضْ عَلَيَّ احْتِرَامَ مَنْ تُقَابِلُهُمْ وَأَنْتَ فِي طَرِيقِ الصُّعُودِ، فَرُبَّمَا تَلْتَقِي بِهِمْ وَأَنْتَ تَهْبِطُ"

ويلسن ميزنار

إنها ميزة كبيرة أن تكون أول من يصفق، فبذلك تضع الآخرين في موقف التابعين لك. وسيعتقد الرئيس أنه لولاك لما شرع الآخرون في التصفيق. يكتنفه مثل هذا الاعتقاد حتى لو بادرت في التصفيق في كل مرة. لا تتأخر في التصفيق، فهذا غير مأمون العواقب. أن تصفق قبيل أن يبدأ الرئيس في إلقاء خطابه يعد أمرًا خطيرًا، فالقاعدة التي تنطبق في المسرح، هي نفسها التي تنطبق في السياسة، فالتصفيق قبل بداية العرض يعني صفة للمتحدث. يمكن أن يحدث أن ينضم إليك متحمسون آخرون، ثم تتصاعد بعدها عاصفة من التصفيق قبل أن يبدأ الرئيس خطابه. القضية هي أن تصفق بعد الخطاب، لا قبله. إنه أمر يشبه التصفيق أثناء حفل موسيقى كلاسيكية. المحترفون يعرفون أن أوقات الاستراحة بعد انتهاء فقرات الحفل المختلفة ليست بغرض التصفيق، لكنها خصصت كي يتمكن العازفون من إجراء بعض المكالمات، أو على الأقل كي يتمكنوا من تجفيف العرق على جبينهم.

بعد الانتهاء من إلقاء خطابه يغادر الرئيس منصة الخطابة ويتوجه إلى الطاولة المخصصة له. أنصحك بأن تبدأ التصفيق في اللحظة التي يقول فيها الرئيس: "أشكركم على حسن استماعكم!". لو حدث وسبقك أحدهم، فيمكنك أن تعوض ذلك، فتصرخ: تصفيق حاد! الرؤساء يحبون سماع ذلك. لو سبقك أحدهم وقال هذه الجملة قبلك، فما زال أمامك أن تشرع في عمل "الأمواج المكسيكية". لا تفعلها إن كان المؤتمر منعقدًا في صالة للسينما. بعض الرؤساء ينظمون لقاءاتهم في استاد ملاعب كرة القدم التي تمارس فيها الأمواج المكسيكية، وصرخات "تصفيق حاد!".

لا تفوت فرصة التصفيق أثناء إلقاء الرئيس خطابه. أوصيك أن تقوم بهذا التصفيق

كلما حانت اللحظة المناسبة لذلك. وتحين كلما ارتشف الرئيس بعض الماء من كأسه، أو يلتقط أنفاسه، أو يقلب الورقة، أو يبحث عن نظارته التي سقطت منه. لكن لو مال الرئيس فانتظر لجزء من الثانية حتى تتأكد من أن الأمر لا يتعلق بأزمة ما، فلن يكون من المناسب أن تستدعي تصفيقاً حاداً بينما الرئيس يتعرض لأزمة قلبية. لو مات الرئيس وهو خلف منصة الخطابة فقد يتهمونك بأنه مات هلعاً لأنك بدأت التصفيق في اللحظة غير المخصصة لذلك، فالرؤساء يتفقون مع محفز التصفيق على الأوقات التي يجب أن يستدعوا التصفيق عندها، حيث يكتب أسفل تلك الفقرات كلمة "تصفيق". الرئيس يعرف، حسب الأقواس، متى صفقوا له على عكس الاتفاق، ويكتشف هذا على الفور. الرؤساء ضعاف النفوس الذين يخشون من محاولات الاغتيال (محاولات الاغتيال تتم غالباً لحظة التصفيق الحاد)، يمكن أن يقضوا نحبهم أثناء التصفيق غير المتفق عليه؛ لذلك فهم يختارون رجلاً ذا ثقة ليكون محفزاً للتصفيق من قسم الإعلام.

إن نهاية التصفيق لا تقل أهمية عن بدايته، فعندما تعج قاعة المؤتمرات بالتصفيق المتواصل بعد انتهاء الخطاب، فلا تكن أول من توقف عن التصفيق، فقد يلاحظ الرئيس ذلك. ولا أوصيك بأن تفعل هذا حتى ولو كنت في استاد كرة القدم الذي يتسع لعشرين ألف شخص. إن الرئيس الجيد يعرف كل ما يدور في كل مكان. لا تتوقف عن التصفيق إلا بعد أن يغادر الرئيس القاعة، وإلا قد يفسر تصفيقك المتواصل على أنه دليل سعادة من انصراف الرئيس. ربما أنه لن يسمع تصفيقك بعد أن ينصرف، لكن سيعرف بذلك بكل تأكيد.

كيف تشتهي السلطة

"عَلَى جُتِّي"

نقش على مقبرة سياسي ذي مبادئ

ليس اشتهاؤ السلطة بالأمر البسيط كما يبدو من الوهلة الأولى. أساس اشتهاؤ السلطة هو ألا يعرف به أحد. عليك أن تعرف بأنك لست وحدك من يشتهي السلطة، وفي الوقت نفسه لا يجب أن تعتبر اشتهاؤ السلطة أمراً بسيطاً. احترس، وتحكم في نفسك حتى لو كنت ترغب في السلطة إلى حد الجنون، فمن السهل اكتشاف الشخص الطامع في السلطة، ضعيف التحكم في تصرفاته، حيث تجده مثلاً ينقضُّ بلفظة على الهاتف عند سماع صوته، على أمل أن تكون اللحظة قد حانت.

هذه اللحظة قد تعني أن يكون الرئيس قد قرر منحك وظيفة نائب رئيس نادي الحزب، أو نائب رئيس الحزب، أو على الأقل رئيس أمانة فرعية. المناصب المذكورة، حسب لائحة كل حزب، يتم توليها بالانتخاب، لكن يتم التشاور بشأن الترشح لها مع الرئيس. فلو اختارك الرئيس، فغالباً سيكون أول من يرغب في إبلاغك بهذا الخبر السعيد، لكن عليك أن تقبل العرض بدون إظهار أي حماس، وترد بنغمة وكأنك تقول: "ما هذه الأمور التافهة التي تزعجونني بها؟!". هذا أمر في غاية الأهمية، لأنه قد يكون على مقربة منك أحد مشتهي السلطة المنافسين، وقد يفهم من علامات سعادتك أن هناك شيئاً ما يحدث.

أفضل الأوقات للاشتهاؤ هي قبل الطعام. لا أريد بهذا أن أقول إنه لا يمكن اشتهاؤ السلطة بعد الطعام. عرفت إنساناً كان يشتهي السلطة حتى في نومه. عرفت باشتهاؤه للسلطة من الفراش المبلل فوق سريره عندما يصحو من نومه كل صباح. يُعَدُّ التبول أكثر أعراض اشتهاؤ السلطة الأوج. الرجل الذي يشتهي السلطة يتبول لا إرادياً عندما يحلم بتنصيبه رسمياً رئيساً للبلاد أو للحكومة. وإن حدث له هذا فمن الضروري أن تتحدث في الأمر مع زوجته؛ لأن من واجبات الزوجة أن تدعم زوجها وهو يلتمس السلطة دون أن يلاحظه أحد.

لو تكرر التبول اللاإرادي لديكَ فلا تفكر في زيارة الطبيب، رغم أن هذه مشكلة، فالرجل الذي لا يَظنُّوى على بوله، من الصعب أن يقوى على السلطة.

الثناء على النفس لا يضرّ

"عَلَيْكَ أَنْ تَبْدُوَ أَكْبَرَ مِنْ سِنَّكَ. فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُصِيحَ الْإِنْسَانُ غَبِيًّا بِهَذِهِ السَّرْعَةَ"

مؤلف مجهول

أكثر ما يكره الرئيس هو أن يمتدح مساعديه أحدٌ غيره، حتى لو امتدحوا أنفسهم بأنفسهم. أثناء عملي في السياسة الذي امتد لأربعة أعوام كنت من تعساء الحظ الذين لم يمتدحهم الرئيس يومًا. وأتفهم جيدًا الدوافع الكامنة وراء امتداح شخص لنفسه، لكنني أرى أنه من الغباء أن يمتدح الشخص نفسه، حتى لو كان ذلك في غياب الرئيس. قد أحل هذه المعضلة بأن أرتدي في البيت أفضل حُلَّة، وأضع على سترة بزتي بعض الأوسمة الرسمية التي اشتريتها من السوق، وأهنئ نفسي على حصولي على قلادة ما، أعدد كل مزاياي بهذه المناسبة، أتذكر أنني كنت في غاية السعادة عندما منحت نفسي وسام لينين. اشتريت بعض الأوسمة بمتني كرون من سوق للأنتيكات في مدينة "تشيروني كامن"، لم يكن وسام لينين هو سبب سعادتني الغامرة، لكن لأنني اشتريته بسعر بخس لم أره من قبل. علقت على لوحة الحائط في منزلي كل التعبيرات الإيجابية التي تتحدث عني، وكنت قد طبعت تلك العبارات الإيجابية بخط منمق كي تبدو على الحائط في صورة جميلة.

إن امتداح الذات يسبب نوعًا من الراحة، ويمنح الإنسان ثقة بالنفس. أنصحك بأن تشني على نفسك مرتين كل يوم على الأقل، وخاصة بعد الحلاقة، لأن وجهك عندها يبدو في صورة أكثر حيوية، ومفعمًا بالأمال. اجعل من نفسك سياسيًا نموذجيًا، وأنت على ثقة بأن كل مقولة تكررهما باستمرار ستصبح حقيقة. اصنع لنفسك نظامًا من مقولات امتداح الذات.

لو رأيت أن امتداحك لنفسك أمر غبي، استأجر مدافعًا. إنها مهنة تشبه مهنة محفز التصفيق في برنامج "سبعة، شركة محدودة"، أو في برنامج "ديريش"، أو برنامج "الأذكاء يمتنعون". ففيها يقوم قسم الإنتاج بتحديد الوقت الذي يصفق فيه المشاهدون. وطالما لا ينزعج أستاذ الفكاهة الشهير من أن الناس يضحكون على نكاته بناء على

تعليمات، فلم تنزعج أنت من هذا؟ قام أحد السياسيين في مدينة "باقاريا" بتأسيس شركة تحت اسم "لوبيراي" (وترجمتها "المديح")، إنها شركة تؤجر أناساً يمتدحونك، ويعملون بالساعة.

لو أنك امتدحت نفسك فأعلم بأنك لست جزءاً من مكائد تحاك ضدك، فامتداح الذات دائماً ما يكون صادقاً. درّب نفسك على امتداح نفسك كي تكون مستعداً للحظة التي يمتدحك فيها الآخرون.

متى تنفجر في الضحك

"عِنْدَمَا تَضَعُ آخِرَ حَفْنَةِ طِينٍ عَلَى قَبْرِ زَمِيلِكَ الَّذِي حَصَلَ عَلَى مَقْعَدٍ فِي الْبَرْلَمَانِ، وَكَانَ يَسْبِقُكَ فِي التَّرْتِيبِ"

مؤلف مجهول

من الناحية الإنسانية يمكن تفهّم حزن مرشح ما، حال ترتيبه في القائمة بينه وبين عتبة البرلمان، كذلك يمكن فهم سبب سعادته عندما يدخل إلى البرلمان بفضل سوء حظ زميله. لكن هذا لا يستوجب أن نفرح له على الملأ، فلو جعلك هذا تسقط على الأرض من الضحك وأنت في البيت فهذا شأنك. لا يجب أن تقلل من شأن نوبات الضحك في المواقف التي تستحق ذلك بجدارة. أحذرك من أن تضحك بصوت عالٍ وأنت في المبولة وقد رأيت، بدون قصد، عضو رئيسك. إن الانفجار في الضحك هام للغاية عندما يحكي رئيسك النكات. أقصد هنا الانفجار الإيجابي في الضحك، وليس الضحك الساخر. فمن الممكن أن يغضب الرئيس الذي يتناثر منه رذاذ البول، وأسوأ شيء أن يغضب رئيس يتبول.

يجب ألا تأخذ كلمة "انفجار" بصورة حرفية، وتأخذ معك مواد متفجرة في كل مرة تلتقي فيها بالرئيس وتتوقع أنه سيلقي فيها النكات. إن إلقاء النكات يأتي بصورة عفوية؛ لذا عليك أن تكون مستعداً دائماً. عليك قبل اللقاء، أو الاجتماع، أو جلسة يحضرها الرئيس، أن تفرج فمك أمام المرأة بحيث لا ترى عينيك قدر المستطاع. وإن لم تُوفّق في هذا فاستخدم وسيلة مناسبة، مثل طفاية سجائر، أو منبه، أو مصباح كهربائي، أو تمثال نصفي للرئيس. يجب أن يكون المدخنون على حذر كي لا تتحول انفجارات الضحك إلى نوبة من السعال. لو كان الرئيس من المدخنين، وانتابته نوبة من السعال، يجب أن يتزامن معه غير المدخنين، فيسعلوا مثله، لكن لو بادر مدخنون بانفجارات الغضب، فعليهم أن يتعدوا عن الرئيس لمسافة لا يمكن أن يصله منها تقيؤهم.

لو كنت تعتقد أن بعض زملائك يستطيع أن يقوم بانفجارات الضحك بعد سماع نكات

الرئيس بصورة أفضل منك (ستعرفهم عندما تجد الرئيس يلکمهم على صدورهم بطريقة لطيفة) فلن يكون أمامك إلا أن تبني طريقة أفضل في التعبير عن ثنائك على نكتة الرئيس، ألا وهي التلوي من الضحك، والانتقال إلى حالة من التشنجات الشديدة. إن الوصول إلى التلوي من الضحك مع التشنجات الختامية ليس بالأمر الهين. فلن تجد حولك من يحكي النكات بطريقة رائعة على هذا النحو غير الرئيس، لذلك ليس في إمكانك التدرّب المسبق على أمر كهذا. يجب أن تختار أساليب بديلة، وهذه وصفة لتشنجات آمنة: حبة كمثرى، وحبّة تفاح، وفاصوليا، وخيار، ومخلل كرنب، وشطة، وفول سوداني، وزبيب، ونييذ أبيض، وفودكا، وثوم. تأكلها كلها مرة واحدة، فلو لم تملك نقودًا لشراء كل هذه الأشياء فاطلب حساء كرشة في مطعم بمحطة "جيلينا"، عندها ستضحك حتى تتبرز على نفسك.

كيف تُحوّل الجحيم إلى جنة؟

"حَاوِلْ أَلَّا يَكُونَ الْجَحِيمُ مَصْدَرَ سَعَادَتِكَ، بَلِ السَّمَاءُ"

مؤلف مجهول

أن يكون الجحيم مصدرًا للسعادة، فهذا أمر لا يتعلق بأعضاء حزب الحركة المسيحية الديمقراطية، فالله هو مصدر سعادة هؤلاء، ربما لأنه لا يعلم بأفعالهم الخبيثة، وربما أن الله لا يعتبر تفتيت الائتلاف عملاً خبيثاً. أعتقد أنا شخصياً أن الله عالم بكل الأعمال الخبيثة، ويتابعها باندعاش، تماماً كما كان "ليوناردو دافنشي" يتابع على مدى أعوام طويلة أحد اللصوص وهو يسرقه. كتب عن هذا "ليوناردو"، وقال: "تكملة، في الثاني من إبريل سرق "سالاي" لوحة رسم بقيمة 12 قطعة فضية، ثم باعها واشترى بثمنها حبات حلوى بطعم الينسون. يا له من لص كذاب وعنيد وتافه. أنا أراقبه على أنه ظاهرة طبيعية، وأحبه رغم كل ما يفعله". كان الجحيم مصدر سعادة "سالاي"، لأنه عاش في كنف رجل كريم. لا أعرف إن كان الله يعتبر حزب الحركة المسيحية الديمقراطية ظاهرة طبيعية، لكن من المؤكد أنه يحبه. كان دور "سالاي" أن يخون سيده، فيسامحه الله على ذلك.

إن الجحيم هو مصدر سعادة رجال السياسة الذين يستحقون هذا. نشرت وكالة الأنباء السلوفاكية في الثاني من فبراير عام 2001 تقريراً يقول: سافر رئيس الحكومة السلوفاكية "ميكولاش دزوريندا" إلى الولايات المتحدة الأمريكية في زيارة عمل تستغرق أربعة أيام، يلتقي خلالها بالرئيس الأمريكي الجديد جورج بوش... إلى آخره. عندما قرأت الخبر انتابتنني السعادة من أن لقاء رئيس الحكومة السلوفاكية بالرئيس بوش بعد أيام قليلة من انتخابه يعد حدثاً رائعاً. وبالفعل، التقى الرجلان، تقريباً. أو كما صرح رئيس الوزراء بعد عودته: "فصلني عنه ثلاثة أمتار" أثناء حفل الاستقبال الذي نظمه على شرف بعض المثات من الضيوف. كان الجحيم (أو بوش) مصدرًا لسعادة رئيس الوزراء؛ لأن ما فصل باقي رجال السياسة الأوروبيين عن بوش يتراوح بين 4,6 و 5,3 و 5,8 متر. واقترب أحد رؤساء الوزراء على مسافة 7,6 متر، فلم يكن من المحظوظين.

لو كنتَ عضوًا في حزب شيوعي، فلا يمكنكَ أن تركزَ إلى أن السعادة التي يكون الجحيم مصدرًا لها ستأتيك تلقائيًا، وعليكَ أن تبحثَ عنها بحيثَ تبدأ بالإيمان بها. يجب أن يؤمن الشيوعيون بصفة خاصة بالسعادة في المجتمع الذي يحظى فيه الشيوعيون بجانب أحزاب أخرى بفرصة الوصول إلى السلطة. وليس الشيوعيون وحدهم من عليه الإيمان بها، بل كل من يسعى إلى النجاح في السياسة. لو كنتَ تعتقد أن نصيبك من السعادة غير كافٍ، تجوّل في القرى والمدن السلوفاكية على أمل أن تلتقي بأحد عمال صيانة المدافئ، ولو لم تلتقِ به اشترِ سيارة قديمة وسافر بها على مهل في أرجاء سلوفاكيا، ربما تظهر أمام سيارتك قطط سوداء، ففرصتك في أن تظهر أمام سيارتك قطة سوداء أكبر بكثير من مقابلة عامل صيانة المدافئ. لو لم تجد قطة سوداء، فما زال هناك أمل أن يسقط أحد من فوق دراجته تحت عجلات سيارتك، وفي أسوأ الأحوال قد تصطدم بعربة أحد الغجر الذين يسرقون أغطية قنوات الصرف الصحي. ستكون محظوظًا لأنك ستسقط في إحدى الفتحات العارية بدلًا من أن تصطدم بعربة الغجري.

كيف تتحلل من الرهان على أمر ما؟

"مَنْ لَا يُجِيدُ الْكَذِبَ فَلَا مَكَانَ لَهُ فِي السِّيَاسَةِ"

مؤلف مجهول

من الضروري في السياسة أن تؤكد أمرًا ما بلا توقف، ومن لا يفعل ذلك في السياسة فهو رجل غير كفء، وستتساءل الناس باستمرار عما يفعله رجل في السياسة وهو لا يؤكد أمرًا ما على الدوام، لذلك أكد! لكن احترس من المبالغة في ذلك. إن آلة الكمان تدعم الموسيقى، والسياسة أيضًا. إن السياسي الذي يؤكد على الدوام أنه رجل سعيد الحظ يستدعي لدى المستمعين رد فعل سلبيًا، فالإنسان الذي يعبر عن سعادته مرارًا وتكرارًا لا يمكن أن يكون طبيعيًا. الناس على علم بأن من يعمل بالسياسة دائمًا أشخاص غير أسوياء، لكن هذا لا يستوقفهم، بل ما يستوقفهم هو أن يكونوا سعداء.

من الأقوال الصلبة التي لا تتغير في السياسة: "إننا سنرفع المرتبات بنسبة مئة في المئة"، أو "المسرح القومي السلوفاكي سيصبح مؤسسة ربحية"، أو "سنصل نهر "أودرا" بالدانوب"، أو "سنحقق الخطط بكل سعادة"، أو "سنصل إلى نهاية كأس العالم في كرة القدم". لا ينزعج الناس عندما يؤكد رجل السياسة أمورًا عبثية، لكن ينزعجون من أنه يجزم بها أمامهم، فلو صرح بها أمام آخرين غيرهم، فسوف يسعدون بها، فالناس تحب أن يستغبي أحد مجموعة ما.

احرص على التأكيد على الأشياء بصورة منطقية، لكن لا تكن واقعيًا بلا داع كأن تقول مثلًا: "لن تقوم حكومتنا بزيادة المرتبات مليمًا واحدًا". فهذا ليس قولًا أخيرًا، وتزعج به المستمعين بلا طائل. فلو كان الأمر يتعلق بزيادة المرتبات، فقل: "سنفعل كل ما وسعنا كي نرفع مرتباتكم بناءً على احتياجات سوق العمل الذي يتأثر في الوقت الراهن بمعدل زيادة المرتبات الفعلية، وهو المعدل الذي يتأثر بعلاقة الحد الأدنى للمرتبات وأسعار المنتجات الاستهلاكية والخدمات". مثل هذه الأقوال لا تزعج أحدًا لأنه لا يفهمها، ولن يعترف أحد بأنه لا يفهم؛ لذلك يقدر الناس السياسيين الذين يؤكدون أمورًا مبهمًا.

كف عن انتقاد الآخرين

"النَّاقِدُ مِثْلُ الرَّجُلِ الْمَخْصِيِّ، يَعْرِفُ كَيْفَ تُصْنَعُ الْأَشْيَاءُ، لَكِنَّهُ عَاجِزٌ عَنِ الْإِتْيَانِ بِهَا"

بريندان بيهان

لا تنس أنك تسعى إلى بناء مستقبل سياسي، أيًا كانت وجهة النقد الذي توجهه. السياسي الحق هو الذي لا يعرف الفرق بين الحقيقة والكذب، لو وصلت إلى هذه الدرجة فلن تعرف ما المقصود بعبارة تأنيب الضمير، فالأمور لا تختلف كثيرًا، فلن يحبك الناس لو كذبت عليهم، وسيكروهونك أكثر لو قلت لهم الحقيقة، فقل الحقيقة في أضيقت الحدود، وعندها ستعرف متى ستضطر إلى الكذب. إن هذه المواقف في السياسة كثيرة، تمامًا كالمواقف التي تضطر فيها إلى قول الحقيقة. لا تنزعج من الكذب، فقد قال العظيم فولتير: "إن الكذب في السياسة لا يعد خطيئة طالما لم يتأذ منه أحد، وهو في هذه الحالة فضيلة". وينطبق الأمر نفسه في الحياة العادية، فالكذب يشبه معاقرة الخمر، دائمًا ما تستغرق في النوم بعده. يستوي في النقد أن تقول الحقيقة أو تكذب، فنحن لا نحب أن ينتقدنا أحد سواء كان نقدًا مُبررًا أو غير مُبرر.

النقد هو رغبة غامضة من أغبياء السياسة في قول الحقيقة، يسوقهم في ذلك شعور بأن هناك من يهتم بالحقيقة.

ورغم ذلك دائمًا ما كان النقد مطلوبًا، لكن لست مضطرًا إلى أن توجهه بنفسك. تخيّر أشخاصًا ضعفاء توجه إليهم سهام نقدك. الشباب بصفة خاصة مستعدون لتقبل الانتقاد. وعندما تعثر على شخص كهذا ابحث عن اثنين غيره كي يصفقوا له. حينما ترى أن الرئيس قد انضم إليهم، فأسرع نحو الرجل الناقد، واخبط على كتفه.

من الخطورة توجيه النقد في الحزب "ب" الذي تكوّن بعد انشقاقه عن الحزب "أ". فلا توجه نقدًا إلى الحزب "أ"؛ لأن الحزب "ب" غالبًا ما يتشكل من أعضاء سابقين في الحزب "أ"، وقد انفصلوا عنه لأنهم لم يحققوا فيه موقعًا متميزًا في قائمة الترشيحات، وليس

لأنهم يختلفون عنه في أفكارهم (أو أن أفكارهم أفضل من أعضاءه الحزب "أ"). لذلك فهم شديدو الحساسية فيما يتعلق بحزبهم السابق، ولا يعرفون متى سينضم إليهم باقي أعضاء الحزب "أ"، أو متى سيعودون هم أنفسهم إليه.

لا تنزعج عندما ينتقدك زميل غير ذي قيمة عن أشياء أقل سوءاً مما فعله هو نفسه، لا تشك في أنه قد كلف شخصاً آخر بتوجيه الانتقاد إليك، فالآخرون يفضلون توجيه سهام النقد إلى غيرهم بدلاً من أن يراجعوا أنفسهم.

كيف تُجمِّل ماضيك؟

"إِنَّ الْمُنَشَّقِينَ السُّلُوفَاكَ شَأْنُهُمْ شَأْنُ الْمُؤَيَّدِينَ، يَزِدَادُ عَدَدُهُمْ مَعَ الْوَقْتِ"

المؤلف

الأوطان الكبيرة في أوقات غياب الحرية تتصرف دائماً مثل قُطَاعِ الطَّرِيقِ، أما الأوطان الصغيرة فتتصرف مثل العاهرات، فما عساها أن تفعل أمة صغيرة ترغب في الحياة؟ أرى شباباً صغاراً لم يعاشوا أوقات غياب الحرية، أراهم يهزون رؤوسهم استياءً من التصرفات النفعية ممن انحنت ظهورهم، وتقعقت أسنانهم، ولازموا الصمت، وأذعنوا. عند النظر إلى الماضي دائماً ما نجد أكثر المتسامحين ممن لم يعيشوه، أو لم يشاركوا في صنعه.

فلو كنت تنوي الانخراط في السياسة فعليك أن تتوقع أسئلة حول ماضيك. السؤال عن الماضي سمة الأنظمة الديمقراطية والديكتاتورية على السواء، الفرق الوحيد أن الأنظمة الديكتاتورية تستقصي عن أصلك حتى العرق الخامس، أما في النظم الديمقراطية فلا يسألونك إلا عن نفسك.

فلو صرت سياسياً فعليك أن تجهز صيغاً مختلفة للحديث عن ماضيك بصفتك شخصية عامة، قم بإعداد تلك النسخ بكل حرص كي لا تخلط بينها. لو لم يتغير النظام فتكفيك صيغة واحدة، لكن عليك أن تحرص على كل تفاصيلها؛ لأنك يجب أن تدافع عنها. أسوأ ما في السير الذاتية أنها تُقدِّم للرأي العام بصيغ مختلفة، حسب الحاجة.

لا تتعجل وأنت تُجمِّل صورة ماضيك، انتبه لكل خطوة تقوم بها لتجميل صورتك، وراقب مَنْ حَوْلَكَ كي تتأكد من أنه لا يرى ما تقوم به. لو كنت ممثلاً أو ممثلة، وحصلت على لقب ممثلة فديرة فلا تكتبي بأن عضويتك في الحزب كأحد الكوادر الثقافية في لجنته المركزية كانت شرطاً للحصول على مثل هذا اللقب كي تتمكني من الحصول على مكافأة مادية تعادل ضعف الدخل السنوي لأي عامل عادي، والتردد على المصحات التابعة للدولة بدون مقابل.

لو تأكدت من أن مَنْ حَوْلَكَ لا يلاحظون أي شيء، فقم بإضافة المزيد، لكن حذار من أن تقول إنك كنت تكره الشيوعيين إبان النظام القديم، بينما يعرف كل أعضاء اتحاد الكتاب أنك

كنت ترأس الاتحاد. من الأفضل أن تكتب مقالات لصالح ملهى ليلي يناهض الشيوعيين، ويديره الرئيس السابق للجنة المركزية لحزب الاتحاد السوفيتي الشيوعي. فلو تمكنت من هذا، فشارك في الاحتفالات بعيد ميلاد "فاتسلاف هافل". إن المشاركة في الاحتفالات بأعياد الميلاد تعطي انطباعاً بأن الضيف والمضيف شخص واحد. فقد شارك في الاحتفال بعيد الميلاد السبعين لـ"فاتسلاف هافل" في السابع من أكتوبر 2006 ما يقرب من مئة مواطن. وكان من بين الضيوف ممثلون ومطربون من الكوادر الفنية الشيوعية السابقة. مثلاً الزعيم السابق لـ"اللجان الشعبية"، والزوجة السابقة لأحد كبار النضالين، ونصّاب آخر كبير حضر شخصياً، وهو الرئيس السابق لقسم الدراسات اللينينية- الماركسية، وصحفيون كانوا يحتفون في عصر الشيوعية بالقوة المحركة للحزب الشيوعي، وصحفي كان يهاجم "هافل" بقلمه في كل مناسبة. لم ير "هافل" غالبية المناضلين ضد النظام الشيوعي رؤية العيان إلا بعد نوفمبر 1989.

لو لم ينتبه أحدهم إلى هذا أيضاً فعليك أن تواصل تحسين صورتك بلا هوادة. قد يساعدك أن تتظاهر بأنك لم تسمع من قبل عن الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، حتى لو كنت قضيت فيه نصف حياتك.

أكبر الأمثلة على عملية تجميل الماضي جاءت من شاعر سلوفاكي معروف، وكتب مقالات، ومترجم، وأيضاً من "المزايدين"، فقد وجه إلى "مارتا كوبيشوفا"، أيقونة "ربيع براغ" سؤالاً عن رأيها في الفنانين الذين وقّعوا إعلان اتحاد الفنانين في عام 1977، المعروف بـ"إعلان ضد الميثاق". في الواقع لم تنزعج "مارتا كوبيشوفا" ولا المواطنون العاديون من ذلك الإعلان، فقد عاشوا جميعاً في مجتمع كان الرياء فيه نموذجاً، لكن ما أزعجهم هم المزايدون الذين عبروا عن تضامنهم بالتوقيع مرتين على الإعلان، من باب الاحتياط، وأضافوا على التوقيع عبارة تقول: "إننا على قناعة بأن السنوات القادمة هي لصالح سياسة القوة الرائدة للمجتمع الاشتراكي وحزب تشيكوسلوفاكيا الشيوعي".

أكثر ما يصيب الإنسان بالإحباط هو أنه يرغب في أن يثبت للجميع أن ماضيه لم يكن بهذه الدرجة من السوء، ثم تكتب عنه صحيفة- دُمِيّة، فيأتي رئيس المؤسسة الحكومية، ويحول بينه وبين رغباته، مخالفاً بذلك القانون. فهو يدافع عن نزاهة مؤسسته القائمة على ادعاءات جهة مُجرّمة. إن منع إنسان ما من أن يثبت الكذب البيّن للجهة أو الهيئة المجرّمة لا يختلف عن تأكيد أحدهم بأن هذه الهيئة المجرّمة على حق. وكما نرى، يمكن تجميل الماضي، طالما وُفقت في هذا، حتى ماضي تلك الصحف التي هي على حق.

كيف تبدو في منتهى الجدية؟

"قَدْ قَادَةَ حَزْبِ الْحَرَكَةِ الْمَسِيحِيَّةِ الدِّيمُوقْرَاطِيَّةِ!"

المؤلف

يتظاهر الإنسان بالموت بصورة متقنة عندما يكون ميتاً، وطالما عجزت غالبيتنا عن التظاهر بالجدية حتى بعد الموت، فمن الضروري أن نتعلم التظاهر بالجدية والصرامة في الحياة. إن التظاهر بالجدية والصرامة في الحياة لا يخلو من مزايا، تفوق مزايا التظاهر بالجدية بعد الموت. إن غالبية سكان سلوفاكيا، إضافة إلى قادة حزب الحركة المسيحية الديموقراطية باستثناء زعيمه "فيركا ميكلوشكا"، على قناعة بأن الحياة في الجنة تسيطر عليها البهجة، أما الجادون الصارمون فمصيبرهم النار.

من تعلم من أن يتظاهر بالجدية الشديدة يعرف أن الأمر ليس سهلاً، جُبل الإنسان على الابتسام في أغلب الأحيان، وهو تصرف ينم عن أنه سعيد، لكن لا أحد يصدق الإنسان السعيد المبتسم، ومشكوك في أمره غالباً؛ لذلك عليك قبل الانخراط في السياسة أن تدرب نفسك على أن تبدو جاداً و صارماً. انظر إلى نفسك في المرآة كثيراً، لتتابع كيف تتغير ملامح وجهك، لو رأيت بعد مرور شهرين أنك تبتسم أحياناً، علق فوق سريرك صورة فوتوغرافية كبيرة لِحَمَاتِكَ. لو لم تساعدك هذه الحيلة، اصنع جَوْاً من الرعب: اترك الماء يقطر من الصنبور، لا تزيّن الأبواب، وشغل فيلم "الساحرة الأخيرة"، أشعل شمعة وضع أمامك صورة أحد قادة حزب الحركة المسيحية الديموقراطية. ضع أسفل مقعدتك أسطوانة خشبية بها مسمار. لو لم تَبْدُ جاداً و صارماً بعد كل هذه الحيل، فما زالت أمامك فرصة أخيرة. قم بزيارة إحدى مشارج الجثث أثناء الليل سراً. لا تنس، بالطبع، أن تأخذ معك كشاف بطارية. تفحص وجوه الموتى، وعندها ستعرف شكل وجهك الذي تنشده.

لا يكفي أن تعرف كيف تتظاهر، لكن عليك أن تعرف متى وأين. قد يكون من الخطأ ألا تتظاهر بالجدية والصرامة وأنت في النعش، فعندها قد يعنفونك على أنك غادرت العالم

والسياسة وحزبكَ وأنت سعيد.

إن السياسي الذي لا يتظاهر بالجدية الشديدة، بل بالسعادة الغامرة، محكوم عليه بالفشل، فالمواطنون لا يحبون السياسيين السعداء؛ لأنهم يعطون انطباعاً بأنهم يسخرون منهم. يُعدّ السلوفاك من أكثر شعوب الاتحاد الأوروبي تشاؤماً. نحن متشائمون إلى درجة أن غالبيتنا تنظر إلى بعضها في شكّ أثناء مرورها في شارع ذي اتجاه واحد. أعرف رجلاً متشائماً ينزع لمبات الكهرباء، ويفرغ الماء من كل الأحواض، بما فيها حوض الأسماك، ويغلق النوافذ صباح كل يوم، وقبل انصرافه إلى العمل. كثير منّا يضع شِباكاً على النوافذ والشرفات التي توجد بالطابق الأرضي خوفاً من اللصوص. لقد بالغنا في الأمر إلى درجة أننا نضع شِباكاً على نوافذ الزنانات خوفاً من اللصوص. من الواضح أن مسألة أن تكون جاداً إلى درجة كبيرة لها أهمية خاصة لدى رجل السياسة في بلدنا.

كيف تعطي انطباعًا بالأهمية؟

"لَا تَلْعَنُ" دزوريندا" و"ميتشيار"، و"فيتسو" و"تتهمهم بأنهم السبب". يُمكنك أن تختار شخصًا آخر. أنا على سبيل المثال"

المؤلف

المواطن الذي يعرف كيف يعطي انطباعًا بأنه شخص مهم، لديه فرصة في النجاح في العمل السياسي، وتزيد فرصة من يستطيع التظاهر بأنه الأهم على الإطلاق. إن القدرة على التظاهر بأهمية شخص ما، مثلك أنت، تكمن في أنك تعطي انطباعًا وكأنك رئيس الحزب، أنت لا غيرك. أما "ميكي"، و"فلادو"، و"روبو"، و"بيلا"، و"بالي" أو "يانو" فهم مجرد دُمى تحركها بيدك. تعلق على تصريح رئيس الحزب بطريقة يفهم منها الآخرون بأنك من يقف وراءها، والرئيس مجرد شخص يلقيها. تخرج منك مثل هذه التعليقات وكأنها غير مقصودة، لا تصغها أبدًا على أنها تصريح لوسائل الإعلام، فقد يعرف الرئيس أنك تعتبر نفسك أكثر حكمة منه، وقد يؤدي هذا إلى عواقب وخيمة عليك، فلو صرح الرئيس بأنباء تُسعد الشعب، عليك أن تنشر بين الصحفيين ما يفيد: "لقد تناقش معي بهذا الخصوص". لو أراد الصحفيون أن يعرفوا تفاصيل أكثر، ارسم على وجهك الجدية والصرامة (كما سبق وتحدثنا في الفصل السابق عن هذا الأمر) وقل باقتضاب: "لا يمكنني أن أعلق على الأمر أكثر من هذا". أنت الوحيد بالطبع الذي يعرف أن "مناقشة الرئيس" كانت عبارة ثلاث رسائل نصية قصيرة. كانت رسالتك الأولى تقول: "هل عندك وقت لمقابلتني؟"، والرسالة الثانية كانت من الرئيس، تقول: "لا تزعجني!"، وجاءت الرسالة الثالثة منك: "أردت فقط أن أخبرك بأنني سأدعم أي قرار ستتخذه".

عندما نتحدث عن رئيس الحزب أو رئيس الجمهورية أو البابا وأنت وسط مجموعة، فمن الممكن أن تقول بمرح: "في آخر مرة التقيت بـ"روبو" (تعني بذلك رئيس الحزب)، "بالأمس اتصل بي "بينيو" (تعني بذلك القديس بنديكت الخامس عشر)، أو "لن تصدقوا، لكنني كنت أَلعب الهوكي مع "إيتشو" (تعني بذلك رئيس الجمهورية). عليك أن تنتبه أثناء

الحديث عن رئيس الجمهورية، كي لا تناديه باسم "إيفان"، لأنك قد تعطي انطباعاً أنك لا تحترمه بالقدر الكافي.

أعظم طريقة تتبعها لكي تعطي انطباعاً بالأهمية هو أن تظهر في سيارة الرئيس، فالناس يرحبون بالرئيس وهو في طريقه إلى مكان ما، وكلما ازداد عدد المرشحين زادت فرصتك في انتشار خبر تواجدك مع الرئيس في سيارته داخل الحزب. إن ركوب السيارة مع الرئيس حلم كل إنسان، ولا حظاً للنساء في السفر مع الرئيس، فالرئيس العاقل لا يترك امرأة ترافقه في السيارة، فلو قرر السياسي أن يأخذ معه امرأة في رحلة عمل خارجية فلن تكون بالضرورة زوجته؛ لأن الصحفيين سيعلمون الخبر فوراً، فينزعج الشعب لأن الرئيس يأخذ زوجته معه في رحلاته الخارجية الممولة من أموال دافعي الضرائب.

لو لم تتمكن من الظهور في سيارة الرئيس، فحاول أن تستدرجه ليشارك في سباق للدراجات، فهذه الإمكانية واردة طالما ركب الرئيس دراجة مخصصة للرجال. في حالة كون الرئيس امرأة فهذه الإمكانية تسقط.

الهاتف المحمول من الوسائل الفعالة في إظهار الأهمية، فالرئيس المحترم عندما يظهر في احتفالات أعياد الميلاد أو رأس السنة، غالباً ما يعطي هاتفه المحمول لمدير مكتبه لكي يبعث بمئات الرسائل إلى أعضاء حزبه، وغالباً ما يكون نصها: "أتمنى لكم أعياداً مجيدة، وهادئة. المخلص...". احفظ مثل هذه الرسائل في هاتفك، وأظهرها للأصدقاء والمعارف في اللحظة المناسبة.

كيف تكون سريع النسيان؟

"لَا تَنْزَعِجْ مِنَ الشَّيْخُوخَةِ، فَلَنْ تَعْرِفَ بِهَا عِنْدَمَا تُدَاهِمُكَ"

بيل كوسبي

أسرع وسيلة للنسيان هي عندما لا يكون لديك ما تتساه، من المؤكد أنك شعرت بهذا من قبل عندما أردت أن تقترض أموالاً من أحدهم، فأجابك قائلاً: انس هذا الأمر! مثل هذا النسيان خالٍ من أية مغامرات؛ لأنك - على أسوأ تقدير - سوف تحصل على الأموال من شخص آخر. الأسوأ من هذا عندما تعرف شيئاً لم تكن في حاجة إلى معرفته، كثيراً ما يحدث أمر كهذا في العمل السياسي؛ لأن السياسيين - خاصة صغارهم - يحبون التفاخر أمام السياسيين الأصغر منهم بما علموه من سياسيين مرموقين، وعندما يعلم هؤلاء المرموقون بالأمر، يُصرون على أن "تتساه". أسعد الناس حظاً في السياسة هو من لا يعلم شيئاً، فلو أن وزير الخارجية السلوفاكي السابق كان قد عرف في بداية فبراير 2007 من وزير الخارجية الثرثار الذي سبقه، بأن الاستفتاء الصربي حول كوسوفو كان فاشلاً لَمَا أخبر النواب به، ولو أن النواب السابقين لم يعرفوا لما أخبروا الصحفيين، والصحفيون بدورهم، وهذا طبيعي، أعلنوا الخبر؛ لأن هذا هو دورهم، واضطر وزير الخارجية الصربي إلى نفي الأمر، وكان كل ذلك بلا طائل لأن المشاركة في الاستفتاء الصربي آخر ما يهم مواطنينا، وأقل منه اهتمامهم بالاستفتاءات التي تتم على أرضنا.

كلما عرفت أكثر صارت حياتك أكثر تنوعاً، وأيضاً مليئة بالمخاطر؛ لذلك عليك أن تتبنى في أقرب وقت النظام القائل: لم أر شيئاً، ولم أسمع شيئاً. جوهر هذا النظام هو أن تكون عينك في كل مكان، تسمع كل شيء، لكن تتظاهر بأنك لم تر ولم تسمع أي شيء. أكرر، فقط تدعي هذا؛ لأنك لو لم تعلم شيئاً بالفعل فلن تقنع أحداً بأنك تأخذ العمل السياسي مأخذ الجد. السياسي الذي لا يملك معلومات ليس لديه أي فرصة للنجاح في السياسة. وأيضاً عليك أن تتظاهر بالنسيان. تذكر كل شيء، لكن تظاهر بأنك لا تتذكر أي شيء. ادعاء النسيان له أهمية حقيقية في أوقات الأزمات، مثل الثورات أو الانتفاضات، وهذا لن يؤثر

عليك، لأنك لو كنت سياسياً حقيقياً فلن تذهب إلى القتال في الجبهة، ودائماً ما ستجد من ترسله بدلاً منك.

لو صار أحد خصومك عضواً في الحكومة، أو في الائتلاف الحاكم، فعليك أن تلقي جانباً كل ما تعرفه عنه، لكن ليس إلى الأبد، لأن عدوك الحالي يمكن أن يتحول بعد الانتخابات إلى صديق، وبعدها ستفعلك المعلومات التي تعرفها عنه.

كيف تزيف الحقائق؟

"بَعْضُ أَفْرَادِ الثَّوْرَةِ الْمُضَادَّةِ رَاحُوا يَسُبُّونَ الْجُنُودَ السُّوفِيَّةَ فِي أَعْسَطِ عَامِ 1968. أَمَّا غَالِبِيَّةُ التَّشِيكَ وَالسُّلُوفَاكِ فَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالْخُبْزِ وَالْمِلْحِ"

فاسيل بيلاك

غالبًا ما يتلاعب السياسيون بالحقائق لتصبّ في صالحهم، رغم ذلك هناك أمثلة على النقيض من ذلك، فقد اعترف رئيس روسيا البيضاء "أليكسندر لوكاشينكو" ذات يوم بأنه زور نتائج الانتخابات الرئاسية الأخيرة بغرض الوصول إلى نتائج يُرضي بها الغرب عندما غير نسبة من صوتوا له وخفضها من 93 إلى 86 في المئة.

لا تقبل الحقائق التي تقدمها لك وسائل الإعلام وتحدث عن فشلك، وأيضًا لا ترفضها؛ لأن وسائل الإعلام تحتفظ في جعبتها بالدلائل التي قد تقضي عليك. ببساطة حول الرذائل التي تتهمك بها وسائل الإعلام إلى فضائل. أقدم أمثلة على من خلال تجربتي في مجال السياسة:

الرذيلة: أنت لا تعرف أية لغة أجنبية!

الفضيلة: نحن نتحدث في سلوفاكيا باللغة السلوفاكية.

الرذيلة: أنت وقح للغاية.

الفضيلة: لا أختلف عنكم، فأنا واحد منكم.

الرذيلة: أنت كاذب!

الفضيلة: الكاذبون أيضًا يحق لهم أن ينتخبوا نوابًا يمثلونهم في البرلمان.

الرذيلة: لقد أمسكوا بك مع عشيقتك.

الفضيلة: كان عليكم أن تنتخبوا البابا ليمثلكم في البرلمان!

الرذيلة: في مجلس النواب السلوفاكي أنت تضغط على الزر الخطأ.

الفضيلة: تقصدون زر الإنسانية.

الرديلة: لقد أمسكوا بك وأنت تسرق من متجر "بيلا" زجاجة بيرة ماركة "جيمار".

الفضيلة: لقد صرفت آخر ما معي في شراء "نوتا بينا"⁽¹⁶⁾.

الرديلة: لا أعتقد أنني ثمل للغاية. لكن سحقتاً للمجريين، انكح نفسك أيها الصبي الخائب!
نحن هنا سلوفاك من نسل المسيح. لا تكن حيواناً!

الفضيلة: كانت زوجتي الأولى مجرية (حسب ما قاله "يان").

الرديلة: فليناموا في مجارير المصارف، أو يغتسلوا بأقرب كومة خراء.

الفضيلة: هذا لا ينطبق سوى على أهل منطقة "جيلينا" الذين لم ينتخبونني (حسب ما قاله "يان").

الفضيلة: كان يجب أن تدير مراحيض عامة، على أكثر تقدير، فهي لم تتمكن من عمل أي شيء على مدى عشرين عاماً ولا حتى رخصة قيادة سيارة.

الفضيلة: بإمكانني أن أتحدث كيفما أشاء عن نائبتي (حسب ما قاله "يان").

الرديلة: لا أصدق كلمة واحدة مما يقوله "ميتشيار"، فلو أنه نام في التابوت ميتاً لوضعت مرآة أسفل أنفه للتأكد من أنه بالفعل ميت.

الفضيلة: إنه رئيس حزب يشاركنا الائتلاف؛ لذلك أنا أحترمه وأجمله (حسب ما قاله "يان").

حصل أكثر السياسيين شعبية في تاريخ سلوفاكيا على نسبة 42 في المئة، فلو كنت تحب أمثال هؤلاء السياسيين فعليك أن تؤكد بأنه من أفضل السياسيين في سلوفاكيا، ولو لم تكن تحبه فقل بكل بساطة إن غالبية الشعب - أي ستين في المئة منه - لا تحبه.

لو كانت عملية تزييف الحقائق لا تروقك، فلا تيأس، فعندما يحملونك إلى جبل المشنقة في الجليل، فهنيئاً لك، فهذا المكان يُطلُّ على منظر رائع في مدينة القدس. عندما تتمكن من إقناع مَنْ حولك بأن بيلاطس البنطي ليس من صلب المسيح، لكن المسيح هو من صلب بيلانطس البنطي، فأنت تقترب من الكمال. وهذه حقيقة. إنها أفضل مرحلة من مراحل تزييف الحقائق، ولا يقدر عليها إلا أفضل الأفضلين.

(16) مجلة غير دورية تباع لدعم المشردين وأطفال الشوارع. (المترجم)

كيف تنجح في إخفاء ما يدور في رأسك؟

"خَيْرٌ لَكَ أَنْ تُمَسِكَ لِسَانَكَ، وَتَتْرِكَ الْآخِرِينَ يَطُنُونَ أَنَّكَ غَيْبٌ، مِنْ أَنْ تَتَحَدَّثَ وَتُثَبِتَ لَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى حَقٍّ"

نورمان تيببت

الجنس هو أكبر مصدر للسعادة في حياة غالبية البشر، باستثناء المثقفين، كما يقول البعض. وكما يقول "هوكسلي" إن هؤلاء يعتبرون التفكير أكبر مصدر لسعادتهم. أنا لست من المثقفين، ورغم ذلك أجد سعادة في التفكير، رغم أنه نشاط لا ضرورة له في العمل السياسي. لو عرف من حولك أن هناك شيئاً يدور في رأسك فيمكنك أن تضع نفسك في موقف غير مأمون العواقب. إذا أردت أن تستعرض معارفك، فاذهب واعمل في أحد أقسام أكاديمية العلوم، أو في الجامعة، أو كن أديباً، أو فيلسوفاً، أو حتى مدرساً. من يذهب للعمل في السياسة لا يرغب في الاستعراض بمعارفه الفكرية. الإنسان يدخل إلى مجال السياسة ليستعرض بما لديه من قوة.

وقد عبر عن ذلك بكل دقة "سلفستر ستالوني"، قدوة الرجال في العضلات المفتولة، عندما قال: "إن أولوياتي تنصبُّ على القوة البدنية، ولا ينتظر الناس مني أي قدرات عقلية، فلما أخيب ظنهم؟".

وكي تبدو غيباً على نحو مقنع، ولكي تنجح في هذا فعليك:

- ألا تستخدم كلمات أجنبية.
- ألا تتعلم من الآخرين.
- ألا تتفاخر بما قرأته في حياتك من كتب.
- أن تتعجب من كل كلمة تافهة يقولها أحد السياسيين العاديين.

- ألا تتفاخر بعلاقاتك بالمتقفين.

- أن تنفي، وتنفي، وتنفي لو أمسك بك أحد وأنت خارج من نادي الكُتاب، قل إنك دخلت لقضاء حاجتك في الحمام، أو لأن براتسلافا لا توجد بها مراحيض عامة.

- ألا يراك أحد في المسرح، أو الحفلات الموسيقية، ومن باب الاحتياط، البس شعراً مستعاراً حتى لو شعرت بالحر وأنت تلبسه. لف وجهك برباط، وتظاهر بأن وجهك منتفخ من أثر عطب سنن من أسنانك.

- عندما تدخل إلى المصعد في أحد الفنادق، ابدأ في إخراج الأشياء من حقيبتك وتظاهر بأنك في الغرفة.

هذه وغيرها من الحيل الناجعة تجدها في الفيلم الأمريكي "Borat"، إنه دليل مثالي يساعدك كي تجعل من نفسك رجلاً غيبياً. أسعد الآخرين الذين لا يقوون على كتمان معارفهم ببواطن الأمور.

أعرف أنه من السهل على الإنسان أن يقول أحياناً شيئاً ذا قيمة، لكن لو كنت ترغب في بناء مستقبلك السياسي فلا تدع البطولة، وسيحبك الناس. من المناسب قبيل الانتخابات أن تجعل من نفسك "واحد منّا".

كيف تسترزي الآخرين؟

"الغَيْبِيُّ لَا يُسَامِحُ وَلَا يَنْسَى، وَالسَّاذِجُ يُسَامِحُ وَيَنْسَى، وَالْعَاقِلُ يُسَامِحُ وَلَا يَنْسَى"

توماس ساز

التصالح هو سمة أصيلة في الشعب السلوفاكي، إنها أقوى وسائل التواصل التقليدية بين السلوفاك. تحتوي اللغة السلوفاكية على مجموعة كبيرة من عبارات الاسترضاء: "انت زعلان مني؟"، "ما يكونش قلبك اسود"، "احنا ولاد النهاردة"، "اللي حصل حصل"، "خلي قلبك أبيض"، وغيرها. كل نزاع أو مشادة أو عراك ينتهي بتناول كئوس البيرة كي يتصالح طرفا النزاع، والحانة هي المكان التقليدي للتصالح، وهي أيضاً المكان التقليدي لنشوب النزاعات. الشرط الرئيسي للتصالح هو ألا تقتل غريمك، فعندها يصعب التصالح، والأصعب منه أن تتصالح مع غريمك بعدما تطعنه بسكين المطبخ، فينتهي بك الأمر خلف القضبان. تذكر أن اللعبة التي تتصاعد بعملية التصالح يجب أن تكون حسب بقواعد محددة، فسكين المطبخ الذي تنوي استخدامه، إن تطلب الأمر ذلك، يجب أن تشحذه بحيث يدخل إلى ظهر غريمك على مرتين، فقد تُغيّر رأيك في المرة الثانية تحت تأثير تحكّمك في نفسك أنت وغريمك. لو حدث وسببت لغريمك جرحاً جعله على شفا الموت، افعل كل ما في وسعك كي تتصالح معه قبل أن يلقى حتفه؛ وإلا ستظل تعاني مدى الحياة تأنيب الضمير؛ لأن العالم خسر رجلاً لم تتصالح معه.

إن التصالح له تقاليد قديمة في عالم السياسة، فقد تصالح الملك "هنري السادس" مع الإنكشاريين، واليوريكيين، فظهر التيودوريون جراء هذا. كما تصالح روميو وجولييت مع المونيكيين والكابوليتيين، فظهرت مأساة شكسبير المعروفة. تصالح "يان سلوتا" مع "أننا ماليكوفيا بيلوروسوفا"، فظهر الحزب الوطني السلوفاكي للمرة الثالثة.

كيف تطعن بسكين في الظهر؟

"أَيًّا كَانَتْ سُرْعَتُكَ فَلَنْ تَكُونَ أَسْرَعَ مِنْ طَلْقَةِ الرَّصَاصِ"

عيدي أمين

رغم أن الأمر مفهوم، لكنني سأكرر من باب الاحتياط أن الطعن بالسكين يكون في الظهر بشكل أساسي. يحظى مصطلح "يطعنه بسكين في ظهره" بمعنى مختلف في مجال السياسة، يختلف عن معناه الذي يتضمن أن تقتل شخصاً بصورة حقيقية، إنه يعني أن تخدع أحداً، أو تخونه، أو تغدر به. من يطعن منافسه السياسي بسكين في ظهره هو رجل دائماً ما كانت تربطه به علاقة صداقة في أغلب الأحيان. الشرط الرئيسي لأن تطعن في الظهر بنجاح هو العناق الحميم المخلص، ولو لم يثق فيك منافسك لما أقبل على معانقتك. إن الطعن في الظهر ليس كتدبير المكائد، فتدبير المكائد عملية طويلة، في حين يعني الطعن في الظهر نهاية حتمية للمطعون. السياسي لا يطعن في الظهر بشخصه، إنه يستأجر أشخاصاً يسهل التخلص منهم بعد إنهاء المهمة.

من اللافت للنظر عند الطعن في الظهر أن الأشخاص المستهدفين من قبل شخصٍ ما غالباً ما يكونون على علم بما سيحدث، ورغم ذلك يواصلون معانقة القاتل المحتمل، إنه قدرهم. إن القتل المحتمل (أو في الغالب المغدور) رغم ذلك لا يريد أن ينتبه إلى التحذيرات المتتالية من أن الرجل الذي يحذرونه منه يمكن أن يغدر به، وأحياناً تأخذه العزة بالنفس إلى دفع الخوف من حشرة حقيرة، وينسى أن أكبر السياسيين قُضي عليهم منذ أيام الإغريق دائماً على يد حشرات حقيرة، وكان الخدم الذين طعنوهم في ظهورهم يتفاخرون بما فعلوا، ومثال على ذلك القيصر و"بروتس".

يا رؤساء الأحزاب، ورؤساء الجمهورية، وأيها الملوك، والقيصرة، وغيرهم من الحكام! انتبهوا إلى أكثر الناس موالاةً لكم! لو ظهر بجوارك من يدين لك بالولاء، فاستدع على الفور حارسك الشخصي كي يتفحصه بدقة. أقسم لك أنهم سيجدون معه سكيناً.

كيف تفتري على الأصدقاء والأعداء؟

"أَنْ يَقِفَ الْعَدُوُّ مَعَكَ فِي خَيْمَةٍ وَاحِدَةٍ وَيَتَبَوَّلَ مِنْهَا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَقِفَ خَارِجَ الْخَيْمَةِ وَيَتَبَوَّلَ فِيهَا"

ليندون باينس جونسن

من السهل تشويه سمعة الأصدقاء؛ لأنه أمر يتوقعه منك كل إنسان، إنه أضمن لك من ذم الأصدقاء، فالسياسي يستغل كل فرصة ممكنة للقدح في عدوه. هذه التجربة سوف تفيده عندما يضطر إلى تشويه الأصدقاء. وبما أن ذم الأعداء يبدو أكثر سهولة من ذم الأصدقاء، قد يعجب به السياسي المرتقب. لكن عليه أن يحذر؛ لأنه قد يحدث أن يصل إلى موقف يُتهم فيه بأنه غير قادر على ذم الأعداء. لا يقدر على ذم الأصدقاء إلا الأشخاص الأقوياء، فأى شخص جبان بمقدوره تشويه سمعة عدوه. لكن من العبث الكف عن ذم العدو، فهو يثني على ذلك عندما يصير صديقاً لكم.

يجب أن يكون الذم مقنعاً، فمن المعيب أن تقف أمام كاميرات التلفزيون وتؤكد أن أحدهم لا يشرب الكحول بينما هو يقف متكئاً عليك وغير قادر على أن يقف على قدميه. يمثل هذا الذم لا يمكنك أن تحصل على الشعبية المرجوة. ولا يكون مقنعاً أن تقدح في امرأة جميلة، فكل من يذم امرأة جميلة يعجب بها في قرارة نفسه، لكنه عاجز على أن يعترف بذلك، فهو يبحث فيها عن شيء سلبي كي يرضي غروره البائس. إن الرجل الواثق من نفسه لا يسمح لنفسه بأن يخوض في سيرة امرأة جميلة. يمتدح عقلها، وشكلها، وثقافتها، وذكاءها الفطري. الرجل النبيل لا يقول الحقيقة في وجود سيدة جميلة، حتى ولو كانت من حزب آخر. تقول "صوفيا لورين"، أيقونة الجمال الأنثوي: "النساء الجميلات تحظين بمكانة خاصة لدى الرجال أكثر من النساء العاقلات. كثير هم الرجال الأغبياء، وقليلون منهم معدومو النظر".

يكثر ذم الأصدقاء كما يكثر ذم الأصدقاء. يجب عند ذمك لأصدقائك أن تكون يقظاً، فلا

تقدح فيهم إلا في حضرة أصدقاء حقيقيين. أما الأصدقاء الحقيقيون فلا تدمهم إلا في حضرة أصدقائك المقربين. ولا تدم أفضل أصدقائك إلا في حضرة النخبة المنتخبة من أصدقائك، فلو أنك سببت أحدهم في حضرة أصدقائك المقربين، فهذا يضمن لك أن يعرف الجميع بما قلته. لكن عليك أن تؤكد لأصدقائك المقربين أنهم من أفضل الأصدقاء لديك، ولكي تؤكد على هذه الصداقة المتينة يمكنك أن تستخدم عبارات مثل: "أنت أفضل صدقك لي"، فلو ساروك شعور بأنه لا يصدقك، فيمكنك أن تؤكد على ما قلته بعبارة: "يا لها من سعادة أن تكون أفضل أصدقائي". فأنت تقرض أصدقائك المقربين الأموال، ولا تسألهم عنها. إن إقراض الأموال من أفضل موضوعات القدح في الأصدقاء، وهي حالة مستحقة فقط لمن لا يعيد ما اقترضه. من أفضل الطرق التي تحول دون علمك بأن أحدهم يذمك، الذم غير المسمّى. ستعرف أن أحدهم ذمك دون أن تعرف من هو عندما يبدأ أصدقاؤك في تجنبك الحديث معك. لكن لا تنزعج، عليك أولاً أن تتأكد من أنك لم تسقط في الوحل. فلو كانت رائحتك طيبة، وما زالوا يتجنبونك فهذا دليل سوء وإشارة إلى أن أعداءك وأصدقاءك يسعون إلى النّيل منك. الأوائل منهم ينهشون في سيرتك، والآخرون ينقلون إليك ما يقولونه. لكن لا تحزن؛ لأن الأمر قد يكون بالعكس. الأمر يتوقف عليك.

كيف لا تتدخل فيما لا يعنيك؟

"لا تُعَلِّ أَيَّ شَيْءٍ مَهْمًا كَانَ الْأَمْرُ، فَأَصْدِقَاؤُكَ لِيَسُوا فِي حَاجَةٍ إِلَيَّ ذَلِكَ، وَسَيَتَفَهَّمُ أَعْدَاؤُكَ الْأَمْرَ"

بنيامين دزرائيلي

من العادات الحمقاء أن تطفئ ناراً لم تطلك، وهي عادة متأصلة فينا. فقد جاء في وثائق مقاطعة "تشيرني كامن" التي تعود إلى عام 1556 أنه: "... لو رأى أحدكم ناراً ولم يشارك في إطفائها فسوف يدفع لسيدّه قطعتين من الذهب، يتول ثلثها إلى ملكية المقاطعة. ولو أن جارك القريب جذبك، وسحبك، وصرخ فيك كي تذهب لتطفئ ناراً ولم تذهب، فسيكون مثله مثل مأمور أبلغ عن حريق، وستدفع قطعتين من الذهب، يذهب ثلثها لمن أطفأ الحريق والثلث الآخر للمقاطعة، ونصفها للسيد".

يتضح من نص هذا القرار أن إطفاء الحريق ليس الخيار الأفضل، والأفضل منه أن تشعل حريقاً، ثم تعلن عنه، وتستدعي الآخرين لإطفائه.

لا تتدخل أبداً فيما لا يعنيك، لكن عندما يملكك شعور بأن الوقت قد حان كي تتدخل، فاعمل ميّتاً، وابتعد، واطرح الأخلاق جانباً، واطلب إجازة مدفوعة الأجر أو غير مدفوعة الأجر، أي شيء، المهم ألا تورط نفسك في عمل غير محمود العواقب. عليك أن تنتظر حتى تهدأ العاصفة، فكل الأوقات العاصفة تمر. ومن أكثر الأمور فائدة في تطبيق تقنية عدم التدخل التالي:

- أن تخبئ رأسك في القش.
- أن تخبئ عند أحدهم.
- أن تهرب عند أمك.
- أن تطمر نفسك وسط جسر إسمنتي على الطريق السريع.
- أن تقول: أنا لا أعرف شيئاً، أنا مجرد عازف موسيقى.
- أن تدخل أسفل تيار ماء ضعيف.

- أن تشعل حريقاً آخر صغيراً.

تعد مواقف القوى العظمى تجاه ألمانيا النازية أكبر مثال في السياسة الدولية على تطبيق المثل القائل: "لا تتدخل فيما لا يعينك"، فقد امتنعت القوى الغربية عن الاحتجاج على الخطاب المتصاعد المعادي للديمقراطية في ألمانيا بعد وصول هتلر إلى السلطة، بل وسعت إلى الاستفادة من جرأته في معارضة الشيوعيين السوفييت؛ لذلك تظاهرت تلك القوى بأن الأمور في ألمانيا على ما يرام، وبلغت هذه الفلسفة أوجها في مؤتمر ميونخ عام 1938 حيث طبقة بريطانيا العظمى وفرنسا الشعاع القائل: "لا تتدخل فيما لا يعينك". ورغم أنهم قد تمكنوا من نزع فتيل الحرب الذي ظهر، لكن في مقابل كثير من الضحايا.

ومن المواقف المُكْمَلَة لفلسفة "لا تتدخل فيما لا يعينك"، ألا تتدخل حتى فيما يعينك. يجب أن تعرف أن أهم شيء في التدخل هو أنه يختبئ خلف ظهرك من كان عليهم أن يتصدروا الصفوف، لكنهم لأسباب معرفة امتنعوا عن التدخل. عادة لا يتدخل إلا من يتمتع بميل غريب وشاذ نحو العدالة.

عند التدخل في أمر ما تَوَقَّع شيئين: أن تنجح في مسعاك، أو تحرق نفسك. ولن تخرج من تورطك في الأمر خالي الوفاض. فلو أنك أطفأت ناراَ فعليك أن تتوقع أنها ستشب عما قريب في مكان آخر، عندها سيتوقع كل من حولك أن تكون أول من يبادر في إطفائها؛ نظراً لخبرتك في هذا الأمر. لو أنك لم تبادر في إطفائها، واحترق البيت، لا قدر الله، فستتحمل أنت وزر ذلك.

عندما تضطر إلى أن تتدخل سيظهر قادة يجيدون مثل هذه المواقف، ويتمتعون بالاحترام الكافي، لكن المشكلة هي أنهم يغضبون الناس بمواقفهم هذه أكثر مما يسعدونهم. يغضبونهم لأنهم لم يُطهروا نفس الشجاعة في المواقف الحرجة. وعندما ينتهي الأمر يظهر الجبناء، وهدفهم الوحيد هو أن يُنحُوا ذلك الرجل المقدم لأنهم لا يمكنهم أن يقفوا معه جنباً إلى جنب. كان المسيح خير مثال على الرجل الذي يتدخل فيما لا يعنيه، في كل مكان يذهب إليه، وانتهى أمره كما انتهى.

غالباً ما يحدث أن تطفئ ناراَ لا تطالك، فتشب بعدها في بيتك أنت شخصياً. قبل أن تضع وقتك بإطفاء حريق الآخرين فكر في بيتك الذي يحترق؛ لأن معظم الغرباء الذين تساعدهم لن يساعوك في إطفاء حريق بيتك، وتأكد أن من ساعدته كي ينقذ بيته لن يأتي لمساعدتك في بناء بيتك الذي احترق.

متى يكون لديك وجهة نظر؟

"كثيرون هم من يرغبون في التعبير عن آرائهم الخاصة، وقليلون من يتقبلون صفة على وجوههم بسبب هذه الآراء"

المؤلف

إن طريقك إلى جهنم أن تكون صاحب رأي في السياسة. أفضل طريقة تحقق بها نجاح في السياسة هي أن تكون بلا رأي. عندما تكون بلا رأي فأنت في مأمن من أن يكون رأيك خطأ. والرأي الخاطئ هو الرأي الذي يختلف مع رأي الرئيس. لكن لو أردت أن تخاطر برأيك، فتأكد أولاً من أنك تمتلك وظيفة أو وظيفتين احتياطيتين. إن من لديه رأي في العمل السياسي يثبت أنه يفتقد الواقعية. إن السياسي الطبيعي لا يقول رأيه إلا بعد أن يقول رئيسه رأيه. لا تستسلم أبداً لدعوة خبيثة من رئيسك كي تعبر عن رأيك، مهما حصل. لا تفصح أبداً عن رأيك حتى لو هددوك بالتعذيب أو الإعدام. بعض الرؤساء يزعمون المبتدئين في السياسة أحياناً بأن يمتنعوا عن التصريح بآرائهم عمداً. يراوغونهم، ويستفزونهم محاولة منهم أن يسمعو رأي من يرأسونهم قبل التصريح برأيه الخاص.

لقد عالج أحد السلاطين الأتراك قضية التصريح بالآراء الإيجابية بطريقة مثالية، عندما أمر بعمل نافذة في جدار الغرفة في البيت يلتقي فيها وزراؤه. كانت نافذة صغيرة، لكنها كافية لأن يجلس وقتما يشاء في الغرفة المجاورة ويسترق السمع إلى ما يقوله وزراؤه. كانت صالة الاجتماعات مبطنة بطبقة من الجرانيت النادر؛ لذلك كان الصوت يأتيه نقياً، وكان هذا أمراً جيداً لأن الوزراء لم ينطقوا بأي كلمة خبيثة في حق السلطان.

في حالة انزلق لسانك وأعربت عن رأيك، أنفه على الفور. لو قررت لأسباب غامضة أن تعبر عن رأيك صراحة، فعليك قبلها أن تصرح بأنك لا تؤيد هذا الرأي. عندما قدم نائب المعارضة "تيبور ميكوش" ذات يوم اقتراحاً بإقالة وزير التعليم، قلت له: "إنه اقتراح وجيه لكنني لا أتفق معه".

لا أنصح على الإطلاق أن تتبادل الآراء مع الرئيس، أو أحد من حاشيته؛ فتبادل الآراء هذا
سيتمعه استبدال الشخص الذي تبادل الآراء.

كيف تُبرر الأشياء؟

"المُبرراتُ الكَثيرةُ أَكثَرُ إقْناعاً مِنْ مُبرِّرٍ وَاحِدٍ"

ألدوس ليونارد هوكسلي

إن المبرر الجيد أهم من حقيقة منخفضة الجودة. من أكثر المبررات سوءاً، هو الطقس، والحضور المفاجئ لأم الزوجة، أو موت الجدة. لكن المبررات المثالية تكون من نوعية: "لنقص في الفضيلة". لقد قتل الأمريكيون غالبية الهنود الحمر، ونقلوا من نجا منهم إلى أكثر من 300 مستوطنة، وسمحوا لهم في تلك المستوطنات بالاتجار في السجائر والكحول، فأعجب الهنود بالأم، وأدمن كثير منهم الخمر، وبدأ علاجهم من أموال دافعي الضرائب الأمريكيين. اتضح أنه لو كان الأمريكيون أصحاب مبادئ لما واجهوا مثل هذه المشكلات، لقد تسببوا فيها "لنقص في الفضيلة". أكثر المستعمرات ربحية كانت مستعمرة "أباتشي" في "نيو مكسيكو"، فقد كانوا يهربون السجائر والكحول بطريقة ناجحة، واعتقد الأمريكيون أن الهنود سعداء في مستعمراتهم.

إن الأعدار المتواصلة تصنع لك صورة عظيمة، فعندما يتطلب الأمر عمل شيء ما فلن يلجئوا إليك؛ لأنهم سيتوقعون أنك سوف تقدم الأعدار. أهمية تقديم الأعدار والمبررات لا تظهر لحظة النجاح في صورة "تهرب" من حدث ما، بل في نظرة من حولك إليك.

من الضروري إعداد الذرائع المختلفة لكل المواقف. لا تناسب رجل السياسة أعداراً من قبيل: "لقد تأخرت الحافلة". لن يصدقك أحد؛ لأنه لم يظهر حتى الآن سياسي يركب الحافلات (مرة واحدة رأيت فيها "دوشان تشابلوفيتش"). كذلك لا تفيد ذرائع مثل: "لقد تأخرت لأن بابا الفاتيكان كان معي على الهاتف". لكن عليك أن تقول: "لقد كنت أجري محادثة هاتفية في غاية الأهمية لشعبنا بأكمله".

- "لقد أخطأت في التصويت، لأنني كنت أكتب رسالة نصية".

- "لقد تجمع حولي المواطنون، سعداء بوجودي، فلم أتمكن من تركهم".

- "حدث ثقب في إطار سيارتي".

- "أُصِبت بِحَمَى".

- "ماتت أمي".

- "انقطعت عنا المياه، ولم أتمكن من الاغتسال".

- "أُصِبت بنوبة إسهال".

- "أنا نائب جديد، فبحثت طويلاً عن مقر البرلمان".

- "لقد زلت يدي" (أثناء التصويت الخطأ).

- "لقد داهمتنا مياه الفيضان، وجرفت المرفأ والسيارة".

- "تعرضت لحادثة سير".

- "اشتعلت النيران في منزل جاري، وكنت أساعده في إطفائها".

- "اشتعلت النيران في بيتي، ولم يساعدي جاري".

- "حدث زلزال في شارعنا".

- "لم أعر على نظارتي" (أو مفاتيح السيارة، أو الهاتف المحمول، أو محفظة النقود).

- "سقطت مفاتيحي في البالوعة".

إن تقديم الأعدار ينفج طالما كنت واثقاً من عدم وجود شهود على ما حدث، وإن كان قد حدث بالفعل. فعندما تقول إنك قد تخلف عن التصويت لأن صهرك قد انقلب به القارب، فعليك أن تتأكد أولاً من أن صهرك هذا قد لقي حتفه غرقاً. لو لم تكن واثقاً فعليك أن تتحلى بالشجاعة وتعترف بأنك لم تعثر على مكان في جراج البرلمان لتتركه فيه سيارتك.

الخيانة أحياناً تفيد

"الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ لِلصَّرَاحِ مِنَ أَجْلِ الشَّرَفِ هُوَ أَنْ تَكُونَ شَرِيفًا"

المؤلف

إن الوفاء بالعهود يكون نافعاً عندما تكون قواعد اللعب نزيهة. وبما أن السياسة مجال عمل لا تنطبق فيه قواعد اللعب النزيه ولا حتى مبادئ العمل النزيه، فلا تنتظر في هذا المجال أن يفي أحد بعهوده، ولو التزم أحد المشتغلين بالعمل السياسي بكلمته فقد يسبب فوضى عارمة. إن النكث بالعهود جزء لا يتجزأ من طبيعة العمل السياسي.

الغدري يكون على ثلاث مراحل:

1. عدم الثبات على عهد.

2. الخيانة.

3. القتل السياسي.

لا توجد عمليات القتل السياسي في السياسة الحديثة إلا عندما نعرف بها بشكل موثق. فلم يكن من الطبيعي إخفاء مقتل "جون كينيدي"، أو "أنور السادات"، أو "ألوف بالم"؛ لأنهم قتلوا أمام أعين الناس. وسيكون من الهزل أن تقنع الرأي العام الأمريكي أن سيارة "كينيدي" قد أسرع نحو رصاصة انطلقت من طائرة تمر صدفه فوقها. الأمر مختلف عندما يحدث هذا دون وجود دليل. يعد استخدام السيارات من الأساليب الحديثة للقيام بعمليات القتل السياسي، يمكن التذرع خلالها بأن السيارة قد انزلقت أو أن المحرك قد تعطل. لن يعرف أحد كيف مات "أليكسندر دوبتشك"، أو "روبرت ريماش"، وإن كانا قد لقيتا حتفهما لخطأ شخصي، أو بأيادٍ أجنبية، كما لن يعرف أحد ما هي تلك الأيدي الأجنبية التي تسببت في مقتلهم. لكن لا يجب أن نتوقف كثيراً عند هذا الأمر؛ لأن هناك فريقاً من خيار المحققين الأمريكيين يجري تحقيقاً في مقتل "كينيدي" على مدى ما يقرب من

خمسین عامًا، ويؤكد الفريق على الدوام بأنه على وشك التوصل إلى نتائج هذا التحقيق.

في عملية الغدر السياسي تأتي الخيانة في المركز الثاني بعد النكث بالعهود، ويحتل القتل المركز الثالث. إن وسائل الغدر كثيرة، ويمكن أن يغدر أي شخص بأي شخص، فقد خانوا المسيح، والقيصر، والبلد، والناخب، والأفكار، والثورة، والمثل العليا، ويمكننا أن نخون حتى أنفسنا. لم يعد الغدر محفوفًا بالمخاطر كما كان من قبل، فقد كانت خيانة حاكم البلاد في العصور الوسطى تنتهي بالتمثيل بالجسد أو بالغرق، وكان الخونة يكافئون بالعطايا السخية كما يحدث اليوم، لكنهم لا يحصلون على الذهب أو الفضة، بل يعيّن الخونة في الإدارات الرقابية، أو في رئاسة مجالس إدارة الشركات التي يتمتعون فيها بنفوذ يصب في صالح تلك الشركات.

الجلد الثخين

"لَوْ لَمْ تُعْجِبْكَ مَبَادِييَ، يَكْفِينِي أَنْ تَقُولَ لِي هَذَا، فَعِنْدِي مَبَادِيٌّ أُخْرَى أَعْرَضَهَا عَلَيْكَ"

جروشو ماركس

مجازفة كبيرة أن تذهب إلى سوق السياسة بجلد رقيق. قدم أحد النواب المستقلين مثالاً على امتلاك الجلد الثخين في المدة الانتخابية الثالثة، فقد انتظر أن يضعه حزب بعينه من أحزاب الائتلاف الحاكم على قوائم الانتخابية، فقام وزير الصحة القادم من ذلك الحزب بإجراء عملية إصلاح موسعة، وكأنه فعل ذلك عن عمد. وذات يوم احتج جمهور من المواطنين الغاضبين على تلك الإصلاحات الجذرية أمام البرلمان. أدرك النائب أن صوت الناخب الغاضب له نفس الأهمية مثل صوت الناخب غير الغاضب، فاندسَّ وسط المحتجين وراح يردد معهم: "يسقط "زايست"! (وهو اسم وزير الصحة وقتها)، أو "لا للرسوم على الأدوية!"، ثم دخل نائبنا هذا إلى القاعة، وراح في مداخلته يدعم خطوات الإصلاح الذي قام به الوزير، وأنهى المداخلة قائلاً: "أدعم بشدة فرض رسوم على الأدوية".

مثال آخر على الجلد الثخين قدمه نائب كان معنيًا بقضية الأمن في أحد الأحزاب المعارضة وقت أن أرسل الائتلاف الحاكم فريقًا من المهندسين إلى العراق. انتفض النائب معارضًا إرسال الفريق إلى العراق وقال مغللاً: "إننا بإرسالنا فريقًا إلى العراق ندعم القوى الإرهابية الإسلامية، وهذا سيضعف موقفنا على الصعيد الدولي، ولا تربطنا بالنتائج أي التزامات أخلاقية، كما أن الشعب العراقي لن يكون ممتنًا لنا، فهو لا يعرف بوجود دولة سلوفاكيا، فلو أرسلنا فريقنا فنحن نهدد أمن سلوفاكيا، وسوف يتكلف هذا 150 مليون كرون سنويًا من أموال دافعي الضرائب، فضلًا عن أن الجنود هناك لا يفعلون شيئًا". بعدها انضم النائب المعارض إلى حزب آخر من أحزاب الائتلاف وقال الكلمات التالية بخصوص إرسال جنودنا إلى العراق: "إنه لأمر جيد أن يشارك جنودنا في حرب العراق، فنحن بذلك نساعد على إضعاف الإرهاب الإسلامي، وندعم الموقف الدولي لبلدنا، إنه التزام أخلاقي منّا تجاه الناتو، كما أن الشعب العراقي سيكون ممتنًا لنا، وسندعم بذلك أمن سلوفاكيا. كما أن

150 مليون كرون يعد مبلغًا هزلياً مقارنة بمئات الأرواح العراقية التي سننقذها". إن تلك الحجج التي أوردتها لا تخلو من منطق، لكن القضية هي لصالح من سيستخدمها. الهدف الأكيد هو المصلحة الشخصية.

الشرط الأساسي في العمل السياسي هو التحصن ضد البيئة المحيطة، والسير قدمًا إلى الأمام لتحقيق الأغراض الشخصية. إن فرس النهر هو الحيوان الذي يجب أن يتخذه الشخص الساعي إلى بناء مستقبل سياسي مثاليًا له؛ وذلك لعدة أسباب: فهو يكره النور، ويعشق المياه العكرة، ولا يشعر بالسعادة إلا وهو غارق في الوحل، وكلما كان الوحل قذرًا شعر بمزيد من الأمان والسعادة.

وبعد أن يجف الجلد الثخين في الشمس يصير صلبًا إلى درجة أنه يمكنك أن تشحذ فوقه أحجار الماس، فالماس - كلمة يونانية تعني الصلب الذي لا يتغير - يَقْوَى على شيء وكل شخص، باستثناء الجلد الثخين. احصل على ماسة، واجعل زوجتك تشحذها فوق جسدك. لو نَجَحْتَ، ادخل إلى عالم السياسة، ويمكنك أن تعطي الماسة لزوجتك الماسة، فبال تأكيد ستجني أموالاً كثيرة لتشتري بها ماسة غيرها.

انس الانفعالات!

"يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ كَالْحَجَرِ كَيْ لَا يَنْفَجِرَ مِنَ الضَّحِكِ عِنْدَ قِرَاءَةِ مَأْسَاةٍ "مَوْتِ نَيْلِي
الصَّغِيرَةِ"

أوسكار وايلد

لو تعرضت لموقف عرفت منه أنهم طردوك من البرلمان، أو أقالوك من وظيفتك، فلا يجب أن تظهر حزنك على الملام، تحت أي ظرف، فالجميع يترقب هذه اللحظة. على العكس، أظهر قوة شخصيتك وضحك! إن إظهار الانفعالات في السياسة تصرف لا طائل منه، ففي حين يكون البكاء في الحياة العادية أثناء جنازة قريب لك تصرفاً مقبولاً، في السياسة لن يقتنع أحد أن نائب الرئيس أن قد يذرف الدمع في جنازة رئيسه الذي سيحتل مكانه في اليوم التالي.

لو تحكم شيوعي سابق، ورجل معترف به دولياً في الوقت الحالي على أنه معادٍ للفكر الشيوعي اللينيني، في انفعالاته، لما كتب في عام 1953، وبعد وفاة "ستالين" و"جوتوالد" بوقت قصير هذه القصيدة العاطفية المؤثرة:

اجتمعاً كاجتماع شقيقين

كأبٍ وأبيه

كلاهما يتبع الآخر

الرفيق "جوتوالد مع الرفيق "ستالين"

يا شعب السوفييت، جمّعنا حزننا معاً

ولن يؤثر في حبنا أحد

جمعاً بيننا في حياتهما

ووصلًا بيننا حتى في مماتهما وإلى أبد الآبدين

اليوم يندم صاحب هذه القصيدة على كتابتها، ويندَى منها أيضًا جبين الشعر.

لا يفيد مستقبلك السياسي أن ترقص من السعادة عندما يعلن المسئول عن التصويت السري في مجلس النواب السلوفاكي أن المرشح الذي أجبروك على التصويت له، ضد إرادتك، لم يتم اختياره. إن إظهار العواطف أمام كاميرات التلفزيون أو ميكروفون الإذاعة قد يكون عملاً يتوقف عليه مصير السياسي الذي تقوده عواطفه، فالصحفيون يتأهبون لكل لحظة يشعرون فيها بأن رجل السياسة مفعم بالمشاعر الجياشة، ويحتاج إلى أن يعبر عنها. لكن عليه أن يكون قويًا، يجيد التحكم في مشاعره. قوي، لكن عاطفي حسب الحاجة، بصورة غير مباشرة وغير ملحوظة.

إن العواطف الإيجابية خطيرة، شأنها شأن العواطف السلبية، فمثلًا لو أنك تشققت في الهواء، وشدت شعرك من السعادة عند قدوم رئيسك لحضور الاجتماع، فسوف تكون رغم ذلك محل شك، كما لو أنك رحبت برئيسك وأنت ترفع علمًا أسود. البكاء هو أسوأ مظاهر التعبير عن المشاعر؛ لأنك وأنت تفعل لا تعرف إن كان البكاء من فرط السعادة أم الحزن؛ لذلك يفضّل ألا تشارك في فعالية وأنت غير متأكد من أنك لن تتحكم في مشاعرك.

لا تثق في أحد، وخاصة الأصدقاء

"لَا تَثِقُ فِي صَدِيقِكَ الَّذِي يَقُولُ لَكَ إِنَّهُ سَيِّدٌ فِي بَيْتِهِ، فَهُوَ غَالِبًا يَكْذِبُ كَمَا يَكْذِبُ فِي أُمُورٍ أُخْرَى"

مؤلف مجهول

كان الفكر السائد في النظرية اللينينية هو: تعلم، وتعلم، ثم تعلم. أما في أمور الدين فالأمر هو أن: تؤمن، وتؤمن، ثم تؤمن. وفي السياسة: لا تثق في أحد، لا تثق في أحد، لا تثق في أحد. ليس مهمًّا، لا في الدين ولا في السياسة إن كنت مؤمنًا أم لا، المهم هو أن تتظاهر بأنك مؤمن. لو لم تكن مؤمنًا بالله، فهذه ليست مشكلة، لكن المهم هو أن تؤمن بأن بابا الفاتيكان هو خليفة الله على الأرض، وأنه عندما يرضى عنك رئيس الكهنة "سوكول" فقد ضمنت مكانك في الجنة.

المهم في السياسة هو ألا تثق في أحد، لكن تتظاهر بأنك تثق في كل إنسان، عندها سيحبك الجميع، فالناس تحب من يثق بها، فالأشخاص سريعو التصديق ينالون ثقة الآخرين مع الوقت، وهو ما يمكنهم من معرفة أخبار لم يكونوا يعلموها لو أنهم لم يُظهروا على الملأ ثقتهم في غيرهم.

لكن حذارٍ أن تفعل وأنت في زيارة لصديق لك دعاك إليه فجأة وبلا سبب. إن اللحظة الفاصلة تحين عندما يقدم لك صديقك كوب الشاي، مع اعتذار منه. لو لم تكن متأكدًا، وأنت عنده، إن كان يراقبك، أو يتأكد من أنك قد ارتشفت شيئًا من كوب الشاي، فيمكنك أن تشرب بعضه بكل اطمئنان. فلو أنك وضعت الكأس فوق فمك وشربت منه رشفة رمزية فلن تصاب بالتسمم حتى لو كان الشاي مسممًا، فقد يفهم صديقك أنك لا تثق فيه، ومثل هذا التشكك قد يؤدي علاقتك به بصورة كبيرة؛ لذلك اشرب بروية. إنه الأسلوب الوحيد الذي تتأكد به من أن صداقتكما ستبقى قوية إلى الأبد.

الناس عادةً تتشكك في كل شيء، ويمكنك أن تجرب هذا بنفسك. حاول أن تنبه صديقك

وأنتما تمران بأحد الأسوار بأنه قد تم دهانه مؤخراً، وضع يدك على السور. لن يصدقك، وسيتصرف كما يتصرف عندما تخبره بأن الشاي قد صار بارداً، حيث يرتشف من كأس الشاي بكل تشكك.

عندما تتعامل مع الأشخاص الذين احترفت الكذب، لا يمكن أن تعرف منهم متى يقولون الحقيقة. لقد عيّن "نابليون" في جناحه الأيسر وهو في "واترلو"⁽¹⁷⁾ "مارشالاً اعتاد أن يكذب عليه في السابق. وعندما أخبره في ظهيرة الثامن عشر من يونيو عام 1815 بأن البروسيين يهاجمون من جهة اليمين بقيادة "بلوشر"، لم يصدق نابليون؛ لأنه قبل ذلك بيوم شت شمل البروسيين في منطقة "ليجينا". غير أن البروسيين تجمعوا من جديد، ثم أغاروا على الفرنسيين بقوة قوامها ستون ألف رجل. لو أن "نابليون" قد صدق المارشال، لتغير التاريخ. فقد تسبب انعدام الثقة في هزيمة "نابليون" هزيمة منكرة.

يجب أن تنتبه كثيراً إلى الأصدقاء الذين يستخدمون عبارات مثل: "هذا سرٌّ بين وبينك"، "أصارك القول"، "أقسم لك بأولادي"، "أعدم وظيفتي لو لم يكن ما أقوله حقيقة، أو أصاب بشلل، أو يتساقط شعري"، إلى آخره. لو استخدم صديقك مثل هذه العبارات، فاعلم أنه لا يصدقك القول، ولو واصلت تصديقه، فستكون قد جنيت على نفسك.

(17) مدينة في بلجيكا، انهزم عندها نابليون هزيمة منكرة (المتروجم).

لا تفصح عن نواياك

"أَغْلِقْ فَمَكَ مِنْ فَضْلِكَ، أُرِيدُ أَنْ أَرَى بَاقِيَّ وَجْهِكَ"

مؤلف مجهول

هناك الكثير من الأساليب التي تساعدك على عدم البوح بنواياك. من باب الاحتياط، نَمُّ قبل أن تقرر أن تصرح بما تنوي فعله، لكن لا تنم بالمعنى الحرفي للكلمة، بل تظاهر بأنك نائم. سيطر على الموقف، واسمع لكل ما يقال، ولن يسألك أحد عن أي شيء. لو لم تتمكن من التظاهر بالنوم، فاستغرق في النوم بالفعل، لكن انتبه كي لا تتكلم وأنت نائم، فقد تفصح عن نواياك، وعمَّن صوتت لصالحه أثناء الاقتراع السري.

غالبية السياسيين لا يستطيعون التحكم في أنفسهم، ويفصحون عما ينتوونه. إن التصريح بالنوايا من المظاهر الشائعة، خاصة قبيل الانتخابات، عندما يتحدث أمام العالم عن الأسباب التي دفعته ليكون نائبًا.

إن خطوة التصريح بالنوايا الحسنة تكمن في أن أحدهم قد يزايد عليك فيها بعد أن تصرح بها، وعندما يتحقق شيء من نواياك الطيبة، سيقول من زايد عليك إنك سرقت منه أفكاره. السرقات تحدث للبيوت الريفية، والشقق، والمقابر، ومحصول البطاطس، والكنائس، والبنوك، أو لمقرات الأحزاب. وفي حالة التلبس تعرّض نفسك للعقاب، لكن لا يعاقب أحد على سرقة برامج الأحزاب. تتعرض هذه البرامج للسرقة لأن الأحزاب السياسية تصرح بنواياها الحسنة مسبقًا، سعيًا سخيًّا منها في نيل رضا المواطنين، وتنسى أن المواطنين لا يقرءون البرامج الحزبية، بل يقرأها العاملون في الأحزاب السياسية المنافسة. يقرءونها بغرض واحد، وهو سرقة الأفكار الجيدة وتعديلها، ثم تقديمها على أنها أفكارهم. السياسة مليئة بحالات سرقة الأفكار والنوايا الطيبة. ومن المستحيل أن يتبين المواطن من أن فكرة زيادة قيمة المعاشات، أو الضرائب، أو الأجور قد جاء بها أولًا الحزب ألف، أو الحزب باء، أو الحزب جيم. لو أنك أعلنت عن نواياك أو نوايا حزبك دون قصد فلن يحدث شيء، فالناس لن يصدقوك على أي حال.

كيف تدرّب نفسك على الخطابة؟

"يَبْدَأُ الْعَقْلُ الْبَشَرِيَّ فِي الْعَمَلِ مُنْذُ لَحْظَةٍ وَلاَدَتِكَ، وَيَتَوَقَّفُ عِنْدَمَا تَبْدَأُ فِي الْحَدِيثِ أَمَامَ الْجُمْهُورِ"

ليون جاسيل

الخطابة شرط رئيسي للنجاح في الحياة السياسية. السياسي الأصم لا يفهمه أقرب المرقبين إليه، وهي أمه. وكلما كنت صاحبًا وأنت تخطب، كان ذلك أفضل. ليس صحيحًا أن الخطابة فن، الفن هو تتحدث في المكان والوقت الصحيحين. دعا "يوسف جوبلز" إلى مؤتمر جماهيري في إحدى الصالات الرياضية بمدينة برلين في يوم استسلام الجيش الألماني السادس المحاصر في مدينة "ستالينجراد"، في 18/2/1943، وعندما أضحت هزيمة الفيلق الألماني في إفريقيا بالقرب من طرابلس محققة لا محالة. تمكن من استدعاء الجماهير التي حضرت لكي تصيح بغضب: "نريد حربًا شاملة!". كان الفرق كبيرًا بين المطالبة بحرب شاملة في حالة رياضية دافئة، بينما درجة الحرارة ثلاثون تحت الصفر في مدينة "ستالينجراد". انتبه "جوبلز" إلى هذا الأمر، وعندما انبعث الابتهاج من الصالة الرياضية، وصيحات الحماس والدعوة بالمجد للزعيم والإمبراطورية، و"زعيمنا المفدى"، فكتب في يومياته قائلاً: "إنها ساعة الأغبياء. لو طلبت وقتها من ذلك الجمهور الثائر أن يلقي بنفسه من الطابق الثالث بالصالة الرياضية لفعل".

إن إثارة الحماس في الجمهور يُعدُّ قمة نجاح الخطيب المفوّه. لا تحاول أن تثير حماس نواب المجلس الوطني السلوفاكي إلى درجة تجعلهم يقفزون من شرفات مبنى البرلمان، فهذه الشرفات لا يمكن فتحها. حاول أن تكون مقتنعًا. درب نفسك على هذا، فالتدريب هو الوسيلة الوحيدة. فالقرنيط مجرد كرنب تدرّب جيّدًا ليصبح كذلك.

تتلخص أزمة الخطباء المفوهين من رجال السياسية في مشكلتين: الأولى هي أن السياسي لا يعرف كيف يبدأ، والثانية أنه لا يعرف كيف ينتهي. السياسي الذي يتجرأ على الخطابة غالبًا ما يكون معجبًا بنفسه إلى درجة أنه لا أمل في أن ينهي خطابه، لا يفيد

حتى مغادرة كل المستمعين للصالة، ولا حتى شخير بعض الحاضرين؛ لذلك فالناس تحب السياسيين الذين لا يعرفون كيف يبدءون خطبهم.

الخطيب المثالي هو الذي يتقدم إلى منصة الحديث ويلقي التحية على الحاضرين، ويقول إن خطبته ستسلم لهم مكتوبة؛ لذلك لن يضيع وقتهم في قراءتها. أسوأ الخطباء هو من يلقي خطاباً، يقرؤه معه الحاضرون في نسخته المكتوبة التي وزعها عليهم في وقت سابق. القاعدة هي أن تتحدث بأسرع ما يمكن، والأفضل منها ألا يفهمك أحد، فلن يعترف أحد بأنه لا يفهم شيئاً. استطاع الزعيم الكوبي "فيدل كاسترو" أن يتحدث وهو في شبابه لمدة ثماني ساعات بدون توقف. من المؤكد أنه كان سيفوز في المسابقة المعروفة التي نظمتها محطة "فان راديو" الإذاعية، والتي يكرر فيها المستمعون خلال عشر ثوان جملة من قبيل "سورجون⁽¹⁸⁾، راعي دوري الهوكي"، ومن يكرر هذه الجملة أكثر من غيره يحصل على هدية. لكنه، على عكس رجل السياسة، يجب أن يقول الجملة بطريقة مفهومة لدى المستمعين. أعتقد أن الثورة الكوبية كانت ستختلف لو أن قائدها راح يكرر خلال الساعات الثماني جملة: "سورجون، راعي دوري الهوكي".

لكن يجب أن تنتبه إلى الخطب المكتوبة، وخاصة تلك التي يكتبها أحد غيرك، وتحديداً التي يكتبها لك أصحاب المصالح. أعرفُ هذا الموقف جيداً من خبرتي الشخصية، فقد كنتُ صاحب مصلحة في صناعة الدخان. كنّا معنيين بالألّ يرفعوا أسعار الضرائب على السجائر القصيرة؛ لذلك تواصلنا مع نائب كبير في البرلمان، وطلبنا منه أن يلقي خطاباً قصيراً في قاعة مجلس النواب، ويذكر فيه بعض الأمور المتخصصة. كتبت له الخطاب بنفسي، ولكي تكون كلمته جديرة بالاهتمام وضعت له بعض الأقواس، وكتبت فيها ("يمكنك هنا أن تقول بكلماتك الخاصة شيئاً طيباً عن التدخين"... "اذكر هنا خبرتك الشخصية مع الاضطهاد وخلافه"). لم يكن السيد النائب من الخطباء النابغين، وبدا منفعلًا، فقرأ من الورقة التي كانت تهتز في يده، قرأ كل شيء، إلى أن وصل أول قوس وقال: "... بين قوسين، يمكنك هنا أن تقول بكلماتك الخاصة شيئاً طيباً عن التدخين"... "اذكر هنا خبرتك الشخصية مع الاضطهاد وخلافه". لحسن الحظ لم يلاحظ أحد الأمر، ولا هو نفسه. تجربة أخرى مع خطيب عصبي خضتها عندما كنت نائباً في البرلمان. على ما يبدو أن زميلاً لي كتب خطأ نفس الصفحة مرتين. ومرة أخرى لم يلاحظ ذلك أحد، باستثناء مسجلي الجلسة. أنا وحدي من انتبه إلى ذلك، فقد كنت أقرأ الجرائد وقتها في صالة المداولة.

(18) صنف من البيرة السلوفاكية (المترجم).

كيف تؤثر في المستمعين إلى درجة البكاء

"يُمْكِنُكَ بِسَهْوَلَةٍ أَنْ تَجْعَلَ أَيَّ شَخْصٍ يَبْكِي بِاسْتِعْمَالِ قُنْبَلَةٍ مُسَيَّلَةٍ لِلدَّمُوعِ"

المؤلف

أو أن تسقط من الطابق السادس وسط الناس وأنت تحمل على ظهرك كيسًا من البصل. كل إنسان في مقدوره أن يؤثر في المستمعين أو المشاهدين، لكن برنامج "لديك رسالة بريدية" أو السياسيون الذين يتمتعون بهذه المهارة، وحدهم من يصل بالناس إلى درجة البكاء. من أكثر الأساليب تأثيرًا في الناس هو أن تستعرض كرمك على الملأ. نظم فعالية خيرية، وادع التلفزيون للحضور. أكثر ما يبكي الناس هو متابعتهم للسياسي وهو يوزع شيكات بقيمة ثلاثة آلاف يورو على أم لثمانية أطفال، أو يزور مستشفى بها ضحايا كارثة حدثت في أحد المناجم، أو عندما يحمل السياسي مجرفة في يده، ويذهب لإلقاء القمامة في حي يسكنه العجر. أما في برامج "الشوبيزنس" فأكثر ما يؤثر في المواطنين عندما تظهر فيه بصورة منتظمة مذبة في محطة تلفزيونية شهيرة تشكو من أن زوجها قد ظلمها، هو الزوج الذي ارتبطت به بعد أن رافقت خمسة عشاق قبله، ثم استبدلتهم بذلك الزوج، الذي استبدلته سريعًا بعشيق آخر. تبدأ فقرتها بهذه الكلمات: "أنا لا أريد أن أناقش مشاكلتي على الملأ".

أكثر ما يؤثر في المواطنين بعد هذه المذبة هو عندما يتأكدون أن السياسيين يأخذون مشاكلهم بكل جدية. لقد تأثرت جمهورية التشيك بالكامل إلى درجة ذرفت فيها الدموع بسبب "ستانيسلاف جروس"، الشاب الوسيم الطموح، عضو الحزب الديمقراطي الاشتراكي. إنه نوعية من السياسيين الذين يفضلهم الناس، لأنهم يُسَلَوْنَهُمْ طوال الوقت. لم يعرف أحد يومًا ما مصدر أكثر من أربعة ملايين كرون تشيكي اشترى بها شقة فخمة، ومن أين جاءت زوجته بستة ملايين كرون تشيكي لشراء منزل. عجزوا أيضًا عن تفسير علاقتهم بسيدة تدعى "باركوف"، وهي امرأة تدير صالون عام "للتدليك". رغم أن "جروس" أطلق حملة على لوحات الاعلانات قبل انتخابات 2002 تحت شعار: "أنا ديموقراطي

اشتراكي، وجاد فيما أقوله". وسجلت هذه الحملة كواحدة من أكثر الحملات التي سالت لها دموع الشعب على مر التاريخ بعد حملة الجندي الطيب "شفيك" من "بوتيم" إلى "بوديايوفيتسا". ورغم أن الناخبين من مناطق جاءت منها شخصيات مثل "هاشيك"، و"شفيك"، و"كلابزوب"، و"بوريان"، و"مارفان"، و"منشيك"، وسوفالك، و"أوليرش" قد اعتادوا على التهريج القوي، إلا أن "جروس" جعلهم يضحكون كما لم يضحكوا من قبل. لقد علت نوبات الضحك في كل أرجاء التشيك إلى درجة أن "جروس" قرر إيقاف تلك الحملة. لأسباب صحية، على ما يبدو. فبصفته سياسي على قدر من المسؤولية لم يرغب في المخاطرة، وجعل مئانة غالبية التشيك تنفجر من الضحك. لو أردت أن تؤثر في الناس إلى درجة البكاء لا تقل لهم يوماً أنك جاد فيما تقوله. فلا شيء أكثر إهانة للسياسي من أن يسقط الوطن كله على بطنه من الضحك عندما يذكر اسمه مقترناً بكلمة الجدية هذه.

كيف تقتنص اللحظة المناسبة

"لقد عثر السُّلُوفَاك فِي ثَوْرَةِ نُوفَمْبَرِ 1989 عَلَى اللُّحْظَةِ الْمُنَاسِبَةِ عِنْدَمَا لَمْ يَظْهَرِ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ عَدُوٌّ
آخَرَ غَيْرِ السُّلُوفَاكِ أَنْفُسِهِمْ"

المؤلف

من المهم أن تكون في المكان المناسب وفي الوقت المناسب. والأهم منه أن تكون وقت وقوع الجريمة في مكان آخر. في روما القديمة كان تعبير alibi يعني: في مكان آخر. على رئيس الحزب الذي يشارك في الائتلاف الحاكم أن يكون في مكان آخر أثناء التصويت على الثقة في الحكومة، لأنه يعرف أن الآخرين سيتولون الأمر نيابة عنه، كما فعل نائبان معرضان من الحزب الديموقراطي الاشتراكي في التشيك عندما تغيّبوا أثناء التصويت على الثقة في الحكومة الائتلافية اليمينية، وهو ما مكن أعضاء المجلس من إعلانه ثقتهم في الحكومة.

من الضروري أيضاً أن يكون جميع الأشخاص المعنيين حاضرين في اللحظة المناسبة. بعدها يمكنكم أن تحصلوا على النتائج المرجوة. فقد عثر السياسي "يوسف فاجنر" من الحزب التشيكوسلوفاكي الديموقراطي الاشتراكي على اللحظة المناسبة في اجتماع المجلس، عندما انتظر أن يقترب منه أحد زملائه وهو "فاتسلاف جروليخ"، وزميل آخر وهو "كارل ماخوفيتس". فصفح "فاجنر" زميله "جروليخ" وراه "ماخوفيتس". فعلم الناس بما حدث لـ "جروليخ" بفضل موهبة "فاجنر"، ليس هذا فقط، بل وصلت الأخبار إلى أعلى مستوى في حزب الديموقراطيين الاشتراكيين. ثم تولى سياسي آخر من نفس الحزب وهو "فلاديمير شبيندلا" الإبلاغ عن كل تفاصيل الصفعة، وعن وقعها وتبعاتها. انتهت عملية "فاجنر يصفح، وجروليخ يتلقي الصفعة، وماخوفيتس ينشر الخبر، و شبيندلا يستقضي" بالنجاح لجميع الأطراف المشاركة. فأصبح "يوسف فاجنر" رئيساً للجنة الميزانية في البرلمان بعد الانتخابات، وترأس "فاتسلاف جروليخ" لجنة المناطق، و"كارل ماخوفيتس" لجنة الزراعة، و "فلاديمير شبيندلا" صار رئيساً للجنة الاجتماعية.

أفضل وقت تعيش فيه اللحظة المناسبة عندما يقترب مصور من وسيلة إعلام معادية.
كل وسيلة من وسائل الاعلام معادية، لذلك عليك أن تكون متيقظاً على الدوام. من الخطأ أن
تشرب كأساً صغيراً من الكحول، ثم تجلس بعدها خلف عجلة قيادة السيارة. عليك أن تجلس
في السيارة أولاً، ثم تشرب الكحول بعدها كما تريد. ومن باب الاحتياط، انظر إلى المقعد
الخلفي لتتأكد من أن أحد المصورين المعادين لك لا يجلس هناك.

أهمية التنس والجولف والصيد في العمل السياسي

"يَلْعَبُ التَّنِيسَ وَالْجُولْفَ دَوْرًا كَبِيرًا فِي مُسْتَقْبَلِكَ السِّيَاسِيِّ طَالَمَا حَرِصْتُ عَلَى أَنْ يَهْزِمَكَ رَئِيسُكَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ"

المؤلف

لقد انتهى الزمن الذي كانت فيه السيرة المهنية تُبنى بفضل الأصدقاء الذين تلعب معهم كرة القدم، أو الطائرة، أو السلة، أو تنس الطاولة، أو الذهاب معهم في نزهات، أو لصيد الأسماك. انتهت بلا رجعة. لقد فقد مثل هؤلاء الأصدقاء من عصور الرياضة الجماعية تأثيرهم بمرور الأيام، ويجب عليهم، سواء رغبوا في ذلك أم لم يرغبوا، أن يتجهوا نحو الجولف أو التنس. إنها رياضات تسمح لك بتبادل الأحاديث وأنت تلعبها. الفرق بين السياسيين لاعبي كرة القدم، والسياسيين لاعبي التنس يكمن في أن السياسيين لا يجيدون لعب كرة القدم، ويذهبون فقط لمشاهدتها. بينما يمكنهم أن يلعبوا التنس، حتى وإن لم يعرفوا كيف يلعبوه. إنه نوع من الرماية أو اللعب بالكرة لمسافة بعيدة. يمكنك أن تلعب الجولف وأنت سكران، على عكس التنس. وهي مسألة هامة بالنسبة لبعض السياسيين. فليس مهمًا وأنت تلعب الجولف أن تبذل مجهودًا بدنيًا، بل أن تصيب الهدف. لو لم تصيب الهدف، فإن الحجة المقبولة هي أنك لم تشرب الكمية المناسبة من الكحول. لو رغبت عن الحركة أثناء ممارسة لعبة الجولف فلا شيء في ذلك. هناك أشخاص يأخذونك فوقك العربية، ويضربون الكرة نيابة عنك لو أردت. كانوا في إنجلترا يحملون في عربة الجولف أشخاصًا عاجزين تمامًا عن الحركة، ومربوطين فوق سيرير المستشفى. كانت غالبيتهم من لاعبي جولف سابقين، غالوا في ممارسة اللعبة.

إن الجولف والتنس رياضتان جاءتا إلينا من الغرب. هذا لا يعني أن كرة القدم أو الهوكي جاء إلينا من الشرق، لكنهما رياضتان شائعتان عندنا. ظهرت لعبة الجولف والتنس عندنا منذ وقت غير بعيد. لذلك فإن العادات الاجتماعية المرتبطة بالجولف لم تظهر عندنا إلا مؤخرًا.

لو أردت أن تبني مستقبلًا مهنيًا في السياسة فتأكد من أن رئيسك أو وزيرك يلعب الجولف أو التنس، أو حتى يمارس هواية الصيد. تأكد أيضًا من قواعد هذه الرياضات. فمن

الغباء أن تأتي للصيد وأنتَ تحمل عصا الجولف، وترشق الدب بكرة الجولف، أو تطارده بمضرب التنس.

لو لم تجد رئيسك في مكتبه قبل الظهيرة فغالبًا سيكون لاعب تنس أو جولف. إن الرؤساء والوزراء عادة ما يلعبون الجولف في أوقات العمل. لكن ليس قاعدة أن كل من يلعب الجولف أو التنس يكون رئيسًا أو وزيرًا. لو كنتَ تعرف هذه الأنواع من الرياضة، فإمكانك أن تشاركهم إياها بكل سهولة. لو لم تكن تجيد لعب التنس، اعرض على رئيسك أن تجمع له الكرات. لو كنتَ تجاوزت الستين فاحترس من آلام أسفل الظهر وأنتَ تجمع الكرات. عليك أن تتنبه إلى هذه الآلام سواء أثناء لعب الجولف أو الصيد. لو لم تفعل فقد يحدث أن "تقفش" عظامك وأنتَ محني، وتظل هكذا إلى الأبد. إنه موقف غير لطيف، لأن كل من ستلتقي به وأنتَ على هذه الحالة سيعرف أنكَ كنتَ تلعب الجولف، وغالبًا لا تجيد هذه اللعبة. انتبه أيضًا كي لا يباغتك تصلب العظام وأنتَ ترمي كرة التنس. فلن يكون شعورك طيبًا لو ظهرت لمدة أسبوع أو أسبوعين ويدك مرفوعة. يتضح من متابعة السياسيين لاعبي الجولف والتنس، والتي استمرت لفترة طويلة، أنه ليس مهمًا أن تجيد هذه الألعاب. المهم هو أن تكون موجودًا أثناء لعبها. في الوقت المناسب ومع الشخصيات المناسبة.

يجب أن أذكر بعض الأمور الخاصة بهواية الصيد. يجب أن تعرف قواعد مثل هذه الهواية نسبيًا. أنا لا أتحدث عنها بوصفها رياضة، لأن القتل ليس رياضة، لكنه متعة. شرط المشاركة في الصيد هو أنكَ ترغب في قتل حيوان، وليس قتل أحد المقربين منك. هذا ما لم تكن تعتبر هذا القريب حيوانًا. لا تحاول قتل نفسك، فربما تفشل. حاول هذا في عام 2005 أحد الوزراء، وانتهى به الأمر بإصابة مجهولة في ساقه. يقال إنها كانت أفضل مرة صوب فيها على هدف ما بنجاح.

ما يميز الصيد أنكَ لست مضطرًا إلى إجادة التصويب، ورغم ذلك تصير عضوًا في نادي الصيد. مثل هؤلاء الأعضاء الذين لا يجيدون الصيد، ويستغلونه لكي يتدربوا على حفلات الصيد الراقصة، أو على إطعام الحيوانات في شهور الشتاء، أو التدرب على التعامل مع الأهداف المتحركة. أن تكون هدفًا متحركًا أمر غير مأمون العواقب، لكن لو جاءتك طعنة مباشرة من رئيسك أو وزيرك فهذا يعني أن مستقبلك المهني قد صار مضمونًا. لذلك اهجم أثناء الصيد على مرمى نيران رئيسك بلا خوف. ولا تياس إن لم يصبك رئيسك في أول مرة. اسأل نفسك في البيت وأنتَ تقف أمام المرأة إن كنتَ لم تتحركَ بالقدر الكافي. فلو أن رئيسك لم يصب الهدف فستكون أنتَ المسؤول.

متى وكيف تكون فاسدًا

"أَتَمَنَى لِنَفْسِي قَلِيلًا مِنَ الْفَسَادِ وَمَزِيدًا مِنْ فُرْصِ الْمُشَارَكَةِ فِيهِ"

بريلانت

إن ممارسة الفساد بصورة جيدة فن لا يقل أهمية عن فن الطبخ. يجب أن أقول إن دور السياسي ليس ارتكاب أعمال فاسدة بل أن يكون شريكًا فيها. فدور الطاهي ليس تناول الطعام، بل طهيته. لن نتناول تقنيات تقديم الرشاوي. فلو أنك رجل سياسة فسيقوم الآخرون هم برشوتك. انتبه إلى هذا الأمر، ولا تهرول إلى طبيب الأسنان، وأنت تحمل له في كل مرة علبة قهوة أو زجاجة نبيذ. ليست كل الأماكن مناسبة للممارسة الفساد، إلا في حالة واحدة، وهي أن تأخذ، لا أن تعطي. عندما تتلقى رشوة لا تأخذها أمام كاميرات الشرطة السرية، أو في وجود مخبر شرطة، لا قدر الله. فقبل أن يقدم لك أحدهم ظرفًا اطلب منه تحقيق الشخصية. فلو رأيت أن تحقيق الشخصية به عبارة: مخبر شرطة فلا تأخذ منه شيئًا. احتس من هؤلاء خاصة في منطقة "راتشا"، ومدينة "كوشيتسا"، و"تشادسي"، و"فيلكا ميدرو"، و"دافينسكا نوفافيس"، وأيضًا في اتحاد كرة القدم السلوفاكي.

يؤكد المواطنون أن المشاركة في الفساد هي الدافع الرئيسي لكل من يقرر أن يدخل إلى عالم السياسة. لكن لا أحد يعترف بهذا الأمر صراحة. الكل يؤكد أن كل الناس تأخذ رشاوي إلا هو. المشكلة هي أحد لا يصدق. فرفض الرشاوي أمر غير منطقي ولا طائل منه. أعرف هذا، فأحيانًا كنت أصاب بالاكئاب وأنا أرى نفسي لم أتلق سننًا واحدًا على سبيل الرشوة. لم أكن مكتئبًا من أنني لم أتلق رشاوي، بل من أن الجميع يعتقد أنني أتلقي رشاوي. حدث ذات مرة أن أقنعت بعض الشباب في حانة في منطقة "بريزوف" بأنني لم آخذ سننًا واحدًا رشوة. وكانت النتيجة أنهم انصرفوا من عند الطاولة التي أجلس عليها. ربما كان رد فعلهم أفضل لو أنني أخبرتهم أنني مصاب بالإيدز. ثم راحوا يشيرون على من ركن الحانة المقابل، ويسبونني بعبارات بذيئة - مثل غبي، ومجنون، وعيل خو...ل، الخ. لم يستطيعوا أن يفهموا السبب الذي دعاني للانخراط في العمل السياسي، عندما قلت لهم بصوت منخفض، وأنا

أكاد أذوب من الحياء، إنني أردت أن أقوم بعمل نافع انتابتهم نوبة من الضحك الهستيري، إلى درجة أنهم استدعوا عربة الإسعاف لإنقاذ أحدهم من نوبة الضحك. وانتهى الأمر إلى أنهم طردوني من الحانة، ليس هذا فحسب، بل من القرية كلها، وراحوا يصيحون من خلفي، ويطلبون مني ألا أظهر هناك مرة أخرى. فهم ليسوا في حاجة إلى أن يروا مزيداً من الأغبياء. هناك أيضاً سياسيون لا يمكن رشوتهم. إنهم أناس محبطون بشدة، لأن المواطنين يعتبرونهم شواذ. سألت ذات مرة أحد المستمعين أثناء حديث إذاعي، وكان ذلك المستمع قد وصمني بكلمة كاذب، ما السبب الذي قد يدفعه إلى الانخراط في العمل السياسي، فأجابني بدون تردد: "كي أسرق". اللافت في الأمر أنه من بين عشرة مستمعين علقوا على حوار ذلك الرجل، أن سبعة منهم أثنوا على صراحته. لكنهم سخروا من صراحتي، وأنا أقول إنني لم أدخل عالم السياسة بغرض الشراء. لا تعترف أبداً أنك سرقت. فسيعتبرونك غيبياً. لكن لا تنفي أن تكون لصاً، فأيضاً سيعتبرونك غيبياً.

إن اللصوص الحقيقيين، ودافعي الرشاوي في وضع أفضل من هذا بكثير. من السهل الحصول على أدلة على السرقة، أسهل بكثير من أدلة على عدم السرقة، وهو الدليل غير المباشر والوحيد، على أنك سياسي شريف، وأنتك لن تبقى في السياسة.

كيف تحافظ على مظهرك الجيد

"تُحَاوِلِ النِّسَاءُ أَنْ تَبْدُو جَمِيلَةً، لِأَنَّ الرِّجَالَ يَرَوْنَ أَكْثَرَ مِمَّا يُفَكِّرُونَ"

مثل يهودي

تؤكد "إيفيتا راديتشيفا" أن ثقافة الشخص تُقاس حسب الهيئة التي يظهر بها. لست متأكدًا من أن ثقافتها قد ازدادت بعد انصرافي من الحياة السياسية السلوفاكية. يقول البروفيسور الأسترالي "ليج" إن رئيس الوزراء المحافظ "جون هوارد" الذي يوجد في السلطة منذ عشرة أعوام يعد واحدًا من أقبح أربعة سياسيين استراليين. بل أكثرهم قبْحًا، حسب الخبراء الأستراليين، هو النائب العمالي "ديك آدمز"، الذي ظل في البرلمان على مدى خمسة فترات انتخابية. ورغم اختلاف البروفيسور "ليج" مع "إيفيتا" لا يمكن اعتبار الجلوس بجوار زميل ذي رائحة كريهة أمرًا طبيعيًا، خاصة أن رائحته هذه لا تظهر في الصور الفوتوغرافية.

كانت القدرة على الابتسامة الساحرة شرطًا هامًا للعمل في الوظائف في الصين القديمة. فلو أردت أن تبني مستقبلًا سياسيًا، عليك أيضًا أن تتبسم. لا أعني أن تتبسم في وجه كل إنسان كي لا تتحول الابتسامة إلى تبوذية أو، لا قدر الله، سخرية. ابتسم بتحفظ.

الحفاظ على المظهر الجيد يتطلب التردد على صالونات التجميل، والكوافير، وارتداء بدلات تحاك حسب الطلب من أشهر مصممي الأزياء. لو رأيت أن ما قلته للتو لا يكفي، فأضف إليه صالون "الباديكير والمانيكير" وشفط الدهون. هذه الوصايا تخص النساء السياسيات والشواذ جنسيًا. أما السياسيين الذين ليسوا نساءً أو شوذاً فإن أمرهم سهل. عليهم أن يصبغوا شعرهم، ويحلقوا تحت إبطهم سرًا. وأن يتظاهروا أن شعرهم كان أسودًا منذ صغرهم. السياسي الذي يصبغ شعره عليه أن يعترف بذلك قبل أن يكتشفه الصحفيون. الصحفيون الذي يصبغون شعرهم هم من يسعى إلى الكشف السياسيين الذي يفعلون الأمر نفسه.

تعد صالونات تلوين البشرة "سولاريوم" من أفضل وسائل تحسين المظهر. لا أنصح بمراكز اللياقة البدنية إلا لمن يرغب. فليس من اللائق أن يمارس السياسي الرياضة، فلا يليق بك أن تبدو نحيفاً، ويظن الناس أنك لا تملك أموال كافية. يؤكد التاريخ أن السياسيين النحفاء لم يعمرُوا كثيراً في السياسة. الاستثناء الوحيد كان "غاندي" الذي أطلق عليه الرصاص مسلم بدين، فأصابه رغم نحافته الشديدة.

عليك أن تكون في أبهى صورة خاصة عندما يلتقطون لك صوراً، أو يصورونك بكاميرات التلفزيون. اهتم بمظهرك خاصة وهم يلتقطون لك صوراً من شرفة المطعم وأنت تتبول. لو شعرت أن وجهك يبدو جميلاً، ورغم ذلك تود أن تظهر صورك في الجرائد ولو مرة واحدة، ضع نقاباً على وجهك. أقل الناس إيماناً يمكنهم أن يضعوا على وجوههم رقائق خشبية أو قطعة من البلاستيك. استعمل هذه الطريقة أيضاً عند المشاركة في مداوات مجلس النواب إن أردت ألا يعرفك المواطنون وأنت تسير في الشارع.

لا تعترف بإخطائك مهما كان الثمن

"أَنَا شَخْصٌ مُثِيرٌ لَضِحِكِ، لَكِنَّكُمْ لَا تَجْرُؤُونَ عَلَيَّ السَّخْرِيَّةَ مِنِّي"

جورج أروويل

اعترف "ميخائيل جورباتشوف" في عام 1989 بأن الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا كان خطأً. واقترح "أليكسندر دوبتشك" على "برجينييف" أن يعترف بهذا الخطأ في 23 أغسطس عام 1968. أراد أيضاً أن يكتب "برجينييف" هذا الاعتراف في مذكرة. لكن "برجينييف" تخلص من "دوبتشك" ومن رأيه. من السذاجة أن تطلب من الذئب أن يعترف بأن ما فعله كان خطأً.

لو اعترف الإنسان العادي بالخطأ فالناس تعتبره رجلاً صريحاً، أما لو اعترف السياسي بالخطأ فيعتبرونه مجنوناً. كُن عاقلاً!

الطالب الذي لم يحضر الامتحان قد يعترف بخطئه فقط كي يحصل على فرصة ثانية. أما السياسة فلا توجد بها فرصة ثانية. لذلك لا تعترف بأي شيء. حتى لو قدموا دليلاً على أنك في عام 2006 كنت تخاطب مطران الكنيسة بلقب "أيها الرفيق المحترم"، أو أنك خاطبت صاحب القداسة بابا الفاتيكان، بلقب جلالة البابا. إن من يعترف بالخطأ كمن يعترف بالخيانة. ربما سيغفرون لك، لكنهم لن يثقوا فيك بعدها، وستكون مصدرًا لسخرية الرأي العام. الناس تفضل السياسي الذي يكذب وينكر أنه يكذب، أكثر من السياسي الذي يعترف بالخطأ. إن الاعتراف بالخطأ ضعف. ورغم أن الاعتراف بالخطأ يعد إشارة طيبة، لكنه يطيح بمصداقيتك. ولا يمكن أن تعترف بالخطأ لمرة واحدة، فلو أنك اعترفت به مرة، عليك أن تكررهما. إن الاعتراف المتواصل بالخطأ يستدعي التساؤل التالي - لماذا هذا الغبي موجود أصلاً في السياسة؟ فلو اعتبرت نفسك غيبياً، فلن تكون سوى مسألة وقت حتى تعترف بأنك كذلك بالفعل. لذلك انكر، وانكر، وانكر، تماماً كما تفعل مع زوجتك، الأمر لا يختلف عن ذلك في السياسة. لو أنك اعترفت لزوجتك بشيء لم يكن عليك أن تعترف به،

ستغفر لك في العلن، لكنك لو نظرت إلى امرأة أخرى، فدائمًا ما ستري في عينيها ذلك
التعبير الذي لا يمكن وصفه، التعبير الذي يبحث عن سلاح ليضربك به.

كيف تحفر مقابر سياسية

"الأصدقاء يأتون وَيَزْحَلُونَ، أَمَا الأَعْدَاءُ فَبَاقُونَ"

أوسكار وايلد

لا يكون حفر مقبرة لغيرك مفيداً إلا عندما يكون لديك من تدفنه فيها. لو وُجد مثل هذا الشخص فعليك أن تحفر مقبرة كبيرة. ليست كالمقبرة التي حفروها للزعيم السوفيتي "ليونيد بريجنيف" في نوفمبر 1982. فقد كانت الأرض متجمدة من الثلوج، ولم يرغب حفارو القبور في عمل المقبرة. لذلك حفروا واحدة، وعندما أحضر الجنود نعش "بريجنيف" اكتشفوا أنه أطول من المقبرة التي حفروها. فلم يفعلوا سوى أن وضعوا النعش في الحفرة مائلاً. المؤسف في الأمر أن العالم بأسره تابع هذا في نقل حي مباشر. من وقتها وحفارو القبور السوفييت يراعون هذه الأمور بكل صرامة. وهذا ما أثنى عليه خلفاء "بريجنيف"، منهم "أندروبوف"، و "تشيرينيكو". لكن مصير أحد مذيعي التلفزيون السوفييت كان سيئاً عندما فقد أعصابه لأن كبار ممثلي الاتحاد السوفيتي العجائز راحوا يموتون واحداً تلو الآخر، وعندما توفي "تشيرينيكو" بدأ أخبار التلفزيون بهذه الكلمات: "أعزائي المشاهدين، ربما ستضحكون من مما سأقوله، لكننا مُنينا بحادثة أخرى مؤسفة...". لم تكن هذه المرة الأخيرة الذي ظهر فيها ذلك الرجل فقط، بل كانت أيضاً الدليل الأخير على موت مذيع موتاً سياسياً. لذلك لا تحفر مقبرة سياسية كبادرة على السعادة قبل الأوان، أو حزن على موت من سبقوك.

السياسي المستهتر يمكنه أن يحفر مقبرة سياسية لنفسه شخصياً. آمن وسيلة لعمل مقبرة سياسية هي أن تسعى جاهداً لعمل الخير، وأن تكون نافعاً للمواطن. فعاجلاً أم آجلاً ستشير حفيظة زملائك، والمواطنين أيضاً. فالمواطن ينتظر منك أن تظهر أمامه في أضييق الحدود الممكنة.

عندما تحفر قبراً يجب أن تكون حذراً إلى أقصى درجة ممكنة. فذلة صغيرة من شأنها أن تليقك في الحفرة مع المتوفي. فلا تقترب كثيراً من عامل الدفن، ولا حتى وهو يضع ألواح الخشب على المقبرة.

مخاطر العادة

"دَائِمًا مَا أَرْتَابُ كُلَّمَا التَّقَيْتُ سِيَاسِيًّا يَرِغَبُ فِي أَنْ يَكُونَ مُفِيدًا "

مؤلف مجهول

اعتياد الأشياء في السياسة أمر خطير، خاصة عندما تكون خدمت في الحياة المدنية فترة طويلة. فقد اعتدت في الحياة المدنية أن تتحدث بصيغة ضمير المتحدث في المفرد. ولو أن أحدهم سألك: "ما رأيك في هذا الأمر؟" قد تجيبه قائلًا: "أعتقد، رأيي هو" الخ. لكنك في السياسة تقول: "يرى حزبنا أن..."، "نعتقد أن..."، "لقد اتفقنا على الموقف التالي...". فأنت تنتقل من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع، ومن المسؤولية الفردية إلى المسؤولية الجماعية.

ليس من الجائز أن تجيب على السؤال قائلًا: "رأي الحزب هو... لكن رأيي الشخصي هو...". مثل هذه الردود تستدعي توبيخ الحزب لك على أقل تقدير، وفي أفضل الأحوال يعتبرونك شخصًا مصابًا بانفصام في الشخصية طالما تأرجحت بين المفرد والجمع. اعلم أن السياسي لا يمكنه أن يعرب عن رأي الحزب الرسمي في ساعات العمل الرسمية، ثم يعبر عن رأيه الشخصي بعد انتهاء العمل. فأنت سياسي على مدى أربع وعشرين ساعة يوميًا، فانس رأيك الشخصي حتى وأنت في السرير مع زوجتك.

الأفضل لك أن تعتاد السلطة. فالسلطة إدمان أكثر من إدمان السجائر. ويستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى تقلع عنها. إن الدولة تؤسس مراكز لعلاج مدمني المخدرات. أما مدمني السلطة فتركهم الدولة لأقدارهم بعد أن تستنفذهم. إنه أمر معيب. فالمواطنون الذين أدمنوا السلطة يدفعون نفس الضرائب التي يدفعها من أدمن الكحول. والسياسي الذي لم يقلع عن إدمان السلطة قد يتسبب في مآسي لنفسه وللمن حوله. فهو يشترط على زوجته في البيت أن ستحدث مع من يريد هو. يأمر أولاده أن ينكروا وجوده عند ظهور صحفيين متطفلين، ويخرج من الوزارات مرتديًا قبعة فوق رأسه. أما عتاة مدمني السلطة فيتصارعون على "المباول" أثناء استراحات مباريات كرة القدم، وهم يقولون: "ألا تعرف من أكون؟" وذلك

عندما لا يتعرف عليهم الناس، وهذا يتسبب لهم في أذى كبير.

إن لم تتمكن من التخلص من عاداتك، فتعلم أن تتعايش معها. لا تنزعج عندما تضع الأشياء المعدنية عند مدخل أحد المتاجر، ثم تدخل إلى المتجر عبر نافذة استرجاع الزجاجات اعتقاداً منك أنها كاشف للمعادن. لو استوقفك رجل الشرطة صدفة بسبب مخالفة مرورية فتظاهر بأنك نائب في البرلمان. رجل الشرطة لن يعرف إن كنت نائباً أم لا، ولا يمكنه أن يتأكد من هذا، لأنه لن يجد أحداً في البرلمان ليؤكد له صحة ما تقوله أو ينفيه. لو شعرت بحاجة إلى إعجاب الناس بك فقف وقت الذروة في منتصف تقاطع مروري، وارفع يدك لتحيي السائقين.

ظهر تأثير قوة العادة لدى رئيس الحكومة السلوفاكية السابق "ميلان تشيتش" عندما وصف "ميكولاش دزوريندا" في أبريل 2006 أثناء تبادل وزراء الثقافة، وقال إنه رئيس حكومة جمهورية سلوفاكيا الاشتراكية.

غير أن العادة قد تكون عملاً تقديمياً. ففي السبعينات كانوا يضعون الحليب في أكياس بلاستيكية سعة لتر في دول الاتحاد الاقتصادي الأوربي. وبعد أقل من عشرة أعوام تأكدت أوروبا أنها ضارة بالصحة، فعادت مرة أخرى إلى القارورة الزجاجية. ونحن بحكم العادة كنا نبيع الحليب في زجاجات. وعندما صببت وقتها لأحد الصحفيين الألمان الحليب من قارورة زجاجية، أثنى على تقدمنا وقتها. ليس من الضروري أن تتسرع في كل مرة.

كيف تحصن نفسك ضد النقد

"أَكْثَرَ مَا يُشْعِرُ عَدُوَّكَ بِالْإِهَانَةِ هُوَ أَنْ تَسَامَحَ مَعَهُ"

أوسكار وايلد

أفضل طريقة للتخلص من النقد هو أن تتخلص من منتقديك. ولكي تفعل هذا يجب أن تكون حاكمًا، وتتمتع بالقوة المطلوبة كي ترسلهم إلى حبل المشنقة، أو تنفيهم في سيبيريا، أو تزج بهم في السجن. هذه الطريقة أثبتت نجاحها على مر التاريخ، وأكدها العديد من المنتقدين. بهذه الطريقة استطاع الأشخاص الموجه إليهم النقد أن يمنعوا كل ناقد، وبذلك عم الهدوء في البلاد. إلى أن ظهر منتقدون جدد آخرون، لم يتعلموا من تجارب الآخرين، فقاوموا بانتقاد الحاكم لأنه نشر الهدوء. التاريخ مليء بمحاولات تعكير صفو هذا الهدوء. حاول بعض الحكام أن يتخطى الله نفسه، وتمكن من ذلك. فقد أعلن القيصر الروماني (كاليجولا) في عام 41 بعد الميلاد نفسه إلهًا، وكان هذا أمرًا مبالغًا فيه، حتى من قبل حراسه الشخصيين. لا يمكن القول إنهم لم يسعدوا بكونهم حراس الرب، لكنهم ضاقوا به لأنه أضاف إليهم مزيدًا من الأعباء. فلو أن سفايحًا ما قتل القيصر لَحَلَّ محله قيصر آخر. لكن من سيحل محل الآلهة، في وقت كان الموتى من القياصرة على يد القتلة أكثر ممن يموت منهم بالسرطان؟ لقد حل حرس "كاليجولا" الشخصي المشكلة، فقتلوا أول وآخر قيصر أعلن نفسه إلهًا. وبهذا دخلوا التاريخ. ولم يتمكن أحد بعدهم من قتل الإله. لكن بعد موته أطلق المسيحيون الأقوياء عاصفة من النقد. واضطر القياصرة الذين تعاقبوا بعد "كاليجولا" إلى أن يفعلوا شيئًا حيال انتقادات المسيحيين. فنظموا عمليات إعدام جماعي لهم. وعندما أدرك خلفاء "كاليجولا" أنهم لم يخرسوا السنة المسيحيين، أعلنوا المسيحية ديانة رسمية.

لو لم تستطع التخلص من منتقديك جسديًا، فيمكنك مواجهة النقد بألا تلقي له بالاً. وسوف يتوقف المنتقدون، عاجلاً أم آجلاً، عن انتقاداتهم. النقد لا ينتقدون إلا عندما يرون أن انتقاداتهم تزعجك. لو رماك أحدهم بالطماطم أو البيض فتظاهر أنهم يلقون عليك المنّ

أو بتلات الورود. سيجبرهم هذا على التراجع.

لو لم تتحكم في نفسك وأنت تشق طريقك السياسي وسط بيضات النقاد المتطائرة، فعليك أن تعطي انطباعاً بأنك شخص فريد من نوعه. اصنع من حولك بطانة من أناس، لولاهم لتعرضت البلاد لكارثة. وابق، رغم ذلك، كريماً مع المواطنين الذين يطيعون كل حاكم. ولا تلتفت إلى كلمات المنتقدين، طبعاً. تقبل النقد بابتسامة، وتفهم، واثن على كل ناقد، وعدمهم بأنك ستفكر فيما يقولونه. في نفس الوقت تذكر جيداً كل من انتقدك، وكل من دعمه. بالطبع لا يجب أن تظهر له أنك تتذكره. وسيتولى المخلصون من حولك تصفيته. إنهم غالباً أعضاء منظمة الشباب التابعة لك والتي تدين لك بالولاء. أسهل طريقة للتخلص من أي ناقد هو تشويه سمعته على الملأ في وسائل الإعلام. مرر إلى صحفيّ تابع لك مواداً لتشويه السمعة بواسطة أمناء الإعلام، سرّاً بالطبع.

لو لم تتمكن من التخلص من الانتقادات، أو تشويه سمع الناقد، أو التخلص منه، اجعل منه صديقاً لك. لا تخبره أنك تلاعبه. ليس مطلوباً بالضرورة أن يثق فيك، لكن عندما يصدقك، عندها تحين اللحظة المناسبة للتخلص منه.

لا تخلط بين النقد والنواح أو العويل. حاول أن تبني سلطة مطلقة، ثم امنع النقد. لو لم تتمكن من بناء نظام شموليّ فطبق الديمقراطية بحذافيرها. الديمقراطية الفعلية تتحقق عندما تتزايد الانتقادات إلى درجة أن الناس لا تأخذها على محمل الجد.

كيف تلفت الأنظار بعيداً عن الأمور الهامة

"لَا أُرِيدُ أَنْ تَفْرِضَ الدَّوْلَةُ رِقَابَةَ. لَا أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الدَّوْلَةُ مَسْئُولَةً عَن تِلْكَ الحَمَاقَاتِ الَّتِي تَنْشُرُهَا
الجَرَائِدُ"

نابليون بونابرت

إنَّ صرْفَ الأَنْظَارِ بَعِيداً عَنِ الأُمُورِ الهَامَةِ أَمْرٌ صَعْبٌ لِلغَايَةِ، عَلى عَكْسِ مَا يَبْدُو. يَتَحَدَّثُونَ عَلى سَبِيلِ السِّيَاسَةِ عَنِ الأُمُورِ التَّافِهَةِ. أَمَّا الأُمُورُ الهَامَةُ فَهِيَ تِلْكَ الَّتِي يَعلِقُ عَلَيهَا المَتَحَدِّثُ بِاسْمِ الحُكُومَةِ أَوْ الاِئتِلافِ الحَاكِمِ بَعْدَ كُلِّ الاجْتِمَاعِ قَائِلاً: "لَقَدْ قَلَّتْ كُلُّ مَا عِنْدِي بِخُصُوصِ هَذِهِ القَضِيَّةِ". وَرَغْمَ أَنَّهُ قَدْ قَالِ كُلُّ مَا عِنْدَهُ إِلا أَن الصَّحْفِيِّينَ يَربِغُونَ فِي مَعْرِفَةِ مَصْدَرِ الأُمُوالِ الَّتِي أُسِّسَ بِهَا ابْنُ الرِّئِيسِ شَرِكَةَ "إِلِكْتِرو"، وَمَنْ يَمُولُ حِزْبَهُ، وَأَيْنَ اخْتَفَتِ المَسْتَنَدَاتُ السَّرِيَّةُ مِنَ خَزِينَةِ الرِّئِيسِ، وَمَاذَا وَجَدَ الرِّئِيسُ فِي الصَّبَاحِ عَلى مَكْتَبِهِ، وَلِمَاذَا يَسَافِرُ بِالمُواصلاتِ العَامَةِ، وَلِمَاذَا لا يَركَبُ المُواصلاتِ العَامَةِ، الخ. عَادَةً مَا يَزَعِجُونَ رِجالَ السِّيَاسَةِ بِمِثْلِ هَذِهِ الأَسْئَلَةِ صَحْفِيُّونَ لَيْسَ لَدَيْهِمُ أَيَّةُ إِجاباتٍ عَنِ هَذِهِ الأَسْئَلَةِ.

إِنَّها حِيلَةٌ تَقْلِيدِيَّةٌ أَنْ تَصْرِفَ الأَنْظَارَ عَنِ الأُمُورِ الهَامَةِ، وتُستَخدَمُ كَثِيراً فِي مِجالِ السِّيَاسَةِ، فَضْلاً عَنِ بَرَامِجِ "التوك شو". جَوهرُ عَمَلِيَّةِ صرْفِ الأَنْظَارِ هُوَ اخْتِلاقُ فُضِيحَةٍ أَكْبَرَ مِنَ تِلْكَ الَّتِي بَدَأَتْ تَنْتَشِرُ بَيْنَ النَاسِ. لِذَلِكَ تَظْهَرُ مَعْظَمُ الفُضائِحِ فِي سَلوفاكيا عِنْدَما تَتَزَايَدُ وتِيرةُ عَمَلِيَّاتِ الخُصُوصَةِ. فَالنَاسُ تَفضَلُ مُتابَعَةَ الفُضائِحِ الجَنسِيَّةِ لِلسِّيَاسِيِّينَ، أَوْ الحُرُوبِ، أَكْثَرَ مِنَ تَبْديدِ وَسرِقَةِ أُمُوالِ الدَوْلَةِ. فلو أَنَّكَ سَأَلْتَ المُواطِنِينَ اليَومَ عَما يَتَذَكَّرُونَهُ مِنَ أَيَّامِ حُكُومَةِ "فِلادِيمِير مِيتشيار" فَسَوفَ سِيتَذَكَّرُونَ هِجُومَهُ عَلى أَحَدِ الصَّحْفِيِّينَ، أَوْ فُضائِحِهِ مَعَ مُستشاراتِهِ، أَوْ زيارَةَ "كِلاوِديا شيفر"، أَوْ "جِيارِدِ دِيارِديو". قَليلٌ مِنْهُمُ يَعْرِفُ كَما عَمَلِيَّاتِ الخُصُوصَةِ الَّتِي تَمَّتْ وَقتَ هَذِهِ الفُضائِحِ.

عِنْدَما انْدَلَعَتْ فُضِيحَةُ "بيل كلينتون" الجَنسِيَّةِ مَعَ "مُونيكا لُوينسكي" كانَ الأَمْرِيكِيُّونَ يَحْكُمُونَ سِيطَرَتَهُمُ عَلى العِراقِ. وَفِي وَقتِ تَصاعُدِ الفُضِيحَةِ الجَنسِيَّةِ لِلرِّئِيسِ الإِسْرائِيلِيِّ "مُوشِي كاساف" فِي فِبرائِرِ 2006 كانَ الجِيشُ الإِسْرائِيلِيُّ يَضْرِبُ جَنُوبَ لِبْنانِ. لو أَمْسَكُوا

بِكَ وَأَنْتَ تَخُونُ زَوْجَتَكَ، أَوْ تَجْرِي مَنَاقِصَةَ حُكُومِيَّةٍ بِالْأَمْرِ الْمَبَاشِرِ فَأَعْلَنَ الْحَرْبَ. لَيْسَ مَهْمٌ
ضِدَّ مَنْ، الْمَهْمُ أَنْ تَعْلِنَهَا سَرِيحًا.

كيف تتظاهر بالتفاؤل

"أَنَا مُتَفَائِلٌ، لَكِنِّي أَحْمِلُ مَعِيَ مِظَلَّةَ مَطَرٍ مِنْ بَابِ الْإِحْتِيَاظِ"

هارولد ويلسن

شكّل الشخص المتفائل لا يدعو إلى الثقة، أما المتشائم فهو جدير بها، ويوصف بالتعقل. من مزايا التفاؤل أنه لو لم ينجح الأمر فستكون على حق، ولو نجح فلن يزعج أحد من أنك أخطأت، فالجميع سيكون سعيداً. لذلك من المهم أن تتعلم إخفاء تفاؤلك. فلو شعرت بأنك أسعد إنسان في العالم، وترغب في أن تصرخ من السعادة ازرف الدموع، وتظاهر بأنك تعيش مأساة.

يكون الفرد في أحسن أحواله عندما تسوء أحواله، والعكس، يكون في أسوأها عندما تتحسن أحواله. فعندما تمر بأزمة، يراك الجميع، ويسعدون لذلك. ويحزن الناس عندما تأخذ أحوالك في التحسن. لكنك تريد أن يشعر الناس بالسعادة، لذلك لا يجب أن تظهر أن أحوالك تسير على ما يرام. ولا تلمح مطلقاً بأنك من المتفائلين. هذا ما يفعله غالبية البشر. كم شخص يجيبك على سؤال من قبيل: "كيف حالك؟"، ويقول لك: "رائع، لم أكن سعيداً إلى هذا الحد قبل اليوم". الغالبية تشكو من نقص في الأموال، ومن تدهور حالتهم الصحية، ومن نقص السعادة. ثم يتوجه كثير منهم إلى الحانة كي ينفق آخر نقود في جيبه على شراب لابتلاع الألم...

التصرف الحكيم هو أن تؤكد بكل إصرار بأن الأمور لن تكون على ما يرام. هذه الطريقة مفيدة خاصة عند توقع نتائج مباريات فريق الهوكي السلوفاكي أو فريق كرة القدم مع الفرق التشيكية. ليس عليك أن تخجل من أنك متشائم. فالمتشائمون لهم نفس حقوق المتفائلين. ويحققون في حياتهم نتائج مذهلة.

لكل ولاية من الولايات الأمريكية صفة معينة. فولاية كارولينا الشمالية تسمى "ولاية الكعوب الفاحمة"، وكارولينا الجنوبية "ولاية أوراق النخيل"، وولاية داكوتا الشمالية "ولاية

الجديلة الخافقة"، وأوتواوا هي "ولاية المناحل". غير أن الولاية الرابعة والعشرين في الولايات المتحدة، وهي ميزوري، تعترف صراحة بفلسفتها - وهي التشاؤم، فتطلق على نفسها "ولاية التشاؤم".

لقد قامت عالمة النفس "شيلي تايلور" بدراسة تأثير التفاؤل على صحة الإنسان. قالت إن الغدة الكظرية النخامية تقوم بربط الجهاز العصبي بعملية إفراز الهرمونات، فتتنظم عملية التخلص من هرمونات التوتر، ومنها الكورتيزول. ويعد نقص الكورتيزول لدى الأفراد العاديين أمر طبيعي. لكن الأمر ليس كذلك لدى السياسيين، حيث يجب أن يكون معدل الكورتيزول في أجسامهم مرتفعاً. لذلك لو انتابك شعور بالتفاؤل لمدة طويلة هاجر إلى ولاية ميزوري.

إخفاء التشاؤم هو نقيض إخفاء التفاؤل. فالتعمية على التشاؤم لها تقاليد تعود إلى زمن النبي محمد. فبعد موته صار العرب متشائمين. وظلوا هكذا إلى أن فكّر أحدهم في أن من أهداف الحج إلى مكة هو الصلاة والتضرع إلى الله بألا يلتقوا أثناء الحج بوجوه حزينة. ومن الواضح أن دعائهم قد استجيب له. فسحنتهم اليوم تبدو سعيدة. قارن بين وجوههم وملامح الحجاج في مدينة "مريانكا"، أو على جبل هذه المدينة، أو في منطقة "شاشتينا".

الأمريكيون أيضاً يشبهون العرب. إنهم يتسمون بصورة رقيقة وعفوية، حتى عندما يبلغهم رئيسهم بأنه طردهم من العمل. يوجد في السياسة أيضاً متفائلون، رغم خبراتهم المؤلمة. إنهم أناس يبدؤون حياتهم السياسية، ولا يعرفون أنهم يوماً ما سيتأكدون أن تفاؤلهم لم يكن في محله.

كيف تتضرع إلى الله عندما تسوء الأحوال

"عِنْدَمَا تَنْفَجِرْ مَأْسُورَةَ مِيَاهِ الشُّرْبِ يَوْمَ الْأَحَدِ فَلَا تُضَيِّعْ وَقْتَكَ فِي التَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ. وَاتَّصِلْ بِالسَّبَّاحِ!"

وودي ألان

عادة يكون الوقت قد فات عندما تتضرع إلى الله بعد أن يحدث مكروه ما. فيجب أن تتضرع إلى الله قبل أن تحدث المصيبة. يمكن أنك تقع في ورطة، وتكون أنت السبب فيها، أو شخص آخر غيرك. في هذا الفصل سوف أن أتناول فقط الدعاء عند وقوع المصائب التي يتسبب فيها السياسيون. من الضروري أثناء الصلاة عند وقوع المصائب أن تعرف لمن تدعو، لنفسك، أم لأسرتك، أم لأصدقائك، أم للوطن، أم للعالم، أم للسياسيين. عندما سأل أحدهم قس الكونجرس الأمريكي "إدوارد إيفريت" إن كان يصلي من أجل أعضاء الكونجرس، أجاب: "كلا! أنا فقط أستمع إليهم، ثم أصلي من أجل الولايات المتحدة الأمريكية". يجب أن يأخذ المواطن من هذا الموقف النزيه للسيد القس مثالا يحتذى عندما يتعرض لمصيبة ما. فمن العبث أن تصلي من أجل السياسيين. كنت أفعل نفس الشيء أحيانا أثناء الاستماع إلى بعض النواب الزملاء في البرلمان، وكانت النتيجة مفاجئة. بعض من صليت لأجلهم شاركوا في الحكومة. فأدركت مكر الله، لكني لم أغضب.

من الصعب التفرقة بين المصائب والنعم. إن الحدود بينهما رقيقة. فالأمر يتوقف على الزاوية التي تنظر منها. فأحيانا يكون الأمر على درجة من الصعوبة بحيث لا يمكن تخيل أن يحدث أسوأ منه. فالرجل الذي تزوج للمرة الرابعة يصلي عبثا. بلا طائل. لأن الله لن يساعد من لا يتعلم من أخطائه.

تعرف السياسي الذي وقع في مصيبة عندما تراه مستلقيا فوق السكة الحديد ينتظر قدوم القطار. في هذه الحالة تعرف أنه وصل إلى درجة متقدمة من الفشل. تابعه! لو كان يصلي، فهذا دليل على أن المصائب قد بلغت به مداها. لو لم يكن يصلي، فهذا يعني

أنه سكران، وقد غشيه النوم. فلا توقظه وهو في هذه الحالة، لكن اجلس في مكان آمن بعيداً القضبان، وصلي من أجله. من المؤكد أن لن ينسى لك هذا.

الصبر مفتاح الفرج

"لَيْتَ الصَّبْرَ كَانَ مُفْتَا حَ شَيْءٍ ذِي قِيَمَةٍ"

ستانو راديتش

انتظر الماركيز "تشارلز ديلاثير" مع مساعديه بكل شغف ظهور منافسه الذي كان على موعد معه ليباريه". بينما جاءه رسول، وسلمه رسالة تقول: "أعتذر عن التأخير. أنا أفعل كل ما في وسعي. مالم أصل خلال خمس دقائق لا تنتظرنني، وصوب! المخلص "موريس ديويوس". نظر النبيل "تشارلز ديلاثير" إلى ساعة يده، وبعد خمس دقائق من الانتظار أطلق النار في رأسه. عندها أسرع الماركيز "موريس ديويوس" فوق حصانه، ثم نزل، وقال لـ "تشارلز" الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة: "يا لك من متعجل! لو انتظرتَ دقيقتين إضافيتين لما استطعت أن أصيبك".

يقول المؤمنون: "نتظر بفارغ الصبر قدوم المُخْلِص". أما غير المؤمنين فلا ينتظرون أي مُخْلِص، لكنهم يبنون المنازل، يمهدون الطرق، ويشيدون الجسور بفارغ الصبر، وهم بذلك يعجلون من إقامة ملكة الرب على الأرض.

لو رأيت أن منافسك يهددك، فبادر بنصب فخ له. قل له إن الوقت يمر، وأن الآخرين يتجاوزونه، ولو تأخر سوف تفوته الفرصة. سيفقد أعصابه، ويأتي إليك غير متأهب.

لا تتعجل وأنت تشق طريقك المهني. لا تتلأأ في نهاية الصف، ولا تتقدم إلى الأمام، ولا تبالغ في المحاولة. فقط افعل كل ما هو ضروري. لقد أبلغ المسيح قبل موته اليهود برسائل الله إليهم. إحدى هذه الرسائل تقول: "افعلوا ما أمركم به، فلا تضيفوا إليه ولا تنقصوه!". فلو طلب الله منك ألا تكن عجولاً، فذلك لأنه يعرف السبب.

كيف تُبالغ بطريقة مقنعة

"انْتَجِبُوا مَنْ يَبْخُلُ عَلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ كَيْ لَا تَحْبَطُوا كَثِيرًا"

باروخ

خاطب رئيس الوزراء الإيطالي "سيلفيو برلسكوني" في 28 فبراير 2006 الجماهير في أحد الاجتماعات قبل الانتخابات البرلمانية وهو يحاول كسب ودهم، فوعدهم بأنه سيتوقف عن العلاقات الجنسية قبيل الانتخابات. عقدت الانتخابات في التاسع من إبريل. ونظرًا لأنه قد بلغ عامه السبعين وقت أن وعدهم بذلك، لم يُسعد الجماهير بوعده هذا، بل أغضبهم. فقد فهموا وعده على أنه مبالغة غير منطقية. فلو كان عمر "سيلفيو" وقتها الثانية والخمسين لاعتبروه متصاياًا، لكنهم رأوه وقتها على أنه عجوز مُتجح. لم تنفع "برلسكوني" مبالغته، حيث تجنبه الناخبون، واختاروا رجلاً أصغر منه سنًا وهو "برودي" الذي لم يعدهم بأية تحفظات جنسية. لو أن "برلسكوني" بالغ بطريقة مقنعة - بأن قال مثلاً إنه في الثامن والعشرين من فبراير سيحاول حتى التاسع من إبريل بأن يقيم علاقة عاطفية لمرة واحدة لبقيت له فرصة حقيقية في الفوز بالانتخابات.

لو أردت أن تدفع أحدهم إلى عمل ما فعليك أن تبالح في الأمر، وتنتشر حوله أخبارًا درامية. بهذا تدفع ذلك المسكين إلى الجنون. لا تحاول أن تفعل ما دمت لم تصل أنت نفسك إلى حافة الجنون. فعندما يبدأ ذلك الرجل التائر في حشو بندقيته، أخبره باسم من نشر حوله الأخبار. لو لاحظت على وجهه علامات التردد فأخبره أيضًا بأن من ينشر عنه أخبار سيئة يحتقره. لا شيء يدفع الإنسان إلى اتخاذ موقف أكثر من شعوره بأن أحدهم يحتقره. ويكون الاحتقار أكثر تأثيرًا عندما تبالح في أخبار هذا الاحتقار. يمكنك أن تسب إنسانًا، وتصفه بأنه قذر، وجبان، وغشاش، ومنافق، وكاذب، أو حتى قاتل. لكن لا شيء يدفعه إلى التحرك أكثر من أن تقول له بأنه شخص وضيع.

صائدو الأسماك والحيوانات يجيدون المبالغات المقنعة، وأيضًا الجنرالات بعد انتهاء الحروب. فصائد الأسماك يقول إنه لم يصطد سمكة صغيرة بل بربور كبير، وصائد

الحيوانات لم يصطد غزالاً من على بعد خمسة أمتار، بل مئة متراً، والجنرال لم يسقط في الأسر لأنه لم يتمكن من امتطاء حصانه ليهرب فوقه نتيجة تفوق عدوه، بل لأن أعداد جنود عدوه فاقته بمئات المرات.

كيف تُحوّل الهزيمة إلى نصر

"لَوْ أَنَّ الْأَلْمَانَ لَمْ يَمْنَعُوا السَّيْرَ فَوْقَ الْحَشَائِشِ لَأَنْتَصَرَتْ ثَوْرَةُ الطَّبَقَةِ الْعَامِلَةِ"

جوزيف فيساريونوفيتش ستالين

توجه الجنرال العجوز نحو بيته متكاً على عصاه، فتقدمت منه مجموعة من شباب الجنود العابثة وهي تقفز في الهواء، كانت جنوداً من كتيبته. سألهم من أين جاءوا، فقال أحد الجنود مبتهجاً بأنهم قادمون من جلسة سمر مع فتيات. فرد عليه القائد الغاضب قائلاً: "هل هذا هو المثال الذي قدمته لكم؟".

تعرفون جميعاً المواقف التي تبدو شديدة التشابه، لكن البعض يراها إيجابية، والبعض الآخر يراها سلبية. إنها القضية المعروفة بنصف الكأس الممتلئ ونصفه الفارغ. يمكنك أن تصف غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق، أو السوفييتي لأفغانستان بأي شيء، إلا أن يكون انتصاراً لأي من القوتين. غير أن الدعاية الرسمية في واشنطن وموسكو عرضت بطولات شبابها في الحرب ضد أعداء الشيوعية أو ضد الحضارة الغربية. إن القدرة على تحويل النصر إلى هزيمة تعد من الصفات المحورية لأي سياسي. صاح "جوبلز" في مدينة برلين يوم استسلام الجيش الألماني السادس في "ستالينجراد" في 18 فبراير 1943، وقال: "لا يوجد اليوم ألماني واحد لا يفكر في النصر. إن روسيا هي الخطر الأكبر على أوروبا. ومستقبل أوروبا اليوم في أيدي الألمان. وإن "ستالينجراد" مجرد حجر عثرة موقت في سبيل تقدمنا!".

ضرب "فلاديمير ميتشيار" مثلاً على تحويل الهزيمة إلى نصر، وذلك بعد انتخابات 2006 وهزيمة حزب حركة سلوفاكيا الديموقراطية - حيث حصل على 8,79 في المئة، على عكس التوقعات بحصوله على عشرين في المئة- وكانت هذه أسوأ نتيجة يحققها هذا الحزب في الانتخابات على مدى تاريخه). ورغم ذلك شارك في الائتلاف الفائز في

الانتخابات. أما "دزوريندا" الذي حصل على أكثر من ذلك بمرتين انضم إلى المعارضة.

تعود تقاليد تحويل الهزيمة إلى نصر إلى أيام المسيحية الأولى. فقد استطاعت الكنيسة تحويل هزيمة المسيح - إعدامه - إلى نصر عندما أعلنت أن المسيح عيسى اعتبر عملية صلبه أوج عبادة الرب. اللافت في الأمر أنه رغم اعتبار الكنيسة إعدام المسيح ذروة العبادة الإلهية إلا أن قليلاً من كبار رجال الكنيسة يعبدون الرب بنفس الطريقة. لكن التاريخ يخبرنا عن أناس كثيرة اتخذهم كبار رجال الكنيسة وسيلة لتمجيد الرب بهذه الطريقة.

قرر كل من "خروتشوف" و"كينيدي" أثناء مباحثاتهم في فيينا في مطلع السبعينات بأن يجروا لمدة مئة مترًا لتنشيط بدنيهما. فاز "كينيدي" الشاب في السباق. فكتبت وسائل الاعلام الأمريكية في اليوم التالي: "جاء كينيدي في المركز الأول في سباق المئة متر، وخروتشوف في المركز الثاني"، أما الصحافة السوفيتية فقالت: "خروتشوف في المركز الثاني وكينيدي في المركز قبل الأخير".

في عام 2006 هاجم الإعلام الإسرائيلي بشدة الرئيس الإسرائيلي "موشيه كاساف" لأنه، حسب ما تردد، تحرش، أو ربما اغتصب زميلاته في العمل. تقول الألسنة الخبيثة أن الرئيس دافع عن نفسه بأنه عاجز جنسيًا، فأطلق معلومات تفيد بأنه اغتصب امرأة واحدة، ثم ثلاث سيدات، إلى أن وصل إلى عشر سيدات. تفاءل السيد الرئيس من أن هذا سبب كاف لدعم شعبيته. لكن ظهرت أصوات تشكك في أن سياسيًا في مثل عمره لا يمكنه أن يمتلك كل هذه القوة. وبما أن التشكيك في رئيس الدولة قد يهدد صورة الدولة، فقد أعلن النائب العام الإسرائيلي أن "لديه الأدلة الكافية" على أن الرئيس كان قادرًا على ذلك بالفعل. وبعد هذه الأخبار أصبح "كاساف" تقريبًا بطلاً قومياً، تجاوز بطولة الجنرال العسكري "موشي ديان" في حرب أكتوبر. وأعرب الرئيس الروسي عن إعجابه بهذا الأمر قائلاً: "لقد أثبت أنه رجل بمعنى الكلمة. لقد أذهلنا بقدرته على معايشة عشر نساء مرة واحدة. نحن جميعاً نحسده على ما فعله. تحياتي لهذا الرجل!"

الشرط الأساسي لتحويل الزيمة إلى نصر هو ألا تشغل بالك بالهزيمة. ولن تهمل كثيرًا طالما اعتدت عليها.

كيف تدبر المؤامرات على نحو صحيح

"إِذَا تَحَدَّثَ السِّيَاسِيُّ بِطَرِيقَةٍ مَفْهُومَةٍ، فَهَذَا يَعْني أَنَّ ضَمِيرَهُ لَا يُؤَنَّبُهُ"

أندري مالراوكس

إن أهمية دور المؤامرة في العمل السياسي شأنه شأن أهمية الرياح لطواحين الهواء. فلا يتم العمل السياسي بدون مؤامرات. لذلك عليك أن تدرب نفسك في كل وقت ممكن. أثناء الانتظار في الطابور بمتجر "بيلا"، وأثناء الاستراحات أثناء العروض المسرحية، وأثناء ري الحديقة، وأثناء جلوسك على كرسي طبيب الأسنان، أو وأنت تحلق ذقنك. اعلم أن منافسيك يعملون ضدك ليل نهار. المؤامرات لا توجد في الطبيعة، كما توجد وسط البشر. لكن الطبيعة لا تحكمها السياسة. ولا أفهم كيف يمكن للطبيعة أن تحيا بدون مؤامرات.

هناك كثير من البشر مستعدون لتدبير المؤامرات لتكون في صالحك. كل ما عليك هو أن تختبرهم بصورة كافية. لكن لا تنس أن من يدبر مؤامرة لصالحك قادر على أن يحيكها ضدك. يمكنك أن تتآمر عبر الهاتف، أو تلغرافياً، أو بالفاكس، أو باللاسلكي، أو حتى بالمنظار المعظم. كان تدبير المؤامرات عن بعد في روما القديمة مستحيلاً، لأنهم كانوا يرسلون الأخبار، بأن تقوم جنود قوية الصوت بالصراخ من أماكن مرتفعة. واستطاع الكلتيون القدامى الصياح إلى مسافة مئتين وخمسين كيلوا متراً. قد يكون من الغباء أن تصيح في مرتفع أمامك، وتقول: "سنقيل "بيشتا" غداً، لكن لا تخبر أحداً بذلك!!!"

يجب أن يكون لديك من يقوم بتدبير المؤامرات. ولن تؤتي المؤامرة أكلها لو أنك تحدثت عنها أمام من تتآمر ضده. أهمية المؤامرة تكمن في ألا يعرف بها من تتآمر ضده. فالمؤامرات التقليدية تحاك من خلف ظهر الشخص المستهدف. والمتآمر لا يجب أن يعرف من يتآمر ضده. فالهدف من المؤامرة أن يسعد بها المتآمر. وستحقق سعادته عندما تنجح المؤامرة. أما لو فشلت فسيقع المتآمر في ورطة. لكنه يستحق ما قد يحدث له لأن المتآمر

الفاشل يكون مثار سخرية جميع المتآمرين الناجحين. المهم أن تحافظ على السرية أثناء إجراء المؤامرة. فمن الغباء أن تكتب في الصحف أن السياسي "س" يتعرض لمؤامرة، ثم توقع المقال باسمك. لقد ارتكبت خطأً كهذا. فالزميل الذي قلت إنه تعرض للمؤامرة مازال يتذكرني إلى اليوم. ويلومني على هذا من تأمروا ضده. يلوموني على أنني أفصحت عن المؤامرة. لأنني خالفت القاعدة المعروفة ضمناً في السياسة بأن المؤامرات يعرفها كل إنسان، لكن لا يتحدث عنها أحد كي تنجح.

يطلقون على المؤامرات الجماعية كلمة تآمر. والتآمر ينظمه أفراد يخافون من أن يدخلوا بمفردهم في مؤامرة. يتوقعون أنه، في حالة انتشار أخبارها، سيكون هناك من يلقون عليه اللائمة.

لقد تعاونت شركة "مارتينوس" لبيع الكتب عبر الانترنت مع المتآمرين المبتدئين، وأصدرت لعبة ورقية باسم "المؤامرات". صدرت باللغة التشيكية. ثمنها بسيط بالنسبة للمتآمر النهم. تباع بسعر 5,44 يورو، لكنك ستشريها في "مارتينوس" بخصم 5 في المئة.

هل تسحق خصمك المهزوم، أم تتجاهله؟

"لَا تَضْرِبْ خِصْمَكَ بِالنُّظْرَةِ، اسْتَعْمِلْ شَيْئًا ثَقِيلًا!"

مؤلف مجهول

لا مفر من أن تهزم خصمك هزيمة منكرة. الغبي فقط هو من يعتقد أن خصمه سوف يتحسن، أو أنه سيأخذه في صفه. أن تسحق عدوك لا يعني أن تصفيه جسدياً في خلاط خرسانة ضخمة، أو في مرجل به حمض الكبريتيك. بل تسحقه عندما تحول بينه وبين الاعلام. التسامح أمر جيد من الناحية النظرية. لكن لا وجود له سوى في الإنجيل رغم ندرته. فالله نفسه لم يتردد عندما مسح سدوم وعمورة من على وجه الأرض. وكل سياسي مؤمن عليه أن يقتدي بالله، ولا يهزم عدوه بالتسامح. التسامح مع العدو المنهزم أكبر مصيبة قد تحدث له. فلو أنك عفوت عنه فلن يفكر إلا في الطريقة التي يثأر بها منك. الطريقة الوحيدة التي تتخلص بها نهائياً من احتمالية الثأر هو أن تقضي على عدوك بصورة حاسمة. وخير وسيلة للقضاء عليه هو ألا يعرف أنك الفاعل. ستجد كثيراً من الناس مستعداً لأن يقوم بهذا نيابة عنك. لا تخشى كراهية حلفاء خصمك لك. فهؤلاء كانوا سيكرهونك في كل الأحوال. تقع سلوفاكيا في قائمة الدول على مستوى العالم في عدد السياسيين الذين يفارقون الحياة بطريقة غير طبيعية. فقد رحل عن العالم عشرة من أشهر السياسيين السلوفاك بطريقة غير طبيعية. وهم: "يوراى يانوشيك"، و"لودوفيت شتور"، و"ميلان راستسلاف شتيفانيك"، و"يوسف تيسو"، و"فلاديمير كلامنتس"، و"أليكسندر دوبتشك". لا يمكن مقارنة ذلك بالأمريكيين، أمثال "جون فيتسجيرالد كينيدي"، أو "مارتن لوثر كينج".

إن سحق الغريم له أهمية تربوية كبيرة. فالمنتصرون لا يعدمون الناس لأنهم قد يتسببوا في أعمال إجرامية، لكن كي يخيفون كل من يفكر في القيام بأية أعمال إجرامية. لا شيء يوهن من عزيمة الإنسان أكثر من النظر إلى إنسان آخر فوق حبل المشنقة.

كيف تخدع الآخرين

"النَّاسُ فِي السِّيَاسَةِ عَادَةً لَا يَخْتَارُونَ مِنْ بَيْنِ الْحُلُولِ السَّيِّئَةِ وَالْحُلُولِ الطَّيِّبَةِ، لَكِنْ بَيْنَ السَّيِّئِ وَالْأَسْوَأِ"

المؤلف

أسس الرئيس الأمريكي الثالث "توماس جيفرسون انديان" الولايات المتحدة الأمريكية. ووعده المواطنين في عام 1801 قائلاً: "يمكنكم دائماً أن تعمدوا على نصيحة ومساعدة الولايات المتحدة لكم. لن يأخذ أحد منكم أرضكم ولا وطنكم". وبالفعل لم يأخذ الرئيس "جيفرسون" ومن تبعه أراضي غالبية الهنود لأنه لم يبقى منهم من يأخذ منه أرضه. فقد قتلوا غالبيتهم. ووضعوا بضعة آلاف، نجت من القتل، في معسكرات. كان لدى محبوب الجماهير والبطل الأمريكي "جيفرسون" مئتي عبد، وكان يأمر بعدهم كل مساء. أحياناً كان يصيح عندما يجد أن عبده قد نقصوا عبدة أو عبدتان. لكنه كان يهدأ عندما ينبهونه إلى أنهما معه في الفراش. لو أن الهنود لم يخدعوه لما اضطر "جيفرسون" لإحصائهم.

لدينا على الأقل عشرين في المئة ممن يمارسون الخداع. وجمعت وكالة "فوكاص" سؤالاً للمواطنين عام 1994 يقول: "ما رأيكم في انقسام جمهورية تشيكوسلوفاكيا الفيدرالية، وهل غير الانقسام من رأيكم؟" أجاب 22 في المئة منهم كالتالي: "كنت في البداية مع انقسام الفيدرالية التشيكوسلوفاكية، ولم يتغير رأيي بعد الانقسام". نفس السؤال وجهته وكالة "فوكاص" للمواطنين عام 2004، وجاءت الإجابة كالتالي: "كنت في البداية مع انقسام الفيدرالية التشيكوسلوفاكية، ولم يتغير رأيي بعد الانقسام". المشكلة هي أنه رغم رأي المواطنين الذي لم يتغير إلا أن النسبة كانت 12 في المئة. يمكن تفسير هذا الغموض بأن المسؤولين في وكالة "فوكاص" لم يلتقوا بنفس المواطنين، أو أنهم سألوا نفس المواطنين لكنهم ببساطة خدعوهم. لقد كانت استقصاء وكالة "فوكاص" خير دليل على الخداع البين.

الخداع الحقيقي يجب أن يتميز بالاستمرارية كي يعتاد عليه الناس. والسياسي الحق هو من يحرص على ألا يثبت أحد عليه أنه مخادع. والأمثلة على أساليب الخداع هي:

- سنبقى أوفياء (يمكن تقديم الدليل على الخيانة، أما الوفاء فلا. لذلك من الأفضل أن تكون وفيًا بدلًا من أن تكون خائنًا).

- الحقيقة تنتصر. (يمكن تقديم الدليل على الكذب، أما الحقيقة فهي نسبية)

- الله معنا. (ومع الملحدين أيضًا؟)

- سلوفان⁽¹⁹⁾، واصل! (واصل ماذا؟)

- اللون الأزرق جيد (كيف يمكنك إثبات ذلك؟)

المثال الأسطوري للخداع قدمه "فلاديمير ميتشيار". لقد قدم نفسه للرأي العام السلوفاكي والأوروبي على أنه ملاكم. لكن لم ير أحد يومًا صورة واحدة له تثبت أنه كان ملاكمًا ذات يوم. لكن الثقة تفعل المعجزات.

(19) فريق كرة سلوفاكي. المترجم

كيف تتأهب للمنصب

"مَوْتُ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ فَاجِعَةٌ. أَمَّا مَوْتُ الْمَلَائِكِينَ فَهُوَ مُجَرَّدُ أَرْقَامٍ"

يوسف فيساريونوفيتش ستالين

قدم العديد من الحكام للعالم أمثلة على سنّ الأسنان تحسباً للمنصب. أجمل الأمثلة قدمها "فيليس بيريتي"، وهو البابا المعروف باسم "سيكستوس الخامس". كان منذ صغره قاهراً، وعنيداً، ومتعال، وعاصفاً، ومتغطرساً، وانتقامياً، وخائناً أيضاً. نشأ في بيئة فقيرة للغاية، وعمل وهو صبي راع للخنازير. كان منذ نعومة أظافره يتوق لمنصب البابا. حمله شوقه الجارف ليكون بابا الفاتيكان إلى كرسي الباباوية بالفعل. وقبل أن يصبح بابا الفاتيكان كان واحداً من أغنف المحققين. احتفل بتوليته المنصب في إبريل عام 1585 بإعدام بعض المواطنين عقاباً لهم على طبائعهم الجنسية. طبق عقوبة الإعدام على المثليين، وعلى الخيانة الزوجية أيضاً. لم تذكر الوثائق التاريخية كيف سن "فيليس بيريتي" أسنانه لمنصب البابا.

لقد توفر لدى البابا "سيكستوس الخامس" شرط سن الأسنان للحصول على المنصب. إنه يتوفر لكل من تعرض للإذلال في طفولته. الإذلال على فترات طويلة يغرر فيك رغبة في الانتقام، وتوق جارف إلى "إظهار هذا أمام الجميع". لذلك لا تنزعج من أن تكون "نصف أبله"، ولم تكمل المدرسة الابتدائية، أو أنك تتبول على نفسك، أو تتلعثم في الحديث. إن نزعتك الجارفة للسلطة ستصلح كل شيء. كل ما عليك هو أن تمنيها في نفسك، وألا تستمع إلى أقاويل السياسيين مثبطي العزائم الضعاف الذي لا يحققون أكثر من رئاسة إدارة في أحد الأقاليم. فلو أرادت مستقبلاً مهنياً فلا أقل من أن تكون بابا الفاتيكان، أو قيصرًا، أو في أسوأ الأحوال، رئيساً للبلاد.

في استطاعت كل إنسان أن يشحذ أسنانه للمنصب، باستثناء من لا أسنان له. لأن هذا يتطلب بذل مجهود كبير جداً، لكن هناك قاعدة تقول: الإرادة هي بداية الطريق. لكن انتبه! لأن الطريق بها حفر، وبسببها فقد أكثر من ساع للسلطة أسنانه. أثناء شحذ أسنانك

للمنصب يجب أن تعرف أي منصب تسعى إليه. تأكد ممن يسعى إلى نفس المنصب غيرك. فلو كان شقيق الرئيس أو زوجته أو شقيقة زوجته، أو حماته، فأنصحك أن تبحث عن منصب آخر لتسن له أسنأك.

لا تشحذ أسنانك مطلقاً على مرأى ومسمع من الناس. ولا حتى لو اعتقدت أنه لا يوجد من هو مهتم بهذا المنصب. إن المناصب التي يبدو وكأن أحد لا يرغب فيها غالباً ما تكون أكثر المناصب جذباً للاهتمام. يمكنك أن تعطي انطباعاً جيداً لو أنك، وأنت تسعى نحو المنصب، استخدمت عبارات مثل: "لازالت أشعر أنني غير مؤهل لهذا الأمر"، "أنا مازالت صغيراً، وقليل التجربة"، "ليس لدي خبرة في هذا العمل، ولا أملك التعليم المناسب"، الخ.

عندما تحصل على المنصب تعلق به بأسنان وأظافرك، وأذنيك، وركبتيك، ويديك، ولو كان لك شعر، فبشعركَ أيضاً. عندما اختاروا "بينجامين دزرائيلي"، مؤسس حزب المحافظين البريطاني، رئيساً للوزراء أول مرة، أجاب على تهنئتهم له قائلاً: "لقد تسلقت حتى وصلت قمة عامود مدهون بالزيت". إن البقاء في السلطة يعني أن تصل إلى قمة ملوثة بالزيت. لا يعرف صعوبة البقاء فوق القمة إلا من تعرض لموقف مماثل.

الشعور بالذنب

"الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ لَيْسَ ثَقِيلًا حَتَّى تُلْقِيَ بِتَبَعَاتِهِ عَلَيَّ غَيْرِكَ"

شولتز

الشعور بالذنب في السياسة هو أحد الأمور الضرورية، فلا تفكر للحظة في أن تتخلص منه. فلو لم تشعر بالذنب فلن تكون نِدًّا لمن يشعرون به من زملائك. ولن يستطيعوا أن يتمكنوا منك، لذلك سوف يعملون جاهدين كي يلفظونك من السياسة، عاجلاً أم آجلاً. فلو كنت تشعر بالذنب فلا تجهد نفسك في التفكير فيما يعرفه عنك زملاؤك. إن زميلك مثقل بالهموم، ومنشغل فيما تعرفه أنت عنه. اجتهد في أن يشعر كل من حولك بالذنب أيضاً. نظرياً يظل هناك احتمال بوجود سياسي لا يشعر بالذنب. هذا الموقف يمكن إصلاحه، ومن السهل اكتساب الشعور بالذنب. فلو لو لم تحصل على أي شيء من "صندوق الأوقاف" فيسطة يمكنك أن تختلس، أو تسرق، أو تقبل رشوة، أو تعطي رشوة. ما لم تتمكن من هذا فاطلب أن تكون عضواً في أمن الدولة. فالعاملون في معهد ذاكرة الوطن سيدلونك على الطريق.

يجب أن تتعامل مع الشعور بالذنب على أنه كنز ثمين. لأنه يفتح لك طريقاً إلى عالم السياسة. المهم هو أن تصل الأدلة على شعورك بالذنب، في أقرب وقت ممكن، إلى يد الأشخاص المؤثرة في حزبك أو في الحكومة، أو في البرلمان. ببساطة عليك أن تنضم إلى الأغلبية بأسرع وقت. النصيحة الأساسية هي: ما دمت لا تشعر ببطحة فوق رأسك فلا مستقبل لك في السياسة. إن السياسة في الأساس قائمة على الابتزاز المتبادل. لذلك لا يحدث أي شيء لكل من يعمل بها. فكل سياسي يعرف عن زملائه كل شيء. إن البطحة فوق الرأس تعد توابل، وملح، ومادة لاصقة، ودافع، وقوة محركة للعمل السياسي.

لا تدع أحد يخرج عن هدوءك، وانتبه لما يحدث من حولك

"لا تُصدّق أيّ شيء قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ نَفْيُهُ رَسْمِيًّا"

مؤلف مجهول

أفضل وسائل الحفاظ على هدوء النفس هي التشكك الدائم. لقد قلت أكثر من مرة أنه لا يمكنك الوثوق في السياسيين. لا يمكنك أن تصدق النجاح أو الفشل، ولا الجيد ولا الخبيث، ولا زوجتك ولا حماتك، ولا مساعدك ولا سكرتيرتك. لقد كان الملك الفرنسي "لويس الرابع عشر" مثالاً على إجادة فن التشكيك في كل شيء. فعندما انتشرت شائعات في كل أرجاء فرنسا بأن الكاردينال "مازارين" تُوفي، قال الملك باقتضاب: "البعض يقول تُوفي، والبعض الآخر يؤكد أنه على قيد الحياة. أنا لا أصدق هذا ولا ذلك". اتخذ ملك الشمس مثالاً لك، ولا تدع شيئاً يدهشك في عالم السياسة. لو شعرت بأن شيئاً أذهلك فلا تظهر هذا على الملأ. وبالطبع، لو أنك وقعت في الشرك، وأطلقوا عليك النار على حين غرة فليست مضطراً إلى الإفراط في التظاهر. غالبية السياسيين الذين وقعوا في المصيدة، ولم يتمكنوا من إخفاء دهشتهم، ساءت أحوالهم.

إن سوء الظن أفضل بكثير من حسن الظن. فلو ارتاب فيك كل من تعرفه فعليك ألا تكذب، وقل الحقيقة بكل اطمئنان. قل إنك في البيت "سي السيد"، أو أنك لم تكن يوماً عضواً في الحزب الشيوعي، أو أنك شاركت في الانتفاضة الشعبية، وأنك وقّعت على "ميثاق 77"، وأنك وقّعت على "ميثاق معارض للميثاق"، أو أنك دمرت حاويات جمع الأوراق وأنت في الطلائع.

إن سوء الظن متبادل. فلو أنك ارتبت في أحد فسيرتاب فيك هو الآخر. لذلك عليك أن تنتبه إلى كل ما يقال. احمل معك مرآة في جيبك لتتأكد من أن عينيك مفتوحتين. أن تتجسس بنظرك على ما يحدث من حولك أمر سهل. اخرج إلى الشارع في الصيف الحار، وارمق الفتيات الشقراوات اللواتي ترتدين أقمصه شفافة، بدون حمالة صدر من تحتها. غالباً هذه هي اللحظة التي تخرج فيها عيناك من مقلتيها. لو لم يحدث فانظر إلى شريط مرتبك الشهري.

ماذا تفعل لو لم تُحقق هدفك؟

"وَصِيَّتِي كَيْ تَنْجَحَ هِيَ: اسْتَيْقِظْ مُبَكَّرًا، وَاَعْمَلْ كَثِيرًا، وَأَبْحَثْ عَنِ الْبُتْرُولِ"

جان بول جيتي

المَعُول في الأساس أداة عمل تحولت بالتدريج إلى أداة حرب مع تطور البشرية. كانت هذه الأداة تستعمل في بعض البلدان في البداية للحرب عن قرب. فقد قتل الخمير الحمر في كمبوديا ملايين المواطنين بالمعاول بكل نجاح، حتى صارت المعاول بليدة نتيجة استخدامها المتكرر. ويصعب القتل بمعول بليد. لذلك قام العلماء بتطويرها. وقام الاتحاد السوفيتي، حسب التقارير، بوضع معاول طائرة على الحدود مع الصين، وكانت معاول بعيدة المدى، أو معاول ذات خط سير مسطح. غير أن هذا النوع الأخير كان به كثير الأعطال. فقام السوفييت بحل المشكلة بأن اعتادوا على المعاول التي لا تصيب الهدف، والتي ازداد عددها مع الوقت. فكانوا يطلقون المعول، ويدهشون عندما ينطلق. المعول ينطلق بصورة مفاجئة. وهذه هي طبيعة المعول. وإلا لما كان معولاً، وصار بندقية.

وصف الشاعر الاغريقي "هوراتيوس أحد حفاري الخشب وهو يصنع أريكة من جذع شجرة تين. اعتادت الجذوع الأمر، وتظاهرت بأنها جزءاً من الأريكة. ذات يوم قرر الحفار، لسبب غير معلوم، أن يصنع من جذع شجرة التين تمثالاً لأحد الآلهة. كان الجذع عصياً، ولم ينتبه إلى الأمر، ورغم أنه صار إلهاً إلا أنه ظل يتصرف وكأنه أريكة. فغضب الحفار، وصنع من الإله أريكة.

هذا مثال على نقص التأهب والاستعداد لضربة المعول. لن تعرف أبداً وأنت في العمل السياسي متى سيقدر الرئيس الاله، أو الناخب، أو القدر خلاف ما تتوقع. لم يكن السياسي المغمور "إيفان هارمان" يتوقع، حتى في أحلامه، أن المعول قد ينطلق في مدينة "جيلينا"، لكن هذا حدث بالفعل. فقد هُزم في الانتخابات المحلية في عام 2006 السياسي الشهير "يان سلوتا". انزعج "سلوتا" كثيراً من الأمر، وانزعج "هارمان" أيضاً عندما علم بما خلفه له "سلوتا" في بلدية مدينة "جيلينا".

المثال التقليدي للمعول التي لا تعمل في سلوفاكيا هو حزب أنصار الديمقراطية. فقد أدرك حزب اليسار الديمقراطي، وحزب الحوار الوطني، وحزب تحالف المواطن الجديد، أو حزب اتحاد العمال السلوفاكي أن المعول لا يعمل بالفعل، فجمعوا أغراضهم، لكن أعضاء حزب أنصار الديمقراطية لم يفقدوا الأمل. ظلوا دائماً متربصين للصراع من أجل الحصول على مقاعد في البرلمان. إنهم دائماً يخسرون الانتخابات، لكنهم لم يفقدوا الأمل يوماً. نتمنى أن يعلم بوجودهم أحد في مدينة "ترنافا"، أو "نيترا"، ويساعدهم في الفوز في الصراع على دخول الجنة.

يمكنك أن تتجنب الدهشة من انطلاق المعول بأن تنضم إلى أقرب منظمة طلائع. فالطلائع مستعدة دائماً.

متى يفر السياسي هارباً

"هَرَبَ وَكَأَنَّهُ فَقَدَ مَنْصِبَهُ"

ستانو راديتش

يفر السياسي هارباً في المواقف التالية:

- لو شعر أن أحدهم يغويه إلى طريق الفضيلة
 - لو لم يرُدَّ رئيسه على الهاتف عندما يتصل به
 - لو ظهرت دورية شرطة أمام البنك الذي ينوي سرقة
 - لو حدث تسونامي
 - أمام زملائه الشرفاء المتحمسين
 - من باعة مجلة "نوتا بينا"⁽²⁰⁾
 - من الصحفيين
 - من العاملين بالصحة، ومن المدرسين، وعمال المناجم، والموظفين، وسائقي المركبات، ومن كل من يطالب بزيادة راتبه
 - من أصحاب المعاشات
 - من رجال الشرطة الذين يحملون أنبوبة اختبار شرب الخمر
 - من المواطنين الذين جاءوا يطالبون بأموالهم التي اقترضها منهم
- يجب أن تنصرف هارباً من كل من يتحدث عن السلام العالمي، والرخاء العام، والعدالة

(20) مجلة غير دورية تباع لدعم المشردين وأطفال الشوارع. المترجم

المطلقة، والعدالة الاجتماعية، وتساو فرص أمام الجميع، وانعدام البطالة، والجنة على الأرض، والعمو العام عن الذنوب، والولادة بالروح القدس، والتحقيق في اختطاف رئيس الجمهورية. المواقف التي يضع رجل السياسة "ذيله في أسنانه" ويفر منها أكثر بكثير من المواقف التي يسير فيها على مهل، دون خوف.

لكن لا تضع ذيلك في أسنانك إلا في مواقف طارئة. حاول في البداية أن تخرج من الموقف بطريقة أخرى. فلو قرر رئيس الحكومة إقالتك من منصبك كوزير، مازال في إمكانك أن تحول دون هذا. تحجج بالأخلاق، سافر سريعاً في جولة مكوكية، أو جمد أنشطتك لأسباب علمية. وتمنى أن يكون رئيسك قد تجاوز الموقف عندما يزول الجليد. اتفق، من باب الاحتياط، مع الخبراء ألا يزيلوا عنك الجليد إلا عندما يصير الرئيس شخصاً آخر غير الشخص الذي أراد إقالتك. لو لم تتمكن من أن تضع ذيلك في أسنانك، فتماسك، ولا تدع أحد يخرجك عن هدوءك، تظاهر وكأنك بلا قدمين. وعندما يأتي دورك استغل مزايا أن تكون بلا قدمين، مثلاً أن ساقيك لا ترتعدان أمام أحد، ولا يمكن أن تتصادم مع أحد، ولن يسقطك أحد على الأرض، ولا يمكنك أن توجه ركلة إلى أحد في مؤخرته، ولن يدوس لك أحد على طرف، ولا يمكنك أن تقف على قدميك. لكن الأهم ألا تضع ذيلك في اسنانك وتدعي أنك شجاع.

نهاية العمل السياسي

"قِيَمَةُ رَجُلٍ السِّيَاسَةِ لَيْسَتْ فِي أَنْ يَعْرِفَ مَتَى يَبْدَأُ، بَلْ مَتَى يَنْتَهِي"

مؤلف مجهول

يمكن أن تنتهي الحياة المهنية بطريقتين. طوعًا أو قسرًا. ومن أكثر الأساليب القصيرة استعمالًا هي:

- الانتحار (لديك فرصة في أن تدخل التاريخ لو أنك ألقيت بنفسك من الطابق العاشر في وجود وسائل الإعلام)

- الهاراكيري السياسي (وهو عندما تظهر في التلفزيون، ثم بعدها يكون الجميع على قناعة، إلا أنت، بأنك لا تصلح للظهور في الاعلام)

- ألا تفوز في انتخابات المحليات (ستحتفظ بفرصتك طالما اختارك رئيس الحزب، رغم أنف الناخبين، لتحتل مقعدًا في البرلمان)

- أن يطلقوا عليك النار (حاول أن يطلقوا عليك النار على منصة الإعدام، وليس في حلبة القتال، حيث لا يراك أحد)

- أن تموت موتة طبيعية (أنت رجل سياسة، ولن يصدقك إلا القليل)

- أن تدخل الجنة (حتى الآن لم يوفق في ذلك إلا رجل واحد، رغم أنه لا دليل على أنه دخلها)

- أن تنتقد رئيس الوزراء بدون داع (ماذا سنفعل بك...)

- ألا تنتقد رئيس الوزراء عندما يكون انتقاده واجب (ماذا سنفعل بك...)

- أن يرسلوك إلى المنفى (ليس إلى سيبيريا بالضرورة، يكفي أن يرسلوك ضمن بعثة

- أن تمنعك زوجتك من ممارسة الأنشطة السياسية (يمكنك أن تحول دون هذا لو أنك أخذت حماتك إلى صفك)

لو أردت أن تدخل التاريخ عليك أن تنهي حياتك السياسية في الوقت المناسب، وإرادتك. لا تنتظر حتى يطردوك من عالم السياسة. ابدأ في إعداد كل من حولك للحظة رحيلك الطوعي.

إن مغادرة العمل السياسي أصعب من الرحيل من العالم نفسه، لكن عليك أن تحاول. ما يسهل عليك الرحيل ألا تكون في قائمة المرشحين. عندها تشرع في الإعداد للرحيل. وعليك أن تبدأ في الوقت المناسب. ستعرف ضرورة أن تدق ناقوس الرحيل عندما يعطيك رئيس الحزب موعداً للرد على طلبك بالبقاء بعد مرور ستة أشهر من تقديمك للطلب. ورغم ذلك تظل متذرعاً بالأمل. ستتوقف عن استدعاء الأمل عندما تتوقف سكرتيرة رئاسة الحزب عن تقديم القهوة لك وأنت بهو مكتبه، ولا تدعوك للجلوس، وتترك واقفاً لأربع ساعات. إنها علامة أكيدة على أن رئيس حزبك قد غير رأيه فيك. من المؤشرات الواضحة على نهاية مستقبلك السياسي هو تلميح رئيسك بصورة متكررة إلى نواقصك، وكان عدد من يلمحون إلى عيوبك قد بدأ في التزايد منذ وقت سابق.

لو حدث هذا فعليك أن تراجع طبيبك، وتتفق معه على مرض عضال مناسب، ظهرت علاماته عليك بصورة ملحوظة. ثم ابدأ في النواح والعيول من تدهور حالتك الصحية، وتحدث مع الصحافة حول هذا الموضوع. سيثمن الرئيس موقفك، ويعرض عليك منصب سفير، أو وظيفة في جهة استشارية تابعة للدولة (طالما كنت في الحزب الحاكم). ربما يعرض عليك رئيس حزب معارض أن تكون ضمن قائمة المرشحين للبرلمان الأوروبي. لو أردت أن تزعج رؤساءك للمرة الأخيرة قبل انصرافك من العمل السياسي شارك في أحد المنتديات أو اللقاءات، أو المؤتمرات أو مجلس مركزي. ابلغ الرئيس وإدارة الحزب برأيك فيهم. لا تخجل من ذلك فهم يتوقعونه منك. يجب أن تكون مشاركتك مفعمة بالوقار. واعلم أنها آخر مرة تتحدث فيها.

إن العمل السياسي يشبه التدخين. تعلم أنه يضر بصحتك، لكنك لا تقوى على الامتناع عنه. قل لنفسك كل يومين إنك ستنتهي عملك السياسي، لكن يوماً ما! لذلك علق صوراً

فوتوغرافية في أرجاء الشقة، عليها صور رثتين دمرهما التدخين، وسياسيين خربتهم السياسة. لو لم ينفج هذا الأمر ابدأ في التردد على دورة للإحياء الذاتي. هناك تزعم أن السياسة أسوأ من الانهيار الجليدي، وتسونامي، والإعصار، والزلازل، أو من مرض الجذام. لن ينفج شيء من كل هذا، وستفقد أعصابك إلى درجة أنك ستبدأ في تدخين السجائر. إنها أولى خطوات إنهاء عملك في السياسة. التدخين الذي يصاحبه ضغط ناتج عن عدم القدرة على التخلي عن السلطة يعد الطريق الأكيد إلى النهاية الحتمية. وسيأتيك ذات يوم الخبر السعيد. سيخبرك طبيبك أنك مصاب بالسرطان، لم يبق لك في الحياة سوى بضعة أشهر. وبعد بضعة أشهر يبقى لك بضعة أيام، وبعد بضعة أيام بضع دقائق. سيزورك منافسوك السياسيون بصورة منتظمة لدعمك وأنت في قسم الأورام. لا يجب أن تخاف الموت. إنه الوسيلة المثلى لإنهاء عملك السياسي بنجاح. فضلاً عن أن أخبارك ستظهر في الصحف.

لا تركز فقط إلى الموت السياسي. فأنت لست "نابليون". فأخبره كانت في كل الصحف بعد موته سياسياً في "ووترلو". إلا أن الصحافة لم تنتبه إلى موته الحقيقي. تقريباً. ركز كل جهودك على موتك الفعلي. سدد ديونك، وتخلص من المعارضة والمنافسة، والصحفيين، والجيران، والنقاد، وسدد ضرائبك، وكل الأشياء غير المرغوب فيها. لو أبلغك الأطباء أنه لم يبق أمك سوى خمس دقائق على قيد الحياة، أنصحك أن تستغلها في عمل الآتي:

- اكتب وصيتك الأخيرة

- أكد للمرة الأخيرة على ولائك للرئيس

- تأهب بسعادة للقاء وشيك بجدة جدتك

- اتصل بالكاهن، واشغل لحظات انتظاره بكتابة مذكراتك باختصار.

- لو لم تجد في نفسك الرغبة في عمل أي مما تقدم، اطلق النار على نفسك، فما العائد من البقاء على قيد الحياة بلا معنى.

- لو وُفقت، ووافتك المنية فأغلب الظن أنك قد أنهيت حياتك السياسية. اعلم أنك لست "لينين"، أو "ستالين"، أو "ماو"، أو "كيم"، أو "سنووايت" كي تعيش أبد الدهر.

نهاية الكتاب والمؤلف

"الأخلاق بالنسبة للمواطن احتمال، وللسياسي ضرورة"

المؤلف

نهاية الكتاب تمثل لحظة حزينة لأي مؤلف. لكنها غير ذلك عادةً بالنسبة للقارئ. لقد علمت أن أحد القراء شعر بالحزن عندما انتهى من قراءة الكتاب. وأنا أيضاً حزين. اثنان شعرا بالحزن بعدما فرغا من قراءة الكتاب. إنها نتيجة ليست سيئة. لقد فكرت في الرسالة الأخلاقية لكتاب "أغبياء في السياسة"، ورغم أن "فولتير" لم يقرأه إلا أنه أصاب عندما قال: "الأخلاق واحده، شأنها شأن علم الهندسة. ستقولون لي إن غالبية الناس لا تعرف الهندسة الرياضية. نعم، هذه حقيقة، لكنهم رغم اهتمامهم القليل بها يتصرفون بنفس الطريقة. الفلاحون، والعمال والفنانون لم يحضروا يوماً محاضرات حول علم الأخلاق، لم يقرأوا كتاب "نهاية الخير والشر" لـ"شيشرون"، ولا "علم الأخلاق" لـ"أرسطو"، لكن بمجرد أن يبدأوا في التفكير يصبحون، دون أن يدروا، من تلامذة "شيشرون". إن صباغ الملابس الهندي، والراعي التاتاري، والبحار الإنجليزي، كلهم يعرفون العدل والظلم. لم يصنع "كونفشيوس" نظام الأخلاق على أنه نظاماً فيزيائياً. لكنه عثر عليه في قلوب البشر.

ليست الخرافة مكمناً للأخلاق، ولا الطقوس، ولا علاقة للأخلاق بالعقائد.

سنظل نؤكد على الدوام أن العقائد مختلفة، أما الأخلاق فهي ثابتة لدى كل البشر الذين يعلنون من قيمة عقولهم. إن الأخلاق، شأنها شأن النور، تنبع من الله. والضوء واحد بالنسبة للرجل السوري، والصيني، والفرنسي أيضاً. فلو أن أحدكم قابل فقيراً مسكيناً في "درب اللبانة" وكان في مقدوره أن يقدم له المساعدة ولم يفعل، فقد ارتكب جرماً في حق كل العوالم. فرائض القلب واحدة في كل مكان. فكّر ملياً أيها القارئ! تدبّر هذه الحقيقة، واستخرج منها ما ينفعك!".

لقد قلت عند الحديث عن إلغاء العفو العام الذي منحة "ميتشار" إن "قيمة السياسة

الوحيدة تكمن في البحث عن الحقيقة". وبعد التصويت استوقفني "فلاديمير ميتشيار"، وخطبني معاتبًا: "أنت تتحدث عن الحقيقة ورغم ذلك تصوت على خلافها". وقال "روبرت فيتسو": "لقد كان العفو قذارة أخلاقية، وإلغاؤه قذارة عادلة". إنه مأزق السياسة. الحقيقة، أم العدالة؟ أو ليسا مرادفين لبعضهما؟ الحقيقة تكون حقيقة عندما تصبح عادلة، أما العدل فهو الحق، لا غيره. الحقيقة بالنسبة لصائد الأسماك هي الصنارة التي يصيد بها، لكن بالنسبة للسمكة فالماء هو الحقيقة...

يقول "سقراط" عن السياسي المسئول: "قليل هم من لديهم مسوغات الانتماء إلى هذا المجتمع. السياسي المسئول يرى كيف أن السياسة أمر عذب ورائع، رغم أنه يرى الأعمال الخبيثة للغالبية منهم، ويرى أنه من النادر أن يفعل أحدهم في السياسة عملاً نافعاً، وأنه لا يوجد حليف يمكنه بمساعدته أن يشارك في عمل عادل، وأن ينجو بنفسه دون فضيحة. سيشعر بأنه إنسان وسط حيوانات ضارية لو لم يرغب في أن يرتكب مع الآخرين أفعالاً ظالمة، ولن يجد في نفسه القوة التي يقاوم بها ضد ضراوة الجميع. سيرى أنه قضى نحبه سدىً قبل أن يفعل شيئاً لدولته ولأصدقائه. وعندما يتدبر كل هذا سيعيش في هدوء، وسيفعل ما يميله عليه ضميره، سيكون كمن يأوي إلى مكان آمن أثناء العاصفة خوفًا من التراب والمطر الناتج عن رياح عاتية، وينظر إلى الآخرين الذين يصارعون من أجل مخالفة القانون. سيكون راضيًا عندما يخرج من هذا الجور، وهذه الأعمال المنحرفة نظيفًا، يعيش حياته، وعندما يحين أجله يذهب مطمئنًا، مرتاح البال".

تقول الأسطورة السريانية أن رجل وامرأة خلقا في السماء الرابعة، ورغبا في رقائق البطاطس بدلًا من طعام الآلهة. كان طعام الآلهة، فوتهما الطبيعي، يتحول إلى كراث. لكنهما بعد تناول رقائق البطاطس شعرا برغبة في التبرز. توسل الرجل والمرأة إلى الملاك أن يدلّهما على مكان الغائط. "أتزان ذلك الكوكب الصغير بحجم حبة الذرع؟ إنه يبعد عن هنا بستين مليون عام. إنه غائط هذا الكون، انصرفا إليه!". انصرف الرجل والمرأة من السماء الرابعة، واستقرا في ذلك الكوكب الصغير. ومن وقتها صار عالمنا على ما هو عليه. امتلأ بنسل الرجل والمرأة الذي عاث في الكوكب فسادًا، ومأله خرابًا. كان محققًا ذلك الملاك الذي اعتبر الأرض غائطًا كونيًا.

يؤكد الفلاسفة والسياسيون أن العالم يسير في الاتجاه الصحيح. أنا أصدقهم، رغم أن "أبيقور" في الفصل الثالث عشر من كتابه "الغضب الإلهي" يقول: "إن الشر عصيًا على

الله نفسه. فهو إما أنه راغب في اجتياز الشر من العالم، وغير قادر على هذا، أم أنه قادر، لكنه لا يريد. أم أنه غير قادر، وغير راغب في ذلك، أم أنه راغب وقادر. فلو أنه راغب وغير قادر فهذا يُعدُّ ضعفاً، وهو ما يتنافى مع الطبيعة الإلهية. ولو أنه غير راغب، وغير قادر، فهذا مكر وضعف في آن واحد، وهو ما يتعارض مع الطبيعة الإلهية بشكل مضاعف. ولو أنه راغب في ذلك وقادر عليه، ورغم ذلك الشر موجود، فهذا دليل على أنه عصياً عليه". ورغم هذه النظرية المتشائمة أنا واثق من أن العالم يسير في الاتجاه الصحيح. رغم أنني لا أعرف ما هو الاتجاه الصحيح، لكن يكفيني أن يكون هناك بعض البشر الذين أحبهم ويحبوني.

نحن جميعاً سياسيون. فكل منا مجبول على الخير، والنزاهة، والود، والأمانة، والحب. لا أحد يعرف السبب في أننا نفقد الشعور بالحب، وتقل فينا الآمال، والأحلام، والمثل العليا كلما صرنا كباراً. لا أحد يعرف السبب في أننا كلما ابتعدنا عن الطفولة نما فينا الحزن، والغضب، والحقد، والاستسلام. ننظر إلى آثام السياسة والسياسيين، نغرب وجهنا عنهم، ونبرر صمتنا بأن كلهم سواسية، وأنهم سيقون هكذا أبد الأبدية. لا نرغب في سماع كلمات الحكماء، بأن كل موبقات التاريخ حدثت بسبب صمت من كان عليهم أن يرفعوا أصواتهم عالية. نلتزم الصمت عندما نرى كفيفاً يحاول عبور الطريق بكل يأس، أو عندما نرى مشرداً يتجمد من البرد فوق الأريكة، أو عندما نرى حفنة من الجبناء يوسعون شخصاً وحيداً ضرباً في الحافلة، أو غريباً طريداً من وطنه. نصمت، وفي الوقت نفسه نطالب بالعدالة بدلاً من أن تقف في وجه الشر أينما كان.

لن أذفع عن السياسيين، فقد كنت واحداً منهم. لكن السياسيين شأنهم شأن المواطنين، عقلاء وأغبياء، طيبون وأشرار، ودودون وحاقدون، لصوص وشرفاء. إنهم مرآة للوطن والمجتمع الذي أرسلهم إلى العمل السياسي. نرميهم بالأحجار ونتظاهر أننا بلا ذنب. نتطلع خلفنا، إلى ما ارتكبناه من آثام، دون أن يكون في أنفسنا مكان للمستقبل. نتردد على الكنيسة ونحن غير مؤمنين، نقطع على أنفسنا الوعود في كل يوم، ونخفق في الوفاء بها، نطوق إلى الحقيقة، بينما نعيش في الوهم، ندعي الأخلاق ونطالب بها الآخرين، لا أنفسنا. نستنكر برامج "التوك شو" الغبية، ونطوق إلى الحلقات التالية. السياسة جزء لا يتجزأ من برامج "التوك شو"، والسياسيون هم نجوم الاعلام أصحاب المجد، وملتقو اللعنات أيضاً، دون غيرهم. الصحفيون من نفس عينة السياسيين. يخفون عيوبهم بإظهار

عيوب الآخرين.

في كل يوم أتأمل ألا آخذ فقط، بل أعطي، ألا أقدح فقط، بل أمتدح، ألا أتحدث فقط بل أستمع، ألا أصدر أحكامًا فقط، بل أعفو، ألا أكره فقط، بل أحب أيضًا. غداً سأبدأ. اللهم اعف لنا ضعفنا، وفرحنا بالأعداء المبررة. اللهم اعفوا عنا يوم تخاذلنا، واستر خطايانا، فغداً سنكون أفضل. غداً سأبدأ بنفسى رغم علمى بأن التردد يعنى النهاية. لكنى بالتأكد سأبدأ. غداً.



اغبياء في السياسة

مذكرات سياسي ساخر

عندما يتعرف الإنسان على السياسة عن قرب يجد أمامه خيارين متباينين. البكاء أو الضحك. لم أجد في نفسي رغبة في البكاء، لذلك رحلت أنظر إلى السياسة وإلى أهلها من ذلك الجانب المضحك. في حياة كل منا العديد من الأحداث الدرامية التي تُكثّر عليه معيشته. لذلك ما الفائدة في أن أزيد الطين بله وأنت تقرأ هذا الكتاب، بينما أنا شخصياً استمتعت وأنا أكتبه؟ وقد قررت أن أعالج ثنائية - السياسة والمأساة، والسياسة والتهريج، بالانحياز إلى النهج الساخر. أرى الآن اللغويين المتشددين وهم يتأففون من استعمال كلمة تهريج. في الواقع أن تاريخ التهريج يتشابه كثيراً مع تاريخ السياسة. فكلنا نحب المزاح، رغم أن الغالبية لا تعرف معنى التهريج الحقيقي. كذلك أيضاً نحب الحديث في السياسة، رغم أن معظمنا لا يعرف ما هي السياسة في الواقع.

المؤلف